

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة الجزائر 2
كلية اللغة العربية وآدابها واللغات الشرقية
قسم اللغة العربية وآدابها



مَضَامِينُ الدَّرْسِ اللِّسَانِيِّ الْجَزَائِرِيِّ الْمُعَاوَرِ وَاتِّجَاهَاتِهِ بَيْنَ الْمُعْطَى
التَّرَاثِيِّ وَالتَّيَّارِ الْحَدَاثِيِّ - قِرَاءَةٌ فِي جُهُودِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ الْحَاجِّ صَالِحٍ -

رسالة مقدمة لنيل شهادة دكتوراه علوم في اللغة العربية

تخصص لسانيات

إشراف:

أ.د. نصر الدين بوحساين

إعداد الباحثة:

فتيحة عروة

لجنة المناقشة:

لجنة المناقشة:

خولة طالب الإبراهيمي رئيسا
نصر الدين بوحساين مشرفا ومقررا
عبد المجيد سالمى عضوا مناقشا
محمد الحباس عضوا مناقشا
علي صالحى عضوا مناقشا
محمد ولدالي عضوا مناقشا

السنة الجامعية: 2021 / 2020

المخلص:

تهدف هذه الدراسة إلى وصف الدرس اللساني الجزائري والتعرف على سماته ومميزاته وتوسيع دائرة البحث فيه، وإمادة اللثام عن جهود العديد من الدارسين الجزائريين، وبيان مدى حضورها في مجال الدراسات اللسانية العربية. وإلى أي مدى يغطي حضورهم التوجهات اللسانية السائدة في الوطن العربي. وتوجيه الدارسين إلى ضرورة الاعتناء بالدراسات اللسانية الجزائرية المعاصرة، وتثمينها وتنميتها وتطويرها، سواء أتعلق الأمر بتلقي المناهج الغربية الحديثة أو ما تعلق بإحياء الموروث العربي التراثي باعتبار كليهما مما يحتاج إلى مزيد من النقد والتمحيص والتقويم.

وسعياً لتحقيق هدف الدراسة قمنا بوصف عدد من الدراسات اللسانية العربية وتحليلها كدراسة محمد الحباس وخولة طالب الإبراهيمي ومسعود صحراوي؛ الذين يُمثل كل واحد منهم اتجاهاً لسانياً في الجزائر (التراثي والحداثي والتوفيقي). كما قمنا بتسليط الضوء على تجربة عبد الرحمن الحاج صالح اللسانية بالحديث عن موقفه من الدراسات اللسانية العربية الحديثة وتقاطع رؤاه برؤى المستشرقين، والحديث عن ظهور النظرية الخيلية الحديثة؛ وأهم أسسها، وتطبيقاتها في مجال تعليمات اللغة ومعالجتها آلياً وعلاج أمراض الكلام. معتمدين في ذلك على المنهج الوصفي بأسلوب تحليل المحتوى للوقوف على جهود اللسانيين الجزائريين وصفاً وتحليلاً، والمقارنة لتحديد أوجه الشبه والاختلاف بين آراء الحاج صالح وآراء غيره من الدارسين الغربيين.

وقد توصلت الدراسة إلى مجموعة من النتائج أهمها أن التجربة اللسانية الجزائرية لها من التنوع في المضامين (لسانيات اجتماعية، نفسية، تداولية، أصول النحو... والتعدد في الاتجاهات (تراثي، حداثي، توفيقي)، وكذا الثراء والخصوصية في القراءات المهمة باللغة بصفة عامة، ما أهلها لأن تكون جديرة بأن يُستضاء بها في حقل الدراسات اللغوية العربية؛ خاصة تجربة عبد الرحمن الحاج صالح الرائدة. كما توصلنا إلى أن هذا الأخير لم يعتمد في بنائه لمبادئ النظرية الخيلية الحديثة على المعطيات التراثية فقط، وإنما استفاد من الدراسات الغربية الحديثة أيضاً، واستند إلى آراء العديد من المستشرقين الموضوعيين الذين كان لهم باع في دراستهم للتراث العربي الإسلامي.

Abstract:

This study aims to describe the Algerian linguistic studies, search its characters and advantages, broaden the scope of its research, and remove the veil from the efforts of many Algerian scholars and explain the period of her presence in the field of Arabic linguistic studies and to what extent their presence covers the prevailing linguistic trends in the Arab world. And directing the students to the need to take care of the contemporary Algerian linguistic studies, and to value, develop and them, whether that related to receiving modern western curricula or related to the revival of Arab heritage. Considering that both of them need more criticism, scrutiny, and evaluation.

To achieve the goal of the study, we described and analyzed a number of Arabic linguistic studies, such as the study of Muhammad Al- Habbas and Khawla Taleb Brahimi and Masoud Sahraoui, which represents the heritage, modernity and mixed trend in Algeria. We also shed light on Haj Saleh's linguistic experience by talking about his position on modern Arabic linguistic studies and its impact and Western scholars and talk about the emergence of modern Khalilian theory and the most important foundations and applications in the field of language instruction and automatic treatment and treatment of speech diseases adopting in this descriptive method the method of content analysis to determine linguistics, a description and analysis, and comparison to determine the similarities and differences between the views of Haj Saleh and the views of other Western scholars.

The study reached a set of results, the most important is finally diversity of linguistic Algeria contents (Linguistics, social, psychological, deliberative, grammatical principals...) and multiple trends (Heritage, modernity, mixed) as well as richness and privacy in the readings interested in the language in general what it is entitled to be worthy of it in the field of Arabic linguistic studies especially Abdul Rahman Haj Saleh's pioneering experience. We also concluded that Al- Hajj Saleh did not depend, in his construction and formulation, on the principles of the modern Khalilian theory on heritage data only.

Instead, he benefited from modern Arab studies as well and based on the opinions of many Orientalists on the Arab linguistic heritage.

شكر وامتنان:

الشكر أولاً وآخراً؛ عظيمه وأجله لله ذي المنة والفضل.
ثم أتقدم بجزيل شكري ووافر امتناني لأستاذي المشرف
على مامنحي من الثقة وما أولاني من الرعاية والمتابعة، وما تفضل
به من تجاوب نافع وتعاون صادق، وما جاد به من حرص على
توجيهي التوجيه الصحيح في ميدان البحث. الذي كان له الأثر
الكبير في إنجاز العمل على هذا الوجه. ولست أجد ما أؤدي به
واجب الشكر والعرفان نظير تعاونه واهتمامه وإنفاق وقته وبذل جهده
خيراً من التضرع لله سبحانه وتعالى أن يجعل ذلك في حسناته وأن
يمدّه بالصحة والعافية.

والشكر موصول مسبقاً إلى أعضاء لجنة المناقشة الذين

يشرفونني بقراءتهم لبحثي المتواضع بغية تهديبه وتشديبه.

إهداء:

إلى معلمتي الأولى ... أُمي الغالية.
إلى كل معلمي وأساتذتي الذين تواتروا على تعليمي الحرف
وحبّ اللغة العربية واللسانيات والعلم والصّبر والطُّمُوح. ممّن
تتلمذت على أيديهم في مختلف مراحل التعليم الأكاديمي، وممّن
نهلت من آرائهم وأفكارهم عبر كتاباتهم.
إلى كل أفراد عائلتي الذين كانوا لي العون والسّند.
إلى كل صديقاتي اللاتي شاركنني الحُلم والطُّمُوح.
إلى كل من ساهم من قريب أو بعيد في دعمي.

فهرس المحتويات:

الموضوع	الصفحة
المخلص	
شكر	
إهداء	
مقدمة	10 -1
<u>الفصل التمهيدي: مشهد الدراسات اللسانية في الجزائر بعد الاستقلال</u>	119 -11
1 . الاتجاه التراتي: محمد الحباس	50 -17
1.1 . تقديم: تعريف الكتاب	20 -19
2.1 . عنوان الكتاب	21 -20
3.1 . ملخص الكتاب	34 -21
4.1 . تحليل ومناقشة بعض الآراء	43 -34
5.1 . المضمون اللساني	45 -43
6.1 . الاتجاه اللساني	50 -45
2 . الاتجاه الحدائي: خولة طالب الإبراهيمي	82 -51
1.2 . تقديم: تعريف الكتاب	52 - 51
2.2 . عنوان الكتاب	53 -52
3.2 . ملخص الكتاب	69 -53
4.2 . تحليل ومناقشة بعض الآراء	79 -69
5.2 . المضمون اللساني	81 -80
6.2 . الاتجاه اللساني	82
3 . الاتجاه التوفريقي: مسعود صحراوي	119 -83
1.3 . تقديم: تعريف الكتاب	84
2.3 . عنوان الكتاب	85 -84

3.3.	ملخص الكتاب.....	85- 96
4.3.	تحليل ومناقشة بعض الآراء.....	96- 112
5.3.	المضمون اللساني.....	112- 114
6.3.	الاتجاه اللساني.....	114- 119
	الفصل الأول: ظهور النظرية الخيلية الحديثة وأهم مبادئها	120- 244
1.	موقف الحاج صالح من الدراسات اللسانية العربية الحديثة	122- 136
2.	ظهور النظرية الخيلية الحديثة.....	137- 146
3.	المبادئ الأساس للنظرية الحديثة من خلال كتابات الحاج صالح ...	146- 244
1.3.	مفهوم الاستقامة والإحالة وما يترتب عنهما.....	148- 175
2.3.	حد اللفظة ومستويات التحليل اللساني.....	175- 209
3.3.	مفهوم الموضع وما يترتب عنه.....	210- 231
4.3.	مفهوم العامل.....	231- 244
	الفصل الثاني: تصاقب أفكار الحاج صالح وأفكار بعض المستشرقين..	245- 354
1.	تصاقب أفكار الحاج صالح وأفكار مايكل جي كارتر	249- 268
2.	تصاقب أفكار الحاج صالح وأفكار برنارد بوتيه.....	268- 278
3.	تصاقب أفكار الحاج صالح وأفكار جيرار تروبو	278- 289
4.	تصاقب أفكار الحاج صالح وأفكار جون باتريك جيوم:	289- 304
5.	تصاقب أفكار الحاج صالح وأفكار جان كانتينو.....	305- 340
6.	تصاقب أفكار الحاج صالح وأفكار لوسيان تينيير.....	341- 353
	الفصل الثالث: تطبيقات النظرية الخيلية الحديثة	355- 453
1.	تطبيقها في ميدان التعليمات.....	357- 394
	تمهيد.....	357- 368

1.1. التداخل اللغوي بين العامية والفصحى لدى تلاميذ الطور الثالث من التعليم الأساسي: كريمة أوشيش.....	370 - 368
2.1. دراسة تحليلية تقويمية لأنواع التمارين النحوية للسنة السادسة الأساسي واقتراح البديل بناء على مفاهيم النظرية الخليلية الحديثة: فتيحة بن عمار.....	376 - 370
3.1. الأخطاء الشائعة في النحو لدى تلاميذ السنة الثالثة ثانوي: دراسة وصفية تحليلية في ظل مبادئ النظرية الخليلية الحديثة: جميلة عاشور.....	394 - 376
2. تطبيقها في ميدان المعالجة الآلية للغة.....	422 - 395
تمهيد.....	405 - 395
2.1. Contribution A L'etude du Traitement Automatique Des Erreurs Dans Un Texte Ecrit En Arabe – Detection et correction des Erreurs aux niveau lexical et intralexical: Nacéra Taibi.....	405- 409
2.2. Vers Une Compréhension Automatique De L'Arabe Basee Sur GPSG Et Modele Linguistique Neo-Khalilien: Haféda Tandjaoui	409- 414
2.3. Une approche connexionniste pour le traitement automatique des structures syntaxiques de la langue arabe basees sur le formalisme Neo-Khalilien: Hadja Faiza Khellaf- Haned.....	414- 422
3.3. تطبيقها في ميدان معالجة أمراض الكلام.....	451 - 422
تمهيد.....	428 - 422
3.1. L'étude de la variation incrémentielle chez l'aphasique de broca et de wernicke, application des principes de la théorie néokhalilienne: wahiba Boud.....	428- 431
3.2. Analyse linguistique des troubles syntaxiques chez les aphasiques, application de la théorie neo-khalilien: Fouzia Badaoui.....	431- 434
3.3. دراسة تحليلية لطريقة توظيف العامل في كلام المصابين بالحبسة عند عينة من الراشدين الناطقين بالعربية – التركيب الاسمي نموذجاً -: فوزية بداوي.....	449 - 434
الخاتمة.....	458-452
فهرس المصادر والمراجع.....	479 - 459
1. المصادر والمراجع باللغة العربية.....	477 - 459
2. المراجع باللغة الأجنبية.....	479 - 477

مقدمة:

الحمد لله رب العالمين الذي منّ علينا بفضل العلم، والصلاة والسلام على رسوله الكريم إمام المتقين وسيد المعلمين؛ الرسول الأمي الذي أرسل بلسان عربي مبين، وعلى آله وأصحابه أجمعين ... وبعد:

إن تاريخ الجزائر في ميدان العلوم والآداب صفحة مُشرقة شعّ نورها منذ الفتح، وهذا البلد لم يُعقمه الله في أيّ عهد من العهود على أن يُخرج قامات علمية وأدبية ساهمت في إثراء التّراث الفكري والحضاري؛ لاسيما في ذلك ميدان الدراسات اللغوية واللسانية؛ إذ تحفظ الكتب أسماء العديد من الفطاحل الذين تمكّنوا من منافسة ومماثلة نظرائهم المشاركة والمغاربة قديما وحديثا، وسجّل التاريخ بمداد الشرف أسماء متميزة في سماء الإبداع، أثّرت المكتبة الإنسانية بالقلائد والفرائد في العديد من الفنون والتّخصصات، ولا يزال الناس إلى اليوم ينهلون من معين علمهم الصّافي، ويستدلّون بأقوالهم ويستشهدون بأرائهم. ولقد أثبتت الدراسات اللغوية الجزائرية حضورها في هذا السياق، حيث كتب علماء الجزائر في النحو والبلاغة والصّرف والعروض وعلوم اللغة المختلفة. ولا ريب في أن البصمة الجزائرية بارزة بروزا علميا يُشهد له في تاريخ المعرفة طوال الأعصر.

وإذا قصرنا الحديث عن الدراسات اللغوية الجزائرية في الزّمن والمُعاصر لاسيما اللسانيات، فإننا نقف على إنجازات مُعتبرة وتطوّرات ملحوظة في هذا الحقل المعرفي منذ ظهوره في أوروبا والولايات المتحدة خلال القرن العشرين، وقد انتقل هذا الدرس إلى البلاد العربية ومنها الجزائر وتلقّاه الدّارسون الجزائريون بفهم عميق للدرسين الحديث والتراثي معا. فتعدّدت اتجاهاتهم بين مُتمسك بالتّراث لا يرى عنه بديلا، وبين مُيمّم وجهه شطر الحديث، وبين مُوفّق بين هذا وذاك بمنهج علمي رصين. فنشأ درس وبحث لسانيّ جزائريّ يمتاز بسمات وخصائص التّفرد.

وفي هذا السّياق المعرفي يتنزّل بحثنا الموسوم: مضامين الدّرس اللساني الجزائري المعاصر واتّجاهاته بين المُعطى التراثي والتّيّار الحداثي -قراءة في جهود عبد الرحمن الحاج صالح-

ويرجع سبب اختيارنا لهذا الموضوع إلى عدة عوامل أولها: أهمّية الموضوع وأحقيّته بالدّراسة التي تُغري الباحثين وتُثير الدّوافع عندهم لتتّبّع نشأته ومراحل تكوّنه، ودراسته جوانب منه وملاحح من خلال الرصيد العلمي لبعض رُوّاده؛ الذين يقع على عاتقنا واجب التعريف بجهودهم وتسجيلها في ميدان الفكر الإنساني ونقلها للأجيال اللاحقة بصورها ومضامينها وأشكالها واتجاهاتها المختلفة وإكمال المسار الذي بدأه. وممّا زاد من رغبتنا في دراسة الموضوع هو خُلو المكتبات من دراسات مشابهة إذ إن الدرس اللساني الجزائري لمّا ينل حظّه من الدراسة الجادّة بعد باستثناء الدراسات التي تناولت جانباً منه فقط ممثلاً في جهد عبد الرحمن الحاج صالح. خاصة إذا قارناه بالدراسات اللغوية في مختلف أقطار الوطن العربي مشرقاً ومغرباً. إذ يقف الباحث بسهولة على بحوث ومؤلفات بعنوان: جهود اللغويين في مصر أو الحركة اللغوية في لبنان أو الدراسات اللغوية في العراق... أو إذا قارناه بالدراسات الأدبية والنقدية التي تناولت المنجز الأدبي والنقدي الجزائري من قصة ورواية ومسرحية وشعر ونقد... خاصة وأن اللسانيين الجزائريين لهم باع طويل في حقل الدراسات اللسانية نظراً للمؤهلات التي توفرت لهم والروافد والعوامل التي ساهمت في مدّ أسباب النشأة للدرس اللساني الجزائري: من إنشاء الجامعة الجزائرية، وحضور أعلام اللسانيات الغربية للتدريس بها، والتحاق الجزائريين بالجامعات الأوربية خاصة فرنسا التي ظهرت بها مدرسة لسانية بارزة هي المدرسة الوظيفية الفرنسية على يد أندري مارتيني، وإتقانهم للغة الفرنسية التي ساهمت في تمكينهم من تلقي الدرس اللساني الغربي من منابعه. علاوة على إنشاء معهد الدّراسات اللسانية والصوتية.

أما اختيارنا لفترة ما بعد الاستقلال من تاريخ الدراسات اللسانية في الجزائر؛ والتي وسمناها بـ "المعاصر" فيرجع إلى كون هذه المرحلة تُمثّل مرحلة تحوّل في الدراسات اللغوية، وبداية تبني الدارسين لمنهج ونمط جديدين في دراسة اللغة مختلف

عن الدراسات التراثية التي كانت سائدة. ممّا يعني أن مصطلح معاصر في استعمالنا لا نعني به فترة زمنية فقط تتراوح في عرف الدارسين بخمسين سنة الأخيرة، بل نعني بها أيضا وصفا للإشكالات والتساؤلات التي يطرحها الدرس اللساني الجزائري في ظلّ ظروف العصر الراهن.

في حين كان اختيارنا للحاج صالح أنموذجا للدراسة راجعا إلى كونه رائد اللسانيات في الجزائر، بله إنّ هذا الحقل المعرفي قد نهض في بلادنا على أكتافه - رحمه الله- حيث أرى على نظرائه جميعا سواء في جهوده التأصيلية أو في بحوثه العلمية؛ لاسيما نظريته الخليلية الحديثة التي شرح فيها نظرية النحو العربي ومبادئها العقلية واللسانية، فاستخرج دُرّها ومكوناتها ومخبؤها وجدّد ما اندرس من معالمها، وكشف من خلالها أوجه الشبه بين النحو العربي والدراسات اللسانية الحديثة، بل وبين تفوُّق النحو العربي في بعض مبادئ التحليل على اللسانيات الغربية الحديثة، والتي كان يسعى من خلالها إلى إعادة إحياء التراث اللغوي العربي وتحويله إلى تطبيقات نافعة تُساهم في ترقية وتطوير اللغة العربية.

كما كانت لنا أسباب ذاتية ساهمت في اختيارنا لهذا الموضوع: تتمثّل في رغبتنا في إثراء الرصيد المعرفي عن الدرس اللساني الجزائري ومميزاته، والرغبة في الاعتناء ببعض الشخصيات العلمية الجزائرية، والمُساهمة ولو بقدر بسيط في محو آثار تقصيرنا في حقّ علمائنا الجزائريين في مختلف الميادين، حتى صار غيرنا من المشاركة يعتقدون أننا نفتقر إلى تاريخ في مجال العلوم، بل يُخطئون حتى في ذكر أسماء أعلامنا، واني لا أنسب العيب إليهم بقدر ما أنسبه إلى أنفسنا إذ إنّنا نعرف عنهم -المشاركة- أكثر مما يعرفون عنا، وأكثر مما نعرفه عن أنفسنا، وما ذاك إلا لأننا لم نُعرّف بأنفسنا بل لم نعرف أنفسنا، ولم نغرس فضيلة الاعتراف والوفاء بفضل علمائنا وقيمة علمهم.

كما تتمثّل في حبنا للحاج صالح -رحمه الله- الذي يعتبر قامة علمية متميّزة؛ تصلح أن يتخذ منها أي باحث منطلقا في مسيرته العلمية، بل قدوة في مساره

الأكاديمي وما بعده، لاسيما فيما يتّسم به من صفات الباحث والعالم من الإصرار والاجتهاد؛ إذ بمعرفته يزداد طموح الباحث إلى مراتب علمية لم يكن يطمح إليها من ذي قبل.

وإننا نسعى من خلال بحثنا إلى إيجاد الإجابة الموضوعية عن الإشكال

الآتي:

- ما مَضامين الدّرس اللساني الجزائري؟ وما اتجاهاته؟ وما سماته؟ وما مكانته في ميزان البحث اللساني الحديث؟

وينتفّح عن هذا الإشكال عدد من الإشكالات الأخرى؛ منها:

- كيف استقطب الدارسون الجزائريون المعارف والمفاهيم والنظريات اللسانية الحديثة؟

وهل استطاعوا احتضان هذا التيار اللساني الغربي الحديث؟

- مامدى تحولهم أو تشبّثهم بالمخزون اللغوي العربي التراثي؟

- هل ترقى الجهود اللسانية المبذولة من قبل الدارسين الجزائريين إلى مستوى درس

لساني جزائري بالمعنى الحقيقي للمصطلح؟

- ماهي الأسس الإبستمولوجية له بين المعطى التراثي والتيار الحداثي؟ وما مدى

الموازنة بين التراث والحداثة؟

نهدف من خلال هذا البحث إلى: وصف الدّرس اللساني الجزائري،

والتّعرف على هُويته، وتوسيع دائرة البحث فيه، وإمّاطة اللّثام عن جهود العديد من

الدارسين الجزائريين، ولفت الأنظار إلى الكثير ممّا هو خاف من آثارهم الطّيبة التي

تَحفّل بها المكتبات العامة والخاصة، وبيان مدى حضور هذه الجهود الجزائرية في

مجال الدراسات اللسانية العربية على الأقل. وإلى أيّ مدى يُغطّي حضورهم التّوجّهات

اللسانية السائدة في الوطن العربي. وتوجيه الدارسين إلى ضرورة الاعتناء بالدراسات

اللسانية الجزائرية المعاصرة، وتممينها وتتميتها وتطويرها وإغنائها وإغناء البحث فيها،

سواء في ذلك ما تعلّق منها بتلقّي المناهج الغربية الحديثة، أو ما تعلّق بإحياء

الموروث العربي التّراثي باعتبار كليهما ممّا يحتاج إلى مزيد من النّقد والتمحيص

والتقويم. فالتجربة الجزائرية في نظرنا جديرة بأن يُستضاء بها في هذا الشأن. خاصة

عندما يتعلق الأمر بتجربة عبد الرحمن الحاج صالح؛ التي نهدف من خلال البحث إلى التعريف بها والتّويه بقيمتها والكشف عن أسسها الاستمولوجية.

وذلك لأننا نفترض أنّه مَهْمًا نُقَرِّ ما للجزائريين من مُشْتَرَطٍ يَجْمَعُهُم مع غيرهم من البَحَثَةِ العَرَبِ وسواهم في أطاريح قراءاتهم للغة والدّرس اللساني التّراثي والمعاصر، إلا أننا نفترض أن البحث اللغوي الجزائري وخطابه اللساني له من الخَصِيصَاتِ والسّمات التاريخية والجغرافية والعلمية والنفسية والاجتماعية ما يُؤَهِّله لأن يمتاز بفسيفساء التنوع في المضامين (لسانيات اجتماعية، نفسية، تداولية، أصول النحو... والتّعدد في الاتجاهات (تراثي، حدّاثي، توفيقِي). وكذا الخصوصية في القراءات المُهتَمّة بالغة بصفة عامة، سواء في ذلك الدراسات الصوتية والصرفية والنحوية والدلالية والعروضية والبلاغية... وهلمّ جزاء؛ إذ يُفترض أنّ ما يكتّبه الباحث الجزائري يختلف عما يكتبه باحث آخر، من رقعة جغرافية مختلفة، حتّى وإن كانت اللّغة هي نفسها. إلا أنّ الطّروف التاريخية ليست نفسها. وتتفاوت هذه الخصوصية في درجتها بين بلدان المغرب التي نفترض أنها تتقارب مع الكتابة الجزائرية بينما نفترض البون شاسعا بين الكتابة الجزائرية ونظيرتها المشرقية. ويرجع ذلك إلى جملة من العوامل الموضوعيّة لعلّ أهمّها يكمن في كون بداية التّجربة اللّسانية الجزائرية لم تكن عشوائيّة ولا مرتجلة بل استندت إلى دعائم هامة ساهمت في ترسيخ الوعي المعرفي العميق باللسانيات منها إنشاء معهد العلوم اللّسانية والصّوتيّة سنة 1966، ثم إصدار مجلة تابعة لذات المعهد مُتخصّصة في اللسانيات سنة 1971. كما أننا نفترض أنّ النظرية الخليلية الحديثة قد بناها الحاج صالح على أُسُسٍ ومفاهيم لسانية؛ استقى جُلّها من التّراث اللغوي العربي الأصيل؛ إلا أننا نفترض أيضا أنه لم يَعمد في بنائه وصياغته لمبادئ هذه النظرية الخليلية على المعطيات التّراثية فقط، وإنما استفاد من الدراسات الغربية الحديثة أيضا واستند إلى آراء بعض المستشرقين المهتمين بالتّراث اللغوي العربي.

وقد اقتضت طبيعة البحث تقسيمه إلى مقدمة وأربعة فصول يضم كل منها أقساما ومباحث فرعية متنوعة وخاتمة.

أما المقدمة فقد حدّدنا فيها إشكالية الموضوع وأهميته وأهدافه ودوافع اختيارنا له، ومنهج الدراسة...

الفصل التمهيدي: كان بعنوان **مشهد الدراسات اللسانية في الجزائر بعد الاستقلال**، وضمّناه ثلاثة مباحث:

1 - الاتجاه التراثي: محمد الحباس ففي هذا المبحث حاولنا الكشف عن جوانب التمسك بالتراث في الدرس اللساني الجزائري؛ من خلال وصف نموذج لساني وتحليله؛ يتمثل في كتاب (النحو العربي والعلوم الإسلامية دراسة في المنهج) الذي كشف من خلاله الباحث عن الحُمولة المعرفية الثرية التي يميّز بها التراث اللغوي العربي والذي يُشكّل نظرية مُتكاملة وفريدة في دراسة اللغة.

2 - الاتجاه الحدائي: خولة طالب الإبراهيمي في كتابها (الجزائريون والمسألة اللغوية)، الذي جسّدت من خلاله الباحثة النظرة الجديدة للغة التي ظهرت بظهور اللسانيات الغربية الحديثة، وهو ما بيّناه من خلال نظرنا في الإشكاليات التي انطلقت منها والمنهج الذي اعتمدت عليه في وصفها للظاهرة محل الدراسة.

3 - الاتجاه التوافقي: مسعود صحراوي الذي كشفنا من خلال كتابه (التداولية عند العلماء العرب) تبنيّ الجزائريين لاتّجاه يعمل على مدّ جسور التواصل بين الدرس اللساني العربي التراثي بنظيره الغربي الحدائي على نحو من التوفيق العلمي والمنهجي الرصين؛ انطلاقا من مبدأ التراكمية الذي تخضع له العلوم؛ القاضي باستثمار القديم والحديث على السواء دون فصل بينهما أو إقصاء معطيات أحدهما.

الفصل الأول: خصّصناه للحديث عن النظرية الخليلية الحديثة؛ ظهورها وأهم أسسها، وقد مهّدنا له بالحديث عن موقف الحاج صالح من الدراسات اللسانية العربية الحديثة، ثم عرضنا لظهور النظرية الخليلية الحديثة ثم بسطنا القول في أهم مبادئها

من خلال كتابات الحاج صالح. ومن خلال مراحل هذا الفصل التي ذكرناها كشفنا عن نظرية الحاج صالح -رحمه الله- اللسانية الموسومة بالنظرية الخليلية الحديثة؛ حيث عُصنا في صفحات مؤلفاته وكشفنا ما قدّمه من عرضٍ للنظريات اللسانية الغربية وعرض لما قدّمه أسلافنا من دراسات لغوية بشكل منقطع النظير، من الدقة في الطرح واستعمال المصطلحات وسعة في الاطلاع على القديم وما هو حديث؛ ليس في اللغة فقط، بل كشفنا أيضا عن اطلاعه وتبحّره في علوم أخرى مثل الرياضيات، والمنطق وغيرها، وتعمّقه في التحليل والنقد البناء ليصل أعلى مستويات النظر والتمحيص بعيدا عن التقليد الأعمى والانبهار بالآخر قصد الوصول إلى الحقيقة والكشف عن غطاء الأوهام والمسلّمات.

الفصل الثاني: خصصناه للحديث عن تصاقب أفكار الحاج صالح وأفكار بعض المستشرقين، ومن خلاله كشفنا عن الأسس الاستمولوجية للنظرية الخليلية الحديثة، وذلك من خلال كشفنا عن تشابه الأفكار بين الحاج صالح وعدد من المستشرقين والدارسين الغربيين ومنهم: مايكل جي كارتر، جان كانتينو، جان باتريك جيوم، برنارد بوتيه، جيرار تروبو، لوسيان تينبير. حيث تبين لنا من خلال المقارنة بين أفكاره وأفكارهم التوافق الكبير في الآراء والأفكار.

الفصل الثالث: بعنوان تطبيقات النظرية الخليلية الحديثة، وفيه عَرَضنا بعض الدراسات الأكاديمية التي حاول أصحابها تناول النظرية الخليلية بالتطبيق واستغلال ما تبنته من مفاهيم ومبادئ لسانية؛ في مجالات مُتعدّدة مثل تعليمات اللغة ومعالجتها آليا وعلاج أمراض الكلام.

كما اشتمل البحث على خاتمة ضمّناها أهمّ النتائج التي توصلنا إليها.

ولقد اتّبعتنا في هذه الدراسة المنهج الوصفي باعتباره الأنسب للوقوف على جهود اللسانيين الجزائريين وصفا وتحليلا، إضافة إلى اعتمادنا على المقارنة كآلية لتحديد أوجه الشبه والاختلاف بين آراء الحاج صالح وآراء غيره من الدارسين الغربيين. وقد اعتمدنا في بحثنا على عدد من المصادر والمراجع في مُقدمتها

أطروحة الحاج صالح للدكتوراه الموسومة *Linguistique* Abd El Rahman El Hadj Salah :

Arabe et Linguistique générale التي لا تخفى قيمتها العلمية لكل باحث في حقل علوم اللغة؛ وهي المرجع الأساس الذي صاغ من خلاله الحاج صالح نظريته الخيلية الحديثة، ولكنها تحتاج إلى ترجمة متخصصة. كما لم يكن بوسعنا الاستغناء عن واحد من مؤلفات الحاج صالح (بحوث ودراسات في اللسانيات العربية بجزأيه، بحوث ودراسات في علوم اللسان، منطق العرب في علوم اللسان، البنى النحوية، الخطاب والتخاطب) وهي كتب متوفرة وكتب قيّمة وذات حُمولة معرفية ثرة وثرية، شرح من خلالها الحاج صالح نظريته اللغوية وقدم آراءه وأفكاره اللسانية في مختلف القضايا وأبان فيها عن منهجه وتوجهه؛ إلا أنها تحتاج إلى شرح وبسط وحلّ شفراتها للباحثين. علاوة على اعتمادنا على عدد من مقالاته التي كتبها بالعربية أو الفرنسية وبنّها في عدد من المجالات الوطنية والأجنبية؛ مثل:

— " La notion de syllabe et la théorie cinetico-impulsionnelle des phonéticiens arabes

—Linguistique et phonctique arabe "

- Nouvelle coutribution de la connaissance physiologique de l'opposition sourde / sonore

وهي أيضا مقالات ذات قيمة كبيرة؛ وقد ضمّها الحاج صالح في مؤلفاته، إلا أننا آثرنا في كثير من الأحيان الرجوع إليها حيث نُشرت أول مرة في المجالات العلمية.

كما استوجب البحث أن نعتمد على عدد من المؤلفات والمقالات للدارسين

العربيين؛ مثل:

« Le discours tout entier est nom, verbe et particule » لجون باتريك جيوم

و Guillaume Jean-Patrick و 'Les origines de la grammaire arabe' لـ مايكل جي كارتر

وكتاب Michael G. Carter وكتاب Jean Cantineau لـ Cours de phonétique arabe

و Lucien Tesnière لـ structurale, Éditions Klincksieck Éléments de syntaxe وقد ثبتت لنا

القيمة العلمية لهذه المؤلفات والمقالات لهؤلاء المستشرقين، وثبت أنها نمدُ التراث

العربي والدراسات اللغوية العربية بزد ثمين، كما ثبت لنا أن الحاج صالح قد أفاد منها

أيما إفادة. وقد أفادنا هذا التنوع والتعدّد في المصادر والمراجع بين العربي والأجنبي

والقديم والحديث في إثراء البحث وإغنائه وإماطة اللثام عن أهم إشكالاته.

وقد وقفنا على بعض الدراسات السابقة التي اهتمت بموضوع الدراسات اللسانية الجزائرية؛ ومنها :

- الاتجاه التوافقي بين لسانيات التراث واللسانيات المعاصرة -الدكتور عبد الرحمن الحاج صالح أنموذجاً- أطروحة تقدّمت بها معالي هاشم علي أبو المعالي إلى مجلس كلية التربية للنبات جامعة بغداد. وهي جزء من متطلبات نيل شهادة الدكتوراه في فلسفة اللغة العربية وآدابها بإشراف الأستاذ المساعد الدكتورة بان صالح مهدي الخفاجي سنة 2014.

- الجهود اللسانية عند عبد الرحمن الحاج صالح (قراءة في الآثار والمنهج ومواطن الاجتهاد) أطروحة دكتوراه للباحثة سعاد شرفاوي.

- العامل النحوي في الدرس اللساني المعاصر؛ أعمال الدكتور عبد الرحمن الحاج أنموذجاً، رسالة ماجستير من إعداد الباحثة شيباني زهرة.

وغيرها من الدراسات التي كانت قريبة من الموضوع وقدمت لمحات جادة خاصة الأعمال التي اقتصرت على معالجة جهود عبد الرحمن الحاج صالح، فكانت دراسات علمية قيّمة كشفت عن جانب كبير من جوانب الدراسات اللسانية الجزائرية. إلا أنها في الغالب الأعمّ لم تُف بالغرض الذي نرومه من بحثنا، ولم تحقّق الهدف المنشود ولم تعط تصورا دقيقا للموضوع. حيث اتّسمت أغلبها بالجزئية والاقتصار على واحد من الأعلام، وهو وإن كان الرائد إلا أنه لا يُمثّل كل مضامين واتجاهات الخطاب اللساني الجزائري، فهي على تنوّعها لم تُقدّم تصورا شاملا للدرس اللساني الجزائري. وحتى الدّراسات التي تناولت جهود عبد الرحمن الحاج صالح يغلب عليها طابع الوصف والبعد عن التحليل والنقد البناء والميل إلى المجاملة في كثير من الأحيان، وهو ما أثر سلبا على تطور النظرية التي وضعها.

ولم يخلُ مسارنا في البحث من الصّعوبات والعقبات؛ الناجمة عن طبيعة الموضوع أساسا، ومنها تشعب وتنوع المادة العلمية وصعوبة حصرها، إذ ألفينا أن المكتبة الجزائرية ثرية خاصة بالرسائل الأكاديمية للباحثين الجزائريين (حنفي بن عيسى، زبير سعدي، مصطفى حركات، مخلوف بلعالم، مختار نويوات، محمد بن

حجر، محمد العيد رتيمة، أحمد حساني، محمد يحياتن، دليلة مرسلي...)، ممّا صعّب علينا مهمة اختيار عينة الدّراسة التي تكون كفيلة بتقديم صورة واضحة عن الدرس اللساني في الجزائر. ونفس المشكلة صادفتنا عندما تعلّق الأمر بالدراسات الأكاديمية التي تناولت النظرية الخليلية بالتطبيق في مجال التّعليميات والمعالجة الآلية للغة وعلاج أمراض الكلام، حيث وجدنا الكثير من الدراسات التي استثمرت هذه النظرية خاصة في ميدان التّعليميات. ما صعّب علينا مهمة اختيار النماذج التي نستجلي من خلالها كيف تم تطبيق النظرية في الميادين المذكورة. كما أن اعتمادنا على المراجع الأجنبية صعّب علينا وصف العديد منها وتحليلها واستنتاجها وأخذ منا الكثير من الوقت.

والحقيقة التي لا بد أن نُقرّ بها هي أنّ هذا العمل لم يكن ليحقّق الهدف الذي سَطّر، ولم يكن ليصل إلى الوجه الذي هو عليه لولا فضل الله أولاً؛ ثم فضل الأستاذ المشرف الحقّ ثانياً، الذي يستحقّ تاجاً من الشكر مُرصّعا لا بالكلمات فحسب، وإنّما بخالص امتناني وعرفاني وتقديري واحترامي؛ نظير جهوده المضنية التي بذلها في سبيل تذليل صعوبات البحث؛ وتعهّده له بالرّعاية والحرص والاهتمام والتدقيق، ونظير ما أعطى البحث وأعطاني من علمه ومعرفته وخبرته وصدقه وإخلاصه. ولأنّه لاشيء يكافئ جهده فلا يسعني إلّا أن أسأل الله سبحانه وتعالى أن يتقبل ذلك منه ويجعله في ميزان حسناته.

والحمد لله أولاً وآخراً على ما يسرّ وأعان؛ حمداً يليق بجلاله وعظيم سلطانه،

وأسأله سبحانه أن يكرمنا بفضل العلم الدائم.

الفصل التمهيدى:

مشهد الدراسات اللسانية في الجزائر بعد الإستقلال

1.الاتجاه التُّراثي

2.الاتجاه الحداثي

3.الاتجاه التّوفيقي

تمهيد:

يقصد بمصطلح الاتجاه في الاصطلاح الفكري جملة الآراء والأفكار التي تصبغ عملا فكريا بصورة أوضح من غيرها، وأغلب على ماسواها، ويحكمها إطار نظري أو فكرة كلية، تعكس مصدر الثقافة التي تأثر بها العالم ولونت آراءه بألوانها.¹ فهو نزعة أو موقف أو إطار نظري يتبناه المفكر أو الباحث أيّا كان تخصصه في القضايا التي يطرحها مستندا إلى ثقافته ومصادرها المختلفة. وقالب فكري يصوغ وفقه آراءه ومعطياته النظرية. وهذا المفهوم ينسحب على الحقول المعرفية المختلفة بما فيها الحقل اللساني.

وجدير بالذكر أن نشير إلى أنه لا يمكن تحديد اتجاه أي باحث من خلال مؤلف واحد، أو من خلال فترة زمنية محددة من تاريخ بحثه وتأليفه؛ لأن الباحث أيّا كان يمكن أن تتغير آراؤه وأفكاره وقناعاته واتجاهاته. كما يجدر التنويه بأن الحديث عن اتجاهات البحث اللساني في الجزائر يثبت أصالة الدراسات اللسانية عند الجزائريين، وتميزها وموضوعيتها وانفتاحها وعدم انغلاقها، حيث نأى الجزائريون في اتجاهاتهم عن التعصب، بل كانوا يتميزون بالانفتاح؛ فعندما يشتغل أحدهم بالتّيارات اللسانية الغربية الحديثة فإنّ ذلك لا يعني أنّه يتنكّر للتّراث، وحينما ينشغل آخر بالتّراث فإنّ ذلك لا يعني أنّه يتنكّر للدراسات اللسانية الغربية الحديثة والمعاصرة.

حيث كان قد استقر الأمر عند المشاركة على تصنيف اتجاهين أساسيين بارزين على الساحة اللسانية العربية الحديثة؛ كتيارين لهما رؤاهما الخاصة ومبادؤهما في التعامل مع محتويات التراث اللغوي العربي من جهة ومُفرزات الدرس اللساني الغربي الحديث من جهة أخرى؛ وهذين الاتجاهين هما على النحو الآتي:

1- حسام أحمد قاسم الشريف: اتجاهات التجديد في تفسير القرآن بمصر، دار التراث، القاهرة، مصر، ط1، 1420، ص60.

- الاتجاه الأول: التراثي؛ وهو الذي يدعو أصحابه إلى التمسك بالتراث العربي ولا يرى ضرورة ملحة للمناهج اللسانية الحديثة، ويعتبرها غير ملائمة للغة العربية بسماتها وخصائصها ويسعى إلى تكريس طابع النضج والاكتمال للجهود اللغوية التراثية.¹

- الاتجاه الثاني: الحداثي؛ يستند أصحاب هذا الاتجاه نظريا ومنهجيا للمبادئ التي قدمتها النظريات اللسانية في مختلف اتجاهاتها الأوروبية والأمريكية في إطار ما أصبح يعرف باللسانيات العامة.² وذهب بعضهم إلى حدّ نقد النحو العربي - بما فيه من الغلو - مستندا في ذلك إلى تشبعه بالمعرفة اللسانية الغربية الحديثة وبتأثير من تبنّي معظمهم المنهج البنيوي الوصفي، مثل الدكتور عبد الرحمن أيوب، سنة 1957 في كتابه: (دراسات في النحو العربي) ، والدكتور تمام حسان سنة 1958 في كتابه: (اللغة بين المعيارية والوصفية) ، والدكتور إبراهيم السامرائي سنة 1966 في كتابه (الفاعل: زمانه وأبنيته)³.

فإذا كان قد استقر الأمر على تلك التصنيفات لاتجاهات الدرس اللساني العربي إلا أننا لم نقف في حدود بحثنا على لسانيين جزائريين تبنوا واحدا من هذين الاتجاهين على إطلاقها، حيث كان البعض منهم يعمل على متابعة ونقل كل ما يستجد في مجال اللسانيات الغربية الحديثة، دون أن يقصد بذلك رفضه لما يطفح به التراث العربي من مبادئ علمية في التعاطي مع الظاهرة اللغوية. كما كان البعض الآخر يجتهد في البحث والتنقيب في كنوز التراث دون أن يصدر عنه ما يُقلل من أهمية الدراسات اللسانية الغربية الحديثة. وهذا التوجه طبع أعمالهم بسمات العلمية والموضوعية والاتزان والتّميز والانفتاح وعدم الانغلاق.

1- عبد الرحمن الحاج صالح: مدخل إلى علم اللسان الحديث؛ تحليل ونقد لأهم مفاهيمه ومناهجه، مجلة

اللسانيات، المجلد الأول، الجزء الأول، العدد الأول، الجزائر، 1971، ص 15

2 - مصطفى غلفان، اللسانيات العربية الحديثة، المرجع السابق، ص 48

3- حسن خميس سعيد الملخ: نظرية التعليل في النحو العربي بين القدماء والمحدثين، دار الشروق للنشر والتوزيع،

الأردن، ط 1، 2000، ص.227.

ونشير إلى أن الفضل في بلورة هذه السمة لدى الباحثين الجزائريين يرجع إلى عبد الرحمن الحاج صالح الذي سنّ منهجا لسانيا تفاعلياً فيه سلبيات البحث اللساني عند العرب المحدثين لاسيما في المناهج التي تبوّنها ويعملون بها وفي الاتجاهات التي يميلون إلى اتباعها، حيث سبق أن قال "إنّ أهمّ الأخطاء المنهجية الشائعة اليوم في الأوساط العلمية العربية تتوزع في هذه الآونة على نوعين من البيئات: البيئة التقليدية التي حافظت على التقاليد الدراسية، والبيئة التجديدية التي نشأت عن احتكاك العرب بالحضارة الغربية الحديثة.¹ ومن ثمّ برز اتجاه ثالث في ساحة الدراسات اللسانية العربية الحديثة، كان عبد الرحمن الحاج صالح من أوائل الذين اعتمده، وهو:

- الاتجاه التوافقي؛ لا يُفَرط ولا يَفرط في الأخذ من التراث ولا من الحداثة، ويرفض التوقع والانغلاق من جهة أو الانسلاخ من جهة أخرى. فهو أنموذج لساني يستثمر المعطيات التراثية والآليات اللسانية الحديثة معا.

وإذ كان الأمر كذلك فإنّ تصنيفنا باحثين جزائريين ضمن الاتجاه الحداثي لا لا نعني به انسلاخهم عن التراث ، وإنما نقصد به انشغالها بالدرس اللساني الغربي الحديث دون أن يعني ذلك تنكّرها أو عدم اقتناعها بالتراث، وسنثبت من خلال المراحل اللاحقة من هذا البحث أنه لا توجد أي إشارات في كتاباتها تنبئ عن رفضها للتراث. كما أن تصنيفنا باحثين آخرين ضمن الاتجاه التراثي لا يراد منه الانسلاخ التام عن المنحى الحداثي ، وإنما نقصد به انشغاله بالتراث العربي دون أن يعني ذلك تنكّره أو رفضه للسانيات الغربية الحديثة. وسنثبت ذلك أيضا في المراحل اللاحقة من هذا البحث.

وبهذا المفهوم المتميز لاتجاهات البحث اللساني الذي اتسم به اللسانيون الجزائريون فقد وقفنا على تنوع صور النشاط اللساني الجزائري وتعدد في اتجاهاته

1- عبد الرحمن الحاج صالح: مدخل إلى علم اللسان الحديث؛ تحليل ونقد لأهم مفاهيمه ومناهجه، مجلة

اللسانيات، المجلد الأول، الجزء الأول، العدد الأول، الجزائر، 1971، ص 15

وحفظت لنا المكتبات الجامعية أسماء عدد من الباحثين منهم: (محمد الحباس، محمد العيد رتيمة، نصر الدين بوحساين، مخلوف بلعلام، محمد بن حجر، مختار نويوات، زوبير سعدي، حنفي بن عيسى، دليلة مرسلي، كمال نافع، محمد بلقايد، خولة طالب الإبراهيمي، صالح بلعيد، مصطفى حركات، أحمد حساني، مسعود صحراوي، جيلالي دلاش، سالم شاعر،...) وهؤلاء وغيرهم كثير من خيرة أساتذة جامعات الجزائر المختلفة، وهم قامات في العلم. وقد كان لي شرف التلمذ على أيدي بعضهم أمثال: (محمد ولد دالي، محمد الحباس، مخلوف بلعلام، محمد العيد رتيمة، نصر الدين بوحساين، في مراحل التعليم الجامعي، وقد زرعونا فينا التواضع والعطاء وحب العلم وحب التراث العربي، وحب اللسانيات. فقد عرفنا محمد ولد دالي على اللسانيات وزرع فينا حبها، وعرفنا على الأستاذ عبد الرحمن الحاج صالح وبتنا فينا حبه وصفة الوفاء لكل أستاذ. أما (محمد الحباس) فأذكر له أنه أهدانا في تلك المرحلة أطروحته للدكتوراه في صيغة الكترونية، وكان يُعدها للطبع، وقد استفدنا منها أيما إفادة. كما أهدانا نسخة نادرة من كتاب جدل الإعراب، وحثنا على الحفاظ عليها والتمسك بها لأنها نسخة مفقودة. وقد حفظنا له ذلك بكثير من التقدير والإكبار. وتعلمنا منه الاعتزاز بالتراث والتمسك به. وأما (محمد العيد رتيمة) فأذكر أنه كان مُحبًا للتراث العربي ويُلحّ على تعريفه لنا، وتوجيهنا إليه، وحملنا مسؤولية تبليغ قيمة نفائسه وأصالتها للأجيال القادمة، وقد أمّنا على أن نبّغ عنه مثلا أن علم الدلالة درس قديم وليس درسا غربيا حديثا؛ لأن أول من وضع كلمات وشرحها هم أوائل البابليين والآشوريين أجداد العرب، ثم انتقل الأمر إلى الهنود من خلال دراسة الفيديا، وظهر بشكل جلي كعلم مستقل وبالمصطلح مع العرب الذين كتبوا في الدلالة على نحو يعتبر مرحلة متقدمة جدا إذا ما قورنت بالدراسات الأخرى، وكان ذلك على يد الفقهاء والمفسرين الذين بنوا على الدلالة أحكاما فقهية، ثم استقر الأمر عند علماء اللغة. واستدل على ذلك بقول العرب

عن المعاني بأنها قائمة في الأعيان ثم في الأذهان ثم مُعَبَّر عنها بالأصوات (المسموعات) ثم بالخط. حيث يرى أنه لا يوجد اليوم دقة مثل هذه، ولازيد شيء عن هذا التّحديد....

كما كان لي شرف العمل مع بعضهم، ومنهم (محمد بن حجر) ولم أره إلا متواضعا خادما للعلم لايرد سائلا، أوّل ما تلمحه تكتشف فيه سمة المنقّب الحصيف في التراث، إذ لا ينفكّ يثير في جلساته بعض المسائل الدّقيقة في التراث العربي ويدافع عن ميزاته التي لا تنتهي، وفي كل مرة تبهرك وتشدك استنتاجاته. ومما أذكره له أنني استمعت إلى حديثه مع أستاذين آخرين في جلسة بسيطة وهو يتحدّث عن نحو الجمل في التراث العربي وصلته بلسانيات النص، ولازال حديثه عن نحو الجمل لا نحو الجملة ودوره في التماسك النصي، يطرق مسامعي في كل حين ويثير اعتزازي وفخري بأمثال هؤلاء الباحثين الجزائريين الذين تشبعوا بحب العلم وحب اللغة العربية وتراثها. حيث راح يشرح كيف إن نحو الجمل مختلف عن نحو الجملة، وأنّ نحو الجمل مما غفل عنه الجمهور من المعاصرين، وكيف أن ما يسمى إعراب الجمل وأشباه الجمل مفقود في اللسانيات الغربية الحديثة.

وأغلبهم سمعت عنهم من أساتذتي وعلى رأسهم الأستاذ المشرف، حيث وفقت للحصول على آثار بعضهم والقراءة لهم؛ في حين لم يسعفني الحظ للاطلاع على آثار البعض الآخر منهم، وهؤلاء يعدّون من الركيزة التي نهض عليها الدرس اللساني الجزائري. وأمام هذا الزخم الثري من الكتابات اللسانية الجزائرية سنتتبع في هذا الفصل توجهات بعض اللسانيين الجزائريين ومضامين كتاباتهم، وذلك قصد إبراز الملامح العامة للدرس اللساني الجزائري، من حيث المضامين والاتجاهات، وسنعمد في سبيل ذلك إلى تناول أنموذج عن كل اتجاه. وفق خطة نلتزم بها في كل مبحث؛ وهي على النحو الآتي:

تقديم: تعريف الكتاب، عنوان الكتاب، ملخص الكتاب، تحليل ومناقشة بعض الآراء، المضمون اللساني، الاتجاه اللساني.

1. الاتجاه التراثي: النحو العربي والعلوم الإسلامية؛ دراسة في المنهج: محمد**الحباس:**

يُمثّل هذا الاتجاه في الدراسات اللسانية العربية طائفة من الباحثين الذين تشبثوا بالموروث اللغوي العربي، على أنه إرث لغوي "من أغزر ما تُخلفه الأحقاب الحضارية لمن بعدها".¹ ويتخذ في نظرهم صورة الإبداع والاكتمال على يد الخليل وسيبويه في كتابه الذي وسموه (قرآن النحو)، لما فيه من دراسات قيّمة في مستويات اللغة المختلفة الصوتية والصرفية والتركيبية والدلالية، وذات القيمة العلمية تحملها مختلف كتب النحو العربي التي تحفل بـ "مادة صالحة جدا عن العربية، وهذه المادة ... تقفنا على طريقة القدماء في تناول الظاهرة اللغوية، وهي طريقة لا تبتعد في جوهرها عن كثير مما يقره الوصفيون".² أي إن تراثنا العربي يحفل بكمّ غير قليل من المعارف العلمية الدقيقة في مجال اللغة وعلومها، ويرجع ذلك إلى أن "العرب بحكم مميزات حضارتهم وبحكم اندراج نصهم الديني في صلب هذه المميزات قد دعوا إلى تفكير اللغة في نظامها وقدسيتها ومراتب إعجازها؛ فأفضى بهم النظر لا إلى درس شمولي كوني للغة فحسب بل قادمهم النظر إلى الكشف عن كثير من أسرار الظاهرة اللسانية مما لم تهتد إليه البشرية إلا مؤخرا بفضل ازدهار علوم اللسان في مطلع القرن العشرين".³ حيث أرسى علماء العرب قواعد وقوانين للغتهم حفاظا عليها من اللحن، وخوفا على كتاب الله من أن يسري إليه اللحن، لذلك اتّسم عملهم بالجدية واستمروا في الرحلة والبحث والدرس حتى أقاموا للغتهم صرحا شامخا، وأسسوا لعلوم اللسان دعائم وأسس صالحة لكل زمان، فسبقوا الغربيين في درسه اللساني الذي نما في العصر الحديث. ومن هذا المنطلق يرى أصحاب الاتجاه التراثي ضرورة الرجوع إلى التراث

1- عبد السلام المسدي: اللسانيات وأسسها المعرفية، الدار التونسية للنشر، تونس، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1986، ص 13

2- عبدة الراجحي: النحو العربي والدرس الحديث؛ بحث في المنهج، دار النهضة العربية، بيروت، لبنان، 1979، ص 53

3- عبد السلام المسدي: التفكير اللساني في الحضارة العربية، الدار العربية للكتاب، ليبيا وتونس، 1981، ط1، ص 26

القديم "لإعادة قراءته؛ فهو مشروع مستمر لا يمكن أن يوصم باللاجدوى أو العبثية".¹ بل إن نظرة دقيقة إلى موروثنا اللغوي وإلى أسسه ومعاييره التي أرساها علماءنا تثبت لنا أن الدرس اللساني العربي القديم لم يكن بعيدا عن هذه الأسس والأفكار التي ظهرت في الدرس اللساني الغربي الحديث؛ وما علينا سوى الكشف عن أسرار هذا الزخم التراثي، بالفهم الصحيح له ولأبعاده الحضارية، لأن "تلك الثروات تحتاج إلى من يجلو عنها النقاب للقراء؛ ويكشف عنها الحجب للناشئة؛ ويقر بها لعشاقها الذين يهيمون بها؛ ويهدي إليها الذين يبحثون عن أنفسهم".² وإذا حصل ذلك فإننا نقف على حصيلة متنوعة من المعارف والعلوم والفنون والمنجزات المتصلة بعلم اللغة، وقد تراكت على مدى ربح من الزمن لجهاذة وفطاحلة من العلماء.

والجدير بالذكر أن اللسانيات الغربية الحديثة نفسها لم تكن بمعزل عن المنطلقات التراثية العربية؛ إذ يبدو واضحا وبما لا يدع مجالا للشك أن بحوث ودراسات العرب وتصوراتهم للظاهرة اللغوية حاضرة في بعض تصورات اللسانيين الغربيين، إذ لا أحد ينكر أن الاتجاه الوصفي "يظهر في كثير جدا مما قرره النحاة الأوائل من أحكام، فالحق أن ما قرروه لم يكن كله تأويلا أو تقديرا أو تعليلا، وإنما كان فيه ما هو وصف تقرير محض... والمتتبع للكتاب يرى سيبويه قد أقام قواعده في أغلبها على الاستعمال اللغوي".³ فهذه الوصفية التي انطلقت منها اللسانيات الحديثة قد اعتمدها النحاة العرب الأوائل الذين كانوا يتناولون الظواهر اللغوية على أساس وصفي. ونظيرتهم في اللغة استطاعت أن تنفذ إلى خصائص الظاهرة اللسانية؛ كما استطاعت أن تتحلى بالسماة العلمية.

ومن الأهمية بمكان أن نشير إلى أن التراث العربي كان محل إشادة واهتمام كبيرين من قبل الدارسين الغربيين، ولم تقتصر العناية به على أبناء العرب؛

1- عبد الكريم جمعان: التطور الابستمولوجي للخطاب؛ غموض الأوليات، دار الفارابي، بيروت، لبنان، ط1،

2010، ص 44

2- أحمد بن ذياب: صحائف من التراث، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، ط1، 1990، ص 12

3- عبدة الراجحي: المرجع السابق، ص 55

ويمكن أن نشير إلى عدد منهم على سبيل المثال لا الحصر؛ فنذكر: ميشيل كارتر (اللسانيات العربية)¹، جوناثان أوينز (مقدمة للنظرية العربية النحوية في القرون الوسطى)² وغيرهم كثير، وستكون لنا محطات نقف فيها على جهود بعضهم في فصول البحث القادمة.

يمثله الاتجاه في الجزائر عدد من الباحثين نذكر منهم على سبيل المثال لا الحصر محمد بن حجر³، مختار نويوات، محمد العيد رتيمة⁴، بلعلام مخلوف⁵، محمد الحباس⁶.... وقد تميز أصحاب هذا الاتجاه في الجزائر بانفتاحهم على درس اللساني الغربي الحديث، حيث لم يكونوا غي اتجاههم التراثي معادين ولا معرضين عن التيار اللساني الغربي الحديث. بل استقوا الكثير مما توصلوا إليه من نفع مآفرزته التيارات الحدائثة وנסعى في هذا الجزء من بحثنا إلى الحديث عن ملامح هذا الاتجاه في الجزائر. وقد اخترنا كتاب (محمد الحباس) الموسوم: (النحو العربي والعلوم الإسلامية؛ دراسة في المنهج) كعينة ممثلة للدراسة في هذا الاتجاه.

1.1. تقديم: تعريف الكتاب: هذه رسالة الباحث للدكتوراه شرع فيها وأنجز الباب الأول منها سنة 1988، وتأخر إنجاز الباقي منها مدة عشر سنوات كاملة حيث لم يستأنف عمله بها إلا سنة 1998، ويُعزى ذلك إلى الظروف التاريخية التي شهدتها الجزائر.⁷

1- Michael. G. carter: Arabic l'inguistics, (Amesterdam), philadelphia, john benjamins, publishing, co, 1981.

2-Jonathan Owens: The Foundations of Grammar : An Introduction to Medieval Arabic.(Grammatical Theory). Amsterdam/Philadelphia: John Benjamins Publishing Co. 1988.

3- محمد بن حجر: الاستدلال في كتاب سيبويه طبيعته وأنماطه، بحث مقدم لنيل شهادة دكتوراه علوم، إشراف: مخلوف بن لعلام، جامعة سعد دحلب، البلدة، 2013.

4- محمد العيد رتيمة: الأنماط النحوية للجملة الاسمية في العربية من خلال كتابي الفخري في الآداب السلطانية، وقيام الدولة العربية الإسلامية، بحث مقدم لنيل شهادة الدكتوراه من الدور الثالث، إشراف: جعفر دك الباب، جامعة الجزائر، 1984/1985.

5- مخلوف بن لعلام: التقدير في كتاب سيبويه، بحث مقدم لنيل شهادة الدكتوراه، إشراف: سعدي الزويبير، جامعة الجزائر، 2002/2003.

6- محمد الحباس: النحو العربي والعلوم الإسلامية -دراسة في المنهج-، عالم الكتب الحديث، إريد، الأردن، ط1، 2009.

7- نفسه، ص6

وقد صدر الكتاب عن دار عالم الكتب الحديث، بالأردن سنة 2009.

2.1. عنوان الكتاب: النحو العربي والعلوم الإسلامية؛ دراسة في المنهج

هناك ثلاثة عناصر رئيسة في العنوان؛ وهي عناصر تحيل بدقة إلى لبّ البحث؛ وهي: النحو العربي والعلوم الإسلامية والمنهج. أما النحو فهو بالمعنى اللساني الحديث المعاصر؛ وفي عرف النحاة واللغويين الأوائل أمثال الخليل بن أحمد الفراهيدي وتلميذه سيبويه وغيرهما، مجموع القواعد الضابطة للنظام اللغوي في مختلف مستوياته؛ سواء ما تعلق بالمستوى الصوتي الوظيفي (الفنولوجي) أم المستوى الصّرفي (المرفلوجي) أم المستوى النظمي التركيبي. فهو القواعد المكتسبة بالسليقة والمحزّنة في ذاكرات المستعملين الأصليين للسان. ولا يقتصر على علم التراكيب فقط فهذا مفهوم ضيق للنحو جرى عند الذين التبس الأمر عليهم.¹

أما العلوم الإسلامية فهي متعددة ومختلفة تشمل كل ما يدور في فلك الكتاب والسنة من القراءات القرآنية، والفقه وأصوله، والحديث ومصطلحه، وعلم الكلام.

أما المنهج فهو الطريق الواضح والخطة المرسومة، ومنه منهج الدراسة ومنهج التّعليم ونحوهما، وهو: وسيلة محددة تعتمد للوصول إلى غاية معينة. والمنهج العلمي هو خطة منظمة لعدة عمليات ذهنية أو حسية بغية الوصول إلى كشف حقيقة أو البرهنة عليها،² فهو "عبارة عن تصوّر وتفكير في عدد من الظواهر والعلامات ثم استنباط لجملة من الأحكام والضوابط النظرية المجردة."³ وعليه فالمنهج هو جملة القواعد والأصول والإجراءات التي يعتمد عليها الباحث لدراسة ظاهرة من الظواهر أو

1- نصر الدين بوحسايين: تعليم اللغة العربية؛ واقع وآفاق، مجلة العربية، المدرسة العليا للأساتذة، بوزريعة، العدد 3، 2011، ص 29، 30.

2- مجمع اللغة العربية: المعجم الوسيط، إخراج: إبراهيم مصطفى وآخرون، المكتبة الإسلامية للطباعة والنشر، اسطنبول، تركيا، ط2، 1972، ج 2، مادة (نهج) ، ص 957

3- نصر الدين بوحسايين: تعليم اللغة العربية؛ واقع وآفاق، المرجع السابق، ص 16.

علاج مسألة من المسائل؛ بالاستناد إلى جملة من الخطوات والمراحل كالملاحظة والفرضية والتجريب والبرهنة.

وقد صارت الدراسات اللسانية الغربية المعاصرة تتفاخر بأنها قائمة على مناهج علمية، حيث يلعب المنهج دورا رئيسا في التأسيس النظري والمعرفي لأي درس، لأنه توجد اختلافات متعدّدة وحاسمة بين المنهج الحديث والدراسة القديمة للغة، وحجر الزاوية في هذا الاختلاف تلخصه كلمة واحدة هي scientific العلمية، والجانب الهام في هذه العلمية هو: استعمال الأساليب والمناهج العملية scientific method. التي تُمكن الباحثين من وضع أصول نظرية علمية ومصطلح علمي ثابت.¹

ولذلك كان اختيار (محمد الحباس) دراسة المنهج سديدا؛ حيث دافع من خلال ذلك عن قيمة الدراسات اللغوية العربية وعلميتها، كما كان ربط منهج النحاة بمنهج علماء الدين سديدا أيضا؛ فقد نافح من خلاله عن أصالة النحو العربي. حيث تدل العلاقات التاريخية وظروف النشأة بين النحو العربي والعلوم الإسلامية، والغرض المشترك لكليهما المتمثل في خدمة الكتاب والسنة، والصلات الحميمة لمشاهير النحاة العرب بعلماء الإسلام، على علاقة التآثر والتأثير المتبادلة والأكيدة في المنهج. وفي الأصول وفي التطبيق وفي المصطلح وفي التعبير.²

3.1. ملخص الكتاب: (المضمون): ينقسم البحث إلى ثلاثة أبواب:

1.3.1. الباب الأول: خصّصه الباحث لبسط الحديث عن الظروف التاريخية المشتركة التي نشأ فيها النحو العربي والعلوم الإسلامية، فعرف العلوم الإسلامية المختلفة (القراءات القرآنية، والفقه وأصوله، ومصطلح الحديث، وعلم الكلام) وبيّن غرضها المشترك مع النحو العربي وأصوله المتمثل في خدمة الكتاب والسنة كما بيّن الفوارق التي كانت بينها، كالفرق بين الفقه والنحو وأصولهما، وحدد تاريخ وظروف

1- زهران البدراوي: مقدمة في علوم اللغة، دار المعارف، مصر، ط2، 1986، ص175.

2- محمد الحباس: النحو العربي والعلوم الإسلامية -دراسة في المنهج-، المرجع السابق، ص 12، وص 21.

نشأتها؛ مشاهير النحاة العرب، وعلاقاتهم بعلماء الإسلام، وتأثرهم بهم، وتأثيرهم فيهم. ليصل إلى أن صدور هذه العلوم عن أصل واحد، وتأثرها بعقلية واحدة دليل على التأثير المتبادل بينها جميعا في المنهج والمصطلح و...، وهو ما يُعبّر عنه بقوله: "لا غرابة إذن أن نرى تعانق هذه العلوم، وارتباطها الوثيق، ما دامت قد تزامنت نشأة وتطورا، وما دامت كانت تهدف إلى هدف واحد، ومادام الكثير من جهابذتها كانوا يتقنونها جميعا." ¹

ومن خلال المقارنات التي عقدها بين العلوم في هذا الباب توصل إلى جملة من التشابهات والفوارق؛ من نماذج الأولى مثلا ملاحظته أن ابن جني وهو أول من ألف في أصول النحو - لم يحدّ هذا العلم، ألف كتابه (الخصائص) على غرار أصول الفقه والكلام.² وملاحظته أن أصول النحو عند ابن الأنباري والسيوطي عبارة عن نسخة طبق الأصل لأصول الفقه، في الحد والمتن؛ كقول السيوطي: "... أصول النحو أدلة النحو...، كما أنّ أصول الفقه أدلة الفقه..."³ ومن نماذج الثانية -الفوارق- مثلا أن الفقهاء كانوا أكثر دقة وتحريا وتمحيصا للمواضيع في أصولهم من النحاة، بينما لم يكن النحاة كإبن الأنباري والسيوطي في هذا إلا عيالا على الفقهاء والأصوليين ومقلّدين لهم ومقتبسين من منهجهم -وهذه الملاحظة لا تنطبق على (ابن جني) وجهوده في أصول النحو من خلال الخصائص-⁴.

ومن خلال حديثه عن مشاهير النحاة العرب وعلاقاتهم بباقي علماء الإسلام، توصل إلى أن هذه العلاقات كانت طبيعية في ظل طبيعة الدراسة آنذاك، حيث كان الواحد منهم ينهل من العلوم كلها قبل أن يتخصص في أحدها، وبسبب

1 - محمد الحباس: النحو العربي والعلوم الإسلامية -دراسة في المنهج-، المرجع السابق، ص 13.

2 - أبو الفتح عثمان بن جني: الخصائص، تح: محمد علي النجار، دار الهدى للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، ط2، د. ت ، ج1، ص2.

3 - جلال الدين السيوطي: الاقتراح في علم أصول النحو، تح: محمود سليمان ياقوت، دار المعرفة الجامعية، القاهرة، مصر، 2006، ص 18 .

4 - محمد الحباس: المرجع السابق، ص 24.

الظروف المكانية للدراسة، التي كان محلها المساجد الجامعة، التي تقام فيها حلقات العلوم المختلفة مما يجعل الطلبة في تماس دائم مع مختلف العلوم، وهذه العلاقات الحميمة في نظره هي العامل الذي نجم عنه هذا التناسق والتناغم في المنهج العلمي الذي طبع التراث العربي كله بما فيه النحو العربي.¹ علاوة على أن النحو العربي هو أداة أساسية وشرط ضروري لكل عالم في مختلف التخصصات لاسيما العلوم الإسلامية مما يُثبت قوة العلائق والوشائج التي تبرّر بدورها أوجه التشابه، وتثبت بما لا يدع مجالاً للشك التأثير والتأثر بين علوم العرب الدينية واللغوية، خاصة فيما يتعلق بالمنهج الذي اتبعه الفريقان، وما هذا الثبوت التاريخي بالنسبة للباحث إلا دليل على أصالة الجهود التراثية في النحو العربي.²

2.3.1. الباب الثاني وسمه: (الأسس النقلية للنحو العربي والعلوم الإسلامية)؛ تناول بالحديث الأصل الثاني من أصول النحو العربي والعلوم الإسلامية وهو السماع. وقد ركز على العلاقة بين رواية اللغة ورواية الحديث، مُشيدا بالمنهج الفريد والأصيل الذي اختص به علماء الإسلام وامتازوا به مُحدّثين ونحاة ولغويين في نقد الخبر وتمحيصه، والتّحرج الشديد في قبول الرواية، وهو ما سلّم نصوصهم من التحريف. والملاحظة التي يبدونها ويُلحّ عليها خدمة لوجهته العامة المتأثرة بالتراث هي أن نشأة الرواية اللغوية كانت تشترك مع نظيرتها في رواية الحديث من حيث الظروف والزمان والمكان، والهدف وهو المحافظة على نصوص الشريعة والمحافظة على الفهم السليم لها. وهذه الأسباب المتفككة التي نشأت فيها الرواية عند المحدّثين واللغويين، والمتمثلة في شيوع الوضع والكذب في حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم، وشيوع اللحن ثم النحل في اللغة العربية، وخوف العلماء على ضياع الصحيح منهما -الحديث واللغة- الذي كان باعثاً على نهوض الحريصين من الفريقين إلى وضع منهج دقيق لتمييز حديث رسول الله؛ صحيحه من زائفه، وتمييز اللغة العربية الصحيحة من الملحونة، وتمييز الشعر

1- محمد الحباس: النحو العربي والعلوم الإسلامية -دراسة في المنهج-، المرجع السابق، ص 468

2 - نفسه، 90

الصحيح المنسوب إلى قائله من غيره المنحول، والموضوع على ألسنة الشعراء.¹ فهذه الظروف -الوضع والكذب في الحديث والنحل في الشعر- أنشأت حركة ومناهج نقدية دقيقة وصارمة للخبر عند المحدثين واللغويين ووضعا شروطا وقواعد للراوي والمروي عنه والمروي في حد ذاته.² وكان أكثر اعتمادهم على الجرح والتعديل؛ الذي جعلوه عصب المنهج الذي اعتمده في الرواية وجوهر الباب ولبّ لبابه، فعدلوا كثيرا من الرواة الذين عُرفوا بدقتهم وأمانتهم وعدالتهم، وجرحوا البعض منهم ممن ثبت عليهم الكذب والوضع والنحل سواء في اللغة أو الحديث. وقد أبدعوا -محدثين ولغويين- في وضع الأسس العلمية والشروط الدقيقة في صفات من تُقبل روايته ومن تُردّ، دون كبير خلاف بينهما في ذلك لأن الغاية واحدة وهي حفظ الدين. سوى ما اقتضته طبيعة كل علم من الفروق، كتلك القواعد التي وضعها علماء اللغة في تحديد رقعة الفصاحة زمانا ومكانا، وهي خاصة باللغويين، دون المُحدّثين لأن مصدر الحديث معروف ومُحدّد وهو الرسول صلى الله عليه وسلم وصحابته وبعض تابعيه عكس اللغة التي كان مصدرها العرب الفصحاء على امتدادهم. ولذلك انصبّ جهد المُحدّثين على الرواة في حين انصبّ جهد اللغويين على مصدر الرواية (المُورد) ووضعا له شروطا، وحصروا رقعة الفصاحة زمانا، ابتداء من أول نص وصلنا، وانتهاء بأواخر القرن الرابع للهجرة. ومكانا حيث قصرُوا أخذهم عن العرب الفصحاء فقط الذين لم يتأثر لسانهم بعجمة الأمم الأخرى، وهو ما لم يوجد بعد القرن الأول للهجرة إلا في القبائل العربية الموغلة في البداوة، والتي استمرت عندها الفصاحة حتى أواخر القرن الرابع.³

وعليه فالسبب الأهم لظهور الرواية اللغوية، هو النحل في الشعر العربي؛ كما كان السبب الأساس لرواية الحديث هو الوضع والكذب. إلا أن العلماء لما توغلوا في ميدان الرواية، والدراسات اللغوية عامة أصبحت عندهم هدفا في حد ذاته، فأصبحت الرواية اللغوية مستقلة تطلب لذاتها، ولم تبق وسيلة لأغراض أخرى فقط.

1 - محمد الحباس: النحو العربي والعلوم الإسلامية -دراسة في المنهج-، المرجع السابق، المقدمة، ص 4

2 - نفسه، 138

3 - نفسه، ص 469.

أصبح لها كيائها المستقل، ورجالها المستقلون، ولها مناهجها الخاصة، وإن كانت بقيت مرتبطة بغيرها من العلوم بذلك الخيط الذي يربط كل العلوم الإسلامية، سواء في الأهداف أو المناهج.¹

وعرض أيضا الآداب التي حددت ليلتزم بها الراوي من المُحدّثين واللغويين، وأحكام السند والمتن، وأقسام الحديث واللغة من حيث القبول والرد، وكان دائم الحرص على بيان التشابهات والفوارق بين الميدانيين في هذه النواحي، ليثبت عملية التأثير والتأثر بين علماء الحديث واللغة في المنهج.² ومن الآداب التي تكلم عنها (الرحلة في طلب العلم) لاسيما الرحلة إلى البادية التي كانت منهجا انفرد به علماء اللغة دون سواهم من العلماء يقول: "أما الرحلة إلى البادية فكانت عملا خاصا باللغويين وحدهم، أملاه عليهم المنهج العلمي الصّحيح القائم على الدراسات الميدانية، والمشاهدة المباشرة للأحداث اللغوية، والذي كان من أخص خصائص علماء الإسلام، واللغويين منهم."³

ومن الفروق في هذا الباب أن المُحدّثين كانوا أكثر حرصا في التزام هذه الآداب وتحرّجهم أكثر من تحرج اللغويين، وذلك لطبيعة العلم وما يقتضيه من منزلة وشرف مقارنة باللغة ومسؤولية في النقل والمسؤولية تستلزم الكثير من الأمانة والنزاهة والنية الصادقة، والدأب في النقل والتلقي من أفواه الرجال. في حين لم يتشدد اللغويون تشدد المُحدّثين لاختلاف طبيعتي العلمين من حيث الاحترام والتقدير، لأن اللغة مهما بلغت من الشرف يبقى الغلط فيها أهون من الغلط في الحديث وإن كانت خادمة للكتاب والسنة فإن الخطأ فيها أهون. وهذا عند اللغويين الأوائل وهو ما يدلّ حسب الباحث على أصالتهم، حيث لم يُقلّدوا غيرهم من العلماء ولم يبالغوا في اقتفاء أثرهم وإن كانوا يتشاركون معهم في الظروف وفي الزمان المكان والغاية والهدف، ويختلطون بهم في المجالس إلا أنهم لم يأخذوا عنهم إلا ما يناسب علمهم، وهذا واضح جلي إذا

1 - محمد الحباس: النحو العربي والعلوم الإسلامية - دراسة في المنهج -، المرجع السابق، ص 141

2 - نفسه، ص 5

3 - نفسه، ص 155

ما قورن بين ابن جني -مثلا- من المتقدمين؛ وبين ابن الأنباري أو السيوطي من المتأخرين.¹

وخلاصة القول في هذا الباب؛ فقد أثبت الباحث أن هناك تأثيرا واضحا للغويين بالمحدثين في أسس النقل وضوابط الرواية لا سيما المتأخرين منهم؛ مع فرق راجع إلى طبيعة كل علم خاصة عند المتقدمين الذين غلب طابع الأصالة على منهجهم وأفكارهم، وكان عرضه السابق سبيلا للكشف على العلاقة بين رواية اللغة ورواية الحديث، من خلال الظروف التي نشأت فيها الرواية في كلا العلمين والتي كانت نتيجة تفشي الوضع والتحل فيهما، ومن خلال البواعث والغايات التي تنحصر في المحافظة على نصوص الحديث واللغة، والأسس التي قامت عليها فيهما معا والتي تمثلت في المنهج الدقيق لا سيما باعتماد الجرح والتعديل.

3.3.1. الباب الثالث: تطرق فيه إلى الأسس العقلية للنحو العربي والعلوم الإسلامية، ولا تخفى مكانة العقل في الحضارة الإسلامية، والعلاقة التي تربطه بالنقل؛ ولقد استجاب المسلمون إلى دعوة القرآن الكريم التي تحثهم على التفكير وإعمال العقل وعدم تعطيله؛ فأبدعوا أيما إبداع في مختلف العلوم؛ وحسنت اجتهاداتهم العقلية التي أتاحتها لهم الإسلام، وكان من أبرز الميادين التي أبدعوا فيها إبداعا ملحوظا وبلغوا فيها شأوا عظيما ميدان القياس الذي يُعدّ بحق نموذج الفكر الإسلامي الأصيل عند النحاة والأصوليين والفقهاء حيث كان الدعامة الأساسية عندهم.²

وقد كان هذا الباب -القياس- على قدر كبير من الأهمية في دفاع الباحث عن أصالة التراث النحوي العربي، ولذلك قدّم أول ما قدّم الدليل على أنه كان دائما الأصل الثاني من أصول النحو ولم يوجد من النحاة العرب القدماء من أنكر القياس مطلقا، بل كان كثير منهم تهفوا طبيعتهم إلى القياس، وإلى الإكثار منه، كعبد الله بن أبي إسحاق، والخليل بن أحمد، وسيبويه، وأبي علي الفارسي، وابن جني، كما كان

1- محمد الحباس: النحو العربي والعلوم الإسلامية -دراسة في المنهج-، المرجع السابق، ص 148

2 - نفسه، ص 304

منهم من يعتد بالسماع والرواية ويميل إليها ويزهد في القياس، كأبي عمرو بن العلاء، وتلامذته الثلاثة: الأصمعي، وأبي زيد الأنصاري، وأبي عبيدة. ولم يكن هذا الفرق بينهم والتفاوت في درجة استعمال القياس راجعا إلى إنكار القياس في حد ذاته بقدر ما كان راجعا إلى ما تفرضه طبيعة تخصص كل فئة، فاللغوي جامع وراو للغة جل اعتماده على السماع لا يتوسع في القياس، عكس النحوي الذي يحتاج إلى إعمال آلة القياس على نحو أوسع.¹ وإن وجد من القدماء بعض من قال بنفي القياس، أو دعا إلى محاربتة، وقد أشار إلى هؤلاء ورفّضهم ابن جني وغيره. ولكنها كانت أقوالا ضعيفة على العموم ناتجة - كما قال ابن جني - عن ضعف أصحابها، أو كرد فعل عن مبالغة بعض النحاة في القياس والتعليل، ولذلك صارت القاعدة هي اتفاق الآراء على العمل بالقياس بأنواعه المختلفة في علم النحو، وجرى في العرف: النحو كله قياس، ومن أنكر القياس فقد أنكر النحو.²

كما دافع الباحث عن التراث وأصالة النحو العربي في ذات الباب من خلال حديثه عن نشأة القياس وتطوره عند النحاة والفقهاء، إذ يراه ولد في بيئة عربية إسلامية صرفة بعيدة عن التأثير بالمنطق الأرسطي، وتطور على أيدي فطاحلة العلماء العرب سواء الفقهاء والنحاة لاسيما عند الخليل وسيبويه وابن فارس وابن جني؛ يقول: "والقياس - كغيره من ميادين الفكر الإسلامي - قد كان في بدايته إسلاميا صرفا إجرائيا - على حدّ قول أستاذنا الحاج صالح، إلا أنه مع مرور الزمان، تأثر بالمنطق اليوناني من جهة، وبعلم الكلام من جهة ثانية. فأصبح القياس غير القياس الذي كان في زمان الأولين."³ ويقول: "وما زال القياس ينمو وينمو حتى وصل إلى عصر الخليل بن أحمد الفراهيدي وتلميذه سيبويه فأبدعا فيه أيما إبداع. فالمتصفح لكتاب سيبويه يرى العجب العجاب من هذه الأقيسة والتحليل العميقة. فهو لا يكاد يذكر حكما إلا ويقيسه على غيره، ويلحقه بمشابهه أو نظيره. فالنحو عند الخليل وسيبويه كله مُعلَّل، فهما لا

1 - محمد الحباس: النحو العربي والعلوم الإسلامية - دراسة في المنهج -، المرجع السابق، ص 317 - 318

2 - نفسه، ص 319

3 - نفسه، ص 326

يقران الأحكام منفصلة عن علها أبدا مثلما يفعله النحاة المتأخرون. ولا تخلو فقرة من فقرات كتاب سيوييه من هذه التعليقات.¹

كما يشيد بالقياس عند ابن جني وأبي علي الفارسي حيث يذهب إلى أنّ القياس استمر يواكب النحو العربي إلى أن حطّ رحاله عند أبي علي الفارسي وتلميذه ابن جني اللذين أوليا أهمية كبرى للقياس، حيث يصرح ابن جني بأنّ مسألة واحدة في القياس أنبل وأنبه عنده من كتاب لغة عند عيون الناس، وجعل كثيرا من أبواب (الخصائص) تدور حول القياس والتعليل، ... وينقل عن أستاذه أبي علي الفارسي تقبّله الخطأ في خمسين مسألة في اللغة، وتحرّجه من الخطأ في مسألة واحدة من القياس.² وهو يسمّ القياس عند هذين العلمين بالإبداع، ويثبت مجارته للقياس عند فقهاء الإسلام، ويبرئه من التأثير بعلم الكلام والتقليد للمنطق اليوناني.³

وعليه فقد نشأ القياس في النحو كما في الفقه في نفس الفترة وتطورا في نفس الظروف، وإن كان طبيعيا أن يكون القياس عند الفقهاء أسبق زمانا منه عند النحاة لأسبقية ظهور الفقه على النحو. إلا أنّ الملاحظة الأهم هي أن كليهما كان في البداية إسلاميا خالصا أصيلا إجرائيا؛ يعتمد على الفكر الرياضي والعقلية الجبارة والمبدعة لعلماء العرب في التحليل العلمي للظاهرة اللغوية. ولم يتأثر بالمنطق اليوناني الصوري الفلسفي التأملي إلا في عهد متأخر، ولا يمكن لأحد أن ينكر ذلك على عقلية فذة كعقلية الخليل بن أحمد الفراهيدي الرياضية، ولا أن ينسب إليه هذا المنطق الصوري اليوناني.

كما تحدّث في هذا الباب عن أنواع القياس عند الفقهاء والنحاة، وأوجه الشبه بينهما الدالة على تأثر النحاة بعلماء الأصول وهو ما ينفي بدوره تأثرهم بمنطق اليونان، وأوجه الاختلاف الدالة على مجانبية النحاة للتقليد المطلق للفقهاء. والحاصل

1 - محمد الحباس: النحو العربي والعلوم الإسلامية - دراسة في المنهج -، المرجع السابق، ص 328

2- أبو الفتح عثمان بن جني: الخصائص، المصدر السابق، ج 2، ص 88.

3- محمد الحباس: النحو العربي والعلوم الإسلامية - دراسة في المنهج -، المرجع السابق، ص 329

أن القياس عند النحاة كما عند الفقهاء ينقسم لاعتبارات مختلفة إلى عدة أنواع فباعتبار قوة العلة في الأصل والفرع ينقسم إلى: قياس الأولى والمساوي والأدنى، وباعتبار النص على العلة واستنباطها ينقسم إلى جلي وخفي، وباعتبار الجامع بين الأصل والفرع إلى قياس علة وشبهه وطرد. ويزيد الفقهاء على النحاة اعتبار النص على العلة والدلالة عليها ويقسمونه إلى قياس العلة والدلالة، ويزيد النحاة ما يسمى بقياس المتكلم، وهو الأنماط التي تتكون في ذهن المتكلم، فيصوغ على منوالها أمثلة أخرى مماثلة، دون شعور منه، وهو مالم يوجد في القياس الفقهي، أما باقي الأنواع فلا فرق بين الفريقين فيها. والجدير بالملاحظة أن هذه التقسيمات والتفصيلات وجدت عند بعض النحاة وأصولييهم؛ لا سيما المتأخرين منهم الذين كانوا يحذون حذو الفقهاء في أصولهم كالسيوطي، -وقد كان فقيها أيضا- في حين لا يوجد أثر لها عند ابن جني الذي كان أصيلا في علمه متفردا في تأصيله ينأى عن التقليد المطلق، وهو ما تفرضه طبيعة العلمين المختلفة التي لم يغفلها أبو الفتح ومن معه من المتقدمين.¹

كما تحدّث عن أركان القياس مقارنا فيها بين مذهب النحويين والفقهاء، أين ثبت له الفرق بينهما في واحد منها وهو الحكم، إذ إنه عند الفقهاء معلوم في الأصل ومجهول في الفرع، بينما هو عند النحاة قد يكون معلوما فيهما. وعملية القياس في هذه الحال -علم الحكم في الأصل والفرع- هي تبين علة الحكم في الفرع، كالحاقهم نائب الفاعل بالفاعل في حكم الرفع بجامع الإسناد، حيث إنّ الحكم موجود في الأصل (الفاعل) وفي الفرع (نائب الفاعل) أيضا، ولم يُحدثه النحوي القائل، على خلاف الفقه، فالقائل الحقيقي في اللغة هو المتكلم، وما النحوي إلا مستنبط لعله قياسه.²

وأخيرا عرض لمسألة تعارض السماع والقياس والترجيح بينهما عند النحاة -بصريين وكوفيين- وعند الفقهاء والأصوليين. وإن كان لم يحصل الاتفاق التام بين الفقهاء والأصوليين في مسألة معارضة القياس للنص. ولا بين النحاة في هذه المسألة

1- محمد الحباس: النحو العربي والعلوم الإسلامية -دراسة في المنهج-، المرجع السابق، ص 471

2- نفسه، ص 471

الشائكة، حيث كان منهم من يُقدّم القياس، ومنهم من يُقدّم النصّ أو السماع، ومنهم من يقف موقفاً وسطاً. إلا أن الغالب عندهم جميعاً في هذه المسألة هو تغليب النص والسماع على القياس فالنقل هو الأصل ولذلك لم يختلف اثنان في جعله الأصل الأول من أصولهم سواء النحاة والفقهاء. والقاعدة العامة عندهم هي أنه لا اجتهاد مع النص. وقد توصل الباحث إلى أن هذه القاعدة التي قال بها الفقهاء والأصوليون واشتروا للنص أن يكون قطعي الثبوت والدلالة، هي نفسها عند النحاة، إذ لا قياس مع السماع مهما قوي القياس، وبالشرط نفسه أيضاً وهو أن يكون السماع فصيحاً مطرداً غير منقوض بسماع آخر، كرفع الفاعل ونصب المفعول. وحتى إذا قوي القياس وكثر السماع المناقض له، وجب تقديم السماع الكثير واتباعه وترك القياس.¹ وفي هذا دليل آخر من الباحث على أن منهج البحث عند النحاة أصيل ابن البيئة العربية الإسلامية بعيد عن التأثر بالفكر المنطقي والفلسفي الوافد من طريق الثقافة اليونانية، كما أن الفروقات بين النحويين والفقهاء في ذات المسألة دليل على أن منهج النحاة لم يكن كله تقليداً لمنهج علماء الإسلام الآخرين، وفي هذا دليل بالنسبة لنا على أن الباحث قد يمم وجهه شطر التراث يُمجّده ويعتد به ويدافع عن أصالته وعلميته.

وتناول في الفصل الموالي من هذا الباب العلة النحوية والفقهيّة، وقد خصّص لها فصلاً كاملاً رغم أنّها أحد أركان القياس، وبرّر ذلك بأهميتها في الدراسات الدينية واللغوية من جهة، وطول مبحثها من جهة ثانية. وقد كانت غايته اعتماد الفرق بين العلل الفقهيّة والعلل الكلامية والعلل النحوية، -كما ذكرها ابن جني خاصة- سبيلاً لرد موقف بعض الدارسين النحويين المُحدّثين من تعليقات القدماء، وتهجمهم عليهم، وخاصة البصريين منهم، ودليلاً على علاقة التأثير الإيجابية لا علاقة التقليد السلبية من طرف النحاة للفقهاء.² وفيه يرى أن الأوائل من النحاة كابن جني امتازوا عن المتأخرين كابن الأنباري وابن مالك والسيوطي بالنأي عن التقليد رغم تأثرهم البين بأصول الفقه والكلام، إلا أنهم يحفظون دائماً للنحو طبيعته التي يختلف فيها في بعض

1 - محمد الحباس: النحو العربي والعلوم الإسلامية -دراسة في المنهج-، المرجع السابق، ص 380

2 - نفسه، المقدمة، ص 5، 6

الأحيان عن الفقه والكلام.¹ فهو ينكر جملة وتفصيلا مذهب بعض الدارسين إلى أن التعليقات النحوية هي نتاج التأثر بعلم الكلام، وأن نظرية العامل التي يقوم عليها النحو العربي كانت نتاج التأثر بفكرة الأثر والمؤثر عند المعتزلة، خاصة وأن النحاة الذين أمعنوا في التعليل كانوا معتزلة، كالرمانى والفارسي وابن جني والزمخشري، وهو يدحض مذهبهم هذا -الذي ذهبوا إليه دون تبصر- بالتحري الدقيق وتمحيص التاريخ وبذور النشأة، لأن الثابت أن العلة ونظرية العامل ليسا من اختراع هؤلاء العلماء ومعاصريهم بل نشأ منذ نشأة النحو العربي، منذ نصر بن عاصم تلميذ أبي الأسود الدؤلي، ثم تلميذه عبد الله بن أبي إسحاق، حتى وصلت إلى الخليل بن أحمد وسيبويه فأبدعا فيها، وكتب السير والتراجم تثبت عن هذين أنهما كانا سنيين لا متكلمين ولا معتزليين.² وفي هذا دليل على انتصاره للتراث لاسيما تراث النحاة الأوائل وهي الفكرة التي ما انفك يقررها في بحثه هذا حيث يقول: "ونحن قد قررنا أكثر من مرة أن النحو العربي في هذه المرحلة -مرحلة الخليل وسيبويه ومن سبقهما أو عاصرهما- لم يتأثر بهذين العلمين -علم الكلام والمنطق-، وإنما وقع التأثر بهما في زمن تال لزمن الخليل وسيبويه."³ وهي الفكرة التي يرمي من خلالها إلى دحض تهم وانتقادات بعض الدارسين المحدثين غير الحصيصة وغير المنصفة التي يرمون بها الدراسات اللسانية العربية التراثية الأصيلة بزعمهم أن أشهر أبواب النحو العربي لا سيما القياس والتعليل هي من قبيل تأثر النحو العربي بالفلسفة والمنطق اليونانيين وعلم الكلام الوافد عن الحضارة نفسها. كقول مازن المبارك: "والخلاصة أن المنطق طبع الفكر الإسلامي ونتاجه بطابعه، وأن النحو تأثر بالفقه والكلام والمنطق، فكانت له أصول شبيهة بأصول الفقه، وتطلّع إلى المغيّب شأن علماء الكلام، فبحث عن العلل وافترض وجال، واقتبس من المنطق فكرة الحد، بل غلا بعض النحويين ففرضوا على النحو حدودا منطقية صرفة."⁴ ويردّ عليه بأن النحو العربي لم يتأثر في مراحل الأولى على عهد

1 - محمد الحباس: النحو العربي والعلوم الإسلامية -دراسة في المنهج-، المرجع السابق، ص 416

2 - نفسه، ص 438

3 - نفسه، ص 435

4- مازن المبارك: النحو العربي؛ العلة النحوية، نشأتها وتطورها، دار الفكر، دمشق، ط1، 1965، 116.

سيبويه والخليل بالمنطق اليوناني ولا بعلم الكلام، وبأن أقوال بعض هؤلاء المحدثين إنما تنطبق على نحاة الفترة التي جاءت بعد القرن الثالث الهجري خاصة، عند بعض النحاة، وليس عند جميعهم، حيث كان التأثر بالمنطق والكلام يتفاوت من منطقة لأخرى، ومن نحوي لآخر.

وهو يرى في وجهة بعض هؤلاء المحدثين على النحاة العرب وخاصة البصريين منهم هجمة شرسة سقيمة لا مبرر لها، لأنّ النحو إذا نزعته منه العلة فقد جوهرة وصلبه، مع أنه لا ينكر وهو دأب الباحث الحصيف الموضوعي - أن النحو العربي، في بعض العصور، وعند بعض النحاة، أصابه وبال التأثر بالكلام والمنطق اليوناني، مما أخرجه حقا عن الطبيعة الحقيقية للدراسات النحوية، ولكن هذا ليس هو السمة البارزة فيه، حتى بعد القرن الرابع الهجري.¹ يقول: "نعم إن بعض الدارسين القدماء - كما رأينا عند ابن الأنباري وابن السراج والرماني وغيرهم - ربما أخطأوا في محاولاتهم جعل التعليل النحوي مطابقا لتعليل المتكلمين والأصوليين، ولكن هذه الظاهرة لا نجدها عند المتقدمين من أمثال الخليل وسيبويه ومن سبقهما، بل ولا عند بعض المعاصرين لهؤلاء من أمثال السيرافي وأبي علي الفارسي وابن جني".² لذلك فهو يرى أن العلة كباب من أشهر أبواب النحو العربي قد مرت بمراحل مثل باقي أبواب النحو العربي: الأولى هي مرحلة الأصالة والصفاء، كانت على يد المتقدمين من النحاة وتنتهي بكتاب سيبويه (180^{هـ})، والثانية مرحلة التأثر بعلم الكلام بدأت على يد الأخفش الأوسط تلميذ سيبويه (215^{هـ})، والثالثة مرحلة التأثر بالمنطق اليوناني في القرن الرابع وما تلاه.³

1 - محمد الحباس: النحو العربي والعلوم الإسلامية - دراسة في المنهج -، المرجع السابق، ص 437

2 - نفسه، ص 444

3 - نفسه، ص 450

ومن أوجه الدفاع التي تثبت أصالة منهج النحاة في هذا السياق: الفرق بين العلل الكلامية والعلل النحوية، إذ "العلل الكلامية والمنطقية موجبة لمعلولاتها، وليست كذلك العلل النحوية التي هي مستتبطة من كلام فصحاء العرب، فليس النحاة هم الذين يوجبون على المتكلمين ربط العلل بالمعلولات، وإنما المتكلمون هم يفعلون ذلك، ودون شعور منهم، والنحاة يكتشفون، وهناك فرق بين اكتشاف العلة وبين صنعها، فالعلة النحوية ليست من صنع النحاة، إنما هي موجودة في اللغة قبل أن يخترع النحو العربي، والنحاة مستنبطون لها، مثلها مثل العلل الموجودة في الطبيعة، فهي من صنع الخالق -سبحانه- والعلماء يكتشفونها ويربطون بين العلة والمعلول ليس غير، فكذلك النحاة."¹

وخلاصة القول في هذه القضية أن الباحث يدعو بمنهج الباحث الرصين إلى التفريق بين منهج المتقدمين والمتأخرين، فما يقال عن المتأخرين من التأثير بالمنطق وعلم الكلام وتطبيق منهج علماء الأصول وقواعدهم كابن الأنباري والسيوطي لا يقال بحال على الأوائل كالخليل وسيبويه ومن تابعهما الذين كانت تعليقاتهم متعلقة باللغة كأداة تبليغ؛ وحتى الأواخر منهم من حافظ على أصالة النحو العربي وسلم بحثه من التأثير كالرضي الاستربادي. وقد توصل الباحث إلى هذه الآراء من خلال تمييزه بين العلل الفقهية والنحوية والكلامية، وربطه بين العلة النحوية والعلة الفقهية، حيث استعار النحاة لا سيما المتأخرون الكثير من المباحث في هذا الباب عن الفقهاء؛ كتخصيص العلل والقوادح فيها.²

ليتطرق عقب هذا إلى الأدلة الثانوية والمختلف فيها، كالإجماع والاستصحاب والاستحسان، وهي نوع من الأدلة التي تقصر عن الأدلة السابقة ولا تقوى قوتها؛ حيث تناولها بالتعريف عند الفريقين، وبيان حجية كل منها، ومرتببتها وأهميتها في الاحتجاج بها عند الفقهاء والأصوليين من جهة، والنحويين من جهة أخرى، مفرقا في ذلك ومميزا بين نظرة النحاة والفقهاء إليها. وقد ثبت عنده من خلال

1 - محمد الحباس: النحو العربي والعلوم الإسلامية -دراسة في المنهج-، المرجع السابق، ص 445

2 - نفسه، ص 446

ذلك كله ومن خلال الملاحظة والتحليل العلميين بما لا يدع مجالاً للشك: "تأثر النحاة بالفقهاء، ومحاولة النسيج على منوالهم، مدفوعين في ذلك بدافعين اثنين: أولهما أن تأثر العلوم فيما بينها شيء طبيعي في كل العلوم وعند كل الأمم. والثاني شرف العلوم الشرعية، هذا الذي جعل النحاة يحذون حذو علماء الشريعة لعلمهم يصيبهم من هذا الشرف نصيب في الدنيا والآخرة."¹ دون أن يغفل الفرق بين النحاة والفقهاء في نظرهم لهذه الأدلة. كالفرق بينهم في مرتبة الإجماع وحجيتها؛ حيث هو عند الفقهاء الدليل الثالث بعد الكتاب والسنة، وقبل القياس، بينما يتأخر عند النحاة ويعتبر دليلاً ضعيفاً بل إن بعضهم لم يذكره مطلقاً، كابن الأنباري. وكذا الفرق بينهما في حجية استصحاب الحال الذي يقوى كدليل عند النحاة، ويتفوق على الإجماع، وهو ليس كذلك عند الفقهاء، الذين يعدونه من قبيل الأدلة المختلف فيها.²

4.1. تحليل ومناقشة بعض آراء الباحث:

-من خلال بحثه في حفريات النشأة لهذه العلوم وتزامنهما، وما يترتب عنه من علاقات تأثير وتأثر بين العلماء؛ توصل إلى أنّ النحاة واللغويين استندوا إلى علماء الحديث والفقهاء وأصوله وغيرها واستمدوا منهجهم العلمي من مناهج هذه الأخيرة، في حدود ما تسمح به طبيعة علم النحو العربي دون التقليد الكامل، فلم ينف ما كان للنحاة العرب من خصائص وميزات لم تكن لسابقيهم من العلماء في العلوم الإسلامية نابعة من طبيعة كل علم.³ فهو إذ يؤكد على أن منهج البحث عند النحاة أصيل ابن البيئة العربية الإسلامية بعيد عن التأثر بالفكر المنطقي والفلسفي الوافد من طريق الثقافة اليونانية. وجدناه يؤكد أيضاً على قضية الفروقات بين النحويين والفقهاء. حيث لم يكن منهج النحاة كلّ تقليداً لمنهج علماء الإسلام الآخرين، ونمّثل لذلك مثلاً بأنّ المُحدّثين

1- محمد الحباس: النحو العربي والعلوم الإسلامية -دراسة في المنهج-، المرجع السابق، ص 465

2- نفسه، ص 473

3- نفسه، ص 468

كانوا أكثر حرصا في التزام آداب الرواية وتحرُّجهم أكثر من تحرُّج اللغويين، وهذا ما يدل حسب الباحث على أصالتهم بحيث لم يقلدوا غيرهم من العلماء ولم يبالغوا في اقتفاء أثرهم وإن كانوا يتشاركون معهم في الظروف وفي الزمان المكان والغاية والهدف، ويختلطون بهم في المجالس إلا أنهم لم يأخذوا عنهم إلا ما يناسب علمهم. وهذا في نظرنا من أبداع الدلائل العقلية التي دافع بها (محمد الحباس) عن تراث اللغويين الأوائل وأصالته فكيف يأخذ مثل هؤلاء -القدامى- عن اليونان منطقتهم على النحو الذي يُتهمون به؛ وهم الذين يترفعون عن تقليد أقرانهم من أبناء جنسهم من العلماء العرب والمسلمين وهم الذين كانوا تابعين لهم في كثير من الآداب؟؟.

فالباحث هنا يثبت علاقة التأثير الإيجابية لا علاقة التقليد السلبية من طرف النحاة للفقهاء. وهذا هو التحليل الحصيف المنصف للنحاة واللغويين العرب الأوائل الذين بذلوا جهودا كبيرة دون أن يكونوا في ذلك عالة على أحد. وهذا يدلنا على نزعة الباحث التراثية وميله إلى الاعتداد به والدفاع عن علميته وأصالته. ولكنها نزعة موضوعية يدعمها الدليل العلمي والتتقيب العميق في التراث العربي، وليست مجرد تشبث عاطفي يفتقر إلى البرهان، وهي ميزة يمكن تعميمها على كثير من الباحثين الجزائريين؛ إذ إنهم يتميزون بالتمسك بالتراث عن قناعة علمية مطلقة، ولهم فيه زاد كبير؛ ونظر عميق في خصوصيته. وتدبر واسع في معطياته وإعمال للفكر في كثير من جوانبه، ويدلنا على ذلك التعليقات المنطقية التي علل بها محمد الحباس لآرائه. ومثال ذلك مثلا تعليقه قضية الفروق بين منهج رواة الحديث ورواة اللغة بطبيعة علم الحديث وما يقتضيه من حرص وتشدد وتحرج بسبب شرف منزلته مقارنة باللغة؛ التي تستوجب مسؤولية في النقل وتستلزم الكثير من الأمانة والنزاهة والنية الصادقة، والدأب في الأخذ والتلقي من أفواه الرجال. في حين لم يتشدد اللغويون الأوائل تشدد المحدثين لاختلاف طبيعتي العلمين من حيث الاحترام والتقدير.

- من الأراء التي ركّز عليها (محمد الحباس) في بحثه: التمييز بين مرحلة نضج واكتمال الدرس النحوي التي كانت على يد الخليل بن أحمد الفراهيدي وتلميذه سيبويه ومن تلاهما من أمثال ابن جني وعبد القاهر الجرجاني...، وبين المرحلة التالية التي يؤرخ لها بالقرن الرابع وما ميّزها من تفهقر الدرس النحوي بسبب تغلغل منطق اليونان وعلم الكلام، وتأثيرهما الكبير على ميادين الفكر عموماً والفكر النحوي خصوصاً.¹ ومن ملامح نضج درس المرحلة الأولى التحليلات العميقة لبنية اللسان العربي التي توصلنا إليها، وإعمالهما للقياس وتطويره واعتماده منهاجا للنحو العربي. فلم يُخف في هذا المقام أيضاً إشادته بأصالة النحو العربي على عهدهما باعتماده على الفكر الإجرائي المتمثل في القياس العربي، وخلوصه من الفكر الأجنبي وتحديداً الفكر الفلسفي المبني على المنطق الصوري الأرسطي. وإعجابه بعلماء العرب والثناء عن عبقريتهم ورجاحة عقولهم وتفوقهم في العلوم وإبداعهم نوّكد من خلاله على اتجاهه التراثي الذي نحن بصدد بحثه. وتمييزه بين نحو المرحتين يدُلنا عن خاصية من خصائص الدرس اللساني الجزائري المعاصر؛ وهي خاصية الاستناد إلى فكر الأستاذ عبد الرحمن الحاج صالح وحذوهم حذوه في السعي لإعادة البريق للنحو العربي الأصيل الذي كان على عهد الخليل، ونستطيع القول أنّ الكثير من الباحثين الجزائريين هم تلامذة الحاج صالح وتلامذة نظريته الخليلية الحديثة من خلال تبنيهم لآرائه اللسانية واستثمارهم لها في أبحاثهم. وذلك لأن هذه الفكرة القائلة بتمييز نحو المتقدمين عن نحو المتأخرين هي من المبادئ الأساس للنظرية الخليلية الحديثة؛ وسنتكلم عنها في موضع لاحق من هذا البحث.

- الفصل الذي خصصه للحديث عن القياس كان فصلاً آخر من فصول رحلة الباحث في الدفاع عن أهمية المنهج العقلي وأسسها، وأثبت أنه منهج أصيل ودليل على الخصوبة الفكرية في تلك المرحلة المبكرة من تاريخ المسلمين، وأنه دعامة أساسية قامت عليها العلوم الإسلامية قاطبة فقهها وأصولها ونحوها. ووجه المدافعة عنده عن

1 - محمد الحباس: النحو العربي والعلوم الإسلامية - دراسة في المنهج -، المرجع السابق، ص 56

التراث العربي أنه يفرق بين القياس اليوناني الفلسفي التأملي، والقياس العربي الإسلامي الإجرائي والرياضي الذي هو من صلب التفكير العلمي السليم والعميق، لذلك لا يمكن أن تثبت بحال من الأحوال تلك الأقوال القائلة بعدم جدوى الدراسات العربية القديمة للغة وبعدها عن كنه الدراسة الوصفية العلمية وإغراقها في التأمّلات الفلسفية والقياسات المنطقية. ففي هذا الفصل أيضا أثبت الباحث تأثر النحاة بغيرهم من علماء الإسلام إذ إن آلة القياس عند النحاة والفقهاء واحدة وهي تعتمد على القياس الإجرائي الخاص بالفكر الإسلامي الأصيل البعيد عن القياس الفلسفي التأملي الموجود في الفكر اليوناني ومنطقه، مع ما بينهما من فرق الاستعمال وإجراءات في التطبيق من علم لآخر، حتى إن تعاريف النحاة المتأخرين في هذا الباب مأخوذة جملة عن نظرائهم الأصوليين، إلا أن هناك فرقا بين قدماء النحويين كالخليل وسيبويه الذين حافظوا على طابع الأصالة ومتأخريهم كابن الأنباري وابن مالك الذين مالوا إلى التأثر والتقليد للأصوليين في هذا الباب أيضا.¹

وقد وقفنا من خلال هذا الفصل على تعمق الباحث في التراث العربي، وفهمه لخباياه وأصوله، واقتناعه بدقة آراء المتقدمين من النحاة، وتمكّنه من متابعة مراحل تطور الدرس اللغوي العربي قديمه وحديثه، فهذا القياس مثلا يرى أنه لم يكن ماثرا للجدل في النحو العربي القديم، وأنّ النّظر إليه تلك النظرة السلبية ظهرت مع بعض الدارسين المحدثين الذين اعتبروه منطقا لا علاقة له باللغة، وأنكروا الكثير من أحكامه لا سيما عند علماء البصرة ذوي الكلف الشديد بالقياس. وهو يرى أن هؤلاء المحدثين يتبعون في ذلك نهج ابن مضاء القرطبي الذي اعتبروه مُجدّدا في النحو العربي.² وفي المقابل مالوا إلى ترجيح آراء الكوفيين ومنهجهم واعتباره أقرب إلى المنهج الوصفي من منهج البصرة؛ لاعتمادهم في نظرهم على السماع أكثر من

1- محمد الحباس: النحو العربي والعلوم الإسلامية -دراسة في المنهج-، المرجع السابق، ص 308

2- منى إلياس: القياس في النحو، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، ط1، 1983، ص 166.

القياس؛ فصار هذا الأخير سببا للطعن في أصالة النحو العربي واتهامه بالمنطق اليوناني. وفي هذا يقول (علي زوين): "وجنوحهم عن اتباع التأويلات البعيدة والتوجيهات المتكلفة والإمعان المنطقي وتعديلهم القواعد حتى تتبع المسموع، وتفسيرهم النصوص القرآنية والنصوص اللغوية الأخرى تفسيراً لا يكاد يخالف الظاهر... ثم بناء كثير من أحكامهم على القراءات التي سبق للبصريين أن أكرهوا جانباً منها على قبول معنى خاص هدفوا إليه، وأبعدوا جانباً آخر لأنه استعصى على الخضوع لقواعدهم وأبعد في الخروج على تأويلاتهم، ثم التماس ذلك في أقوال أئمتهم وأعمالهم ووجد أنهم يلتزمون الدقة فيه."¹ ولكننا نجد الدكتور (محمد الحباس) مُدركاً لمراحل تطور الدرس النحوي؛ ويملك قدرة الردّ ودحض الشبهات والانتقادات التي طالت جهود النحاة العرب الأوائل بالدليل العلمي، ويدافع عن التراث النحوي العربي وأصالته، فنراه ينكر هذا الزعم ويراه باطلاً لا أساس له من الصحة ويقدم الأدلة العلمية على ذلك؛ فمن جهة يرى أن السبب الذي جعل هؤلاء الدارسين يثورون ضد القياس النحوي هو تبنيهم لمبادئ اللسانيات الحديثة ومنهجها الوصفي الذي لا يعنى بتعليل الظواهر اللغوية؛ والذي يراه الدكتور هو أن الوصف مرحلة من مراحل الدراسة العلمية على قدر كبير من الأهمية، إلا أنه ليس المرحلة الأخيرة بحيث يعقبها الافتراض والاستنتاج والتعليل. وهو بالضبط المنهج الذي اتبعه النحاة العرب القدماء بكثير من الإبداع في القياس لذا فهم أهل سبق وتفوق في الدراسة العلمية للغة.² مما يدل على أن العرب كانت لهم عبقرية وإبداع في تعاملهم مع الظواهر اللغوية وكان لهم منهج علمي دقيق وأصيل في دراسة اللغة، ولم يجانب الدكتور الصواب في هذا الطرح ذلك أنه من المعلوم أن المنهج هو العلامة الفارقة والسمة المميزة للدراسة العلمية الحسنة. هذا من جهة، ومن جهة أخرى يرى الدكتور (الحباس) أن طبيعة النحو كعلم لا يمكن تصورها دون قياس الذي يعتبر الأصل الثاني من أصوله، والمرحلة اللاحقة لجمع اللغة. يقول عبد

1- علي زوين: منهج البحث اللغوي بين التراث وعلم اللغة الحديث، دار الشؤون الثقافية، بغداد، العراق، د. ط. ، 1986، ص 15.

2- محمد الحباس: النحو العربي والعلوم الإسلامية -دراسة في المنهج-، المرجع السابق، ص 322

اللطف البغدادي في شرح الخطب النباتية: "اعلم أن اللغوي شأنه أن ينقل ما نطقت به العرب ولا يتعداه، وأما النحوي فشأنه أن يتصرّف فيما ينقله اللغوي ويقيس عليه.¹ فهل كان سيقوم هذا الصرح اللغوي لولا إعمال العقل وخاصة آلة القياس على المادة اللغوية الثرية التي جمعها الرواة؟

أما فيما يتعلق بنفضيل بعض الدارسين المحدثين لمنهج الكوفيين لاعتمادهم على السماع أكثر من القياس -حسب ظنهم- عكس ما فعل البصريون الذين أكثروا من الأقيسة مما أبعدهم عن الدراسة الوصفية؛ فقد رأى (محمد الحباس) أيضا أنّ حكمهم هذا عار عن الصحة وبعيد عن الدقة والإنصاف، وأنه نابع من عدم الاطلاع الدقيق على التراث وعلى العجلة وعدم الروية والتبصر، ذلك أنه في نظره أن البحث الحصيف والتمحيص الدقيق في التراث وإطالة النظر فيه وإعمال الفكر يثبت بما لا يدع مجالاً للشك "أن البصريين-في حقيقة الأمر- هم الذين احترمو السماع، لما قسموه إلى مطرد وشاذ، فقاسوا على الأول، ومنعوا القياس على الثاني، وليس الكوفيون الذين سوا بينهما فكثرت الخلط في نحوهم.² وهو لا ينكر ميل البصريين إلى القياس واعتدادهم به، وميل الكوفيين إلى السماع، ولكنه يرى في منهج البصريين رغم ذلك أكثر دقة وعلمية لأن الكوفيين لشدة اعتمادهم على الرواية عمدوا إلى القياس على الشاذ والنادر وهو ما لم يفعله البصريون؛ يقول: "الشائع عن البصريين أنهم كانوا يعتقدون كثيرا بالقياس ويؤولون الشاذ المخالف لأقيستهم، هذا إذا كان الشاذ غير مطرد عن العرب الفصحاء لأن للقياس عندهم قوة تضاهي قوة السماع. أما الكوفيون فإنهم كانوا يعتقدون كثيرا بالسماع، ولذا نجدهم يكثر من القياس على الشاذ والنادر، فكثرت الفروع في مذهبهم، واضطربت أقيستهم، ومع ذلك فإننا نجد من العرب المحدثين من يقف إلى جانبهم، متهمين البصريين بالابتعاد عن طبيعة الدراسات النحوية، والولوج في الدراسات المنطقية والفلسفية...، والحق أن البصريين كانوا في بعض الأحيان يشتتون في تأويل السماع المخالف للقياس، ومع ذلك فإن منهجهم أقرب إلى الروح العلمية من

1- نقلا عن: أحمد أمين: ضحى الإسلام، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، ط10، د. ت، ج 2، ص 289.

2 - محمد الحباس: النحو العربي والعلوم الإسلامية -دراسة في المنهج-، المرجع السابق، ص 355

منهج الكوفيين.¹ وهذا يدلنا على سمة هامة من سمات الدرس اللساني عند محمد الحباس وكثير من اللسانيين الجزائريين، فهم وإن كانوا لا يجرون أقلامهم كثيرا ولا نعثر لهم على مؤلفات عديدة إلا أنهم لا يجرون أقلامهم إلا وقد أجموها بلجام الموضوعية، ولا توجه مؤلفاتهم إلى المطابع إلا وقد طبعت بطابع الرصانة والموضوعية. فنحن نجد أن الباحث (محمد الحباس) لم يكن سطحيا في معالجته لهذه القضايا وإنما كان حريصا على الدقة، ولم يتصدى للموضوع وهو بهذه الأهمية إلا وقد تسلح بالزاد الذي ينبغي لكل باحث، ونقصد بذلك الاطلاع العميق والتمحيص الدقيق على التراث والرؤية والتبصر، وإطالة النظر وإعمال الفكر فيه. وهو مأمكته من أن ينفذ إلى دقائق التراث العربي ويقف على دقة نظريته التي خفيت قيمتها على كثير من الباحثين المشاركة.

وقد وقفنا على هذه السمة وهي العمق في التحليل والتفاد إلى دقائق النحو العربي الأصيل في ثنايا البحث، ففي نفس الباب نجده يدافع عن التعليل الذي طالته هو الآخر الكثير من الشبهات التي لا أساس لها من الصحة، حيث يرى أن التعليل من خصائص العلم، مهما كان نوعه، ولا يمكن لأي علم من العلوم أن يتجرد من التعليل كظاهرة عقلية فطرية بشرية، فكيف يتجرد منها عباقرة وفطاحل كالخليل وسيبويه ومن نحا نحوهما من المتقدمين. فهل يعقل أن يطلب من الخليل ألا يعلل للظاهرة اللغوية التي يتناولها وهو العالم الذي تُعلم عبقريته؛ ولا يخفى تفكيره العقلي السليم ومنهجه العلمي الدقيق في تعاطيه مع اللغة، فهذا دليل الباحث للرد على موقف بعض هؤلاء الدارسين العرب المُحدّثين الضيق من علل النحاة القدماء، المبني على ضيق المعرفة بمنهجهم - حتى رموهم بالتكلف في العلل النحوية وتبني العلل المنطقية والفلسفية، على نحو يناهز بها عن طبيعة اللغة المبنية على السليقة السليمة البسيطة - فعنده العلة شرط لازم من شروط العلم الصحيح، ومرحلة لا بد منها للباحث الحق، فلا يصح الاكتفاء بالوصف، كما يرى بعض هؤلاء الوصفيين المحدّثين، إذ الوصف ليس المرحلة الأخيرة ولا الوحيدة في الدراسة العلمية الحقيقية؛ بل تقوم على الملاحظة

1 - محمد الحباس: النحو العربي والعلوم الإسلامية - دراسة في المنهج -، المرجع السابق، ص 381-382

والفرض والتحليل والاستنتاج، وهذا هو المنهج الذي اتبعه الخليل ومن معه ممن قاموا بواجب الحفاظ على اللغة وحظوا بشرف العلم الحق.¹ يقول في هذا الصدد -بكثير من الموضوعية والرصانة-: "كل علم لا بد أن يكون عقليا، لأن العقل هو وسيلة العلم، وليس كل تفكير عقلي هو من جنس المنطق اليوناني، فإذا نحن انتقدنا النحاة القدماء على استعمالهم للعقل في دراسة اللغة، فماذا نريد منهم؟ أيمن أن يدرسوا اللغة دون استعمال العقل، ودون استعمال التعليل؟ ولكن الذي ينكر على بعضهم خلطهم بين التفكير المنطقي اليوناني وبين التفكير العلمي الذي يجب أن ندرس به اللغة -لأن طبيعة اللغة تختلف كل الاختلاف عن طبيعة المنطق الصوري اليوناني- أما إنكار التعليل مطلقا أو القياس، أو استعمال الأدوات العقلية في دراسة اللغة، فهذا عين الخطأ الذي يجب أن نتجنبه كل التجنب."²

-في ذات السياق الذي دافع فيه الباحث عن أبواب التراث النحوي العربي (القياس والعلة) نلمس فهم الباحث العميق لا للتراث فحسب وإنما فهمه للظاهرة اللغوية عموما ولطبيعة الدراسات التي تتناولها بما في ذلك الدراسات اللسانية الغربية الحديثة، بل وفهمه لطبيعة العلوم بصفة عامة، فهو إذ يقول: "الظاهرة اللسانية ليست بالبساطة التي يظنها بعض الناس، بل هي من أعقد الظواهر التي خلقها الله في الكون، ومهما يكن من أمر، سواء كانت الظاهرة اللسانية بسيطة أو معقدة، فإنه يجب التفريق بين ممارسة المتكلمين لهذه الظاهرة، وبين دراسة العلماء لها، ولا نطلب من العالم أن ينظر إليها ببساطة كما ينظر إليها المتكلم الذي يمارسها في كل حين بطلاقة ويسر. والذي يطالبه هؤلاء الدارسون هو عدم الغوص في أعماق التحليلات والتعليقات اللغوية بدعوى عدم التعسف والتكلف، فلماذا لا يقولون القول نفسه عن العلوم الأخرى التي تغوص في أعماق الظواهر الطبيعية والإنسانية؟!."³ يُقدّم لنا دليلا كافيا ومفحما على فهمه للظاهرة اللغوية وتعقيداتها وحاجتها إلى آليات متعددة لوصفها، ويقف موقفا

1 - محمد الحباس: النحو العربي والعلوم الإسلامية -دراسة في المنهج-، المرجع السابق، ص 435

2 - نفسه، ص 439

3- نفسه، ص 443 - 444

إيجابيا مؤيدا لتوجّه الأسلاف، في وجه الكثير من الدارسين المحدثين الذين يصرون على موقف الناقد والرافض المتعسف لتعليلات النحاة القدماء، بسبب اعتبارهم فكرة العلة فكرة فلسفية منطقية وافدة من حضارة اليونان التي انتقل منطقتها إلى المتكلمين والفقهاء ومنهما إلى النحاة، وأنها تتنافى وطبيعة اللغة وطبيعة البحث فيها ووصفها والتأصيل لها. ووجه دفاع الباحث يقوم على ضرورة التفريق والتمييز بين العلل النحوية والعلل الكلامية والمنطقية "إن الذي يجب أن ينتقد ليس هو التحليل أو التعليل في حد ذاته، وإنما تطبيق مناهج علم بحذافيرها على علم آخر... أما الاشتراك في ظاهرة التعليل مع احتفاظ كل علم بخصائصه، فهذه نظرة سليمة لا محالة، لأن النحو - إن نزعنا منه التعليل الذي هو لب القياس وركنه الركين - لم يبق منه شيء، لأن النحو كله قياس والقياس ركنه المكين العلة والتعليل".¹ فما أعمق نظرة الباحث، وما أعمق فهمه للدرس العربي الذي استعلق فهمه على غيره ممّن أجروا أقلامهم بالنقد دون تبصّر.

-من أصوب ما دافع به (الأستاذ الحباس) عن جهد الأوائل من النحاة العرب وعن عبقرية الدراسات اللسانية التراثية ضد الانتقادات التي وجهت في باب العلة النحوية والتي تدور في معظمها حول نسبتها إلى منطق اليونان وفي أحسن الأحوال نسبتها إلى علماء الأصول وتقليد الفقهاء الذين أخذوا هم الآخرين عللهم عن اليونان بحيث لا يتصور هؤلاء التفكير المنطقي إلا عند اليونان وكل تفكير منطقي عند العرب إنما هو من طريق اليونان وهذا ينافي الصواب إذ إن العقل البشري ليس محصورا في المنطق اليوناني، والتفكير العقلي ليس حكرا على أمة دون سواها خاصة بالنسبة إلى أمة كالأمة الإسلامية التي حرر القرآن تفكيرها ومنحها الأدوات العقلية السليمة وحثّها على استخدامها وصاغ لها نماذج - تزخر بها نصوص القرآن الكريم والسنة المشرفة - في القياس والتعليل يسيرون وفقها، وعليه فالصواب -حسب الباحث وكما أثبت بالدليل العلمي- أن العلل الفقهية بدأت بذورها في عهد النبوة بعيدا عن شوائب المنطق اليوناني، وكذلك الشأن بالنسبة للعلل النحوية ظهرت في وقت مبكر يغلب عليه صفاء

1- محمد الحباس: النحو العربي والعلوم الإسلامية -دراسة في المنهج-، المرجع السابق، ص 444

الفكر،¹ متأثرة بالعلل الفقهية لكن دون التقليد العقيم الذي يشير إليه البعض، وهذا هو اتجاه البحث الذي ما فتى الباحث يشير إليه من بداية بحثه بل جعله الغاية التي جعلها نصب عينيه وسعى إلى إثباتها بما لا يدع مجالاً للشك من الأدلة وهذا الاتجاه نلمسه من خلال قوله صراحة: " أثر العلوم الإسلامية في النحو العربي لا ينكره أحد، وخاصة أصول الفقه، ولكن هذا لا يعني أن النحاة العرب كانوا مجرد مقلدين لعلماء الأصول أو الكلام، تقليداً لم يتضح ولم يصل إلى المستوى المطلوب - كما يزعم بعض الناس - بل إن الذي نعتقده أن النحاة تأثروا بالفقهاء في مناهجهم - خاصة في مسألة التعليل - إلا أنهم أبدعوا في ذلك إبداعاً كبيراً، يضاهاي إبداع الفقهاء والأصوليين أنفسهم، ولم يكونوا مجرد مقلدين قاصرين. والذي حصل في الحقيقة تأثر متبادل بين العلوم الإسلامية عامة، لأن حلقات العلم كانت تقع في المساجد، فكانت سبباً في احتكاك الشيوخ والطلبة على حد سواء."²

5.1. المضمون اللساني: من خلال الأبواب والفصول التي ضمها الكتاب؛ والتي لم تتعدى السماع والقياس والعلة والإجماع واستصحاب الحال...، نستطيع أم نحدد بيسر المضمون اللساني للكتاب؛ إذ إن هذه العناصر هي الأسس التي قام عليها النحو الخليلي، والأركان التي ضبط بها النحاة اللغة العربية وحددوا خصائصها وقوانينها. فهذه هي أصول النحو العربي وأدلتها. وعليه فكتاب محمد الحباس هو كتاب في أصول النحو، بل هو معلّم مميّز في هذا العلم التراثي، إذ إنّه مرجع يُيسّر للباحثين الحصول على المعلومات الدقيقة حول كل أصل من أصول النحو العربي، ويعرض له آراء جُلّ النحاة العرب الأوائل. ونقصد بأصول النحو: العلم المختصّ بدراسة أدلة النحو الإجمالية من حيث أدلته، والكيفية التي يتم الاستدلال بها، والحال المستدل بها.³ وهذا العلم هو أحد علوم اللغة العربية الشهيرة والمهمة، لأنّه يهتم بكلّ ما يضبط الأمثلة الجزئية من قواعد كلية وأدلة إجمالية، وكل ما يتعلّق بها من الكيف وحال المستدل

1 - محمد الحباس: النحو العربي والعلوم الإسلامية - دراسة في المنهج -، المرجع السابق، ص 438

2 - نفسه، ص 440

3 - جلال الدين السيوطي: الاقتراح في علم أصول النحو، المصدر السابق، ص 13.

بها. وهو العلم الذي يعوّل عليه في "إثبات الحكم على الحجّة والتعليل، والارتفاع من حضيض التقليد إلى يفاع الاطلاع على الدليل".¹

والجدير بالذكر أن هذا العلم وإن كان عريقاً؛ وألفت فيه العديد من الجواهر قديماً وحديثاً؛ إلا أنّ عمل (محمد الحباس) يعدّ من أجود الرسائل والكتب في بابها، إذ إنه عمل لا يخلو من الجدّة والعمق؛ خاصة باهتمام الباحث بالمنهج العلمي الذي كان لعلماء النحو العرب، وتأثرهم فيه بعلماء الإسلام بعيداً عن فلاسفة اليونان من جهة، وتفردهم وترفّعهم عن التقليد المطلق بالحفاظ على خصوصية علوم اللغة من جهة أخرى. ولاشك أنه لا سبيل إلى معرفة عمق الدراسات اللغوية العربية القديمة من غير الوقوف على المنهج العلمي المتّبّع. ولذلك يُعدّ هذا الكتاب بحق إضافة ثمينة في ميدان الدراسات العربية عامة والدراسات الجزائرية خاصة، لأنّ فيه ما يروي ظمأ الباحثين عن أصالة الدرس النحوي العربي، وما يُشبع نهم المُنقّبين عن دور الخليل وسيبويه والرضي وابن جني وأبي علي الفارسي وغيرهم في التأسيس للدرس النحوي الأصيل على منوال العلوم الإسلامية وبعيداً عن التأثيرات الأجنبية. فكانت تلك الإحاطة بمناهج العرب في علوم اللسان وطُرُقهم التي ساروا عليها في تعاملهم مع المسائل اللغوية هي لبّ الكتاب، الذي لم يخلُ من إشارات الباحث المتعددة إلى سمات المنهج الوصفي في تعامل النحاة العرب مع الظاهرة اللغوية، وهو المنهج الذي تُقرّه وتبهاه به الدّراسات اللسانية الغربية الحديثة.

وقد كان عمل الباحث غاية في بساطة الأسلوب وسلاسته، وغاية في الوضوح والتنسيق، تَعَضُّدُه الموضوعية، والطّرح المنهجي، والعمق في فهم الظواهر وتحليلها، والدقّة في الأحكام، وحشد الأدلة والحجج للإقناع باستعمال المقارنة التي برع فيها من خلال تتبّع الفروق والتشابهات وتتبّع الصّلات التاريخية والعلاقات الحميمة بين علوم العرب الدينية واللغوية. والميزة في هذا أنّه لم يجعل النظرية اللغوية العربية

1- أبو البركات الأنباري: الإغراب في جدل الإعراب ولمع الأدلة في علم أصول النحو، تح: سعيد الأفغاني، دار الفكر، بيروت، ط2، 1971، ص80.

مجرد نظرية تمثل تاريخ الإنسان العربي ويكون الاعتداد بها بدوافع ذاتية؛ وعلى نحو من الانغلاق، ولم يجعل النحو العربي كما يتّهمه البعض لا يخرج من دائرة الإعراب، بل قدّمها على أنّ نظرية العرب الأوائل نظرية علمية دقيقة ومتكاملة، تحوي مادة ثرية لا يستغني عنها لا العربي ولا غيره ممّن يروم الدراسة العلمية للغة.

6.1. الاتجاه اللساني: يظهر اتّجاه الباحث من خلال العنوان (النحو العربي والعلوم الإسلامية) والمضامين والمفاهيم التي عالجهما: (السماع، القياس، العلة، الاستحسان...)، ومن خلال الأعلام الذين تحدّث عنهم: (ابن جني، السيوطي، ابن الأنباري...)، ومن خلال المصادر والمراجع التي اعتمد عليها. كما يظهر من خلال تصريحاته المباشرة بنزعته التراثية ومن خلال تحديده لدوافع البحث... ومن خلال اطلعنا وعرضنا لكل مايتعلّق بهذا الكتاب تبين لنا وثبت أنّ صاحبه يدور في فلك التراث فقط. وتفصيل ذلك:

- من خلال جملة المضامين التي ضمّتها البحث؛ وهي كما هو واضح من العنوان والمتن معا بحث في المنهج؛ منهج الدّرس اللساني عند العرب، وفيه عمد الباحث إلى الدّفاع عن منهج العرب القدماء وعن سبقهم في ميدان الدراسات اللسانية والعلمية للغة. ونفى عنهم تُهم التقليد والاستعارة عن الفلاسفة والمناطق اليونان؛ التي تنسب إليهم من قبل بعض الدارسين المحدثين من العرب والمستشرقين؛ الذين يزعمون تبنّيهم المنهج الوصفي العلمي. وكانت غاية الباحث تبرئة نحو العرب المتقدّمين من صلته وتأثره بالمنطق اليوناني؛ من خلال إثبات صلته بالعلوم الإسلامية الأخرى التي نشأ معها كالفقه والحديث. وقد وُفق أيّما توفيق في تقديم الدليل على أنّ العلوم الإسلامية كلها؛ فقها وحديثا وأصولا ونحوها؛ نشأت واكتملت عربية محضة وإسلامية خالصة، بعيدة عن التأثير بمنطق أرسطو الذي لم يطلّها إلا بعد نضجها واكتمالها. يدُلّ على ذلك ما سرده من دلائل علمية وقرائن موضوعية لا يعترّيها الشك ولا تشوبها الذاتية، تحيل كلها إلى الصلّة التي لا غبار عليها بين العلوم الدينية والعلوم اللغوية. وأول هذه الدلائل الفرق بين المنهج العربي الإسلامي الأصيل الذي يعتمد على الفكر والقياس الإجرائيين، وبين المنهج اليوناني المبني على الفكر التأملي الفلسفي. وهذه

الصلة الوشيجة والعلاقة الوطيدة التي أثبتتها الباحثة هي دليله على أصالة النحو العربي وعبقريته علمائه؛ وهي المبرر الذي غفل عنه هؤلاء الدارسون المحدثون حين رموا الدرس النحوي العربي بالتقليد للمنطق اليوناني، إذ إنها سبب نضجه في تلك الفترة الزمانية القياسية التي ينكرها ويستغريها بعض الدارسين. ومن جهة أخرى سار الباحث في طريق تبرئة الدراسات اللغوية العربية من التقليد المطلق لمنهج الفقهاء والمُحدّثين والأصوليين، وقد توسّل لهذه الغاية: التفريق بين النحو العربي والعلوم الإسلامية الأخرى في كثير من المناحي التي لا يمكن إنكارها بحال من الأحوال.

ومن الملاحظات القيّمة التي وقفنا عليها في هذا البحث أن صاحبه يُلحّ على التمييز بين النحاة المتقدمين والمتأخرين؛ باعتبار النحاة الأوائل القدوة في الدراسة المبدعة والأصيلة، ويُمثّل لهم بكتاب سيويه أولاً وغيره من كتب القرون الأولى، ويعتبرها الأنموذج الأرقى للنحو العربي الأصيل، ومثال خصوبته واستقلالته؛ التي تتجلى في التحليلات العميقة، والتعليقات القيّمة، والقياسات الإجرائية الخالية من الأثر الأرسطي؛ ومن التقليد التام لمناهج العلوم الإسلامية. لذلك يتعيّن أن ينطلق منها كلّ تحليل وكل حكم ويعتمد عليها وإلا يُعدّ ناقصاً ومُشوَّهاً، وذلك لما شهدته الدراسات اللسانية العربية فيما بعد من تشوّهات؛ لا يصحّ اعتمادها منطلقاً للحكم على جهود اللغويين الفطاحل الأوائل ولا صورة معبرة عن نحوهم الذي نَحَوْا.¹ فنزعة الباحثة هذه الواضحة للدفاع عن التراث؛ دليل بيّن على اتجاهه في ميدان الدراسات اللسانية وهو الاتجاه التراثي؛ الذي لم يكن خافياً في ثنايا البحث. وهو ما تبيّناه وبينناه غير ما مرّة في ما سبق من هذا البحث.

ومن الملاحظات أيضاً أنّ (محمد الحباس) تبنى الوجهة التراثية لا إنكاراً للدراسات اللسانية الغربية الحديثة، وإنما إنصافاً للتراث في وجه أولئك الذين راحوا يردّدون مقولة تأثر النحو العربي بالمنطق الأرسطي من الدارسين المعاصرين من العرب والغرب كقول أنيس فريحة: "لا شكّ أنّ أثر المنطق الإغريقي (مقولات أرسطو

1- محمد الحباس: النحو العربي والعلوم الإسلامية -دراسة في المنهج-، المرجع السابق، ص 440، وص 450

على وجه التخصيص) ظاهر في نوحنا وصرفنا.¹ كما عابوا على النحاة العرب إفراطهم في القياس وهو الأصل الثاني من أصول النحو العربي لارتباطه بالمنطق؛ يقول تمام حسّان: "إن النحويين خالفوا طبيعة اللغة القائمة على التواضع والعرف الاجتماعي حين استعملوا الصوغ القياسي وسيلة منهجية في دراسة اللغة، في حين هي عملية تتصل بمن يستعمل اللغة لا بمن يبحث فيها"² ويُعدّ الأستاذ -عبد الرحمن الحاج صالح- أشهر المدافعين والمنافحين عن أصالة الفكر النحوي عند العرب لاسيما المتقدمين منهم، وقد عمل جاهدا على تبرئتهم من هذا الوسم العاري عن الدقة والدليل العلميين، وقد وضع لذلك كتابا خاصا سماه (منطق العرب في علوم اللسان) يدافع فيه عن استعمال العرب الأوائل؛ الذين يصفهم بالعابرة لوسائل تحليلية تقوم على العقل في بحوثهم حول اللغة، ويدحض حجج القائلين بأن هذه الأصول العقلية مستقاة من منطق اليونان أولا؛ والاتهام هنا موجه إلى علماء البصرة أكثر من غيرهم لأنهم أكثر اعتمادا على القياس الذي اشتكوا من غموضه هو الآخر؛ أو أنه تقليد لمنطق الفقهاء في أصولهم، وهو ما ينفيه الحاج صالح عن النحاة الأوائل الذين أرسوا دعائم الدرس النحوي والعربي واعتنوا بنموه وتطوره ليخرجه على النحو البديع الذي جعله مثار جدل إذ كيف يكتمل وينضج على ذلك النحو من الإبداع في هذا الطرف القصير دون اعتماد على درس آخر سابق.³ والواضح أن الأستاذ (محمد الحباس) يقتفي أثر أستاذه (الحاج صالح) ويسير وفق خطاه ويتبنى اتجاهه في الدفاع عن التراث اللغوي العربي؛ إذ ألفتناه يسعى من خلال بحثه إلى إثبات أصالة المنهج والفكر عند النحاة العرب الأوائل ويبطل دعوى صلتها بالمنطق اليوناني، من خلال إقامة الدليل على أنها متأثرة بمنهج علماء الإسلام من محدثين وفقهاء وأصوليين. إلا أنه يُثبت الفروق بينهما التي ترجع أساسا إلى طبيعة كل علم ليثبت من جهة أخرى عدم التأثير المطلق والتقليد المحض لعلماء الإسلام. وهو يعرض وجهة نظره هذه بالأدلة العلمية التي يقيمها على

1 - أنيس فريحة: في اللغة العربية وبعض مشكلاتها، دار الثقافة، بيروت، لبنان، د.ت، ص 9

2 - حسان تمام: اللغة بين الوصفية والمعيارية، عالم الكتب، القاهرة، ط 2000، ص 34

3 - عبد الرحمن الحاج صالح: منطق العرب في علوم اللسان، دار موفم للنشر، الجزائر، 2012، ط 1، ص 7

عصب اعتبار النحو العربي جزءاً من العلوم الإسلامية، وواحداً منها يتفق معها في ظروف النشأة والغاية؛ وهي خدمة الكتاب والسنة ولغتهما. ويُرجع هذا الوسم -التأثر بالمنطق الأرسطي- إلى نقص الدراية بالتراث العربي وقلة الاطلاع على مختلف جوانبه؛ في حين لا يمكن بحال من الأحوال فهم النحو العربي فهماً دقيقاً إلا بالنظر إليه في بيئته التي نشأ فيها التي لا تتفصل عن العلوم الإسلامية الأخرى، التي ترعرعت ونضجت في جو واحد وزمان واحد، بل إن العلماء أنفسهم كانوا متزامنين ومتجاورين، يأخذ بعضهم عن بعض، حتى إن الواحد منهم يكون مُحدّثاً أو مُفسّراً ويكون نحويًا في الآن ذاته أو العكس، ولا يستثنى من ذلك أعلام النحو العربي من البصريين والكوفيين كسيبويه الذي كان في بداية أمره طالباً للحديث؛ وأبي عمرو بن العلاء اللغوي والنحوي، وهو في الوقت نفسه أحد القراء السبعة المشهورين، وكذلك كان الكسائي؛ إماماً في النحو وأحد القراء السبعة.¹

فهذه الصّلات والتفاعلات في نظر الباحث تثبت ظاهرة التأثير والتأثر في المنهج الذي سار عليه علماء الإسلام، بما فيهم النحاة، وإذا ثبت أن النحو العربي يتفق معها -العلوم الإسلامية- في المنهج ثبت الفرق بينه -النحو- وبين منهج المنطق اليوناني الأرسطو طاليسي الذي يُتَّهم به؛ من منطلق أن العلوم تخضع لمنهج واحد في الحضارة الواحدة، ويؤثر بعضها في بعض. ذلك أن أهم حجة اعتمد عليها القائلون بالتأثر من المستشرقين، أمثال ألبير مركس، هي كيفية نشأة علم جديد على يد أبي الأسود في تلك الفترة المبكرة، وسرعة نضجه واكتماله، في فترة لا تتجاوز القرن مما يعني أنها لم تتطلق من العدم وإنما انطلقت بالاستناد إلى نحو آخر هو النحو اليوناني. واعتمد الباحث في وجهته هذه على آراء (الحاج صالح) الذي انبرى للتصدي لهذه الدعاوى بالأدلة العلمية معتمداً على الربط بين الظاهرتين النحوية والإسلامية عند العرب المسلمين، فكما تكونت الأمة الإسلامية والحضارة الإسلامية في فترة قياسية غير عادية بالقياس إلى باقي الأمم والحضارات، فكذلك النحو العربي ذلك أن الإسلام أيقظ عقول العرب فتفتقت أفكارهم وتبحروا في العلوم، كما أن أبا الأسود الدؤلي لم

1 - محمد الحباس: النحو العربي والعلوم الإسلامية -دراسة في المنهج-، المرجع السابق، المقدمة، ص 1

يخترع النحو كله، إنما وضع بعض المبادئ البسيطة له، وقد كان هو وغيره من علماء عصره أهلاً لذلك. فإذا ثبتت هذه الصلة، ثبت أن النحو العربي عربي إسلامي صميم، لا علاقة له باليونان إلا بعد نضجه واكتماله أي بعد دخول المنطق اليوناني إلى الفكر الإسلامي عامة.¹

- ومن خلال تصريحاته التي لم يفتأ يُبدي بها توجّهه التراثي بين الفينة والأخرى، وقفنا على قوله في مقدمة بحثه أنّ عمله لبنة "تنفض الغبار عن تراث لغتنا العظيم الذي أكلت عليه السنون، وأصبح عند الكثير منّا نسياً منسياً، خاصة وأن شبابنا قد ولّى وجهه شطر الغرب الذي أنساه نفسه وماضيه وجذوره."² فهذا إقرار صريح منه بأنّه يَمّ وجهه شطر التراث متشبهاً بأصالته وإبداعه. كما صرّح بوجهته التراثية من خلال تحديده لبواعث اختيار موضوعه؛ بأنها الكشف عن الصلات والوشائج القوية التي تربط النحو العربي بالعلوم الإسلامية، وغايته من ذلك هي المنافحة عن التراث العربي وتبرئته من صلته بمنطق أرسطو التي وسمه بها الكثير من الدارسين - المستشرقين والعرب- من بداية نشأته إلى عصر نضجه واكتماله.

وهذا الذي كان يسعى إليه الباحث وهو من صميم دفاعه عن التراث وصميم تبنيه للاتجاه التراثي في الدراسات اللسانية وهو ما توصل إليه في نهاية دراسته إذ يقول في خاتمة بحثه: "وقد قمنا بإثبات هذه العلاقة -علاقة النحو العربي بالعلوم الإسلامية الأخرى- بطريقة علمية لا يرقى إليها الشك، وبيّنا أن التفريق بين النحو العربي والعلوم الإسلامية الأخرى لا يمكن بحال، ولهذا فلا عجب أن ينضج النحو العربي في فترة قياسية، لأنه جزء من العلوم الإسلامية التي نضجت هي الأخرى في فترة زمنية قياسية. هذا من جهة، ومن جهة ثانية بيّنا الفرق بين المنهج العربي الإسلامي الذي يعتمد على الفكر الإجرائي، الذي يتجلى في القياس عند المسلمين، وبين المنهج اليوناني المبني على الفكر التأملي الفلسفي، وخلصنا إلى نتيجة، وهي أن

1- عبد الرحمن الحاج صالح: منطق العرب في علوم اللسان، المرجع السابق، المقدمة، ص 43.

2- نفسه، ص 7

العلوم الإسلامية -ومنها النحو العربي- نشأت واكتملت إسلامية خالصة، ولم تتأثر بمنطق أرسطو إلا بعد نضجها واكتمالها.¹

كما تردّد في بحثه كثيرا العبارات الصريحة التي تظهر دفاعه عن التراث اللغوي، وعن أصالته، وعن القيمة العلمية العظيمة لجهود اللغويين والنحاة العرب القدامى؛ لا سيما الأوائل منهم، وهو ما يبدو من خلال قوله: "أن هذه العلوم تختلف عند القدماء عنها عند المحدثين، فهي عند القدماء تتسم بالأصالة والإبداع، ثم هي عند المتأخرين تتسم بتأثرها بالمناهج الدخيلة عليها، وكذا بميلها إلى التقليد الأعمى. ويظهر هذا جليا في دراستنا هذه حول علاقة النحو العربي بالعلوم الإسلامية قديما وعند المتأخرين ابتداء من عصر الجمود والتقليد، حيث نجد هذه العلاقة عند المتقدمين -والتي وضحها ابن جني في الخصائص- تتسم بالأصالة عند الطرفين، ومراعاة طبيعة كل علم، أما عند المتأخرين من أمثال ابن الأنباري والسيوطي، فقد أخذوا مناهج علماء الإسلام وطبقوها حرفيا على النحو العربي."¹

والخلاصة أنّ الأستاذ (محمد الحباس) من خلال هذا الكتاب تراثي في توجّهه اللساني، ومفتخر بالدّرس النحوي القديم، إلا أنّ من اللّطائف التي لمسناها عنده أنه لا يرفض اللسانيات الغربية الحديثة برمتها. وأتته غير منغلقة على التراث ولا مُعرض عن الحداثة. وخطابه اللساني يمتاز بالوسطية والاعتدال والإيجابية والموضوعية والتميز والتفوق أيضا؛ في منهجه القائم على الاعتداد بالتراث والانتصار له دون التتكر للدراسات اللسانية الحديثة أو الطّعن فيها. ولا غرو أنّ في هذا كثير من الصّواب والحصافة. وعلى هذا فإنّ التوجّه التراثي لم يكن غريبا على الباحثين والدارسين الجزائريين الذين تمتد جذور مساهماتهم في حقول المعرفة المتنوعة، والعلوم والدراسات المختلفة لاسيما الدينية والأدبية واللغوية منها. كما تمتدّ جذور تمسّكهم بالتراث العربي الأصيل. ولا ريب في هذا إذ إنّ للجزائريين بصمتهم العلمية الخاصة والواضحة في تاريخ العلم التي تنطق عنها المضامين والمناهج وآليات البحث في

1 - محمد الحباس: النحو العربي والعلوم الإسلامية -دراسة في المنهج-، المرجع السابق، المقدمة، ص 3.

مؤلفات وآثار الكثير منهم قديما وحديثا؛ والتي تظهر سمات التميز والتفرد في التلقي والقراءة والمقاربات والنتائج العلمية دونما كثير بحث أو حثيث سعي للكشف عنها، وهو ما يرجع ولا شك إلى طبيعة المجتمع الجزائري وظروفه التاريخية.

2. الاتجاه الحداثي:

سبق أن أكدنا أن نقصد بأصحاب الاتجاه الحداثي في الجزائر فئة الباحثين الذين بذلوا جهودا كبيرة في توطيد الدرس اللساني الغربي الحديث من خلال متابعة ونقل كل ما يستجدّ في مجال اللسانيات الغربية الحديثة، دون أن نشتم في ذلك رفضا لما يزخر به التراث العربي من مبادئ علمية عند التعاطي مع الظاهرة اللغوية. وإذا كان لا يمكن تحديد اتجاه باحث لساني من خلال مؤلف واحد من مؤلفاته أو من خلال فترة واحدة من مراحل حياته العلمية، إلا نستطيع القول أنه يُمثّل هذا الاتجاه في الجزائر عدد كبير من الباحثين؛ نذكر منهم على سبيل المثال لا الحصر: سعدي زوبير¹، حنفي بن عيسى²، جيلالي دلاش، سالم شاكر، دليلة مرسللي، كمال نافع، مختار نويوات خولة طالب الإبراهيمي³.... وقد لاحظنا في خلال بحثنا أنه كانت أعمال رواد هذا الاتجاه إسهاما حقيقيا وإثراء للدرس اللساني الجزائري وللغة العربية. وسيكون الكتاب الذي اخترناه أنموذجنا للدراسة وهو كتاب خولة طالب الإبراهيمي (الجزائريون والمسألة اللغوية) مثلا صادقا عن هذه الفئة من الباحثين الجزائريين. الذين شكّلت أعمالهم سمة مُميّزة للدرس اللساني الجزائري.

1.2. تقديم: التعريف بالكتاب: هذا الكتاب هو جزء من الأطروحة الجامعية الأكاديمية التي قدمتها الباحثة لنيل شهادة الدكتوراه في الآداب والعلوم الإنسانية بجامعة **ستندال Stendhal** بمدينة غرونوبل Grenoble الفرنسية؛ تحت إشراف

1- سعدي الزبير: العلاقات التركيبية في القرآن الكريم، إشراف محمد بلقايد، بحث مقدم لنيل دكتوراه دولة، جامعة الجزائر، 1989.

2- حنفي بن عيسى: -مساهمة في دراسة في دراسة قضايا اللغة والتواصل؛ دراسة وصفية سلوكية، بحث مقدم لنيل شهادة دكتوراه، 1970.

-محاضرات في علم النفس اللغوي، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، ط6، 2011.

3 - K. Taleb- Ibrahimi : Les Algeriens et leur (s) Langue (s) , Dar El - Hikma, Alger, 1997 , Alger

الأستاذة (لويز دابان Louise Dabène). ولقد نوقشت هذه الأطروحة في أكتوبر 1991م. وقد قامت الباحثة ببعض التعديلات الشكلية وبعض المراجعات وإعادة النظر في بعض المعلومات لتكون مطابقة للواقع في زمن صدور الكتاب، ولم تكن تلك التعديلات مؤثرة على المضمون والتوجه الأول للكتاب. صدرت الطبعة الأصلية باللغة الفرنسية في عام 1994 عن دار الحكمة، والطبعة الأولى باللغة العربية عن ذات الدار عام 2007. ينقسم المؤلف إلى قسمين ويتوزع -في الطبعة الثانية من النسخة العربية- على حوالي ثلاثمائة وأربعين صفحة (340) صفحة ويتضمن خمسة وستين (65) عنوانًا ما بين ثانوي وأساس، إضافة إلى مقدمة وشكر وتبنيه، وبعض الهوامش والإحالات والملحقات.

2.2. عنوان الكتاب: العنوان عند صاحبه في النسخة الأصلية باللغة الفرنسية Les Algériens et leur(s) langue(s) بمعنى: الجزائريون ولغتهم أو ولغاتهم. وقد عمد (محمد يحياتن) -رحمه الله- إلى ترجمته إلى العربية على النحو السابق: (الجزائريون والمسألة اللغوية)¹ فهي ترجمة بحسب المعنى لا ترجمة حرفية بحسب الكلمات مفردة مفردة؛ وتتفق الدراسات القديمة والحديثة على أن الترجمة الحقيقية هي التي تتم بحسب المعنى، وهي الترجمة التي توحى بفهمه لمضمون الكتاب بمنظور اللساني المتخصص واللغوي المتمكن؛ والمترجم البارِع والمحتك إذ إن لفظة المسألة أنسب من كلمة: ولغته (م) فهي أدق وأعمق وأشمل في الدلالة على المحتوى إذ إن كلمة (مسألة) توحى بأن هناك قضية معقدة وشائكة وأن هناك إشكالية، وهو فعلا ما يطرحه الوضع اللغوي في الجزائر الذي تقصته الباحثة في كتابها ووقفت فيه على أنه واقع يطرح عديد الأسئلة اللسانية والاجتماعية؛ انطلاقا من ممارسات الناطقين الجزائريين الذين تجري على ألسنتهم العربية بتنوعاتها، والمازيغية بلهجاتها، والفرنسية الموروثة عن الاستعمار والقائمة بعد خروجه. ويرجع ذلك إلى تمكن المترجم من ناصية اللُّغة التي يترجم إليها- العربية- وطرائق التعبير بها، وإتقانه للغة التي يترجم عنها-الفرنسية؛ كما يرجع إلى

1-خولة طالب الإبراهيمي: الجزائريون والمسألة اللغوية -عناصر من أجل مقارنة اجتماعية لغوية للمجتمع

الجزائري، تر: محمد يحياتن، دار الحكمة، الجزائر، ط 2، 2013.

طول باعه في الممارسة اللسانية التي أكسبته خبرة ودراية بالموضوع؛ وإحاطة وتخصّصا في المادة العلمية المنقولة - اللسانيات - باعتباره أحد أعمدة الجامعة الجزائرية وأستاذ من أساتذتها في علوم اللغة وبخاصة اللسانيات بمختلف فروعها، فعلاوة على أنه مترجم هو باحث ولساني مهتم بمسألة اللغة في المجتمع، واللغة وتعليمها، فقد اعتنى في رسالته للدكتوراه بدراسة استعمال العربية النمطية في الوسط التحضيري وخارج المدرسة؛ من وجهة نظر ديداكتيكية حديثة.¹ فهو بحق أستاذ ذو قدرات علمية لسانية خصوصا ولغوية لا يرقى إليها إلا القليل؛ فنقل المعنى دون الإخلال به وبركائزه الأساسية، بل باختيار أفضل الألفاظ وأنسبها وأدقها بأمانة علمية فائقة وهي الملاحظة التي لا نعدمها في المتن أيضا. ممّا جعلنا نعتمد على النسخة المترجمة في اطمئنان تام.

3.2. مضمون الكتاب (ملخص): ينقسم الكتاب إلى قسمين:

1.3.2. القسم الأول: الواقع السوسيو لساني للجزائر: تطرح من خلاله

الدكتورة سؤال الهوية اللغوية في الجزائر وتسعى إلى معالجة إشكالياتها المختلفة، لتقدم وصفا علميا سوسيولسانيا لتركيبية الناطقين الجزائريين وممارساتهم اللغوية. ولأن هناك علاقة تفاعلية بين الاختيارات التعليمية والثقافية والغايات السياسية، ولأن المواقف والتوجهات التي تسعى إلى فرض هذا المشروع الاجتماعي أو ذاك إنما تتبلور في صلب المدرسة؛ عمدت الباحثة إلى الحديث عن اللغة العربية في النظام التربوي الجزائري، وطرح قضية تحديد المعيار والسلطان الرمزي للغة في المجتمع الجزائري.

وبعيدا عن العناوين الجزئية المتعددة التي اشتمل عليها القسم الأول من

كتابها، فقد أجمالناه في محورين هامين هما:

- خطاطة وصفية جديدة للواقع السوسيو لساني الجزائري.
- اللغة العربية في النظام التربوي الجزائري.

1- mohammed yahyaten : Etude de l'usage de l'arabe standard en milieu pri-scolaires et extra-scolaires l'implication didactiques, 1985

1.1.3.2. الخطاظة الوصفية الجديدة للواقع السوسيو لساني الجزائري:

حيث توصلت إلى خطاظة وصفية جديدة نابعة من استقرائها للوضع اللغوي السائد في الجزائر، وهو واقع وصفته الباحثة بالمتعدّد والمعقّد جدّا، ومردّد ذلك عندها هو وجود عدة لغات أو تنوعات لغوية (variétés linguistiques) متعايشة في الجزائر نظرا للتعاقب اللغوي الذي مر بها أثناء الفترة الاستعمارية، والتداخل والتشابك الاجتماعي الكائن فيها والمتعايش بين أفرادها، وهو ما يُجسّده الاضطراب الذي يميز ممارسات الناطقين، إذ لكلّ فئة من المجتمع تصوراتها ومجالات استعمال أثناء الكلام، وغيرها من التناوبات والتعاقبات التي يتناولها أبناء الجزائر وما ينجم عنها من ظواهر لسانية من مثل: التعاقب أو التناوب اللغوي (code switching) الناجم عن الانتقال من لغة إلى أخرى أثناء الكلام؛ والاقتراض (l'emprunt) وغيرها من ظواهر الاحتكاك اللغوي كالثنائية والازدواجية.⁽¹⁾ إذ كشفت أنه ليس للجزائريين لغة موحّدة، وأنّ الوضع اللغوي في الجزائر يطبعه التعدد والتنوّع الذي يتحقق "عندما تجتمع أكثر من لغة في مجتمع واحد أو عند فرد واحد ليستخدما في مختلف أنواع التواصل."⁽²⁾ والتنوعات اللغوية التي تشكّل التعدّد اللغوي هي: اللغة العربية التي انتقلت مع أقدام الفاتحين الأوائل وترسخت بترسيمها بصفة دائمة على أنها اللغة الرسمية للبلاد، ولها ثلاثة مستويات: الكلاسيكية والفصيحة والعامية، الأمازيغية بكل تفرعاتها وهي اللغة الأصلية واللغة الأم لفئة معتبرة من الجزائريين، والفرنسية كإرث تاريخي أو حصيلة ظروف تاريخية معروفة وكواقع وممارسة موجودة فعليا على ألسنة المتكلمين ومُعبرة عن احتياجاتهم في مختلف السياقات. وهنا يتضح لنا ربط الباحثة بين اللغة والمجتمع ولا شك أن هذا الربط هو الذي يمكن من التعامل السوي مع هذا الواقع المتعدد، وتصرّ الباحثة بادئا ذي بدء على الاعتراف أولا بهذا الواقع والتسليم به.

وتفسّر الباحثة هذا الوضع اللغوي بالحراك التاريخي المتواصل الذي شهدته

1 - خولة طالب الإبراهيمي: الجزائريون والمسألة اللغوية، المرجع السابق، ص 13

2 - Jean dubois et autre: dictionnaire de l'inguistique, paris, larousse, 1973 , p 368

البلاد؛ والمتمثل في توافد شعوب وأقوام وأعراق مختلفة على المنطقة تركت كلها بصماتها على لغة الجزائريين وهويتهم. وتعتبره نسقا تكتنفه الكثير من التأثيرات على الساحة الفكرية والاجتماعية والكثير من التّحديات الآنية والمستقبلية. لأنه تعدد مشوب بصراع لغوي يُلقي بظلاله التفكيكية على نسيج المجتمع ؛ يوشك أن يتحول في عصر العولمة إلى شاهد على ضياع اللغة العربية وانحسارها خاصة في المحافل السياسية والاقتصادية. وهو صراع يأخذ بعدين: أحدهما داخلي بين الفصحى والعامية (الازدواجية) والثاني خارجي بين الفصحى واللغة الأجنبية (الثنائية اللغوية).

وقد صنفت الباحثة هذه التنوعات اللغوية حسب توزيعها في البيئة الجزائرية إلى ثلاث دوائر على النحو الآتي:

1.1.1.3.2. دائرة يكثر فيها استعمال العربية: وهي الدائرة الأكبر من حيث العدد والأوسع من حيث الانتشار باعتبار الجزائر رقعة جيوسياسية وحضارية عربية؛ والعربية هي لغتها منذ أيام (عقبة بن نافع). فهي ترى أنّ فترة الفتح كانت الفترة التمهيديّة لاستقرار اللغة العربية وثقافتها بالمغرب بسبب ترسيم اللغة العربية لغة رسمية للدولة والبلاد ومن ثم إقبال السكان على تعلمها. كما تذهب الباحثة إلى حركة التعريب هذه وإن كانت شاملة وسريعة إلا أنها كانت طوعية حيث إن المازيغ قد تقبلوا الفتوحات الإسلامية دون أزمة ضمير؛ أو تعصّب أو رفض لها؛ ذلك أن العرب الفاتحين قد عربوا البلاد عندما كفّوا عن ممارسة سلطانهم المباشر وهو ما يأنف منه البربر؛ ليصبح المغرب في جُلّه مقاطعة نائية تابعة للعروبة.¹

ويحمل التنوع اللغوي الأول في الجزائر تسميات عديدة ومنها: عربية كلاسيكية، (arabe classique) وعربية أدبية (arabe littéraire) واللغة العالمية (Savante) وهي تسميات أوردتها الباحثة ولكنها رأت فيها سمات اختزالية تقليصية لذلك استعاضت عنها بتسمية العربية الكلاسيكية؛ وهي الفصحى كما دونها وقعد لها اللغويون والنحاة والبلاغيون ما بين القرن الأول والرابع الهجريين. وهي التي تتصف بانتظام قواعدها

1 - خولة طالب الإبراهيمي: الجزائريون والمسألة اللغوية، المرجع السابق، ص 14

النحوية والتراكيب المرموقة التي تزخر باللطائف اللامتناهية وسعة مفرداتها؛ وهي اللغة المعيارية المشتقة sunomée. وهو التنوع الذي شهد استمرارية واستقراراً منقطعي النظر عبر الأزمنة والأمكنة وهو ما لم تشهده أي لغة أخرى وترجع ذلك إلى فضل القرآن في المحافظة على صفائها وسلامتها المستمرين، وهذا التنوع المعيارى لا يستخدم إلا في السياقات الرسمية الإجلالية ذلك أن اللغة الكلاسيكية هي لغة ثقافة لا لغة استعمال يومية وهذا شأنها منذ فترة طويلة في الجزائر وفي غيرها من البلدان العربية.¹

وينبثق عن هذا التنوع تنوعات لهجية تختلف عن اللغة المعيار الرفيعة المكتوبة من حيث سقوط الحركات الإعرابية ومن حيث الاختلافات الصوتية والصوتية الوظيفية (Phonologiques)؛ وهو التنوع الذي يستخدمه الناطقون الجزائريون في المشافهة ويمثل اللغة الأم لأغلبية الشعب الجزائري. وهو يتوزع وفق المعيار الجغرافي اللساني الصّرف إلى أربع رقع؛ شرقية وغربية ووسطى وصحراوية، ووفق المعيار الاقتصادي الاجتماعي يتميز تنوعان لهجيان أحدهما ريفي وآخر حضري.⁽²⁾

وبين التنوع الأول-الكلاسيكية- والتنوع اللهجي انبثق تنوع لغوي (تنوعات لغوية) يحتل مكانة وسطى بينهما وهو ما يدحض الخطاطة الكلاسيكية المتداولة في وصف الواقع اللغوي الجزائري القائم على فرضية الثنائية. وتُرجع الباحثة انبثاق هذا التنوع الأوسط في سلوك الناطقين الجزائريين وواقعهم المعاصر إلى بداية القرن الماضي وتكنولوجياته؛ فهو نتاج التطور الطبيعي للغة عبر العصور. وهذا التنوع هو ما يسمّى (العربية الحديثة) أو (العربية الفصحى المشتركة) أو (العربية الوسطى = arabe médian)؛ وهي لغة وسائل الإعلام والنقاش السياسي ووعاء الأدب المعاصر. وهي مغايرة للعربية القديمة، إذ إنها وسطٌ بين حدين اثنين فهي من جهة وفيّة للأنماط الصرفية والتراكيبية التي تنطوي عليها العربية الكلاسيكية ومن جهة أخرى تتماشى مفرداتها والعالم الرّاهن، لذلك فهي أنموذج قابل للتوحيد في الفضاء العربي كله.

1 - خولة طالب الإبراهيمي: الجزائريون والمسألة اللغوية، المرجع السابق، ص 15 وما يليها.

2 - نفسه، ص 18-19

وتفضّل الباحثة مصطلح (العربية الفصحى النمطية) (arab standar) وتراه أكثر دلالةً وحصافة. والعربية الحديثة في مستواها الصوتي أكثر تأثراً باللغات والخصوصيات المحلية، وفي مستواها الإفرادي أكثر تأثراً بالتطوير التحديثي القائم على ظاهرتين لسانييتين هما: ظاهرة التوليد (néologie) سواء عن طريق التكييف الدلالي للكلمات العربية القديمة أو عن طريق ابتكار ألفاظ جديدة باستثمار ميزة العربية الاشتقاقية، وظاهرة الاقتراض اللغوي (l'emprunt). وفي مستواها التركيبي أكثر حفاظاً على الإعراب والقواعد الأساسية من ناحية؛ فهي ترتفع عن اللهجات، ولكنها من ناحية أخرى تتطوي على معايير أقل صرامة عن العربية الكلاسيكية في الوفاء للقواعد الأساسية لذلك فهي أكثر مرونة في الاستعمال.¹

2.1.1.3.2. دائرة يكثر فيها استعمال البربرية: ترى الباحثة أن اللهجات البربرية هي أقدم اللغات الأصلية في الجزائر واللغة الأم لجزء غير محدود من السكان، وأنها تتحصر في دائرة المشافهة ولم تحظ بالتقعيد. وهي تتوزع على مساحة جغرافية واسعة من جرجرة إلى أوراس إلى الهقار إلى ميزاب... وترى الباحثة أن هذه اللهجات تفتقد إلى الاعتراف وترزح تحت الهيمنة والتهميش الصارخين.⁽²⁾ ويلاحظ هنا أن الباحثة لم تتوسع في تفصيل الحديث عن البربرية إلا أنها تبدي اعترافاً لا يشوبه شك على اعتبارها جزءاً من المشهد السوسيو لساني في الجزائر على غرار اللهجات العربية.

3.1.1.3.2. اللغات الأجنبية: علاوة على وجود آثار لاسبانية، والإيطالية والتركية أدت إلى الاقتراض اللغوي الإفرادي الذي تم إدماجه في الاستعمالات اليومية دون أن يحدث تغييراً ذا بال في المشهد اللغوي للبلاد. إلا أنّ اللغة الفرنسية هي أكثر اللغات الأجنبية بقاء وتأثيراً في الجزائر؛ وقد فرضها المستعمر باضطهاد العربية ونشر لغته بالقوة، حتى أمست العربية المكتوبة غير إجرائية في عالمها الخاص ومقصاةً ومهمشةً في عقر دارها - باستثناء المجال الديني-. أما بعد الاستقلال؛ فقد تعاضم استعمال

1 - خولة طالب الإبراهيمي: الجزائريون والمسألة اللغوية، المرجع السابق، ص 21-22

2 - نفسه، ص 25

الفرنسية على نحو مفارق، فالنُخبَة قد تَنَقَّطَ بالفرنسية ممّا وسم المدرسة الجزائرية في أطوارها المختلفة بالازدواجية اللغوية إلى غاية عام 1978 تاريخ تطبيق المدرسة الأساسية المُعرَّبة تماما. وتاريخ 1988 - 1989 لتعريب الطور الثانوي. ليسجل تراجع منزلة الفرنسية في التعليم دون تراجع استخدامها في الحياة الاجتماعية والاقتصادية والإعلامية. إذ ظلت بعض القنوات الإذاعية والتلفزيونية وأغلب الجرائد اليومية والأسبوعية كالمجاهد، النّصر، المساء تتطق بالفرنسية.¹

وقد توصلت الباحثة من خلال عرضها لعدد الملاحظات والأرقام فيما يتعلق بمكانة اللغة الفرنسية إلى أن: "الفرنسية تتأرجح بين منزلة اللغة الثانية ومنزلة اللغة الأجنبية ذات الامتياز، والتي يتنازعها التُّكران الرسمي وتعاضم سلطانها الرمزي وواقع استعمالاتها."² إذ نلّفي هذه اللغة في بعض الدوائر امتيازاً ومفخرة، ويعاب على الناطق تكسيروها بينما لا يعاب عليه تكسير العربية، ونلاحظ أن الباحثة لا تخفي في هذا السياق دفاعها عن العربية كلغة رسمية وأولى في كل المجالات خاصة التعليم، وترى أن مشكلة العربية في الجزائر هي مشكلة تصورات ونزعات إيديولوجية مجحفة غير علمية وغير دقيقة؛ وتدعو إلى تطويرها وتطوير تعليمها والتعليم بها، وتلح على اعتبارها لغة حية قادرة على مسايرة التطور الحضاري والعلمي وتلبية كل الحاجات التبليغية والتواصلية وترفض اتهامها بالضعف والقصور وحصر وظيفتها في نطاق ضيق يقتصر على الجانب الديني والأدبي والشعري القديم. وترى في هذا الصدد أن المشكلة في الناطقين وسلوكاتهم السلبية والانهازمية تجاه لغتهم وليس في اللغة في حد ذاتها إذ إن اللغة تحيا بحياة أهلها واهتمامهم بها في إنتاجاتهم الفكرية والإبداعية.

لذلك نُلفيها تتساءل عن طبيعة الازدواجية اللغوية في الجزائر؛ حيث لا تُنكر أنّ المجتمع الجزائري مزدوج لأن فيه لغتين مختلفتين -العربية والفرنسية- مستعملتين على نحو من الاحتكاك الدائم. لكنّ هذا الطرح في نظرها يُقاصُّ حقل

1 - خولة طالب الإبراهيمي: الجزائريون والمسألة اللغوية، المرجع السابق، ص 26 وما يليها

2 - نفسه، ص 35

الازدواجية، ويقصُرهُ على الازدواجية في النظام التربوي بين العربية والفرنسية باعتبارهما اللغتان المكتوبتان. وإن كانت المدرسة حسب ما يُثبتهُ الواقع لا تُخرج مزدوجي اللغات، بل أناسا ذوي كفاءة لغوية دنيا، لا يحسنون اللغتين معا. وهي تنتظر إلى الازدواجية من حيث ما يطبع علاقة هاتين اللغتين من صراع وتنافس وسلطان، مما يجعل إحدى اللغتين تنتقل من منزلة اللغة المُهيمنة إلى منزلة اللغة المُهيمن عليها. فهي تعمل على تناول قضايا الثنائية والازدواجية في الجزائر في إطار علاقات الهيمنة والسلطان الرمزي وهو التصور الديناميكي الذي يقترحه علم الاجتماع اللغوي ويقوم على قطبية إشكالية بين لغة مُهيمنة ولغة مُهيمن عليها على نحو من الصّراع والاستقرار، فإما أن تحل اللغة المفروضة محل اللغة المُهيمن عليها وإما أن يسعى ناطقوها إلى توحيدها ومحاربة نزعات الاندماج.¹

- أقدم سيرورة للهيمنة الرمزية الدالة على صلة اللغة المهيمنة باللغة المهيمن عليها هي تلك التي تشي بها العلاقات بين اللغة العربية الكلاسيكية وجميع التنوعات اللهجية وحتى العربية الحديثة على نحو من الاستهجان والرفض والسعي إلى تثقيف السكان كافة بالنماذج المُهيمنة، إلا أن اللهجات قاومت دائما المعيار المهيمن، ولم يكفّ الجزائريون أبدا عن استخدامها فلا يمكن إلغاء اللهجات المغاربية والعربية المختلفة؛ لأنها راسخة في المجتمع، ولا يمكن فرض العربية الفصيحة داخل البيوت. وفيه خلصت الباحثة إلى أن الواقع القائم في الجزائر في هذا المضمار يحجب واقع الثنائية في واقع السلوكات والاستعمالات اللغوية كون الصراع السوسيولساني في القطبية العربية: عربية كلاسيكية أو عربية فصحي مشتركة في مقابل العامية صعب المعاينة إلا على مستوى التصورات الذهنية لا في الممارسة اليومية الفعلية.²

- المستوى الثاني الذي اهتمت به الباحثة يُقابل بين العربية باعتبارها النموذج المهيمن والبربرية باعتبارها النموذج المُهيمن عليه، وهذا

1 - خولة طالب الإبراهيمي: الجزائريون والمسألة اللغوية، المرجع السابق، ص 44 وما يليها

2 - نفسه، ص 49 وما يليها.

المستوى ترجمان نموذجي للظاهرة السوسiolسانية التي تقوم على فكرة الهيمنة وإحلال لغة محل أخرى في الاستعمال من قبل غالبية السكان، وفيه تشتغل العلاقة الثنائية بشكل بيّن باعتبار اللهجات المازيغية البربرية في الواقع الجزائري تهيم عليها العربية ولهجاتها بما تخضع له من تهيمش وعدم الاعتراف الرسمي بها وانحصارها في مستوى المشافهة دون خضوعها للتفعيد والتوحيد وتصنيفها ضمن اللهجات الممجوجة رغم اتّساع رقعتها الجغرافية.¹

- العلاقة الثالثة: هي التي تتجلى من خلالها فكرة الهيمنة بوضوح ويتعلق ذلك بعلاقة الهيمنة العنيفة التي نشأت عن الفرض الاستعماري imposition واللامساواة بين اللغة العربية كلغة مُهَيَمَ عليها واللغة الفرنسية المُهَيَمَ. إذ إن هذا الصراع اللغوي الناشئ عن الاستعمار لم ينفذ ولم يمحّ غداة الاستقلال بسبب قوة الهيمنة وضربها في أعماق المجتمع الجزائري واكتساحها حقل السلطة، وما ترتّب عنها من إقصاء وسلب واستبخاس للغة المهيمَ عليها التي يكاد يقتصر تداولها في المجال الديني في مقابل إعلاء شأن اللغة المُهَيَمَ مع أنها أجنبية حتى أمست لدى الشعب لغة الحياة عينا وقانونيا محلّ العربية. وينبئ واقع الحال في الجزائر على مفارقة طريفة في علاقة العربية بالفرنسية فيما يتعلق بفكرة الهيمنة إذ إنّ العربية تأخذ صفة المهيمَ في الخطابات الإيديولوجية بينما تأخذ صفة المهيمَ عليه في العالم الاقتصادي وسوق العمل وحتى الحياة اليومية.²

عادت الباحثة ووقفت على أن الفرضية القائلة بالثلاثية التي قدمتها بديلا للثنائية غير كافية وغير دقيقة. لأنّ الواقع اللغوي ينمّ عن انبثاق نموذج لا ذي قطبين (الثنائية) ولا ذي ثلاثة أقطاب (ثلاثية). بل نموذج أكثر تعقيدا وأكثر اتساعا وأكثر مرونة وتكيفًا مع ظروف التخاطب؛ مما يؤكّد الفرضية القائلة بالاستمرارية اللغوية؛ التي تقوم في سلوك الناطق الجزائري باستعمال التنوعات المختلفة في وضع واحد؛

1 - خولة طالب الإبراهيمي: الجزائريون والمسألة اللغوية، المرجع السابق، ص 52 - 53

2 - نفسه، ص 54 - 59

حيث ينطلق من الاستخدام الفصيح جدا (الكلاسيكية) أي المعيار المشتط بامتياز، إلى العربية الفصيحة إلى الاستخدام الأقل خضوعا للمعيار أي اللهجات.¹

2.1.3.2. اللغة العربية في النظام التربوي الجزائري: لاحظت الباحثة من خلال وصفها للسياسات والممارسات التعليمية في مجال تدريس العربية في النظام التربوي الجزائري؛ أنه شهد تغييرا جذريا بالانتقال من تعليم اللغة العربية كلغة مُدرّسة، إلى التعليم باللغة العربية كلغة للتدريس. ممّا جعل العربية تستعيد مكانتها بعد الاستقلال ببطء. إلا أنّ المعيار المختار للنظام التربوي الجزائري هو العربية الكلاسيكية الماثلة في النص القرآني ونصوص كبار الأدباء العرب الكلاسيكيين. وهي ترى هذا المعيار مشتطا؛ فرض من قبل المُعَرِّبين بالاستناد إلى السلطان الرمزي الذي تحظى به العربية الكلاسيكية لدى الناطقين الجزائريين لارتباطها بالنص القرآني، واعتبارها اللغة الرسمية للدولة. وقد اعتبرت المعياريين "الحُرّاس الغلاة لأداء الجزل" و"حماة المعيار المُقدّس" لأنهم يُلحّون على أنّ العربية الكلاسيكية هي النموذج الوحيد الواجب اعتماده في تعلّم العربية الجزلة في الحياة اليومية والاجتماعية، على نحو غير قابل للنقاش.²

وقد توصلت الباحثة من خلال تحليلها السوسiolساني للممارسات التعليمية في المنظومة التربوية الجزائرية إلى جملة من النتائج المهمة؛ منها:

- طغيان المقاييس الأخلاقية والجمالية في تكريس المعيار المُشتطّ في الممارسة التعليمية، وفي مراحل التعليم المختلفة للمدرسة والجامعة الجزائريتين.

- المعيار المشتط له آثار على مردود النظام التربوي؛ إذ يتّسم تدريس العربية بالطابع التقليدي السوكولاستيكي scholastique ويتأتى ذلك من خلال اختيار نصوص غير محفزة نائية عن واقع المتعلم. واعتماد الطريقة الإلقائية التقليدية المعيارية البعيدة عن الدرس اللساني الحديث في تلقين دروس النحو؛ مما جعل المدرسة الجزائرية عاجزة عن تخريج ناظقين متمكّنين من بناء خطاب منسجم متماسك.

1 - خولة طالب الإبراهيمي: الجزائريون والمسألة اللغوية، المرجع السابق، ص 60 وما يليها

2- نفسه، ص 121 وما يليها.

- طريقة التدريس التقليدية المرتبطة بالمعيار المُشتطَّ تُحفّز اشتغال الثنائية اللغوية في المجتمع الجزائري، حيث تتسع الهوة بين العربية الكلاسيكية؛ التي تظلُّ عربية شعرية أدبية حبيسة الماضي؛ وبين اللغات الأجنبية التي تحظى بطرائق حديثة لتعليمها.

- من الناحية السوسiolسانية المعيار المختار في التعليم الجزائري -العربية الكلاسيكية- لا هو اللغة الأم للجزائريين؛ ولا هو لغة أجنبية عنهم باعتبارهم يستخدمونها من خلال اللهجات؛ وهذا الوضع يؤدي إلى الإفكار اللغوي والثقافي وتقليص مكتسبات المتعلم قبل مرحلة التّمدرس، بتجريده من لغته الأم واستبدالها بلغة بعيدة عن روح عصره. مما يؤدي إلى قطيعة منهجية بين المدرسة وواقع المتعلم في حين أن وظيفة المدرسة هي تزويد المتعلم بلغة وظيفية تستجيب لحاجاته التعبيرية؛ وهو ما أفضى إلى ما وصفته الباحثة بـ (المصادرة اللغوية) التي تعتبرها السبب الأساس في ضعف المستوى والعجز عن استعمال اللغة.⁽¹⁾

- ونفس الآثار لاحظتها الباحثة على مستوى التعليم العالي؛ إذ إن الأساتذة الجامعيين المُكفّين بتعريب الجامعة الجزائرية يسلكون الأنماط التقليدية في التعليم، ويفتقرون إلى الطرائق البيداغوجية الحديثة للتدريس. ممّا ينفّر الطّلبة، ويُسبب القطيعة والانفصال بين اهتمام الطالب واللغة التي يتلقاها، حيث لا يتلقى سوى رصيد من المفردات العربية التي تتأى عن المصطلحات التقنية ولا تتصل بتخصّصه وتوجّهه التقني، مما يدفعه إلى الانصراف عن هذا التعليم الذي يراه عاجزا عن تأهيله للعمل في اختصاصه باللغة الوطنية، وهو ما يحول دون تحقيق الغاية المنشودة من تعريب التعليم الجامعي. علاوة على نقص تكوين أساتذة العربية الذين هم في الغالب حاملون لشهادة الليسانس في اللغة العربية وآدابها، وتلقوا برنامجا يغلب على محتواه المواد الأدبية على حساب المواد اللغوية التي تنحصر هي الأخرى في المواد التراثية من نحو وبلغة بعيدا عن المواد اللغوية واللسانية الحديثة.

1 - خولة طالب الإبراهيمي: الجزائريون والمسألة اللغوية، المرجع السابق، ص 146 - 149

وخلاصة ذلك كلّه حسب الباحثة أن تدريس العربية في الجزائر بحاجة إلى مقارنة منهجية جديدة تستجيب إلى توجهات اللسانيات الحديثة من حيث الطرائق والوسائل؛ وتفاعل الأبعاد اللغوية والنفسية والاجتماعية والتاريخية. ويتأتى ذلك من ضرورة اعتماد سياسة لغوية تستند إلى تخطيط تربوي وممارسات تعليمية تقوم على رؤية إجرائية شاملة للغايات المنوطة بتدريس اللغات عموما والعربية خصوصاً.¹

2.3.2. القسم الثاني: التعريب من حيث هو أساس السياسة اللغوية للجزائر

جنحت فيه الباحثة إلى الحديث عن مسار التعريب الذي انتهجته الجزائر منذ الاستقلال، وتحليله من منطلقات سياسية واجتماعية واقتصادية. فعرضت لأهم المحطات التي مرت بها هذه العملية وأهم الهيئات التي تولتها، والنصوص القانونية واللوائح التشريعية التي سنّت لبلورة السياسة المتبناة؛ دون أن تغفل الصراع الذي نشب بين النخبتين المعربة والمفرنسة وأثره على سير العملية. وكذا أثر الاندفاع واللاتخطيط الذي غلب على السياسة الجزائرية وما لهما من أثر في فشل سياسة التعريب.

وبعيدا عن العناوين الجزئية المتعددة يقوم هذا القسم من الكتاب على

محورين هامين هما:

- تحديد مفهوم التعريب ومساره في الجزائر.
- التعريب عملية تعليمية.

1.2.3.2. مفهوم التعريب: يتخذ التعريب في المشرق معنى استكمال كلمات جديدة لكل ما يُستجدّ من المفاهيم، في حين يتخذ في بلدان المغرب التي تحملت أعباء اللغة الأجنبية وآثارها ومنها الجزائر مفهوماً أوسع؛ يقترن بالحرص على تعديل السلوكات اللغوية للناطقين وتشجيع ممارسة العربية في التبليغ والتواصل والتعليم والإدارة وربطها بالتقدم الاقتصادي والثقافي، واسترجاع مكانتها وتطويرها وتوسيعها، والتمكين لها وبسطها في ميادين الحياة المختلفة، وإحلالها محلّ لغة المستعمر المسيطرة، والتأكيد

1 - خولة طالب الإبراهيمي: الجزائريون والمسألة اللغوية، المرجع السابق، ص 150 وما يليها.

على أنها أداة تعبير إبداعية ووظيفية وتقنية وحدائية قادرة على التعبير على المتطلبات المتنامية؛ وسمة من سمات استرجاع الهوية والشخصية الوطنية واستكمال الاستقلال والتحرر من هيمنة الاستعمار الثقافية واللغوية. فالتعريب مرادف للعودة إلى الأصول واسترجاع الهوية والماضي التليد للعربية.¹ مما يقتضي تبني العربية لغة تخاطب وتواصل وسيادة اللسان العربي وشموله كل مناحي الحياة الاجتماعية والسياسية والفكرية. وتعريب الشخص لا يقتصر على مجرد تزويده بالقدرة على استخدام جميع وجوه الرصيد اللغوي، بل معناه الانتقال به من مستوى من مستويات الدراية بالعربية إلى مستوى آخر يكون مساويا لمستوى مواطنيه الذين يحذقون ويجيدون هذه اللغة. من الوجهة العملية يعني ذلك أن يتمكن الفرد من العربية تمكنه من الفرنسية.² فيتقنها ويتقن قواعدها وتكون له القدرة على استعمالها في السياقات المختلفة.

هذا التصور المغاربي للتعريب كان أساس السياسة اللغوية الجزائرية، وهو ما جعل القائمين على التعريب في الجزائر ينحون منحى مركزيا قائما على توحيد الاستعمالات اللغوية في حيز واحد؛ هو حيز النموذج اللغوي والمعياري الوحيد المشتط المعترف به؛ وهو العربية الكلاسيكية باسم تصور اجتماعي توحيدي لقضية اللغة في البلاد؛ وهو تحديد ينطوي على تعصّب.³ وقد رأت أن هذه السياسة في التعريب كانت سبيل إقصاء وتهميش اللهجات المحلية المختلفة. وولدت صراعات متعددة. حيث سعت السلطة إلى تعميم استعمال العربية باعتبارها اللغة الوطنية والرسمية ولم تراع التفاوت الموجود بين قاعدة في أوج التّحول وقمة تقاوم كل تغيير. فتمّ إقصاء القاعدة عن مناقشة السياسة اللغوية المنتهجة. مما جعل هذه السياسة مفروضة في حركة نازلة من القمة إلى القاعدة، لتكتسي قضية التعريب طابعا سياسيا سجاليا بعيدا عن التخطيط الذي ينبغي له؛ بسبب الممارسات الإقصائية والجامدة والمكابرة غير المتسامحة.⁴

1 - خولة طالب الإبراهيمي: الجزائريون والمسألة اللغوية، المرجع السابق، ص 182

2 - نفسه، ص 264 - 265

3 - نفسه، 185

4 - نفسه، ص 231

وتشير الباحثة إلى وجود موقفين مختلفين من طرف النخبة المثقفة إزاء سياسة التعريب المتبناة عقب الاستقلال؛ ولكل موقف حجج وخلفية ثقافية ينطلق منها وأهداف يصبو إليها. فالأول هو موقف المعرّبين التراثيين الذين يُجيدون العربية الكلاسيكية والفصحى، ويمارسون الثنائية اللغوية فصحي ودارجة، إلا أنهم يعتبرون أحاديي اللغة والثقافة تماما، ويمثلون نمط الثقافة العربية الإسلامية. والثاني موقف المفرنسين الحدائين؛ يستمدون مرجعياتهم من العالم الغربي وآلته (الفرنسية)، وهم يُعدّون مزدوجي اللغة والثقافة. وتتمثل الفروقات بين الموقفين على النحو الآتي:¹

المعربون	المفرنسون
مناصرون للتعريب يتحكمون في قواعد اللغة العربية، ويمثلون نمط الثقافة العربية الإسلامية ولهم إحساس الانتماء إليها.	متعلمون في المدارس الفرنسية أثناء الاحتلال، وفي المدارس الجزائرية بعد الاستقلال، ومتأثرون بالثقافة الغربية، ويأخذون مصادرهم من رموزها، ويتصلون بها بواسطة اللغة الفرنسية.
- يدافعون وينافحون على أن اللغة العربية هي اللغة الوطنية وهي رمز السيادة؛ وهي اللغة الأم للشعب. - يُصرون على ثراء العربية الذي يجعلها قادرة على التعبير عن جميع وجوه ومتطلبات الحياة بما فيها المستجدات العلمية والتقنية، علاوة على تراثها الغني وماضيها المجيد.	- يرفضون اعتبار اللغة العربية هي اللغة الوطنية كما يرفضون اعتبارها اللغة الأم للشعب، ويعتبرون اللهجات هي اللغات الأم، ويصرون على التعليم باللغة الفصيحة يولد ثنائية عائقة في وجه التعليم . - يرون الفرنسية أداة عمل مواكبة للتطور الحاصل في مختلف المجالات؛ والعربية عاجزة عن التعبير عن العالم الحديث وتقنياته؛ ويرفضون الحديث عن الماضي المجيد ويحتجون بعدم جدوى ذلك أمام الحاضر الصعب والمستقبل الغامض للغة العربية أمام اللغات الأخرى.
- يعتبرون الفرنسية لغة أجنبية والارتقاء في أحضانها ينبئ عن	- يعتبرون الفرنسية مكسبا تاريخيا يجب الحفاظ عليه؛ ويعتبرونها لغة الحداثة والتقنية والتفتح على

1 - Khaouala Taleb Ibrahim: Référence précédent, p76 .

الاستيلاء وفقدان الذات ويربطونها بالاستعمار والخيانة .	الآخر؛ ويربطون التعريب بالرجعية والتفريط في المكتسبات.
---	---

إلا أنها تبدي ترددا في قبول هذا التصور، لأنه يبرز من بين النخبة المعرّبة قسم مثقف بالثقافتين العربية والفرنسية، وإن كان ميالا إلى العروبة إلا أنه ينشد الحدائث والتوفيق بينها وبين التراث.¹ كما أشارت إلى تصور آخر يمثل دعاء التعريب الشامل والفوري، بحجة قدرة اللغة العربية وقدرة ناطقيها. ودعاة التعريب التدريجي المخطّط والعقلاني؛ الذين يصرون على التعريب المدروس المكيف حسب الظروف، وهو ما انتهجته سياسة الجزائر من خلال ميثاقها 1964 و1976 ومن خلال تأكيدات الراحل هواري بومدين في كل خطباته.²

وترى الباحثة أن ثنائية النظام التربوي-المعرب والمفرنس- كان سببا في تفاقم التمايز الاجتماعي، حيث كانت الفئات المتوسطة والعليا من المجتمع تُوجه إلى دراسة المواد العلمية، وباللغة الفرنسية، خاصة في العشرية الثانية من الاستقلال، أما الفئات الدنيا فكانت تدرس في الشعب الأدبية وباللغة العربية. ممّا دفعها إلى اعتبار التعريب أداة تفرقة اجتماعية تركز تهميش الفقراء الذين لا يتقنون إلا العربية.³

وهذه السياسة اللغوية الإرادية التوجيهية القائمة على التعريب باعتباره مطلباً وطنياً قديماً، وقراراً سياسياً مُجمَعاً عليه، وسمة من سمات استكمال الاستقلال وتأكيد السيادة الوطنية، سعت الجزائر إلى تطبيقها لما واجهته من مشاكل لغوية غداة الاستقلال، وهو ما يتطلب التخطيط اللغوي، والسياسة اللغوية السليمة، ولكن الجزائر قد أقبلت عليه بإرادة وبعض الارتجال؛ لذلك تذهب الباحثة إلى القول بأن: "السياسة التي اعتمدت بالنظر إلى حصيلتها- لم تتبن على التفكير العلمي العقلاني للواقع اللغوي للبلاد التي كان بالإمكان أن تفضي إلى تخطيط وتنظيم الوسائل اللغوية لتنظيمها

1- خولة طالب الإبراهيمي: الجزائريون والمسألة اللغوية، المرجع السابق، ص 73

2 - نفسه، ص 213 و 215

3 - نفسه، ص 234

أكثر تناسقا وأقرب إلى هذا الواقع.¹ وهو ما يدل على فشل التعريب في الميدان وفشل سياسته وتسييس قضيته وقضية اللغة في الجزائر؛ فلم تُخف انطباعها الموافق لانطباع مختلف الفئات والشرائح من خلال تحليلها لطبيعة التعالقات بين اللغة والمجتمع واللغة والاقتصاد واللغة والسلطة بأن قضية اللغة في البلاد يغلب عليها طابع الصراع، وأن التعريب ليس سوى خطاب موجه للجماهير لدغدغة مشاعرهما؛ في حين أن الواقع مغاير تماما يشهد انفصاما وانقسامًا؛ فالتعليم مقسم دائما إلى شُعَب (نبيلة) (بالفرنسية) ذات الصيت الاجتماعي والاقتصادي وشُعَب (دنيا) (بالعربية) ليست لها نفس المنزلة (العلوم الاجتماعية) وبالتالي تم تسخير الخطاب حول اللغة لخدمة إيديولوجيات معينة وتحول التعريب إلى وسيلة إيديولوجية للمثقفين المعربين لبسط نفوذهم والظفر بالسلطة وإزاحة النخبة المفرنسة المهيمنة وإقصائها، باستغلال السلطان الرمزي للتربية والثقافة والإعلام والعدالة.²

2.2.3.2. **التعريب عملية تعليمية**؛ تناولت الباحثة بالوصف والتحليل مناهج التعليم وطرائقه وأدواته من ناحية، ومن ناحية أخرى تحدثت عن المُكوّنين والمتعلمين؛ فتوصلت إلى أن الممارسات في تعليم العربية للكبار ضمن سياسة التعريب في الجزائر تتسم بعدم ملاءمة الطرق والمناهج والوسائل المسخّرة للغاية المنشودة، إذ إنّ القائمين على عمليات التكوين لا يصدرن في الأغلب الأعم عن أية منهجية سوى المنهجية التقليدية التي تقوم على التّعليم المعياري للنّحو، وفق تدرّجٍ منطقي وصرفي مبني على انتقاء نصوص أدبية، وهناك محو الأمية الوظيفي؛ أي تعليم العربية عن طريق النّصوص الموسومة بالوظيفية، وهنا تكون الموضوعات مأخوذة من النّصوص الكلاسيكية، كما أن هناك المنهجية السمعية البصرية.³ أما عن المُكوّنين فهم أنفسهم لم يُكوّنوا لهذه المهمة -التعريب- فهم غير مؤهلين بيداغوجيا؛ لذلك غالبا كانوا ما يسلكون سلوكات منفرة لا تتماشى وهذا الجمهور الخاص من المتعلمين. فلم يُرَاعَ

1 - خولة طالب الإبراهيمي: الجزائريون والمسألة اللغوية، المرجع السابق، ص 173

2- نفسه، ص 235 ومايليها

3 - نفسه، ص 271 - 272

التنوع بين فئاتهم ومستوياتهم بل كانوا جميعا يتلقون نفس الدروس وبنفس الطريقة يستوي في ذلك الطالب والعامل والأستاذ مما أفضى إلى اختلالات مختلفة مؤثرة على مجموع المتعلمين وبالتالي على حركة التعريب المقصودة .¹

فهذا القسم من الكتاب خصصته الباحثة للحديث عن التعريب من حيث هو أساس السياسة اللغوية للجزائر وانطلقت فيه من واقع مفاده أن الجزائر، واجهت مشكلة لغوية بسبب الاستعمار؛ فسعت إلى تطبيق سياسة لغوية توجيهية بغية استكمال الاستقلال وتأكيد السيادة الوطنية تمثلت في التعريب. وهو ما لا يتحقق إلا بالتخطيط اللغوي السليم، إلا أن الجزائر أقيمت بصفة مرتجلة تُعوّزها السياسة الرشيدة، وارتبط أكثر بالجانب السياسي والإيديولوجي واقترن دائما بهوة شاسعة بين التشريعات والخطابات السياسية وبين الواقع الفعلي الحاصل في الممارسات الفعلية. فتباينت مواقف الناطقين بين دعاة البربرية الذين يطالبون بإعادة الاعتبار للهجات البربرية لاسيما أمام سياسة التعريب والتوحيد، ودعاة الفرونكفونية الذين يخفون رغبة في بقاء الفرنسية ويرافعون من أجل الازدواجية اللغوية ويرفضون التعريب الشامل ويلعبون دورا في تسيير الحياة الاقتصادية، ودعاة التعريب الذين يُسَخِّرون عقيدة الشعب الجزائري وارتباطه الوثيق بالعربية.² ذلك الارتباط الذي يكتسي طابع التقديس تراه الباحثة إيجابيا يرد الاعتبار للعربية من جانب إلا أنه من جانب آخر له وجه سلبي يتمثل في كونه يفصح عن أن العربية: "إيجابية في صلب الشعور والمخيل الجماعيين وفي تمجيد ماضٍ تليد إزاء حاضر هو بالأحرى قاتم ومستقبل غير مأمون. ولكنها سلبية من حيث أدائها الضعيفة في عالم الشغل والتكنولوجيا حيث تظل تابعة حيال تنافس اللغات الأجنبية."³

فبعد تحديد الباحثة لمفهوم التعريب سعت لمقارنته من حيث أبعاده اللسانية والسياسية والحضارية وسردت الوقائع التي حَقَّت بمجرياته منذ السنوات الأولى من

1 - خولة طالب الإبراهيمي: الجزائريون والمسألة اللغوية، المرجع السابق، ص 277 - 278

2 - نفسه، ص 77 - 78

3 - نفسه، ص 81

الاستقلال إلى عرض عناصر من أجل مناقشة وفهم سياسة التعريب كما طبقت ومن خلال آثارها على الحقول اللسانية والتربوية والثقافية والاقتصادية والاجتماعية؛ ذلك أن الدولة لا تروم من التعريب تنزيل العربية المنزلة التي تستأهلها في المجتمع فحسب بل ترمي كذلك إلى إحداث التغيير الجذري للسلوكات اللغوية لدى الناطقين الجزائريين.

كما تناولت التعريب من حيث هو عملية تعليمية؛ المقاييس والطرائق المتبناة وعنيت خاصة بتعريب الكبار باعتبارها أكبر شريحة معنية بالتعريب. سعت الباحثة في هذا القسم إلى الإجابة عن إشكال مفاده: في أي اتجاه حصل هذا التغيير بالفعل وما هو مدهاه؟ وكيف كان صداه ووقعه على الناطقين أنفسهم؟ على أمل المساهمة في الإحاطة بالعلاقات المعقدة التي تربط الجزائريين بلغاتهم وبأنفسهم وتاريخهم وهويتهم. وعليه فقد استقرت الباحثة في هذا القسم من البحث مختلف المشاكل والمعضلات التي تطرحها سياسة التعريب في الجزائر الفتية التي باشرت السلطة غداة الاستقلال، واعتمدت على مبادئ اللسانيات لا سيما التعليمية منها في اقتراح الحلول المناسبة للمشكلة، بدءا من تدريس اللغة العربية للكبار في البلاد؛ والنظر في مختلف أنماط وطرائق وخبايا هذا التدريس، وعلاقته بالمحيط الاجتماعي والثقافي والتاريخي للمجتمع الجزائري .

4.2. تحليل ومناقشة بعض الآراء:

1.4.2. القسم الأول:

- كانت الباحثة سبّاقة في وصف المجتمع الجزائري بالمتعدّد لغويا، لأن هذا الطرح يتوافق والدرس اللساني الحديث، الذي يرى "هذه المقاربة الجديدة لظواهر التعددية اللغوية أكثر موضوعية وأكثر حصافة؛ لكونها تنظر إلى الاستعمالات اللغوية نظرة ديناميكية وواقعية، متحاشية التعميم الذي يُخلّ في الغالب الأعم بالظواهر

المدروسة.¹ وقد شرح ذلك محمد يحياتن بأنه تتعايش في الجزائر تنوعات لغوية عديدة، وسكانها يتداولون اللغة العربية بمستوياتها الفصح والعامي كما يتداولون الأمازيغية والفرنسية.²

- ذهبت الباحثة إلى أن فترة الفتح كانت الفترة التمهيديّة لاستقرار اللغة العربية وثقافتها بالمغرب بسبب ترسيم اللغة العربية لغة رسمية للدولة والبلاد ومن ثم إقبال السكان على تعلّمها. وقد دلّنا البحث في هذه المسألة أنّ صلة الجزائريين بالعربية كلغة رسمية للبلاد وكلغة للتواصل بين الأفراد والتعبير عن أغراضهم ليست وليدة عهد قريب؛ بل هي لغتهم منذ الفتح الإسلامي متجذرة فيهم متأصلة ترسّخت على ألسنتهم بترسّخ أقدام العرب في المغرب الأوسط منذ مقدّم عقبة بن نافع، واستمرت على مدى الزمن في ظل الإمارات الإسلامية المتلاحقة لغة رسمية للبلاد. فقد سارت العربية إلى هذه البلاد مع وفود المسلمين الفاتحين، ومن خلالهم استوطنت في ربوع هذا الوطن. ولا يختلف الدارسون حول ذلك لأنّ العربية هي لغة الإسلام وأداته.³ إذ إنّ أول ما بدأ نشاط هذه الحركة -تعريب المغرب وأسلمته حسب تعبير الباحثة- في أيام حسان بن النعمان الغساني... فإنه كان من الممهّدين السبيل لتقدّم الثقافة العربية واستقرار الحضارة الإسلامية بالمغرب، فدوّن الدواوين ورسم اللغة العربية فأوجب بذلك تعلّمها على السكان المسلمين وغير المسلمين⁴ وبجعلها -العربية- لغة الدولة الرسمية؛ مال الجميع إليها وأقبلوا على تعلّمها، فأمر ابن نصير العرب أن يُعلّموا الأمازيغ القرآن، وأن

1- محمد يحياتن: التعددية اللسانية من خلال الأبحاث اللسانية الاجتماعية الحديثة، مجلة اللسانيات، مجلة اللسانيات، مركز البحوث العلمية والتقنية لتطوير اللغة العربية، الجزائر، العدد 10، 2005، ص 76

2- نفسه، ص 74

3- محمود اسماعيل عبد الرزاق: الخواارج في بلاد المغرب حتى منتصف القرن الرابع الهجري، دار الثقافة، الدار البيضاء، المغرب، ط 2، 1985، ص 38

4- عبد الله كنون الحسني: النبوغ المغربي في الأدب العربي، دار الكتاب اللبناني، بيروت، لبنان، ط 2، 1960، ج 1، ص 42. و أبو عبد الله محمد بن عذاري المراكشي: البيان المغرب في أخبار المغرب، تح ومراجعة: ج س كولان، ليفي بروفسال، دار الثقافة، بيروت، لبنان، 1983، ط 3، ج 1، ص 34.

يُفقهوهم في الدين، وأن يفكّوا لهم غامضه ومُعجّمه؛ بتعريبهم وتعليمهم لغة دينهم العربية.¹ وهكذا كان انتشار العربية في الجزائر مرافقا لمجيء العرب إليها ومسايرا لجنودهم، وما إن كانت تفتح قطعة منها حربيا ويتغلغل فيها الدين الإسلامي إلا وانتشرت لغة العرب معها؛ لأنّ "الناس تبع للسلطان وعلى دينه فصار استعمال اللسان العربي من شعار الإسلام وطاعة العرب، وهجر الأمم لغاتهم وألسنتهم في جميع الأمصار والممالك وصار اللسانُ العربي لسائهم حتى رسخ ذلك لغة في جميع أمصارهم ومُدنهم وصارت العُجمة دخيلة فيها وغريبة."²

- ترى الباحثة أن تعريب الجزائر الأول كان طوعيا حيث إن المازيغ قد تقبلوا الفتوحات الإسلامية دون أزمة ضمير؛ أو تعصّب أو رفض لها؛ وهو ذات ما عبّر عنه مبارك الميلي من أنه قد كان للبربر ثورات ولكنهم "كانوا يثورون على العرب إما أنفة من أداء الخراج وإما طمعا في الاستقلال... ومع ذلك لم يفكروا ولا يوما واحدا في رفض لغة العرب وديانتهم... فبقي مؤلفوهم في التوحيد والفقّه والتاريخ يكتبون تآليفهم باللغة العربية."³ ذلك أن العرب الفاتحين قد عربّوا البلاد عندما كفّوا عن ممارسة سلطانهم المباشر وهو ما يأنف منه البربر.

- ترجع الباحثة استمرارية واستقرار العربية الكلاسيكية عبر الأزمنة والأمكنة، على نحو لم تحظ به أي لغة أخرى إلى فضل القرآن في المحافظة على صفائها وسلامتها المستمرين وهي في هذا المقام تذهب ذات المذهب الذي يذهب إليه كثير من الباحثين إذ لا يكاد يوجد من بينهم منكر لدور القرآن في حفظ العربية وحفاظها على نسقها.⁴

1 - E. levi – provençal : Extrats des historiens Arabbes du maroc , Editions Larose , Rue Victor – cousin ,Paris , 1948 , p 11

2- عبد الرحمن بن خلدون: المقدمة، دار الفكر للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، ط1، 2004، ص 396، 397

3- مبارك بن محمد الميلي: تاريخ الجزائر في القديم والحديث، تقديم وتصحيح: محمد الميلي، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، ج 2 ، ص 41.

4- عمر فروخ: القومية والفصحى، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، ط2، 1961، ص 83، 84

- أهم ما يُميّز عمل الباحثة هو نقدها للخطاطة الفرجسونية¹ الكلاسيكية المتداولة في وصف الواقع اللغوي العربي القائم على فرضية الثنائية والازدواجية، حيث رأت أنها خطاطة اختزالية وغير صالحة للتطبيق على الواقع الجزائري، وأنها تقوم على البعد الوظيفي والبنوي وتحكم على الوقائع بالثبات والحياد، ولذلك فقد وُقِّعت في دعوتها إلى ضرورة تخطّيها وارتياح مسالك جديدة واعتماد مقاربة ديناميكية للعلاقات بين التنوعات اللغوية واقتراح خطاطة جديدة بديلة تدحض الخطاطة السابقة وتُصوّر ثلاثية لغوية مع ما بينها من تفاعلات وأقطاب هذه الخطاطة الثلاث هي: العربية الكلاسيكية، العربية الدارجة، والعربية الحديثة التي تحتل مكانة وسطى بين التنوعين السابقين.² فهذه التنوعات المشاهدة في الاستعمالات والسياقات المختلفة تدحض النموذج الفرجسوني التقليدي القائم تماما على الثنائية بين التنوع الرفيع (الكلاسيكية) والتنوع الوضيع (الدارجة). ولذلك -حسب الباحثة- الواقع الثنائي غير ثابت ذلك أنه من صلب الديناميكية الاجتماعية باعتبار اللغة ظاهرة اجتماعية خاضعة للتغيير والتطور وكذلك عملية التواصل والتبليغ ولذا فإن حدي الثنائية يتغيران بتغير العلاقات الاجتماعية كما أن هذه الثنائية لاتجري في فضاء فارغ بل في مجتمع بعينه له ثقافة داخلية وخارجية.³

- اعتمدت الباحثة مفهوم الاستمرارية اللغوية مُحدّدا جديدا للعلاقات بين اللغات في الجزائر؛ إذ ترى أن واقع التعدد اللغوي في الجزائر قابل للتحليل باعتماد مفهوم الثنائية التقليدي؛ من حيث التصورات والقيم الممنوحة لكل تنوع لغوي في السوق اللغوية لا غير، أما على صعيد الممارسات الفعلية في سلوك الناطقين القابلة للمشاهدة

1- نسبة إلى الأمريكي شارل فرجسون (Charles Ferguson) وهو من أهم رواد اللسانيات الاجتماعية الذي

تركز اهتمامه على أحد أهم مباحث اللسانيات الاجتماعية وهو مبحث الازدواجية اللغوية.

2 - خولة طالب الإبراهيمي: الجزائريون والمسألة اللغوية، المرجع السابق، ص 24 وما يليها.

3 - نفسه، ص 39 وما يليها

فرضية الاستمرارية اللغوية أكثر مطابقة للواقع. وتقصدها ظواهر الاحتكاك بين التنوعات اللغوية التي تبدو جليةً في الممارسات اللغوية للناطقين الجزائريين. وقد ركزت اهتمامها في رسم النموذج الوصفي الجديد للوضع اللغوي في الجزائر على استمرارية التنوعات اللغوية العربية خاصة؛ لا سيما لما بدا لها من ملاحظات حول التطور اللغوي الحاصل في البلاد نتيجة نمو التمدرس والتعريب وانتشار وسائل الإعلام. فقد وقفت الباحثة على أهم التصورات والرؤى والمواقف التي يقفها الناطقون الجزائريون إزاء التنوعات اللغوية المتعايشة في بلادهم والخطابات المرجعية التي تحيل إليها. وخلصت إلى أن الجزائريين يمتلكون إمكانات لغوية مختلفة (العربية الكلاسيكية والحديثة، واللهجات العربية والبربرية، والفرنسية)، ويمتلكون المرونة لتكييف ذلك في الاستخدام حسب مقتضيات كل خطاب ومقام، فهم يكيفون سلوكياتهم اللغوية وفق الموارد التي يتيحها لهم رصيدهم اللغوي ولا يسلكون سلوكاً موحداً مستديماً. إذ يختلفون في ذلك بحسب السن والجنس ومستوى التعليم ... وأن الاستعمال الحقيقي للعربية الفصحى والكلاسيكية ينحصر في سياقات محدودة رسمية وإجلائية.

وهذه السمة التي خلصت إليها الباحثة تشي في نظرها بالهوية الفسيحة بين الخطابات الرسمية وبين السلوك الفعلي الممارس؛ وهو التباين الذي لاحظته الباحثة في مختلف الهياكل والذي تنبئ عنه ظاهرتا التعاقب (codique l'alternance) أو (code switching) والمزج (mixing code)¹ اللغويتان الثابتتان والمطردتان في سلوك الأفراد من خلال استعمالهم للهجات العربية مع البربرية، أو مع العربية الفصحى أو استخدام العربية أو البربرية مع الفرنسية؛ رغم مواقفهم الراسخة القائمة على استهجان العامية وتمجيد العربية الكلاسيكية والفصحى والدفاع عن التعريب ونكران الفرنسية وتمسكهم الشديد بالهوية العربية. وذات التحليل أثبت فرضية الاستمرارية اللغوية التي قالت بها الباحثة وهي الفرضية التي تدعمها ممارسة المتمدرسين وبعض وسائل الإعلام.²

1 - Khaouala Taleb Ibrahimi: Référence précédent, P 55.

2 - خولة طالب الإبراهيمي: الجزائريون والمسألة اللغوية، المرجع السابق، ص 101

ويعتبر هذا من النتائج الصائبة التي توصلت إليها الباحثة لأنّ الناطقين الجزائريين ينتقلون في سلوكاتهم اللغوية من الكلاسيكية إلى العامية كما ينتقلون من العربية إلى البربرية والعكس، ومن العربية إلى الفرنسية والعكس، ومن البربرية إلى الفرنسية.

-لاحظنا سعي الباحثة بطريقة أكاديمية إلى التعامل العلمي مع واقع لغوي موجود في البلاد نتيجة ظروف تاريخية وموضوعية سبق الحديث عنها؛ للكشف عن العلاقات القائمة بين اللغة والثقافة والهوية والمجتمع؛ في مجتمع كالمجتمع الجزائري الذي يتسم بالتنوع اللغوي؛ وما يمكن أن ينجّر عنه من هويات ثقافية تبعا لتعدد التنوعات اللغوية المستعملة باعتبار اللغة أمانة على الهوية من منظور علم الاجتماع اللغوي، حيث تبدي قناعة أن المسألة اللغوية في الجزائر ترتبط بالحرية الفردية في الممارسة ومسألة الهوية في إطارها التاريخي والإيديولوجي المتنوع.¹ وهذا ينمّ عن توجه الباحثة الحدائي في ميدان اللسانيات وديناميتها في تحليل الواقع اللغوي الجزائري؛ واستنادها إلى الممارسات اللغوية الفعلية للناطقين، والطابع التطوري للعلاقات القائمة بين التنوعات اللغوية المتعايشة. وتجاوزها الأوصاف الكلاسيكية المعتادة للواقع اللغوي الجزائري القائمة على مفهومي الازدواجية والثنائية اللغوية، وتقديمها خطأ وصفية جديدة تراها أكثر إجرائية (الثلاثية والتعددية اللغوية).

2.4.2. القسم الثاني:

- تناولت الباحثة في هذا القسم محورين هما: مفهوم التعريب ومساره في الجزائر، والتعريب عملية تعليمية. وحددت التعريب على أنه سيادة اللسان العربي في الجزائر، وشموله كل مناحي الحياة؛ بشقيها الاجتماعي (اليومي) في حياة الدولة والأفراد والعلمي (الفكري) في نتاج النخبة العاملة. وهذا التعريف هو تعريف شامل ومعاصر، ومختلف عن طبيعة التعريب عند المشاركة؛ ويرجع ذلك عندها إلى الظروف التاريخية التي مرت بها بلدان المغرب العربي، والتي آلت بها إلى طغيان

1 - خولة طالب الإبراهيمي: الجزائريون والمسألة اللغوية، المرجع السابق، ص 67

اللسان الأجنبي على اللسان العربي. وبها صار التعريب عند المغاربة يرادف العودة إلى الأصول واسترجاع الهوية والماضي التليد للعربية. وهي بذلك توافق محمد المنجي الصيادي الذي يذهب إلى أنّ التعريب "يكتسي دلالة شاملة تخص سياسة الحكومة في الحقل التربوي التعليمي وتشكل اختياراً حضارياً ثقافياً يرتبط به مصير الأجيال الحاضرة والمقبلة... وبهذا المفهوم المعاصر يعني التعريب بصورة مباشرة أن العربية هي لغة التعليم، وهي لغة الكتاب المدرسي والحياة اليومية."¹

- لقد عالجت الباحثة قضية الواقع اللغوي في الجزائر بشكل أكاديمي موضوعي وبجرأة وشجاعة كبيرتين، ودحضت الخطأ الكلاسيكية لوصف الواقع اللغوي، وقدمت خطا بديلة. وبجرأة أكبر أقدمت الباحثة على معالجة قضية التعريب في الجزائر، وهي قضية شائكة وتطرح العديد من الإشكالات. وقد اعتمدت على البحث الرصين والتوجهات اللسانية المعاصرة والمقاربات الحديثة في مجال علم الاجتماع اللغوي المعاصر. فكان اعتمادها على المشاهدة الحية للسلوك اللغوي للجزائريين، واستقراء الوقائع المشاهدة كالسياقات الدينية والخطابات المسجدية والسياسية والمسرحية، ومظاهر الحياة اليومية كالزواج ونقاشات وحوارات وسائل الإعلام. لاحظت في كل الحالات تعاقبا لمقاطع بالعربية الدارجة الجزائرية ومقاطع بالعربية الحديثة كما لاحظت طغيان الفرنسية في العديد من الخطابات الرسمية وغير الرسمية. فخلصت إلى القول بفسل سياسة التعريب إلى حد كبير؛ باعتبار استمرار سواد الفرنسية في الممارسة الفعلية للناطقين لا سيما في الإدارات وسوق العمل بعد سنوات من محاولات التعريب التي شملت كل القطاعات، واستنتجت من ذلك قطاع التعليم باعتباره القطاع الوحيد الذي تحولت اللغة فيه إلى العربية فعليا وباتت تفرض نفسها في حجرة الدرس بنسبة عالية؛ وذلك إلى غاية المرحلة الثانوية، وحتى قطاع التعليم الجامعي يستثنى من هذا النجاح لسياسة التعريب حيث مازالت كل الشعب العلمية والتقنية تدرس بالفرنسية، وترجى الباحثة هذا الفسل إلى الطريقة الاستعجالية

1- محمد المنجي الصيادي: التعريب وتنسيقه في الوطن العربي، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، لبنان، ط1، 1980، ص 100، 101.

والملاعقلانية التي قامت عليها القرارات السياسية الخاصة بالتعريب؛ التي كانت انفعالية في مجملها لا حصيفة ولا رصينة، وخالية من الأسس والركائز والتصورات المنهجية والعلمية، وبعيدة عن مراعاة الاعتبارات الواقعية والعلمية والتاريخية والاجتماعية والنفسية السائدة في المجتمع الجزائري، لا سيما بالارتجال وغياب السياسة الموجهة والتخطيط.

فقد كان للباحثة شجاعة كبيرة في مقارنة الوضع اللغوي الجزائري، وشجاعة في تحليل المواقف والتصورات إزاء اللغات المختلفة المستعملة في الجزائر؛ بين الخطاب الرسمي وخطاب الفئات المختلفة بالموازاة مع الممارسات الفعلية للناطقين. وتحليلها لواقع سياسة التعريب في الجزائر عاد بها إلى تأكيد الخطأ التي اقترحتها القائمة على وصف المجتمع الجزائري بالمتعدد لغويا. ودفعها إلى الحديث عن الصّراعات النفسية والاجتماعية والسياسية التي نجمت عن هذا الوضع المتعدد. حيث أشارت إلى الطبقات المهيمنة التي تعمل على فرض استعمال تنوع واحد بهدف القضاء على الثنائية، بينما تبقى الثنائية ماثلة في السلوكات الفعلية للناطقين الجزائريين من خلال التنوعات المختلفة المستعملة على ألسنتهم.¹

وبناء على التحاليل الموضوعية والشجاعة التي قامت بها الباحثة؛ قدّمت قراءتها ونقدها لواقع التعريب في الجزائر، فوصفت حصيلة تعميم استعمال اللغة الوطنية التي أفضت إليها جهود التعريب وسيروته في الميدان بالسلبية والمخفقة والفاشلة، وأرجعت سبب فشلها إلى جملة من المشاكل والعقبات التي ترجع أساسا إلى نقص الإمكانيات والمختصين.² إذ تلاحظ أن واقع السلوكات اللغوية الممارسة فعليا من قبل الناطقين يدل على عدم تعميم استعمال اللغة الوطنية إذ إنّ الجزائريين لا يستعملون تنوعا لغويا واحدا، بل يُسَخّرون جميع الإمكانيات التي يوفرها لهم رصيدهم اللغوي من اللهجات العربية والبربرية، والفرنسية سواء في المقامات الرسمية أو العفوية.

1- خولة طالب الإبراهيمي: الجزائريون والمسألة اللغوية، المرجع السابق، ص 241

2 - نفسه، ص 255

وفي التوثيق والمشافهة وكذا بالمحيط العام للجزائريين الذي لا يزال موسوماً بالازدواجية اللغوية (لافتات الأفلام، والإشهار والرسائل في الشوارع...) ¹.

وبناء على المعطيات والوقائع والأسباب والاقتراحات التي قدمتها نستطيع القول أنها قد نجحت في وصف وتحليل ومعالجة قضية التعريب في الجزائر، وهي القضية المعروفة بارتباطها بالتعقيدات السياسية والاجتماعية والنفسية والدينية والتاريخية التي أشارت إليها. فقد وُفِّت في تحليل الخلاصة التي وصلت إليها سياسة التعريب الجزائرية بانتفاء وجود رغبات حرة للتعريب، وبأنه لا يكفي أن يقوم التعريب على مجرد فرض لمعيار مُحدّد وموحّد بصورة شوفينية متعصّبة. كما وُفِّت في دعوتها إلى معارضة تلك الرؤية السلبية للتعريب واستبدالها برؤية أكثر تفاؤلاً تنتظر إلى التعريب على أنه إثراء إيجابي للرصيد اللغوي ومصالحة مع الذات دون إقصاء شوفيني. وذلك بالتفتح على الآخر وكسر حوار الطرشان القائم بين النخبين المثقفين المعربة والمفرنسة، فيكون هناك معربون متفتحون يعرفون لغة أو لغات أجنبية ومفرنسون يتعربون بدل المعربين المفرنسين وحيدى اللغة، مما يسهل لكل قطب سهولة الاندماج في المجتمع الجزائري الموسوم بالتعدد اللغوي. ²

- ترى الباحثة أن السلطات الرّسمية القائمة على التعريب في الجزائر نحت منحى مركزياً، قائماً على توحيد الاستعمالات اللغوية في حيز واحد هو حيز النموذج اللغوي والمعيار الوحيد المشتط المعترف به، وهو العربية الكلاسيكية والفصحى باسم تصوّر اجتماعي توحيدي واحدي لقضية اللغة في البلاد؛ وهو تحديد ينطوي على شوفينية وتعصّب. ³ من وجهة نظرها لأنّه يؤدّي إلى إقصاء اللهجات المحلية المختلفة العربية والبربرية. أي إنّ الرغبة في فرض العربية وتعميم استعمالها في مقابل هيمنة اللغة الفرنسية على الجانب التقني والاقتصادي؛ أدّت إلى إقصاء اللهجات الشعبية العربية والبربرية وحلّت محلّها لغتان مكتوبتان، هما الفرنسية والعربية الفصيحة

1 - خولة طالب الإبراهيمي: الجزائريون والمسألة اللغوية، المرجع السابق، ص 259

2 - نفسه، ص 267 - 268

3 - نفسه، ص 185.

والكلاسيكية، في حين أنّ اللهجات هي اللغة الأم للناطقين الجزائريين وهي أداة التعبير الأولى لهم وعنوان أصالتهم.¹ وهنا قضيتان هامتان في حاجة إلى المناقشة:

الأولى: أن الباحثة تميّز بين العربية وعامياتها وهو ما سمّته (اللهجات الشعبية العربية) لتميّزه عن اللهجات الشعبية البربرية، وذلك أنها ترى أن التعريب يقصي اللهجات الشعبية التي تعتبر اللغة الأم للناطقين؛ وهنا نتساءل هل اللهجات المحلية لغة أجنبية؟ وهل هذا هو المقصود من التعريب؟ المعروف هو أنّ العامية هي "نمط من الاستخدام اللغوي داخل اللغة الواحدة، يتميز عن غيره من الأنماط داخل نفس اللغة بجملة من الخصائص اللغوية الخاصة ويشترك معها في جملة من الخصائص اللغوية."² خاصة أنّ الكثير من العاميات تقوم على مفردات فصيحة قد لا يدرك معناها إلا المتمكّن من ناصية اللغة والكثير لا يدرك أنها كلمات فصيحة، ومثال ذلك: (ودّر: ضيّع، بزاف: بالجزاف، لقفو: أخذه...) والباحثة نفسها أشارت في ثنايا البحث أنّ العاميات هي تنوّعات تنبثق عن اللغة المعيار الرفيعة المكتوبة وتختلف عنها من حيث سقوط الحركات الإعرابية ومن حيث الاختلافات الصوتية والصوتية الوظيفية.³ والواضح أن التعريب في جوهره هو القضاء على الفرنسية وإحلال اللغة العربية محلّها اللائق على ألسنة الناطقين الجزائريين؛ دون تمييز بين المستوى الكلاسيكي والمستوى الفصيح الحديث، والمستوى العامي اللهجي.

الثانية: أنّ الباحثة ترى أن التعريب يقصي اللهجات الشعبية البربرية، ويتّضح في هذا المقام أن الباحثة تتبنى آراء (جلبير غرانيوم) الذي يرى أن التعريب هو المُهدّد الأول للهجات المحلية سيما الأمازيغية، إذ يقول: "التعريب في منطقته يهدد اللهجات ومن ثم فهو يهدد الثقافات المختلفة، ولذا لا يجب الاندهاش من قلة الصدى الذي يلقاه لدى الجماعات المازيغية بالخصوص التي تُعدُّ مسألة الحفاظ على اللغة الأم

1 - خولة طالب الإبراهيمي: الجزائريون والمسألة اللغوية، المرجع السابق، ص 232 - 233

2- محمد محمد داود: العربية وعلم اللغة الحديث، دار غريب، القاهرة، مصر، 2001، ص 64

3 - نفسه، ص 21

عنصرا أساسيا لضمان استمرارية خصوصيتها الثقافية.¹ فتوجّه الباحثة هذا يطرح قضية شائكة تتعلق بالمعارضة الشديدة والمُعلنة من طرف الأمازيغ الذين يرون إعادة الاعتبار للغة الأم الأمازيغية ضرورة ملحة وألوية تسبق التعريب؛ ويصرّون على أن أصل هوية الجزائريين بربرية وليست عربية، ولغتهم الأم أمازيغية وليست عربية. والباحثة لم تتكر توجّه المازيغيين هذا فهي تُقرّ في ثنايا بحثها بأن اللهجات البربرية هي أقدم اللغات الأصلية في الجزائر. ونحن لا ننكر ذلك إلا أننا نخالفها الرأي في أن التعريب يقصي اللهجات البربرية، وذلك لأنّ المعنى الصحيح لسياسة التعريب في الجزائر هو أنها ردّة فعل إيجابية على سياسة التعريب والاستيلاء التي عمد الاستعمار إلى تكريسها في البلاد؛ ولا يعني ذلك أن هذه السياسة موجهة ضد الأمازيغية ولم يكن القصد منه في يوم من الأيام -على رأي الكثير من الباحثين- اجتثاث أصول الأمازيغية وثقافتها.² فالتعريب عملية سياسية هدفها معروف لا يمسّ الأمازيغية في شيء؛ ولا يُهدّدها بالزوال والاندثار، لأنّ غايته ردّ الاعتبار للغة العربية وسيادتها المسلوبة من طرف الهيمنة الفرنسية. أما عن العربية والمازيغية فدائما كانتا متعايشتين و"الأمازيغية لم تصارع العربية...، فعاشت العربية بلهجاتها والأمازيغية بلهجاتها وتأدياتها جنبا إلى جنب طوال القرون الماضية، ولم يحصل بينهما أي صراع، بقدر ما كان التّكامل والتّداخل تلاقحا وتبادلا في الأدوار والوظائف."³

ولم نعدم هذا المعنى عند الباحثة نفسها؛ فهي تربط مفهوم التعريب بمفهوم استرجاع الهوية ومواجهة الاستلاب والمثاقفة؛ إذ تذهب إلى القول بأنّه -التعريب- : "الانتقال (التّحوّل الإيجابي) من عقلانية غربية إلى عقلانية عربية."⁴ وأنّه "تحويل الأفراد من مثاقفة غربية أجنبية (الفرنسية ترادف الاستلاب وفقدان الهوية الأصلية) إلى مثاقفة مضادّة داخلية، والتّعريب (إعادة تعريب) يرادف القضاء على الاستلاب

1 - جليبر غرانوم: اللغة والسلطة والمجتمع في المغرب العربي، تر: محمد أسليم، أفريقيا الشرق، الدار البيضاء، المغرب، 2011، ص 166

2- عبد العلي الودغيري: اللغة والهوية والدين، مطبعة النجاح، الدار البيضاء، المغرب، 2000، ص 102، 103

3- صالح بلعيد: في الهوية الوطنية، دار الأمل للطباعة والنشر، الجزائر، ص 50

4 - خولة طالب الإبراهيمي: الجزائريون والمسألة اللغوية، المرجع السابق، ص 267

واسترجاع الهوية الأصلية.¹ أي التحول من ثقافة ولغة غربية أجنبية إلى ثقافة ولغة عربية لاسترجاع الهوية الأصلية وذلك لأن "استرجاع الجزائريين (المفرنسين رغما عنهم) للغتهم هو الأداة الوحيدة التي يمكن أن تخرجهم من حالة الاستلاب هذه الموروثة عن الاستعمار والسياسة الإدماجية التي دعت إليها فرنسا."²

5.2. المضمون اللساني: من خلال ماسبق نخلص إلى أن الباحثة قامت بتقصّي الواقع اللغوي في الجزائر ووقفت عند وصف بعض الظواهر السوسiolسانية في هذه البيئة وعملت على تحليلها من وجهة نظر اللسانيات الاجتماعية (la sociolinguistique) التي تعني "دراسة اللغة من حيث علاقتها بالمجتمع."³ فهي اللسانيات التي تُعنى بدراسة التنوع المشترك بين الظواهر اللسانية والمجتمعية، ورصد العلاقات الموجودة بين هذه الظواهر بتحديد السبب والنتيجة؛ حيث كشفت من خلال دراستها عن أسباب التغيرات التي تحدث على المستوى اللساني للناطقين الجزائريين، وربطتها بمسبباتها الاجتماعية وسياقاتها التلفظية والتواصلية⁴؛ إذ إن اللسانيات الاجتماعية فرع معرفي لساني يهتم بدراسة التبدلات الاجتماعية للغة وتطوراتها المختلفة في علاقتها بمستعملي لغة معينة من حيث: السن والجنس والفئة الاجتماعية والوسط والمستوى المهني والمستوى التعليمي؛ وتحليل العلاقة القائمة بين اللغة والممارسات الاجتماعية العائلية والدراسية والوظيفية... ومن اهتماماتها: تفسير الوظيفة الاجتماعية للغة، ومن أبرز مباحثها اللغة الأم، حياة وموت اللغات، وعلاقة اللغة بالهجة والفصيلة، والثنائية والازدواجية والتعددية اللغوية، والأنظمة اللغوية المركّبة والمعقّدة، وتدبير التعدد اللغوي، والسياسات

1 - خولة طالب الإبراهيمي: الجزائريون والمسألة اللغوية، المرجع السابق، ص 265

2 - نفسه، ص 265

3- John Lyons: Language and linguistics: An Introduction, Cambridge: Cambridge University Press, 1981, p: 267.

4- Jean Dubois et autres: Référence précédent, p444.

اللغوية، والتخطيط اللغوي...¹ وهذا أهم ما اهتمت به الدكتورة (خولة طالب الإبراهيمي) في رسالتها. ويؤرخ الباحثون لعلم الاجتماع اللغوي المعاصر (la sociolinguistique) بظهور كتاب (التنضيد الاجتماعي للانجليزية في نيويورك) لعالم اللسانيات الأمريكي ويليام لابوف (William Labov) المؤسس ويرجع ذلك إلى سنة 1966م². كما يعد الأمريكي شارل فرجسون (Charles Ferguson) من أهم رواد اللسانيات الاجتماعية من خلال تركيز اهتمامه على أحد أهم مباحث اللسانيات الاجتماعية؛ وهو مبحث الأزواجية اللغوية كما سبق وأشارنا، كما نذكر جان لوي كالفلي (Louis-Jean Calvet) وهو من أشهر اللسانيين الفرنسيين الذين اهتموا باللسانيات الاجتماعية واشتغلوا برصد العلاقة بين اللغة والمجتمع من خلال كتابه (اللسانيات والاستعمار) الذي عرض فيه لمفهوم الهيمنة أو السيطرة (glottophagie)³.... وغيرهم كثير.

وقد ربطت الباحثة في دراستها، بين اللسانيات الاجتماعية وتعليمات اللغة؛ حيث كان هدفها من وصف وتقصي الواقع السوسيو لساني الجزائري في إطاره التاريخي والإيديولوجي والنفسي واللساني، لتوظيف معطياته في علاج المشاكل والسلوكيات والاستراتيجيات التعليمية لدى الفئة المستهدفة بالتّعريب؛ وهي فئة الكبار في بلادنا. فكان بحثها عن العوامل والمعايير المؤثرة في تحديد العملية التعليمية (المتعلمون، البرامج، المعلمون، المحتويات، المناهج، الاستراتيجيات...) وقد انطلقت الباحثة من قناعتها أن البرامج التعليمية تحقق نتائج فعالة؛ إذا أخذ المسؤولون عن هذه البرامج بالاعتبار الواقع اللساني والسوسيو لساني.⁴

1- عبد الكريم بوفرة: علم اللغة الاجتماعي، مقدمة نظرية، مطبوع جامعي، جامعة محمد الأول، كلية الآداب

والعلوم الإنسانية، وجدة، المغرب، الموسم الجامعي 2011-2012، ص 11.

2- William Labov: The Social Stratification of English in New York City Department Stores, Washington, D.C., Center for Applied Linguistics, 1966, p 485 .

3 -Louis-Jean Calvet: Linguistique et colonialisme , petit traité de glottophagie , Payot ,1974.

4 - خولة طالب الإبراهيمي: الجزائريون والمسألة اللغوية، المرجع السابق، ص 9

6.2. الاتجاه اللساني: وعلى هذا الأساس فدراسة الباحثة التي صنفناها من حيث المضمون ضمن اللسانيات الاجتماعية؛ نُصنّفها من حيث الاتجاه اللساني في إطار الاتجاه الحدائي إذ إنها سلكت فيه اتجاهاً حدائياً محضاً بعيداً كل البعد عن الاتجاه التراثي في دراسة اللغة. ومما يدلّ على ذلك تصريحها بأنها شددت على ضرورة تحليل الواقع اللغوي الجزائري باعتماد وجهة نظر ديناميكية تحددها التيارات اللسانية المعاصرة؛ كما لم تفتأ تصف منهج عملها بالجدة والحدائثة المستقاة من منابع العلم المعاصر. وتشير إلى اتجاهاً الحدائي في البحث واستنادها إلى المبادئ النظرية والعلمية؛⁽¹⁾ وهو ما حققته فعلاً إذ إن محتوى الكتاب يكشف اعتمادها لأسلوب ومنهج علميين رصينين مكنّاهما من مقارنة مسألة اللغة في الجزائر على نحو مفارق ومحايّد بعيد عن الإيديولوجيات المختلفة، ممّا مكنها من تقديم خطاطات جديدة مناسبة لوصف الواقع اللغوي الجزائري.

ومما يدلنا أيضاً على اتجاهاً الحدائي ما وجدناه في لغتها أيضاً من مصطلحات حدائية؛ لا تخرج عن المتداول في الوقت الراهن بين الباحثين والدارسين اللغويين واللسانيين؛ إذ استخدمت الباحثة ألفاظاً ومصطلحات لسانية جديدة غاية في الدقة والحدائثة مثل (إواليات: Mécanismes) (إرادوية: volontarisme) (التعاقب اللغوي:) l'alternance de code situationnelle (الاقتراض اللغوي: l'emprunt) (المشتطة: مفهوم اللغة المقعدة المعيارية: surnommée) (عربية كلاسيكية: arabe) classique (اللغة العالمية: savante) (عملية التوليد: néologie) (نمذجة: typologie) (أحادية اللغة: monolingue) (مثقفة: acculturation) (تهيئة لغوية: aménagement linguistique) (عربية نمطية: standard arabe) (عربية حديثة: arabe moderne) (عربية وسطى arabe médiane) (سوق لغوي: marché linguistique) ويعزز ذلك استعمالها مائتين وخمسة عشر (215) مرجعاً باللغة الفرنسية والإنجليزية؛ منها خمسة (05) كتب في طرائق تعليم العربية وهي كلها كتب حديثة وليدة الدرس اللساني الحديث، بينما لم تستعمل

1 - خولة طالب الإبراهيمي: الجزائريون والمسألة اللغوية، المرجع السابق، ص 9

سوى خمس وعشرين مرجعا عربيا مابين كتب ومجلات دورية؛ يغلب عليها الطابع الحدائي فلم يكن من ضمنها المؤلفات التراثية إلا القليل.¹

3.الاتجاه التوفيقي: انطلق أصحابه من تصفح الجهود العربية التي عنيت بالتراث العربي، فلاحظوا أن أصحابها أحد اثنين: "إما ناقل لفكر غربي وأما ناشر لفكر عربي قديم، فلا النقل في الحالة الأولى ولا النشر في الحالة الثانية يصنع مفكرا عربيا معاصرا. لأننا في الحالة الأولى سنفقد عنصر(العربي) وفي الحالة الثانية سنفقد عنصر (المعاصرة)."² فراحوا يسعون إلى وصل الماضي بالحاضر، وتكوين نموذج لساني يستثمر المعطيات التراثية والآليات اللسانية الحديثة معا، في محاولة لاستيعاب الدرسين التراثي والحدائي وفهمهما وتمثلهما واستغلال مناهجها ونظرياتها وآلياتها معا؛ ودمجها في مقارنة لغوية واحدة، تُنزل التراث العربي منزلة تُبرز سعته وعلميته وتساهم في تطوير جوانب عديدة منه، على نحو يجعله يماثل الإنتاج اللساني الغربي الحديث. فهو الاتجاه الذي لا يُفرد ولا يُفرد في الأخذ عن التراث ولا عن الحدائ، ويرفض التوقع والانغلاق من جهة أو الانسلاخ من جهة أخرى.

يُمثل هذا الاتجاه في الجزائر عدد من الدارسين؛ على رأسهم: صالح بلعيد، مصطفى حركات، أحمد حساني³، مسعود صحراوي... ومن بين الميادين اللسانية التي تستقطب هذا التوجه ميدان **التداولية** وقد اخترنا في هذا المبحث كتاب(مسعود صحراوي) الموسوم (التداولية عند العلماء العرب)⁴ أنموذجا للدراسة نستجلي من خلاله ملامح الاتجاه التوفيقي في الدرس اللساني الجزائري.

1- خولة طالب الإبراهيمي: الجزائريون والمسألة اللغوية، المرجع السابق، ص 323 وما بعدها

2- حافظ إسماعيلي علوي، وليد أحمد العناتي: أسئلة اللغة أسئلة اللسانيات، مطابع الدار العربية للعلوم، بيروت، لبنان، ط1، 2009، ص 114.

3- أحمد حساني: العلامة في التراث اللساني العربي؛ قراءة لسانية وسيميائية، دار وجوه للنشر والتوزيع، الرياض، المملكة العربية السعودية، ط1، 2015.

4- مسعود صحراوي: التداولية عند العلماء العرب؛ دراسة تداولية لظاهرة "الأفعال الكلامية" في التراث اللساني العربي، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، ط1، 2005.

1.3. تقديم: تعريف الكتاب: التداولية عند العلماء العرب: الكتاب صادر عن دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، صيف 2005 م، وهو يقع في 240 صفحة من الحجم المتوسط، وقد ضمّنه الباحث خمسة فصول إضافة إلى مقدمة وخاتمة. وذيّله بفهرس علمي دقيق لقائمة المصادر العربية والأجنبية التي ضمّتها ببيلوغرافيا تضمن 139 عنوانا تتنوع بين القديم والحديث والعربي والغربي.¹

2.3. عنوان الكتاب: التداولية عند العلماء العرب: يقوم العنوان على متغيرين يحملان الكثير من الدلالات (التداولية) (العلماء العرب). أما التداولية فتعتبر أحدث ما أفرزه الدرس اللساني الحديث، حيث يُورخ لميلاده بمحاضرات (جون اوستين) سنة 1955 بجامعة هارفارد الأمريكية، وتبلور منهجها مع أبحاث تشومسكي، وميلر ونيوال ومينسكي وماك كولوك.² وقد حاز عناية واهتماما ملحوظين في ميدان الدراسات اللغوية لعنايته بـ "دراسة اللغة في الاستعمال والتواصل"³ و"العلاقة بين النص والسياق"⁴ وقد توجّه الدارسون إلى تبني هذا المنهج خلفا للتيارين البنوي والتوليدي لأنه يهتم بالجانب الاستعمالي للظواهر اللغوية ووظيفتها الإنجازية التي تتحقق بقدرة المرسل على إفهام المرسل إليه من خلال العبارة اللغوية التي يستعملها. والتداولية تشهد كثافة في التنظير وعمقا في البحث.

أما قوله (عند العلماء العرب) فهو يجعل من هذا المبحث -التداولية- مسوغا ومدخلا مناسباً للإشادة بالتراث اللساني العربي الذي يحتوي كثيرا من مبادئ التداولية ومفاهيمها خاصة السياق والمقام والمقاصد... وغيرها من الأدبيات التي يهدي إليها النظر في التراث اللغوي بمختلف أنواعه النحوي والبلاغي والأصولي.

1 - مسعود صحراوي: المرجع السابق، ص 2

2- آن رويول وجاك موشلار: التداولية اليوم علم جديد في التواصل، تر: سيف الدين دغموش، محمد الشيباني،

مراجعة: لطيف زيتوني، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، ط1، 2003، ص 29

3-فرانسواز أرمينكو: المقاربة التداولية، تر: سعيد علوش، مركز الإنماء القومي، الرباط، المغرب، دت، دط، ص8.

4- صلاح فضل: بلاغة الخطاب، وعلم النص، المجلس الوطني للثقافة والفنون، الكويت، د. ت، د. ط، ص 25

فالأستاذ الدكتور (مسعود صحراوي) من خلال عنوان كتابه يظهر أنه يَنزَع في دراسته تلك النزعة التوفيقية بين التراث والحداثة، ويميل في بحثه إلى الاعتراف بالدرس اللساني المعاصر لاسيما التداولية وجذوره في التراث العربي.

3.3. ملخص الكتاب: ينقسم الكتاب إلى خمسة فصول؛ **الفصل الأول** تناول فيه الجهاز المفاهيمي للدرس التداولي المعاصر من وجهة النظر اللسانية الغربية، وفيه نقف على ثلاث نقاط أساسية هي: سرد ظروف ظهور النظرية التداولية، تحديد مفهومها، تحديد أبرز مفاهيمها. فهو إطار نظري يشمل الضبط المصطلحي وعرض المناخ العام للنظرية والشبكة المفاهيمية والمنظومة المعرفية وإحاطة بالمرجعيات الابدستمولوجية للسانيات التداولية المعاصرة وأبرز مفاهيمها. أما الفصول الأربعة المتبقية من الكتاب فقد خصصها لتتبع جذور التداولية في التراث العربي.

وفيما يأتي عرض شبه مفصّل لمضمون الكتاب:

1.3.3. الفصل الأول: واشتمل على عدد من العناوين؛

1.1.3.3. مفهوم التداولية: يحدد المؤلف مفهوم التداولية بأنها: "إيجاد القوانين الكلية للاستعمال اللغوي، والتعرف على القدرات الإنسانية للتواصل اللغوي، وتصير التداولية من ثم جديرة بأن تسمى (علم الاستعمال اللغوي)"¹ وفيه يُلح على ضرورة ربط البنى اللغوية بمجال الاستعمال، وهو ما يسمى بوظيفة التواصل، ذلك أنّ كلّ تركيب لا ينفصل عن الوظيفة التواصلية. لتكون وظيفة التداولية ومهمتها في الدرس اللساني هي البحث عن المعنى اللغوي، لاسيما وظيفة دراسة استعمال اللغة في سياقاتها ومقاماتها المختلفة وأغراض المتكلمين وأحوال المخاطبين، عوضا عن دراسة البنية اللغوية المجردة أو اللغة في مستوياتها المختلفة الصوتية والصرفية والتركيبية والدلالية وحسب؛ باعتبار اللغة "كلاما محددًا صادرًا من متكلم محدد وموجه إلى مخاطب محدد بلفظ محدد في مقام تواصلية محدد لتحقيق غرض تواصل محدد."²

1- مسعود صحراوي: المرجع السابق، ص17

2- نفسه، ص26

وتأسيسا على ذلك يكتسي المنهج التداولي أهمية بالغة في "إزالة الغموض عن عناصر التواصل اللغوي وشرح طرق الاستدلال ومعالجة الملفوظات".¹ ليكون أساس البحث في اللغة من منظور التداولية رصد العلاقات بين الأنماط التركيبية المتنوعة والوظيفة الإبلاغية، باعتبار الاستعمال اللغوي هو إنجاز حدث اجتماعي ذي صبغة تأثيرية وأنه عبارة عن مجموعة سلوكيات وتفاعلات لا نهائية.

وهو يدافع عن الدرس التداولي بجعله نقطة مركزية تتفاعل فيها شبكة من المعلومات والعلاقات بين علم اللغة وبقية الحقول المعرفية الأخرى. وينفي أن تكون التداولية علما لغويا محضا بالمعنى التقليدي؛ يقتصر على وصف البنى الشكلية معزولة كنظام من القواعد المجردة بل يعتبرها علما جديدا للتواصل يدرس الظواهر اللغوية في مجال الاستعمال ويربطها بشروطها الخارجية، ويدمج مشاريع معرفية متعددة في دراسة ظاهرة التواصل اللغوي وتفسيره.² وذلك لأنّ التداولية تُعنى بالمتكلم والمتلقي والمحيط اللغوي وسياق الخطاب وما بينهما من تعالقات وتفاعلات وأثر ذلك على عملية التواصل. فهي منهج سياتي ينظر إلى اللغة باعتبارها نشاطا يمارس من طرف المتكلمين لإفادة السامعين معنى ما ضمن إطار سياتي. ويعمل على بيان فاعلية اللغة ويربطها بالاستعمال ويقف على الأغراض والمقاصد وملابسات الإنتاج والفهم.

2.1.3.3. المناخ العام للنظرية: لم يفتّ الباحث أنه لكل مفهوم من مفاهيم التداولية الكبرى والمختلفة كالأفعال الكلامية ونظرية الملازمة وغيرها حقل معرفي يصدر عنه، ولذلك تناول مصادر درسها المتنوعة بالتعريف، فالأفعال الكلامية مثلا مفهوم تداولي مُنبثق عن مناخ فلسفي عام هو تيار الفلسفة التحليلية، التي يعرفها ويُعرّف باتجاهاتها واهتماماتها وقضاياها باعتبارها الخلفية المعرفية لنشوء الظاهرة اللغوية موضوع الدراسة -الأفعال الكلامية- ومن ثم ولادة التيار التداولي في البحث اللغوي.³ وبالتحديد (فلسفة اللغة العادية) التي تُعدّ من صميم البحث التداولي لأنها تدرس اللغة اليومية كما

1 - مسعود صحراوي: المرجع السابق، ص 27

2 - نفسه، ص 16

3 - نفسه، ص 17

يتكلمها الشخص العادي. في حين انبثقت نظرية الملاءمة عن علم النفس المعرفي، ونظرية المحادثة عن فلسفة غرايس في مبدأ التعاون.¹ وقد أتى الباحث على تعريف مختلف هذه المصادر كفرش معرفي وتمهيد نظري مناسب للفهم؛ لما لها من صلة بالمبحث التداولي الذي هو بصدد تعريفه للقارئ العربي؛ وكل هذه المعارف والمعطيات من صلب الدرس اللساني الغربي الحديث الذي لم يُهمله الباحث.

3.1.3.3. المفاهيم التداولية: أول هذه المفاهيم: الفعل الكلامي والاستلزام الحوارية (المحادثي) ومتضمنات القول ونظرية الملاءمة، وعرضه لهذه المفاهيم ينبئ عن اعتداده بما قدّمه الدرس اللساني الحديث من جهاز مفاهيمي للمنهج التداولي وهو الضبط المصطلحي الذي يفتقده الدرس التراثي العربي الذي يحفل بالكثير من هذه الآراء والمفاهيم التداولية ولكنه لا يملك المصطلحات والمسميات. ويدل على ذلك أنه استند في هذا الضبط المفاهيمي إلى المراجع الأجنبية وبعض المراجع العربية الحديثة ولم يلتزم ذلك في الكتب التراثية. مثلا نجده يُعرّف متضمنات القول: *les implicites* بأنها "مفهوم تداولي إجرائي يتعلق برصد جملة من الظواهر المتعلقة بجوانب ضمنية وخفية من قوانين الخطاب تحكمها ظروف الخطاب كسياق الحال وغيره."² ويُعرّف الفعل الكلامي كما يُعرّفه الدرس اللساني التداولي الغربي الحديث بأنه "كل ملفوظ ينهض على نظام شكلي دلالي إنجازي تأثيري، فضلا عن ذلك يعدّ نشاطا ماديا نحويا يتوسل أفعالا قولية، لتحقيق أغراض إنجازية كالطلب والأمر... وغايات تأثيرية تخص ردود فعل المتلقي كالرفض والقبول."³

2.3.3. الفصل الثاني: معايير التمييز بين الخبر والإنشاء في التراث العربي:

انطلق الباحث من أن الأفعال الكلامية عند المعاصرين توجد لها جذور حقيقية في التراث اللغوي العربي على وجه التحديد في مبحث الخبر والإنشاء وما

1 - مسعود صحراوي: المرجع السابق، ص 24، 25

2 - نفسه، ص 30

3 - نفسه، ص 40

يتعلق بهما، وقد تناول العرب قضاياها وأصولها وفروعها وتطبيقاتها ضمن مباحث علم المعاني الذي يعنى بـ "تتبع خواصّ تراكيب الكلام في الإفادة وما يتصل بها من الاستحسان... ليحترز بالوقوف عليها من الخطأ في تطبيق الكلام على ما يقتضي الحال ذكره." ¹ وعليه يبدو جليا تقاطع هذا التعريف مع أساس من مبادئ التداولية وهو "مبدأ الإفادة" ويشير المؤلف إلى أن ظاهرة الخبر والإنشاء في التراث العربي مبحث معرفي لم يقتصر درسه على الدرس البلاغي بل تعداه أيضا إلى نظيره الفلسفي والنحوي والفقهية والأصولي...، وقد توزعت فروعها وتطبيقاتها على عدد من المؤلفات التراثية المتنوعة المعارف واستقرت أسسها العلمية على يد سيبويه وأمثاله في النحو والفارابي ونظرائه في الفلسفة، وعبد القاهر الجرجاني في البلاغة و...، فمبدأ الإفادة مثلا باعتباره مناط التواصل بين مستعملي اللغة والذي سبقت الإشارة إليه كدعامة أساسية من دعومات الدرس التداولي هو ما جرى التركيز عليه من قبل العلماء العرب في دراستهم للجملة والنص. ويستدل في ذلك بمذهب سيبويه في تقسيم الكلام من حيث الدلالة إلى مستقيم حسن ومحال ومستقيم كذب، ومحال كذب؛ إذ إن المحال لا يؤدي دلالة ولا يحقق إفادة لذلك لم يصفه سيبويه لا بالحسن ولا بالاستقامة لعدم كفايته التواصلية ولذلك أيضا أقصى البلاغيون المشتغلون في حقل علم المعاني من دائرة اهتمامهم تحليل الألفاظ المفردة والمركبات غير التامة لقصورها عن إفادة المعنى... واشتروا حصول الفائدة لدى المخاطب وحرصوا على ذلك بقاعدة (أمن اللبس) المتواضع عليها كإجراء تحليلي متفق عليه؛ وهو ما يكافئ حديثا عرف التداوليين في دراسة الأفعال الكلامية مقترنة بالسياق الكلامي والحالي وغرض المتكلم.²

وقد اعتمد العلماء العرب في التمييز بين الخبر والإنشاء على عدّة معايير يتجاوزها ويتداخل فيها ما هو منطقي وما هو تداولي، وقد تعددت هذه المعايير التصنيفية واختلفت باختلاف العلماء والمراحل وتطور البحث في اللغة، فاعتمد معيار

1 - أبو يعقوب السكاكي: مفتاح العلوم، ضبط: نعيم زرزور، دار الكتاب العلمية، بيروت، لبنان، 1987، ص 161.

2 - مسعود صحراوي: المرجع السابق، ص 50 ومايلها

(قبول الصدق والكذب) من قبل العلماء العرب في المرحلة الأولى، ثم تجاوزه في مرحلة لاحقة إلى معيار آخر هو (مطابقة النسبة الخارجية)، ليعتمدوا في المرحلة التالية على معيار (إيجاد النسبة الخارجية)؛ ثم توجه اهتمام العلماء للتركيز على معيار (القصد)، باعتباره معياراً تمييزياً تصنيفياً أساسياً كالسبكي في شرحه لتلخيص الخطيب القزويني... وقد كان العلماء في هذه المراحل التاريخية متأثرين بأدوات التحليل المنطقية التي أثرت بقوة في البحث اللغوي العربي خاصة البلاغي منه فتركت آثارها العميقة في جهازه المفاهيمي والمقولاتي.¹

والخلاصة أن تصورات البلاغيين القدامى للخبر والإنشاء كما توصل إليها المؤلف من خلال التأليف بين وجهات النظر السابقة تُجمع على أنّ "الخبر هو الخطاب التواصلية المكتمل إفادياً والذي يُريد المتكلم من نسبته الكلامية أن تُطابق نسبته الخارجية، وأنّ الإنشاء هو الخطاب التواصلية المكتمل إفادياً والذي يُريد المتكلم من نسبته الكلامية أن تجد نسبته الخارجية".²

3.3.3. الفصل الثالث: تقسيمات العلماء العرب للخبر والإنشاء: هذا الفصل عرض

فيه الباحث تقسيمات العلماء العرب للخبر والإنشاء التي تمخضت عن تلك المعايير التمييزية السابقة، سواء التقسيمات الإجمالية أو التفصيلية لبعض الفلاسفة والبلاغيين وعلماء اللغة ك (الفارابي، وابن سينا، السكاكي، والجاحظ، والمبرد، والأستراباذي).

1.3.3.3. التقسيم الإجمالي: لاحظ الباحث من خلال استقراءه لمعايير التمييز بين

الخبر والإنشاء عند كل من ابن سينا والفارابي شبيها بتحليل التداوليين المعاصرين، في الانطلاق من الاعتبارات التداولية كقصد المتكلم ومراده من المخاطب والقوة الإنجازية التي تحملها العبارة اللغوية. حيث يقسم ابن سينا الكلام إلى خبر وطلب على أساس معيار الصدق والكذب، ويثريه ويُعمّقه عندما يركّز في تحليله على البعد التداولي. الذي يربط بين قصدية المتكلم ومراده من المخاطب من جهة وبين استجابة المخاطب

1 - مسعود صحراوي: المرجع السابق، ص 223 - 224

2 - نفسه، ص 81 - 82

وردة فعله من جهة أخرى. كما تفتن الفارابي إلى مفهوم الملفوظ الإنجازي الذي يتحدث عنه أوستين وسيرل في عصرنا والذي كثيرا ما يُقدّم على أنه اكتشاف حديث في كل من الفلسفة التحليلية والأبحاث التداولية المعاصرة، ويعبر الفارابي عنه بلفظ القوة force الذي هو من مقولات التداولية المعاصرة. وذلك لأنه صنّف العبارات الكلامية الصادرة عن الإنسان إلى صنفين كبيرين هما: (عبارات القول) و(عبارات الفعل) وقد ابتدأ مما ابتدأ منه الفيلسوف (أوستين) من اعتبار المخاطبات نوعين: (أقوالا وأفعالا تتم بالأقوال) ¹.

2.3.3.3. التقسيم التفصيلي: كما قسّم العرب الكلام أو الخطاب إلى خبر وإنشاء والإنشاء إلى طلبی وغير طلبی باعتماد معايير ذات ملمح تداولي واضح، كذلك عمد المنطقة والبلاغيون إلى رؤى ومعايير بنوبة تجريدية وتداولية أيضا لوضع تقسيمات فرعية تفصيلية للخبر والإنشاء. ² وذلك على النحو الآتي:

1.2.3.3.3. الخبر: حيث كان الجاحظ مثلا يحتكم إلى معيارين على صدق الخبر أو كذبه وهما مطابقة الواقع واعتقاد المتكلم وقصده وهذا المعيار الأخير هو معيار تداولي، وكان أبو العباس اللغوي يحتكم إلى مراعاة مقتضى الحال وهو ما يعرف عند بعض المعاصرين بـ (التعالق بين الوظيفة والبنية) في الأنماط المقامية المختلفة. ³ فمن خلال مراعاة حال السامع وقدراته العقلية والإدراكية ومقام التخاطب يقسّم الخبر إلى ثلاثة أصناف؛ ابتدائي يكون فيه السامع خالي الذهن من الحكم فيُلقي إليه الخبر خاليًا من أدوات التوكيد، وطلبی يكون المخاطب شاكًا فيه فيؤكد الخبر حتّى يتمكن في نفسه. وإنكاري يكون فيه السامع منكرًا حكم الخبر فيؤكد له بمؤكد أو أكثر. وفي هذه الأضرب الثلاثة بعد تداولي شبيه بما فعله سيرل حين أقر أنّ الفرق بين جمل كهذه يكمن في (درجة الشدّة المتضمنة في القول) إذ يمكن أن تتماثل جملتان أو أكثر في

1 - مسعود صحراوي: المرجع السابق، ص 87، 91

2 - نفسه، ص 92

3 - نفسه، ص 94، 95

الغرض المتضمن في القول ولكنهما تختلفان في القوة الإنجازية، التي يمكن أن تقوى وتضعف بأساليب منها: حروف المعاني في اللغة العربية.¹

3.3.3.2. الإنشاء: قُسم الإنشاء عند العرب إلى: طلبي (الأمر والنهي...)، وغير طلبي (الترجي والقسم...)، فالأمر مثلا ينقسم بالاستناد إلى رؤية تداولية تقوم على مراعاة حال المتكلم ومنزلته تجاه المخاطب إلى (أمر ودعاء والتماس) فالأول يقترن باستعلاء المتكلم على المخاطب، والثاني يقترن بخضوع المتكلم للمخاطب والثالث يقترن بتساويهما في المنزلة. وهذا التصور القائم على علاقة المتكلم بالسامع مبدأ تداولي معروف، وهي ذات التقسيمات التي أشار إليها (سيرل) وسمى معيارها (الشروط المعدّة).² وكذلك الشأن بالنسبة للنهي وما فيه من "أصالة ثم تحمل عليه مجازاته من الالتماس والدعاء والتهديد والإرشاد، ونعتقد أن النهي فيها هو فعل كلامي أصلي أما البقية فهي أفعال متضمنة في القول منبثقة من الأصل... وما اعتبره بعض النحاة واللغويين معاني مجازية إنما هي أفعال كلامية تؤدي أغراضا خطابية ووظائف تواصلية معينة يحكمها مبدأ الغرض أو القصد الذي يبتغيه المتكلم من الخطاب."³ و"إنما هذه أغراض بتعبير علمائنا القدامى، أو وظائف تواصلية إبلاغية بتعبير الوظيفيين المعاصرين، أو (أفعال متضمنة في القول) بتعبير التداوليين."⁴

3.3.4. الفصل الرابع: الأفعال الكلامية عند الأصوليين: تناول فيه الباحث منهج الأصوليين الذين سلكوا مسلكا تداوليا في تحليل الأساليب الخبرية ومن أمثلة ذلك تفريق الأصوليين وعلى رأسهم (القرافي) بين الشهادة والرواية بنزعة تداولية بحسب القصد والسياق من جهتين:

" - جهة (نوع المخبر عنه) إن كان (المخبر عنه) أمرا عاما لا يختص بمعين فهو (رواية)، أو أمرا معينا خاصا فهو (شهادة).

1 - مسعود صحراوي: المرجع السابق، ص 96 - 97

2 - نفسه، ص 105، 107

3 - نفسه، ص 111

4 - نفسه، ص 116

- جهة السياق الاجتماعي العام (الرسمي) أو (غير الرسمي)؛ فإن كان في مقام غير رسمي فهو (رواية) أو في مقام رسمي كأن يكون أمام القاضي، مثلا فهو (شهادة).¹

كما تعرّض للأفعال الكلامية المنبثقة عن الإنشاء ك (الوجوب، الإباحة، الحرمة، الكراهة...) وهي مما استتبطها الفقهاء والأصوليون بانتهاج أسس التحليل التداولي وخاصة بالاعتماد على النظر في المقاصد والأغراض التي يُؤوّل على أساسها كل من الأمر والنهي وغيرهما من الأساليب الإنشائية، وذلك باعتماد القرائن اللفظية أو المعنوية أو الحالية التي تُهدي إلى تلك المقاصد وتدل عليها، حيث ربط الأصوليون أسلوب الأمر والنهي ب (إرادة المتكلم) أي قصده من الخطاب حسب المفهوم التداولي الحديث.² ومن ملامح التداولية في ذلك تحديدهم الفرق بين المكروه والمحرم بدرجة الشدة للغرض المتضمن في القول بحسب معايير ومصطلحات سيرل، حيث تقل درجة الشدة في الغرض المتضمن في القول الذي يفيد الكراهة عن الغرض المتضمن في القول الذي يفيد التحريم، وفي كليهما فعل متضمن في القول جامع هو (المنع).³

ومن صيغ الإنشاء أَلْفَاظُ الْعُقُودِ وَالْمَعَاهِدَاتِ وهي الألفاظ التي تتعلق بإجراء المعاملات وإبرام العقود المختلفة وفسخها كالزواج والطلاق والبيع...؛ هذه الأخيرة حَقَلْ بها الفقهاء والأصوليون برؤية تداولية باعتبارها أفعالا كلامية لها قوة إنجازية، فالطلاق مثلا يقع إذا كان بنية ولفظ صريح. ومن المبادئ والاعتبارات التداولية الهامة التي وقف عليها مسعود صحراوي في هذا القول هي مبدأ (النية والقصدية) و(الصراحة والكناية) حيث اشترط غالبية الفقهاء النية والقصد في إيقاع فعل الطلاق، ومعلوم أنه لا تخفى مكانة وأهمية مبدأ القصدية في عرف التداوليين المعاصرين من أمثال سيرل وأوستين وغيره من بين مبادئ التداولية والأفعال الكلامية؛ حيث تتوقف عليه القوة والهوية الإنجازية للفعل الكلامي. كما ميزوا بين اللفظ الصريح للطلاق كقول (أنت طالق) والكناية كقول (اعتدي) فكل هذه الألفاظ والعبارات سواء الصريحة أو الكناية

1 - مسعود صحراوي: المرجع السابق، ص 136

2 - نفسه، ص 148

3 - نفسه، ص 160

للطلاق تُعدّ بمنظور التداولية المعاصرة (أفعالا كلامية) وتُصنّف حسب سيرل ضمن الإيقاعات لأنه ينجّر عنها إيقاع فعل كان يقصده ويرمي إليه المتكلم.¹

5.3.3. الفصل الخامس: الأفعال الكلامية عند النحاة: في هذا الفصل عمل الباحث

على الكشف عن العلاقة بين النحو والدلالة في جهود النحاة العرب، فكشف عن ملامح نظرية المعنى عندهم ووقف على تطبيقاتها المختلفة من خلال إثبات اهتمامهم بالترابط القائم بين التراكيب اللغوية واستعمالاتها واحتفائهم بالقرائن اللفظية والمعنوية، وتتبع الوجوه والفروق والأغراض والمقاصد... لاسيما عند سيبويه في "الكتاب"، وابن جني في "الخصائص" والرضي الأسترابادي في "شرح كافية ابن الحاجب" ... حيث لم يقف النحاة في دراستهم للفظ عند حدود الكلمة والجملة وإعرابهما بل تجاوزوهما إلى ما يفوقهما من مقام وحال، وأسسوا قواعدهم على مبدأ مراعاة حصول الفائدة لدى المخاطب ومبدأ أمن اللبس في أداء التركيب.² وقد أبان المؤلف هذه الملامح التداولية في الدرس النحوي العربي من خلال بحثه في الإسناد وعلاقته بالظواهر الأسلوبية؛ ذلك أن الإسناد يشمل النوعين معا؛ الخبر والإنشاء، وقد قرر النحاة أن لنوع الأسلوب ومعناه أثرا واضحا في تحليل الجملة وبيان وظيفتها فهو قرينة مساعدة يحتكم إليها وإلى ما تحمله من معان وأغراض في تحديد وظيفتها النحوية ووظائف عناصرها، وجعلوا الخبر أساس التحليل النحوي ويتجلى ذلك في كثير من الظواهر والمعاني النحوية ولا سيما معنى التخصيص الذي يُعدّ فعلا كلاميا، والذي اشتراطوا له أن يُؤدّى بجملة خبرية، ومن هذه المخصصات الجملة الواقعة نعتا والجملة الواقعة حالا وصلة الموصول، هذه الأخيرة لا يكون أسلوبها إلا خبريا لأن الخبر وحده يؤدي وظيفتها التواصلية الخاصة وهي تفسير المبهم وإيضاحه وتخصيصه والتعريف به للمخاطب.³ "والخلاصة أنهم اشتراطوا لأداء هذا الغرض التواصلية - غرض التخصيص - شروطا وقيودا أسلوبية حتى يحقق غايته التداولية والتي نصوا على أنها (التقييد والتعريف

1 - مسعود صحراوي: المرجع السابق، ص 167 - 168

2 - نفسه، ص 174

3 - نفسه، ص 178 وما يليها

والإيضاح) والملاحظ أن هذه المعاني تكافئ منطقياً ما اصطلح عليه سيرل والمعاصرون بالتقرير.¹

كما اهتم الباحث ببيان المبادئ والأسس التداولية في تحليلات النحاة وتقعيداتهم النحوية وأهم ذلك مبدأ "الغرض والقصد" الذي يتوخاه المتكلم ومبدأ "الإفادة" التي تحصل لدى السامع؛ أما مبدأ الإفادة فقد اهتم بها النحاة من خلال عدة ظواهر أسلوبية كالتعيين والإثبات والنفي، والذكر والحذف والتقديم والتأخير، حيث اشترطوا للجملة ثبوت معنى دلالي عام، واكتمال النسبة الكلامية لها حتى يحصل للسامع فائدة من الكلام. وإلا لا يصح تسميتها بالجملة.² ففي إطار اهتمام النحاة بمبدأ الإفادة اهتموا بظاهرة التعيين (التعريف والتكثير) مثلاً "بوصفها عنصراً هاماً في إقامة أي تواصل لغوي مفيد أي محقق لمبدأ الإفادة كشرط ضروري لعملية التواصل، وبمراعاة هذا القانون اللغوي راحوا يربطون بين مفهوم الإفادة وبين مقولة التعريف والتكثير في ظواهر وعلاقات نحوية كبرى كالإسناد وغيره."³ من ذلك نصّوا على التعريف للمبتدأ والتكثير للخبر من منطلقات وتحليلات تداولية صريحة متجذرة في سلوك النحاة من أول درسهم اللغوي. ومن خلالها وضعوا "قاعدة مشهورة مضمونها أن الأصل في المبتدأ (المسند إليه) أن يكون معرفة وأن الأصل في الخبر (المسند) أن يكون نكرة، وذلك أنه لا فائدة من الإخبار عن النكرة، والابتداء بالنكرة يؤدي إلى اللبس."⁴ فالابتداء بالنكرة لا يحقق الفائدة المرجوة من الخطاب.

وقد حظيت الأفعال الكلامية في الأساليب النحوية باهتمام الباحث فتناول بالدرس التأكيد والقسم والإغراء والتحذير والدعاء...، انطلاقاً من إيمانه الراسخ بأنه "لا يخلو البحث النحوي في تراثنا من اهتمام بـ (الأفعال الكلامية) ضمن تطبيق معاني الخبر والإنشاء على بعض الظواهر النحوية. ومن ثم فقد ناقش نحائنا القدامى كثيراً

1 - مسعود صحراوي: المرجع السابق، ص 185

2 - نفسه، ص 186

3 - نفسه، ص 189

4 - نفسه، ص 190

من المعاني المتعلقة بإنجازية الأساليب العربية المختلفة بخلفية تداولية، فتطرقوا إلى كثير من (الأفعال الكلامية) ك (فعل التأكيد) و (فعل الإغراء) و (فعل التحذير) و (فعل النداء) و (فعل الاستغاثة والندبة)...¹ فالتأكيد مثلا "من وجهة النظر التداولية هو فعل كلامي أو معنى أسلوبى كثير الورد في لغة التواصل اليومية وليس مجرد وظيفة نحوية محدودة... - وهو - معنى أسلوبى يتميز بإفادة خاصة متعلقة بمراعاة حال السامع... أما بلغة سيرل والتداوليين المعاصرين فهو فعل كلامى مندرج ضمن صنف التقريريات.² ذلك أنه يندرج ضمن درجة الشدة للغرض المتضمن في القول بمفهوم التداولية المعاصرة. وفعل كلامى لأنه يهدف إلى التأثير في المخاطب وحمله على أداء فعل معين. ومما يؤكد اهتمام النحاة بالبعد التداولي للظاهرة اللغوية وتعمقهم في المنهج التداولي، تتبعهم للمعاني والأغراض العميقة الكامنة وراء الألفاظ والمباني والأساليب المختلفة التي لا يريدونها المتكلم لذاتها، كأن يريد من القسم التأكيد للكلام والإلحاح في الطلب.³ فكل من التوكيد والقسم الإغراء والتحذير والدعاء والوعيد... وغيرها من الأغراض البلاغية للأساليب الخبرية والإنشائية من تمظهرات الأفعال الكلامية التي درسها النحاة وأشاروا إلى بعض معانيها الإنجازية في السياقات والمقامات المختلفة.

ثم عَرَضَ للأفعال الكلامية في حروف المعاني وهي (قوى إنجازية مختلفة) بتعبير اللسانيين التداوليين المعاصرين وطالما أشار النحاة إلى أهميتها في التعبير والتواصل ووظيفتها التداولية وارتباطها بمقاصد المتكلمين. والظاهرة التداولية التي أشار إليها الدرس اللساني الحديث على لسان سيرل المسماة الاختلاف في درجة الشدة للغرض المتضمن في القول؛ تزخر بها اللغة العربية لما تحتويه من حروف المعاني فهي أدوات دالة على معاني وإفادات إنجازية تضاهي بدقة نظرية الأفعال الكلامية كما يتصورها الفكر اللساني التداولي المعاصر، فهي تُمكن المتكلم من تحقيق الأفعال

1 - مسعود صحراوي: المرجع السابق، ص 220

2 - نفسه، ص 206

3 - نفسه، ص 220 - 221

والمواقف التي يرمي إليها بالكلمات، وثُمكته من التأثير في المخاطب بحمله على فعل أو ترك كالعرض والتحضيض والتوبيخ... بأدوات مثل (ألا، هلا، لولا، لوما،...)¹.

كما اهتم بما أبداه جمهور النحاة العرب القدامى ولا سيما عبدالقاهر الجرجاني والرضي، من عناية على نحو تداولي بـ (المعاني) و(الأغراض) الإبلاغية المتوخاة من (الخطاب) والحرص البارز على الاهتمام بالصلة بين التراكيب ومعانيها الإبلاغية ووظائفها التواصلية، فنظروا إلى الظواهر التركيبية المختلفة كالتقديم والتأخير، والتعيين،... على أنها أغراض وغايات تواصلية يسعى المتكلم إلى تحقيقها فهي (أفعال كلامية) يرمي من خلالها المتكلم إلى تخصيص الخطاب، أو تنبيه المخاطب، أو تأكيد الرسالة الإبلاغية له، أو إغرائه أو تحذيره أو ندائه... حيث بؤاوا المعنى مكانة عالية ولم ينظروا إلى الألفاظ إلا على أنها تأدييات للمعنى وتعبير عنه.²

4.3. تحليل ومناقشة بعض آراء الباحث: من خلال الفرش النظري الذي قدّمه الباحث

في الفصل الأول وقفنا على بعض الملاحظات أهمها:

- انفتاح الباحث على التوجهات اللسانية الغربية الحديثة، وفهمه للدرس التداولي المعاصر وكنهه لأبعاده ومحتوياته ومناهجه. حيث يُعدّ كتابه إسهاما حقيقيا في ميدان التداولية المعاصرة ولبنة فريدة في التعريف بهذا المنهج اللساني وسماته وخصائصه وطريقته في دراسة اللغة، ونقله إلى البيئة العربية التي تفتقر إلى المؤلفات في مثل هذا السياق؛ سياق تأثر مناهج ونظريات الدراسات اللغوية في الآونة الأخيرة بالتوجهات والتيارات المعرفية الجديدة الفلسفية والنفسية والاتصالية التي تتفق جميعها على أن اللغة ظاهرة تمارس ضمن سياق متعدد الأبعاد فأثمرت درسا لغويا جديدا متقدرا في التعاطي مع الظاهرة اللغوية لما يقيمه من روابط علمية بين فروع المعرفة المختلفة هو الدرس التداولي. وهو اتجاه لا تزال الأبحاث فيه بكرا في البلاد العربية.³

1 - مسعود صحراوي: المرجع السابق، ص 216، 217

2 - نفسه، ص 219

3 - نفسه، ص 12

- تمكّن الباحث من إثبات القيمة العلمية للمنهج التداولي والدفاع عن ذلك أمام المشككين في جدواها من خلال "قراءة هذه النظرية قراءة جديدة تحاول أن تعيد إليها هويتها اللغوية بعد أن صبغت بالصبغة الفلسفية تارة والمنطقية تارة أخرى، فهذا الحقل المعرفي هو نقطة التقاء مركزة بين العديد من العلوم كاللسانيات والسيميائيات والمنطق والفلسفة."¹ ورفضه للمقولات القائلة بأن التداولية سلة لمهمات اللسانيات حيث يقول: "تعتبر كل ظاهرة عجزت اللسانيات عن حلها مجالاً للبحث التداولي وهذا يقتضي أن الظواهر التي تدرسها التداولية ليست مهمة ولا متروكة بالضرورة."² مما يجعل المنهج التداولي منهجاً لسانياً يمدّ الدراسات اللغوية والمعرفية بأفكار ومفاهيم ورؤى جديدة غير الذي اعتاد عليه البنيويون والتوليديون.

- لم يكن الباحث مجرد مترجم أو ناقل للفكر اللساني الغربي وإنما كان شديد الحرص على إبداء رأيه والتعليل لمواقفه بالدليل العلمي، وهو ما يقتضيه منهج البحث السليم. من ذلك مثلاً أن مصطلح التداولية *pragmatique* الذي تلقاه العرب ونقلوه إلى العربية بأسماء مختلفة؛ أشهرها التداولية، وهو ما نجده عند كثير من الباحثين والمشتغلين بحقل اللسانيات الحديثة، ويمكن اعتباره هو الأقرب إلى جوهر الدراسة، وعلى رأسهم أحمد المتوكل ويستعملها مطابقة للوظيفية أيضاً.³ واكتفى بعض الدراسين ك (نعمان بوقرة) بالترجمة بالنقل الحرفي للمصطلح فيستعملون (البراغماتية)⁴. في حين مال بعضهم إلى استعمال مصطلحات أخرى؛ من قبيل النفعية والذرائعية وعلم التخاطب...⁵ ففي هذه المسألة نجد الباحث يعلّل اختياره لمصطلح التداولية ورفضه لمصطلح الذرائعية؛ بقوله: "التداولية ترجمة للمصطلحين، المصطلح الانجليزي *pragmatics* بمعنى هذا المذهب اللغوي التواصلية الجديد الذي نعرف به في هذه المقالة والمصطلح الفرنسي *la pragmatique* بنفس المعنى، وليس ترجمة لمصطلح *le*

1 - مسعود صحراوي: المرجع السابق، ص 12

2 - نفسه، 27

3 - أحمد المتوكل: اللسانيات الوظيفية، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت، لبنان، ط 2، 2010، ص 18

4 - نعمان بوقرة: المدارس اللسانية المعاصرة، مكتبة القاهرة، مصر، 2000، ص 165

5 - محمد محمد علي يونس: مدخل إلى اللسانيات، دار الكتاب الجديد، بيروت، لبنان، 2004، ص 102

pragmatisme الفرنسي، لأن هذا الأخير يعني الفلسفة النفعية الذرائعية... ولذلك لا نتفق مع الباحثين العرب الذين ترجموا مصطلح pragmatics / lepragmatique بالذريعية أو الذرائعية أو غيرهما من المصطلحات المتحاولة معهما.¹

- يُحمد له وضعه للرسومات والمخططات والمشجرات التي تلخص فهمه للدرس اللساني التداولي الغربي، وهو ما وقفنا عليه في عدد غير قليل من صفحات هذا الفصل، وهي السمة ذاتها التي سنلاحظها في الفصول المتبقية من الكتاب.²

- مما نأخذه عليه في هذا الفصل تحامله على الاتجاه البنوي في دراسة اللغة، ونقده اللاذع لمنهجها ووصفه بالانغلاق الصارم مع إن الفتوحات المعرفية في حقل اللسانيات كلها تقريبا بنيت على ما وصلت إليه البنوية إما بمتابعة مسارها وإما بنقدها من ذلك قوله: "تتلخص مهام التداولية في: ...شرح أسباب فشل المعالجة اللسانية البنوية الصرفة في معالجة الملفوظات."³ وقوله: التداولية هي "دراسة استعمال اللغة عوضا عن دراسة اللغة فاللسانيات كما هو معلوم تتفرغ للدراسة الثانية أي لدراسة المستويات الصوتية والتركييبية وربما الدلالية فقد تحولت مع البنويين إلى علم تجريدي مغلق ذي إجراءات داخلية خالصة يؤمن بكيانية البنية اللغوية في مستواها الصوري المجرد في حين أن دراسة استعمال اللغة لا تتحصر ضمن الكينونة اللغوية بمعناها البنوي الضيق وإنما تتجاوزها إلى أحوال الاستعمال في الطبقات المقامية المختلفة حسب أغراض المتكلمين وأحوال المخاطبين."⁴ وقوله: "توصف اللسانيات البنوية بوصف (الشكلانية والصورية) أي البعد عن الأحداث الكلامية الحقيقية في الواقع المجسد مما جعل جهازها الواصف مفتقرا إلى التّعيين والإحالة لافتقادها للقواعد الإحالية التفسيرية... والتداولية لها - بعض المميزات عن اللسانيات البنوية كالاتصال

1 - مسعود صحراوي: المرجع السابق، ص 15

2 - نفسه، ص 24 وما يليها

3 - نفسه، ص 27

4 - نفسه، ص 28

المباشر ومباشرة العالم الخارجي.¹

وإن كنا لا نخالفه الرأي في شأن قصور البنية في استيعاب الظاهرة اللغوية؛ من حيث اهتمامها بدراسة اللغة دراسة وصفية آنية وتحليل مستوياتها بوصفها كيانا مستقلا وإهمال ربطها بالاستعمال والسياق الذي تنتج فيه، وبالتالي تقصي الكلام والمتكلم والسياق عن مجال الدراسة وتعتبرها عناصر خارجة عن اللغة. إلا أن هذا النوع من الدراسة هو الذي نقل اللسانيات هذه النقلة النوعية وهي التي انطلق منها في الدراسة العلمية للظاهرة اللغوية. كما أن التداولية ما كانت لتظهر لولا ظهور تلك النقائص في المنهج البنوي والتوليدي "فلا أحد يماري في أن البحث التداولي وليد الثقافة الأنجلوساكسونية anglosaxonne، وقد تطوّرت في الولايات المتحدة وانجلترا بسبب الدور الذي لعبته الاتجاهات التحليلية في الفلسفة، ومن جهة أخرى بسبب ما خلّفته النظرية التوليدية في نموذجها الأول من مشاكل (إخفاق) نتيجة تمسّكها باستقلالية التركيب L'autonomie de la syntaxe، ممّا أدّى للتفكير بجدية في البعدين الدلالي sémanitique، ثمّ التداولي pragmatique² وتلك هي طبيعة العلوم إذ إنها تتطور بالتراكم. علاوة على أن اللغة البشرية تحتوي على جوانب شديدة التعقيد تتطلب أكثر من منهج وأكثر من وسيلة لفكّ شفراتها وتحليل محتوياتها، وكشف مقاصدها، ولا يتسنى لمنهج واحد أن يصف خصائص اللغة وصفاتها أو يفسّر ظواهرها تفسيراً واضحاً يصيب كبدها، ومن ثمّ قسم العلماء اللغة إلى عدّة مستويات تحليلية ليتمكّنوا من كشف محتوياتها وإظهار أسرارها ومعرفة مضمونها. وقد سلكوا في ذلك مناهج متعدّدة يهدف كلّ منهج منها إلى وضع تفسيرٍ دقيقٍ لظواهر اللغة، والمقصد من هذا إماطة اللثام عن أبعاد اللغة الدلالية ومقاصدها في التواصل الاجتماعي.³ كما أن منهج اللغويين العرب في بدايته كان منهجا مغلقا من خلال ما عرف بعصر الاحتجاج

1 - مسعود صحراوي: المرجع السابق، ص 29

2- إدريس مقبول: البعد التداولي عند سيوييه، مجلّة عالم الفكر، ع1، مج33، يوليو، سبتمبر، 2004، ص 245.

3 - محمود عكاشة: التحليل اللغوي في ضوء علم الدلالة؛ دراسة في الدلالة الصوتية والصرفية والنحوية

والمعجمية، دار النشر للجامعات، القاهرة، مصر، ط 2، 2011، ص 12.

وتحديد الإطار الزمني والمكاني للفصاحة وإسقاط ما هو خارج عنها. وقد سبق أن عاب عبد الرحمن الحاج صالح وُلَع الدارسين المحدثين بالتداولية في قوله: "أكثر اللغويين الغربيين المحدثين مولعون بالبراغماتيك، أي دراسة استعمال اللّغة، وقوانين استعمال اللّغة اجتماعية أصالة وللبنى اللّغوية جانب آخر غير اجتماعي وهو ميدان صوري، وهذا مع الأسف لم ينتبه إليه الكثير من النَّاس. وفيما يخصَّ النَّحو في حدِّ ذاته فيقولون بأنَّ البنية قُتلت بحثاً في اللّسانيات الحديثة..."¹

- ومن المآخذ أيضا الإشارة العرضية من المؤلف إلى مفهوم القصدية دون تفصيل وبسط في هذا الفصل وفي مواضع مختلفة من الكتاب، وهو المفهوم الذي لا تخفى أهميته في الخطاب اللساني التداولي؛ حيث تقوم التداولية على الأفعال الكلامية وهذه الأخيرة تقوم على الاستعمال، والاستعمال ينبنى على المقاصد. وكذا إهماله للأفعال الكلامية غير المباشرة.

ومن خلال قراءتنا للفصل الثاني نُثَمِّن الجهد الذي قام به الباحث ونشير إلى بعض نقاط القوة فيه؛ مثل:

- تمكّن الباحث من الإبانة عن معايير التمييز بين الخبر والإنشاء في التراث العربي، كما قدّم إطارا ابستمولوجيا وتصورا مجملا ومفصلا لمنطلقات ظاهرة الأفعال الكلامية في التراث العربي وتحديد موقعها من منظومة البحث اللغوي وكيف تناولها وتوسّع وتعمّق في تحليلها وتفسيرها علماء البلاغة والمنطق وأصول الفقه والنحو، من خلال نظرية الخبر والإنشاء وأدواتها المنهجية.²

- تمكّن من التدليل على أن الأفعال الكلامية عند المعاصرين في معطياتها المعرفية تتجلى في التراث اللغوي العربي على وجه التحديد في مبحث الخبر

1- عبد الرّحمن الحاج صالح: النظرية الخليلية الحديثة، مجلة اللغة والأدب، معهد اللغة العربية وآدابها، جامعة الجزائر، العدد 10، ديسمبر 1996، ص 93.

2- مسعود صحراوي: المرجع السابق، ص 48

والإنشاء وما يتعلّق بها، وقد تناول العرب قضاياها وأصولها وفروعها وتطبيقاتها ضمن مباحثهم التراثية المختلفة.

- يتميز المؤلف باطلاعه المكثّف على التراث اللغوي العربي في مختلف فروع الفلسفي والنحوي والبلاغي والفقهي والأصولي، وقدرته على فهم التراث وتمحيصه وتدقيقه، حيث توصّل إلى قراءات وملاحظات ونتائج مفيدة، منها مثلاً أن بحث ظاهرة الخبر والإنشاء كان مقصوداً لذاته من طرف البلاغيين والنحاة كونه من صميم تخصص درس اللغوي، لذلك توسعوا في بحث الظاهرة. في حين لم يكن بحثها غاية في ذاتها من طرف المنطقة. ولذلك قصرُوا أعمال آلياتهم الإجرائية على التراكيب الخبرية دون الإنشائية، أما الأصوليون والفقهاء وإن لم يكن درسها عندهم غاية في ذاتها إلا أنهم تناولوا الأسلوبين الخبري والإنشائي برؤية تداولية بغية استنباط الأحكام الشرعية.¹

- تمكّن المؤلف من إمطة اللثام عن عمق رصيد أسلافنا الإجمالي والمنهجي في ميدان دراسة اللغة المترامي الأطراف في الحقول المعرفية المختلفة كعلم البلاغة، والنحو، وأصول الفقه...، معتمداً في ذلك على آيتين؛ الأولى فهمه للسانيات الغربية الحديثة ووعيه بقيمة التراث وضرورة إعادة قراءته ومقارنته باستثمار المناهج اللسانية الحديثة على نحو علمي، يتلافى القطيعة إن مع اللسانيات وإن مع التراث، ويتنافى مع الانبهار بأحدهما على حساب الآخر أو إسقاط المناهج الغربية على التراث دون أسس علمية. وذلك يدل على إيمانه بأهمية التوفيق والربط بين اللسانيات الحديثة والتراث اللغوي العربي، ومن ملامح عدم انبهاره بالتراث مثلاً أننا نجده يشير إلى أن نظرية الخبر والإنشاء عند العلماء العرب مرت بمراحل وأطوار من التأسيس إلى النضج والاكتمال حتى استقرت على أسس علمية دقيقة ونهائية على عهد اللاحقين للسكاكي الذين استعاروا أدوات التحليل المنطقية. ومن ملامح عدم استقرار واكمال جهازها المفاهيمي والتصنيفي غياب مصطلح (الإنشاء) عن درس البلاغي وتأخر

1- مسعود صحراوي: المرجع السابق، ص 56، 57

ظهوره إلى حين القرن الخامس للهجرة.¹

- توصله إلى أن هذه الأساليب كما تحدّث عنها الأصوليون والنحاة والبلاغيون العرب تمثّل أفعالا كلامية وبالتحديد أفعالا متضمنة في القول بتعبير التداوليين، وخروجها عن أغراضها الحقيقية إلى أغراضها المجازية هي خروج عن مقتضى الدلالات الظاهرة إلى أغراض وإفادات تواصلية بحسب ما يقتضيه المقام؛ أي انتقالها من معناها الأصلي إلى معنى يُستلزم من مقام التّخاطب، وهو ما يوحي باهتمام العرب القدامى بظاهرة الأفعال الكلام غير المباشرة ودراستهم لها، كالأمر الذي يُفيد بالنظر إلى حال وقصد المتكلم ومنزلته مقارنة بالمخاطب وفق "مبدأ الشروط المعدّة" بتعبير سيرل، الذي يؤثر في هوية الأفعال الكلامية وفي قوتها وضعفها وتصنيفها. وهو الاهتمام الذي لمسه أيضا من اتجاه العرب إلى "مراعاة المعنى والغرض الذي يتوخاه المتكلم أي ملاحظة الأغراض والغايات التي يرتادها المتكلم حين يتلفظ بهذه الصيغ في المقامات والأحوال المناسبة وهذا المنهج منهج تداولي وظيفي مادام يستقرى الدلالات المتجددة في الأنماط المقامية المختلفة."²

- ومن المآخذ التي نوردها في هذا الجزء من الكتاب أن الباحث يشير إلى أن الخبر والإنشاء من موضوعات البلاغة -على الخصوص- وكان مقصودا لذاته بالدراسة من طرف البلاغيين لاسيما في مبحث علم المعاني وأنه قد كانت جهودهم التداولية محمودة من خلال اهتمامهم بتقسيم الكلام إلى خبر وإنشاء، وتحديد أنواع الخبر باعتبار السامع، وحديثهم عن السياق والمقام ومقتضى الحال وتناولهم للأغراض والمقاصد ومبدأ الإفادة، وتركيزهم على معايير إنتاج النص من قبل المتكلم وآلية فهمه لدى السامع، من اختيار للفظ... ومراعاة القرائن اللفظية والحالية التي تُمكن المتلقي من تجاوز فهم المعنى الحرفي إلى فهم المعنى المتضمّن في القول وغيرها من القضايا التداولية التي نجدها عند بلاغيينا من أمثال الجاحظ والسكاكي والخفاجي

1 - مسعود صحراوي: المرجع السابق، ص 53 - 54

2 - نفسه، ص 125

والعسكري.... إلا إنه لم يفرد لهم فصلا كما أفرد له للأصوليين والنحويين مع أنّ مباحث البلاغة الخصبية وتطبيقاتها المختلفة في جوهرها أقرب إلى التداولية من غيرها، لا سيما لارتباطها الكبير بالاستعمال يقول الحاج صالح: "أما البلاغة فهي صفة لكيفية استعمال المستعمل لهذه المعطيات اللغوية وهذه المقاييس النحوية إفراداً وتركيباً؛ فدراستها تخص الجانب الاستعمالي pragmatic للغة، أو بعبارة أخرى دراسة لاختيارات المستعمل للغة للامكانيات اللانهائية التي تتيحها اللغة في جميع مستوياتها: الصوتي والمعجمي والصرفي والتركيبية".¹ فقد كانت الضرورة ملحة لأن يعقد فصلا خاصا بعنوان (الأفعال الكلامية عند البلاغيين).

أما الفصل الرابع فكان دليلا على اعتداد الباحث الشديد بجهود الأصوليين في مجال التداولية، وأشار إلى الكثير من مبادئهم ومقولاتهم التداولية. حيث وُقِّع في عرض الحديث عن المسائل التطبيقية للأفعال الكلامية المتداولة لدى العلماء المعاصرين، وكشف عن جذورها التداولية في التراث العربي؛ ضمن حقل معرفي محدد هو (أصول الفقه)، فعالج المؤلف كيفية استناد علمائه إلى علم المعاني في دراسة النصوص الشرعية على نحو تداولي؛ وما نتج عن ذلك من مجموع الظواهر الكلامية اللامحدودة واللانهائية المنبثقة عن الخبر والإنشاء. وذلك من خلال بحثهم لنظرية الخبر والإنشاء؛ باستثمارهم مفاهيم ومقولات وآليات التحليل التداولية كنظرية الأفعال الكلامية، للكشف عن المعاني والدلالات التي يحملها النص الديني، والطرق التي يتخذها لإفادة معنى، أو لصناعة أفعال دينية - فردية كانت أو اجتماعية - بالكلمات، وكيفية تعاطيهم بالأساليب اللغوية والأغراض الإبلاغية التواصلية المنبثقة عنها. كما يُسجّل الدرس الأصولي احتكام علمائه إلى مفهوم القصد في تميطهم للجملة الخبرية وبيان أغراضها التواصلية الإنجازية ومنها (الشهادة، الرواية، الدعوى، الإقرار، ...).²

ومن النتائج الإيجابية التي توصل إليها:

1- عبد الرحمن الحاج صالح: بحوث ودراسات في اللسانيات العربية، موفم للنشر، الجزائر، ط 2012، ج1، ص

2 - مسعود صحراوي: المرجع السابق، ص 132 وما يليها

- إشارته إلى أن الأصوليين العرب لا سيما القرافي كانوا يعتمدون على مفاهيم موغلة في التداولية تفوقوا بها حتى على الدرس الغربي الحديث كالقصدية (اعتقاد المخبر)، والسياق (مطابقة الواقع) في فهم معنى النص، ذلك أن "الأساس التمييزي الذي يقوم عليه التفريق بين هذه الأنواع هو (الآثار المترتبة عن الخبر والمتعلقة بالمخبر عنه) والذي تعود آثاره إما على عموم وإما على خصوص وهو أساس تداولي لم نجد ما يعادله معادلة تامة في معايير سيرل المعاصرين ولكن يبدو أنه ذو صلة بما سماه الفيلسوف سيرل (نمط الإنجاز) (mode of achievement) ومفهومه عنده أن توافر إنجازية معينة يغير من هوية الفعل الكلامي ويكيفية بطابع خاص.¹

- إشارته إلى اعتداد الأصوليين بالمقاصد والمعاني لا بالألفاظ والمباني² يثبت وعيهم بالدرس التداولي وبظاهرة الأفعال الكلامية، حيث عالجوا أساليب النصوص الدينية الخبرية والإنشائية واستتبوا دلالاتها بآليات توصلت إليها اللسانيات الغربية في العصر الحديث. وهو ما يتجلى من خلال تأكيد الأصوليين على الوظيفة التواصلية للغة باعتمادهم على المعاني لا المباني، وبتركيزهم على جملة الأغراض والمقاصد التي يريدونها المتكلم، وبمراعاتهم للظروف والملابسات التي تكتنف الخطاب واهتمامهم بدراسة اللغة في حال استعمالها.

- كما خلص إلى أن "علماء أصول الفقه كانوا من أحسن المستثمرين لظاهرة الخبر والإنشاء في إطارها التداولي، معتمدين مقولات ومبادئ: سياق الحال، ووضع المتكلم وموقعه من العملية التواصلية وغرضه من الخطاب... وطبقوها على نصوص القرآن والسنة، بغرض دراسة المعاني الوظيفية لتلك النصوص، وهي المعاني التي تطرأ على القول وتتغير من مقام إلى آخر، وعلاقة تلك المعاني بقائلها، وعلاقة ذلك كله بظروف القول وملابسات الخطاب. ودرسوا أيضاً (ألفاظ العقود والمعاهدات) وما تقتضيه من تشريعات اجتماعية سياسية، والقوى الإنجازية لتلك المواضع القولية

1 - مسعود صحراوي: المرجع السابق، ص 137

2 - نفسه، ص 171

وشروطها وأحكامها... وكانت نتيجة ذلك أنهم استتبطوا (أفعالاً كلامية) جديدة، ضمن بحثهم لمعاني الخبر والإنشاء، ك: الإذن والوجوب والتحرير والإباحة. وكاعتمادهم مقولة: القصد أو الغرض...¹ وذلك من جراء "فهمهم لطرق تأليف الكلام وأوجه استعمالته وإدراك مقاصده وأغراضه، وما يطرأ عليه من تغيير ليؤدي معاني متعددة ومن ذلك بحثهم في ظاهرة الأفعال الكلامية (ضمن نظرية الخبر والإنشاء) ومراعاة قصد المتكلم وغرضه ومراعاة السياق اللغوي وغير اللغوي وتحكيمة في الدلالات... بل إن البحث الأصولي قد يُفضّل في بعض جوانبه على ما قدّمه علم المعاني.²

وهكذا درس المؤلف نظرية الأفعال الكلامية عند الأصوليين الذين برعوا وتفوّقوا على نظرائهم التراثيين وكانوا أحسن في تطبيقها من النحاة والبلاغيين، وأبان بدقة متناهية عن ملامحها عندهم التي لا تختلف عن ملامح الدرس التداولي المعاصر، وقد برع في دراسته هذه على نحو قلّ مثيله عند غيره من المهتمين بالمبحث التداولي في التراث اللغوي العربي. وكان أساس دراسته هو نزعة التوفيق بين الدرس التراثي والدرس اللساني الحداثي وتمكنه من فهم الاثنين معاً.

أما الفصل الخامس وهو أطول فصول الكتاب؛ فقد تمكّن باقتدار من بيان قيمة جهود النحاة التداولية حيث:

- دافع عن النحاة العرب ودفع عن درسهم النحوي ما وُصم به وما يتّهمه به بعض الدارسين المحدثين، من كونه درسا شكليا تجريديا خالصا يتناول التركيب منفصلا عن المعنى، فأثبت من خلال بحثه اهتمام النحاة العرب القدماء بدراسة المعاني والأغراض والمقاصد وطرق الاستعمال اللغوي وأحواله وملايسات الخطاب ولاسيما العلاقة بين المتكلم والمخاطب، حيث "يحظى طرفا الخطاب (المتكلم والمخاطب) باهتمام بالغ في تحليلات العلماء العرب القدامى، وخصوصاً عند عبدالقاهر الجرجاني والرضي الاسترأبادي، فلم يغفلا عن العلاقة القائمة بين المتكلم

1 - مسعود صحراوي: المرجع السابق، ص 224

2 - نفسه، ص 132

والمخاطب. ويتمثل اهتمامهما بالمتكلم في العناية بـ (غرضه وقصده) من الكلام، أما اهتمامهما بالمخاطب فيتمثل في الاحتفاء بـ (الإفادة)، وهي (الفائدة) التي يجنيها السامع من الخطاب، ويتجلى ذلك أيضاً مما عبر عنه الرضي: بدفع المتكلم ظن السامع به الاحتمالية والتجوز، ومنع غفلته عنه، وإزالة الشك والتوهم... وبينما يفعل عبد القاهر والرضي ذلك، نجد البحث النحوي غير الوظيفي يركز على أواخر الكلمات في الجملة ومطاردة حركاتها الإعرابية بسبب اهتمامه الشديد بـ (نظرية العامل).¹

- نَبَّه إلى أن النحاة لم يغفلوا في وضع قواعدهم التي تضبط التراكيب ضرورة حصول الفائدة لدى المخاطب من التركيب وبنوا درسهم النحوي على أساس مبدأ الإفادة وأمن اللبس عن أغراض المتكلم ومقاصده التي ينوي إبلاغها للسامع. وهي المقاصد التي حرصوا على إبرازها ومراعاتها كمبدأ هام في التقعيد النحوي، حيث كان مبدأ القصد والغاية التواصلية التي يريدها المتكلم في عرف النحاة قرينة تداولية مهمة في الدراسة اللغوية تساعد في تحديد الوظيفة النحوية للكلمة وبيان دورها في التحليل النحوي للجملة، ذلك أنهم لم يفهموا اللغة على أنها مجرد بناء من القواعد المجردة بل هي في نظرهم صيغة لفظية يؤديها متكلم معين في سياق ومقام معين وموجه إلى مخاطب معين لأداء غرض تواصلية معين. وبنية تركيبية لها معناها ومقصدتها وغايتها التداولية ووظيفتها الإبلاغية توجبها ملابسات الخطاب وأغراضه كمراعاة حال السامع والفائدة التي يجنيها من الخطاب، فكان تصوّرهم للعلاقة القائمة بين اللغة ومستعملها وبين ما ينطق به المتكلم وما يحيط به من ظروف وملابسات وما يريده من المقاصد والأغراض العصب الذي أقاموا عليه نظريتهم النحوية. ولم يتخذوا الخطاب موضوعاً للدراسة معزولاً عن ملابساته، بل حفلوا بالظروف والملابسات المحيطة بالقول كركن من أركان عملية تواصل تامة تتضمن سياقاً ومقاماً ومُلقياً ومُتلقياً علاوة على المقال نفسه.²

1- مسعود صحراوي: المرجع السابق، ص 220

2- نفسه، ص 200

- تمكّن من إثبات وجود أهم المبادئ والمفاهيم والآليات التداولية في عرف النحاة وسلوكهم في دراسة الظواهر اللغوية، واستندوا إليها في التععيد اللغوي، كمبدأ (الإفادة)، ومبدأ (الغرض والقصد) وهي المفاهيم التي تتجلى في أبواب نحوية وظواهر لغوية مشهورة في مؤلفات النحويين كالتعيين (التعريف والتكثير)، والإثبات والنفي، والتقديم والتأخير، والأساليب النحوية وأغراضها المختلفة كالتأكيد، والقسم، والإغراء والتحذير، والدعاء، والاستغاثة والندبة...، إضافة إلى ما يتعلّق بحروف المعاني بما تتضمنه من قوى إنجازية تحدّد سياقات المناسبة كالعرض والتوبيخ، والزجر...

استنادا إلى ما سبق نستطيع القول أن الباحث قد وقف على أهم تطبيقات المفاهيم التداولية ومقولاتها الأساسية كسياق الحال وغرض المتكلم، وإفادة المخاطب في التراث اللغوي العربي نحو بلاغة وأصولا، ولم يكن ذلك سوى استجابة طبيعية لتمظهرات العبارات والنصوص موضوع الدراسة كخطابات تواصلية، لا تتقطع فيها الصلة بين المتكلم والسامع، واللغة والاستعمال، والسياق والمقام، حيث لا يمكن تبين الإفادات والدلالات دون المقاصد والسياقات.

ونحن إذ نؤمن جهد الباحث في الكشف عن مبدأي الإفادة والقصد كمبدأين هامين من مبادئ التداولية توفرا في تراث النحويين، نشير في المقابل إلى أنه أهمل مبدأ الإحالة والاستقامة، وإن كان يصعب أن يحيط باحث في عمل واحد بكل جهود النحويين التداولية وعنايتهم بالاستعمال، إلا أنه لا يمكن للباحث الحصيف أن يفوته حديث سيبويه عن الاستقامة والذي يتفق كل الباحثين على أن قوله ذاك من صميم التداولية وقد اكتفى الباحث بالإشارة إليه إشارة عرضية في الفصل الثاني (معايير التمييز بين الخبر والإنشاء) بقوله: "وعلى هذا ينبغي أن يحمل مقصد سيبويه في الكتاب عندما صنف الجملة العربية دلاليا أصنافا ذكرها في قوله: "فمنه مستقيم حسن ومحال ومستقيم كذب ومستقيم قبيح وما هو محال كذب."¹ فالملاحظ أن سيبويه لما

1- أبو بشر عمرو بن قنبر سيبويه: الكتاب، تح: عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، مصر، ط3، 1988، ج1، ص 25.

تحدث عن صنف المحال لم ينعته بمستقيم أو حسن كما فعل مع الأصناف الأخرى مما يدل على عدم كفاية هذا الصنف التواصلية، ومن ثم عدم الاعتداد به تداولياً في اللسانيات العربية. ومن هنا يمكن أن نتصور ما يرمي إليه أبو الحسن الأخفش (ت 215 هـ) في شرحه لكلام سيبويه وفهمه الدقيق له في قوله: "أما المحال فهو ما لا يصحّ له معنى ولا يجوز أن تقول فيه صدق ولا كذب لأنه ليس له معنى...¹" وهذا ما فهمه المتأخرون من العلماء أيضاً فمحمد بن علي الجرجاني مثلاً يُعَوّل كل التعويل على القرينة التداولية الكبرى التي سموها الإفادة في تحديد علم المعاني.²

وأول ما نُبديه من الملاحظات أن هذا القول كان يجب أن يكون في الفصل الخاص بجهود النحويين، كي لا يكون الفصل المعنون (الأفعال الكلامية عند النحاة) خالياً من قول إمام النحاة وأشهرهم (سيبويه). وقد أشار العديد من الدارسين إلى الأسس التداولية في منهج سيبويه؛ ومنهم بشير إبرير الذي ذهب إلى القول بأنّ خطاب سيبويه في الكتاب يتميّز بانطلاقه من الأمثلة المختلفة في المسائل الكثيرة التي عرضها؛ وهو ما يدلّ على معرفته الواسعة بظواهر الاستعمال اللغوي في المجتمع العربي آنذاك؛ وعمق درايته بظواهر التخاطب والمشافهة وما تقتضيه من استعمالات لغوية ممّا بات يدرس اليوم في إطار اللسانيات الاجتماعية والتداولية.³ وأنّ القراءة المتأنية للكتاب فيما يتعلق بظواهر التبليغ والمشافهة تبدي أرضية خصبة لنظرية قائمة بذاتها في التخاطب communication عند سيبويه، حيث أعطى أهمية لعناصر دورة التخاطب ومنها: المتكلم والمخاطب وحال الخطاب ومقام التخاطب ومحيطه الاجتماعي وما يقتضيه من استعمالات لغوية متنوعة تبعا لمقاصد المتكلمين وأغراضهم المختلفة. كما ربط بين المقال والمقام وهو ما يُطلق عليه الآن الإحالة النصية والإحالة المقامية، حيث يمكن الوصول إلى تحديد أنماط خطابية متعددة خلف

1 - مسعود صحراوي: المرجع السابق، ج1، ص 25 - الهامش -

2 - نفسه، ص 200، ص 51، 52

3 - بشير إبرير: آليات تحليل الخطاب في كتاب سيبويه، مجلة كلية الآداب واللغات، جامعة محمد خيضر،

بسكرة، جانفي وجوان 2012، العددان 10 و11، ص 25.

النداء والاستفهام والتعجب والإغراء والمدح والذم والأمر والنهي والخبر والحال....¹ والخاصة أنّ "كتاب سيوييه ليس كتابا في الإعراب بالمعنى التقليدي وإنما هو كتاب في تحليل الخطاب ولسانيات النص درس فيه اللغة كوضع أو نظام بنوي، ودرس فيه ظواهر الاستعمال مما تؤكد الدراسات اللسانية المعاصرة في إطار الطابع التداولي العملي."²

والملاحظة الثانية أنه اكتفى بالحديث عن الجانب التداولي للمُحال، ولم يتحدث عن المستقيم الكذب من وجهة نظر التداوليته وهي النقطة لم يغفلها كثير من الدارسين إذ يتفقون أن قول سيوييه السابق يؤسس لنظرية تداولية تربط البنية التركيبية بالبنية الدلالية "حيث: استشفّ الدارسون من هذا النص جانبيين اثنين:

" أولهما: بنوي شكلي حسب ما تقتضيه القاعدة النحوية وتقبّله. وثانيهما: خطابي إعلامي إخباري؛ وهو من الأمثلة المذكورة في النص من خلال السياقات اللغوية والمقامات التخاطبية التي ترد فيها، وهذه كما قلنا ميزة أساسية في كتاب سيوييه؛ فهو يُميّز بين الاستقامة التي أساسها المعنى وكذلك بين ما يقتضيه القياس بالنظر إلى النظام اللغوي العام الذي يميز لغة من لغة أخرى، وبين ما يقتضيه الاستعمال بحسب الأوضاع والمقاصد والأغراض التي يؤمها المتكلمون."³ فهو يتجاوز النظر إلى الإعراب بالمعنى الشائع في كتبنا المدرسية ومؤسساتنا التعليمية؛ المدرسة والجامعة، ويتجاوز أيضا الفهم البسيط للإعراب والنحو؛ الذي رسخه الكثير من الذين لم يتجاوزوا قضايا الرفع والنصب والجزم، وقل كذا ولا تقل كذا... وكأن العربية تكمن في هذه القضايا البسيطة، وأن علم النحو حكراً على آراء مثل هؤلاء.

وقد أفاض الأستاذ عبد الرحمن الحاج صالح في شرح هذا القول وأرى على الكثيرين في بيان بعده التداولي وسبق العرب للغرب في هذا، وجعل مبدأ

1 - بشير إبرير: آليات تحليل الخطاب في كتاب سيوييه، المرجع السابق، ص 28

2 - نفسه، ص 29

3 - نفسه، ص 24

الاستقامة والإحالة مبدأ من مبادئ نظريته الخيلية الحديثة؛ إلا أننا سنرجئ الحديث عنه إلى الفصل الموالي لتفصيله عند حديثنا عن مبادئ النظرية الخيلية الحديثة. ونكتفي بعرض قوله "فسيبويه على إثر الخليل هو أول من ميّز بين السلامة الرجعة إلى اللفظ (المستقيم الحسن القبيح) والسلامة الخاصة بالمعنى: المستقيم/ المحال ثم ميّز أيضا بين السلامة التي يقتضيها القياس والسلامة التي يفرضها الاستعمال الحقيقي للناطقين (وهذا معنى الاستحسان وهو استحسان الناطقين أنفسهم): مستقيم/ حسن. فعلى هذا يكون التمييز بهذه الكيفية:

- مستقيم حسن = سليم في القياس والاستعمال

- مستقيم قبيح = غير لحن ولكنه خارج عن القياس وقليل - في الاستعمال -

- قد يكون سليما في القياس والاستعمال ولكنه غير سليم من حيث المعنى.

ومن ثم جاء التمييز المطلق بين اللفظ والمعنى، وأعني بذلك أن اللفظ إذا حُدّد أو فُسّر باللجوء إلى اعتبارات تخصّص المعنى فالتحليل هو تحليل معنوي Sémantique لا غير، أما إذا حصل التحديد والتفسير على اللفظ نفسه دون أي اعتبار للمعنى فهو تحليل لفظي نحوي gramatical - seméologico والتخليط بين هذين الاعتبارين يعتبر خطأ وتقصيرا.¹

ولذلك يُشيد الأستاذ بعبقرية الخليل وسيبويه ومن تابعتها من النحاة الأوائل في هذا التمييز المنهجي الدقيق والصارم في تحليلهم للغة بين البنية اللفظية والصورية وبين الدلالة والوظيفة التي تؤديها تلك الملفوظات في سياقاتها المختلفة. إلا أن مسعود صحراوي قد وجّه نقدا لعبد الرحمن الحاج صالح. وقدّ قوله بأن (عبقرية النحاة العرب الأوائل تكمن في فصلهم فصلا صارما بين الشكل البنوي للجملة، وبين مقامات، وأحوال استعمال الجملة كخطاب تواصلية)² ويرى بأنه "لم يفصل جُلّ نحائنا القدامى بين المبنى والمعنى في التحليل النحوي (الإعراب) بل كانوا يمارسون التحليل النحوي

1 - عبد الرحمن الحاج صالح: بحوث ودراسات في اللسانيات العربية، المرجع السابق، ج 1، ص 218

2 - عبد الرحمن الحاج صالح: الجملة في كتاب سيبويه، مجلة المبرز، المدرسة العليا للآداب والعلوم الإنسانية،

الجزائر، العدد 2، جويلية - ديسمبر، 1993، ص 9 - 10

ولسان حالهم يقول كما عبّر عن ذلك ابن هشام (متى بني النحو على ظاهر اللفظ ولم ينظر في موجب المعنى حصل الفساد).¹ ولكنّه مع ذلك رجع بالقول إلى أنّ "من مظاهر العبقرية عند بعضهم أنهم لم يفهموا من اللغة أنها "لفظ معيّن" يؤديه "متكلم معين" في "مقام معين" لأداء "غرض تواصلية إبلاغي معين". ولذلك جعلوا من أهداف الدراسة النحوية إفادة المخاطب معنى الخطاب، إيصال رسالة إبلاغية إليه.² ونحن نوافق الأستاذ عبد الرحمن الحاج صالح في أن النحاة الأوائل قد برعوا فعلا وحرصوا على التمييز بين دلالة اللفظ، ودلالة المعنى، وإنما الذي وقع في الخلط بين المستويين إنما هم المتأخرون من النحاة.

وربما يُغنيا بسطُ القول فيها من طرف الباحث (مقبول إدريس) والتي سماها باللحن التداولي بقوله: "جرت العادة أن يُنسب اللّحن (الخطأ) أو يضاف إلى اللّغة، ويُقصدُ به غالباً خرق جانبها النّحوي أو الصّرفي في بعض الأحيان، غير أنّي أرى أنّ هذا اللّحن قد يعترني مستويات عدّة على جهة التوسّع، ومن بينها المستوى التّدائلي التكلّمي، ومرجعي في هذا الطّرح كلام سيبويه ونظيره النّحوي... من خلال عمله (الكتاب)³ ويقصد بذلك مبدأ الاستقامة ويوضح ذلك قوله: "إنّ حكم سيبويه على أحد أنماط الكلام (ج) بصفة المستقيم الكذب هو ما أسمّيه باللّحن التّدائلي الذي تتخرّم فيه شروط المطابقة بين النسبة الكلامية والنسبة الواقعية الخارجية والنسبة العقلية كما يعبرّ البلاغيون وكذا التّدائليون.⁴ لأنّ هذا الصنف من الكلام (المستقيم الكذب)، تركيب انتظمت عناصره وفق نسق لغوي وقواعدي مقبولٍ يحافظ فيه على الرّتب والمحلات وآثار الإعراب، غير أنّ اللّحن يمكن أن يأتيه من جهة دلالة ملفوظه في علاقته بالاعتقاد والواقع، إذ هو إمّا صادق وإمّا كاذب، بناءً على المنطق الثنائي

1 - مسعود صحراوي: المرجع السابق، ص 175

2 - نفسه، ص 174

3 - إدريس مقبول: المرجع السابق، ص 246.

4 - نفسه، ص 246.

القيمة، كما هو معروف عند بعض التّداوليين المناطقية.¹

فهذا التحليل من طرف (إدريس مقبول) يحيل إلى اعتبار الجانب السياقي أو التّداولي في المستقيم الكذب، وهو ما يصفه باللاحن تداولياً؛ أي أن هناك لحنا لا في البنية أو التركيب وإنما في الدلالة التي يمكن أن تستفاد من التركيب السابق. ففي (شربت ماء البحر)، معلوم أن ماء البحر مالح لا يُشرب؛ لذلك فهو كذب. ولكننا نرى أنه إنما يصدق هذا التحليل في المستوى العادي من الكلام، ولكن يتغير الوصف حين ننقل إلى المستوى الأدبي أو الشعري خاصّةً، حيث يصبح الكذب واللا دلالة دلالة، إلا أن الدلالة هنا تداولية يقتضيها السياق كقولنا (حتى يلج الجمل في سمّ الخياط).

كما أهمل مسعود صحراوي البعد التداولي في تعريف ابن جني الشهير للغة على أنها: "أصوات يعبر بها كل قوم عن أغراضهم"² فهذا التعريف يجعل اللغة وسيلة للتواصل والتعبير عن الأغراض، أي أنه يشير إلى القيمة النفعية والقيمة التعبيرية في اللغة وهما قيمتان تداوليتان.

5.3. المضمون اللساني: لقد وجدنا الباحث في كتابه هذا يعمل على إعادة قراءة التراث قراءة معاصرة، اعتمد فيها على الآليات والأدوات والإجراءات التي أفرزتها واحدة من التوجهات اللسانية الحديثة وهي التداولية، إيماناً منه بأن تطبيق هذا المفهوم التداولي على اللغة العربية سيسهم في وصفها ورصد خصائصها وتفسير ظواهرها الخطابية التواصلية، والتدليل على أنها لغة تمتلك من وسائل الإيضاح والإبانة عن الدلالات المختلفة. واعتقاداً منه بأن استثماره في قراءة الانتاج العلمي لعلمائنا القدامى سيسهم أيضاً في اكتشاف وتثمين جوانب من الجهود الجبارة التي بذلها أولئك العلماء الأجلاء والتي لم تكن بعيدة عن المنحى التداولي، فعمل على استثمار واحد من أبرز مفاهيم التداولية وهو مفهوم (الفعل الكلامي)- في قراءة الموروث اللساني العربي عبر حقول معرفية متعددة، كعلم البلاغة وعلم أصول الفقه وعلم النحو... ويُعدّ عمل

1 - إدريس مقبول: المرجع السابق، ص 247.

2- أبو الفتح عثمان بن جني: الخصائص، المصدر السابق، ج1، ص 33

الباحث لبنة مهمة ساهمت في نفض الغبار عن التراث العربي، واجه من خلالها السلوكات الإقصائية التي يمارسها البعض ممّن تُحوجهم المعرفة أو الموضوعية؛ فيجعلونه غير قابل للتّحاور العلمي مع معطيات العلوم المعاصرة لا سيما التي تتوفر على الكفاية العلمية الوصفية والتفسيرية المناسبة لدراسة البعد التواصلّي الإبلّافي للظواهر الخطابية للغة العربية كالتداولية. كما يُحمد للباحث في جهده مراعاة الخصوصية المميزة للتّراث العربي وللغة العربية، وابتعاده عن الإسقاط والتعسف في تطبيق المفاهيم التداولية الحديثة قسراً على التراث.¹

فقد تراوح عمله بين تعريف وتحليل الجهاز المفاهيمي لهذا التّوجّه الجديد في البحث اللغوي المعاصر من وجهة نظر غربية، مُركّزاً على واحد من مفاهيمه وهو ظاهرة (الأفعال الكلامية) تحديداً من جهة، ومن جهة ثانية الإحالة على جذورها في الجهود التي بذلها أسلافنا في تراثنا النحوي والبلاغي والأصولي... ولذلك نرى أنّ هذا الكتاب ذا أهمية كبيرة في حقل الدراسات اللسانية الحداثيّة والتراثيّة على السواء، وعنوانا من عناوين إسهام اللسانيين الجزائريين، وذلك لما ضمّنه صاحبه من مباحث هامة تصلح أن تكون فرشا نظريا يعين الباحثين مبتدئين ومتخصصين على وعي الأصول والمفاهيم اللسانية الغربية والعربية على نحو سليم ودقيق، حيث شغل المؤلف بقضية التداولية ورصد مباحثها وأصولها التراثية والحداثيّة فاعتنى بتتبّعها في مظانّها واستقاها من منابعها من أصول العلم العربي والغربي. في محاولة موفقة لاستيعاب تراثنا اللغوي وإزالة اللبس والنسيان عنه باستثمار المناهج اللسانية الحديثة. حيث يرى الباحث في هذا المؤلف القيم أن تبني أسس المنهج التداولي في قراءة التراث العربي، ولاسيما مفهوم (الأفعال الكلامية) وما يرتبط به من مبادئ ومفاهيم إجرائية كالقصد ومراعاة سياق الحال... يُوسّع أفق النّظر إلى هذه المنظومة التّراثية الثّرية المُستقلة والمتكاملة. ويُمكّن الدارسين من فقه سماته ومميزاته المنهجية والابستمولوجية التي اعتمدها علمائنا القدامى نحاة وبلاغيين وأصوليين؛ صراحة أو ضمناً في دراسة اللغة العربية. وبالتالي يُمكن للتداولية بمقولاتها ومفاهيمها الأساسية أن تكون آلية من آليات

1 - مسعود صحراوي: المرجع السابق، ص 6

قراءة التراث العربي، ومفتاحاً من مفاتيح ما أغلق منه وما بُعد عن الفهم والنظر بدليل الكفاية الوصفية والتفسيرية التي يتوفر عليها التراث العربي في دراسة الظواهر اللغوية.

فمناطق الاهتمام في هذا البحث هو لفت الانتباه إلى قضية استعمال اللغة بكلّ معطياتها في السياق وخضوعها لمتطلباته إنتاجاً وتأويلاً، من أجل ضمان سيرورة عملية التواصل بنجاح، وهذا النوع من الاهتمام والبحث يميّط اللثام عن الوجه المشرق للفكر اللغوي العربي. لأن العلماء العرب القدامى نحاة وبلاغيين وفلاسفة ومناطقة وفقهاء وأصوليين قد عرفوا وناقشوا فكرة التداولية بمفهومها العلمي وتصوراتها الإجرائية، وعرضوا لكل ما تهتم به من مظاهر لغوية تنبثق من سياقات الاستعمال اللغوي وترجموا لمباحث كثيرة متصلة بها في باب الخبر والإنشاء إلا أنهم لم يؤصلوا لمصطلحات التداولية بلفظها. والكشف عن هذه الأصول التداولية الكامنة في التراث اللغوي العربي يحتاج إلى قراءة متأنية وبحث مستقلّ يوفي التراث العظيم حقه، وهو ما سعى مسعود صحراوي إلى استقرائه والكشف عنه، متسلحاً بأصالة الموضوع والجهد العلمي المميز ودقة المنهج والموضوعية والرصيد الفكري اللساني المنوع الغربي الحديث والعربي التراثي، ووضوح التصور وشرف الغاية، التي تتمثل في توضيح كيفية استثمار أبرز مفاهيم التداولية، وتحديد مفهوم الفعل الكلامي الذي ينتزّل منزلة متميزة من هذا المذهب اللساني الجديد -التداولية- ويشكل جزءاً أساسياً من بنيته النظرية، في قراءة الموروث اللساني العربي، ودراستها تستوجب الإشارة إلى هذه الأصول التراثية.

6.3. الاتجاه اللساني: من خلال القراءة السابقة للمؤلف، وبعد الوقوف على المعطيات والمضامين التي ضمتها فصول كتابه الخمسة؛ لاحظنا بشكل يقين تكويننا معرفياً خاصاً للباحث يقوم على إحاطته الواسعة بالتراث العربي ووعيه بمجالاته المعرفية المختلفة وقراءته للعلوم المتعددة المتوارثة عن علماء أجيال في حقب تاريخية ميزها نبوغ العقل العربي وعبقريته ونشاط البحث اللغوي من جهة، ومن جهة أخرى اطلاعه وفهمه المعمّق للدرس اللساني المعاصر وإمامه بما كتبه الآخر من غير العرب في حقل الدراسات اللغوية لا سيما التداولية. ومن خلال اطلاعنا على الهدف الذي كان يتوخّاه من الدراسة وهو "تحليل هذا الجهد التجديدي في البحث اللغوي - ظاهرة

الأفعال الكلامية- ومحاولة تأصيله وإثراء الرؤية الغربية المعاصرة للظاهرة وتعميقها بمزاوجتها بالجهد الذي بذله أسلافنا القدامى.¹ و"إثبات احتواء التراث العربي على مباحث وأفكار ذات توجهات وإجراءات تداولية؛ أي الكشف عن الوجه الآخر للتفكير اللساني العربي ومن ثم تكون التداولية مدخلا مناسباً من مداخل فهم هذا التراث العظيم وأداة من أدوات قراءته."² وتوضيح "كيفية استثمار مفهوم الفعل الكلامي أو جزئه الجوهرية وهو ما يعرف بالقوة المتضمنة في القول في قراءة الموروث اللساني العربي عبر حقول معرفية متعددة كعلم البلاغة وعلم أصول الفقه والنحو..."³ اتضحت لنا وجهة المؤلف اللسانية على أنها توافقية، حيث يظهر جلياً سعيه إلى المزج بين الدرس التراثي والحداثي في حقل الدراسات اللغوية وذلك باستثمار المعطيات التداولية المبتوثة في التراث العربي، ليُقدم من خلالها للقارئ مشروعاً تصورياً نظرياً لنظرية الأفعال الكلامية وجهازها المفاهيمي في اللسانيات التداولية المعاصرة من جهة وفي المدونات التراثية للنحويين والأصوليين العرب من جهة أخرى على نحو من المقارنة والتوفيق بين التصورين العربي التراثي والغربي الحداثي، بما ينبئ عن وجود ما يوازي هذه النظرية الحديثة عند اللسانيين العرب القدامى. فهو يشير بنوع من الإشادة والتثمين إلى جهود اللغويين العرب، إيماناً منه بأهمية الربط بين اللسانيات الحديثة والتراث اللغوي العربي بمنهج توفيقى يستند إلى آليات الدرس اللساني الحديث؛ التداولي تحديداً من ناحية ومن ناحية أخرى مراعاة خصوصية التراث واستقلاليته لإعادة قراءته بطريقة بريئة من التعسف في تطبيق المفاهيم تطبيقاً قسرياً، باعتباره منظومة مستقلة ومتميزة.

لذلك ألفيناه في ثنايا مؤلفه يؤكد أن دراسات الأصوليين والنحويين والبلاغيين تداولية قطعاً؛ لاعتمادهم أشهر المفاهيم التداولية كالمقام والسياق وقصد المتكلم في سبيل فهم المعنى، ويُلحّ في كل مرة على أن ظاهرة أفعال الكلام توزعت في التراث العربي بين فروع معرفية متعددة وإن لم تكن تدرس لذاتها. وأن القداماء

1- مسعود صحراوي: المرجع السابق، ص 11

2- نفسه، ص 12

3- نفسه، ص 11

اتخذوها مدخلا لعلوم أخرى كعلم الأصول والتفسير. ولم يخرج كتابه (التداولية عند العلماء العرب) عن المنحى العام لأعماله التي ينتصر فيها للتراث ويشيد بأصحابه ويؤكد على ملامح نضج الدرس اللغوي عندهم، ومن مظاهر العبقرية تلك أنهم لم يفهموا من اللغة على أنها منظومة من القواعد المجردة فحسب، وإنما فهموا منها أيضا أنها لفظ مُعين يؤديه متكلم معين إلى مخاطب معين في مقام معين لأداء غرض تواصلية إبلاغي معين، لذلك جعلوا من أهداف دراستهم البلاغية والنحوية إفادة المخاطب معنى الخطاب، وإيصال رسالة إليه. لذلك فهو في هذا المؤلف القيم يثبت أن ما وقف عليه القدماء يقف على قدم المساواة أمام نتائج الدراسات التداولية اليوم بشأن الظواهر الخطابية.¹ لاسيما ظاهرة الأفعال الكلامية التي وقف الباحث على ملامحها وتمظهراتها التي توزعت في التراث العربي بين فروع معرفية متعددة وخاض فيها علماء أجلاء نحويون وبلاغيون وأصوليون. إلا أنهم لم يفردها بالبحث والتأليف ولم يكونوا يقصدونها لذاتها، وإنما كانت الغاية فهم النص القرآني أولا وغيره من النصوص ثانيا، وهو ما يراه الباحث السبب في إغفال هذه الجهود والتشكيك في وجودها وفي علميتها وفي قيمة النتائج التي توصلوا إليها، وهو ما كان الحافز إلى وضع هذا الكتاب والدافع إلى البحث في الظاهرة كما رأينا، فهو يسعى إلى التصدي لهذا التشكيك في ما قدموه والرد عليه وتبديده، وذلك من خلال محاولته التنقيب عن ملامح ظاهرة الأفعال الكلامية في التراث بإعادة قراءة هذا الأخير قراءة معاصرة تستند إلى الجهاز المفاهيمي للنظريات اللسانية الحديثة وآلياتها.

ونلاحظ أنه ينأى في عمله عن التعسف في تطبيق المنهج التداولي الحديث ومعطياته وآلياته التحليلية على مفاهيم التراث تطبيقا قسريا وأنه يُصرُّ على إبداء التحفظ الواجب الذي يفرضه استصحاب الوعي باستقلالية التراث العربي وخصوصيته من جهة، ومن جهة أخرى ينأى عن الإقصاء الذي يمارسه البعض على التراث؛ يقول: "لا يجوز أن ننسى أن لهذا التراث خصائص إبستمولوجية تجعل منه منظومة

1 - محمد عماري: مبادئ الدرس التداولي في التراث العربي؛ نظرية الخبر والإنشاء أنموذجا، رسالة دكتوراه، إشراف: محمد فورار، جامعة باتنة 1، 2016 / 2017، المقدمة، ص هـ.

مستقلة و متميزة و متكاملة، ولكن استقلالية التراث العربي لا تُبَرّر الممارسات الإقصائية الحزبية التي تجعل منه غير قابل للتجاوز العلمي المنصف مع معطيات العلوم المعاصرة ولا سيما إذا توافرت لبعض مفاهيمها الكفاية العلمية الوصفية والتفسيرية المناسبة لدراسة البعد التواصلّي الإِبلاغي للظواهر الخطابية للغة العربية.¹ وهذا هو جوهر الاتجاه التوفيقي الذي يقوم على الموازنة الموضوعية في الأخذ عن الأعمال اللغوية التراثية التي وضعها العرب القدماء ما يتفق مع الأعمال اللسانية المعاصرة التي وضعها علماء اللسانيات المحدثون في الغرب، وإرجاع الجديد لمقاييس القديم، فهو موقف وسط يستفيد من مزايا التراث والحداثة. وينأى عن التعصب والتعسف الذي يشدُّ بعض الباحثين إلى أقصى درجات التمسك بالتراث القديم، ويشد بعضهم الآخر إلى أقصى درجات التمسك بمنجزات الدرس الحديث.² ليكون التوفيق هو إعادة قراءة التراث وإعادة فهمه وتفسيره والوقوف على ملامح النضج والتميز فيه طبقا لمستجدات مناهج العصر؛ بطريقة موضوعية بعيدة عن التحيزات الذاتية المجردة من الدليل للقديم على حساب الحديث أو التكرار له لصالح الحديث. وهو المنهج الذي سلكه (مسعود صحراوي) والمقاربة التي اتبعها في بحثه؛ حيث نجده يُصرّح أن من أهم المبررات التي دعت به إلى البحث في الموضوع هو: "أن الظاهرة تشكل الأساس المعرفي لنظريات لسانية معاصرة منبثقة عنها أو متأثرة بها في الأسس المعرفية، لعل من أبرزها نظرية النحو الوظيفي لسيمون ديك وغيرها من النظريات الوظيفية المعاصرة. ولهذا يُعدّ البحث في هذه الظاهرة ضروريا من أجل التعريف بالأساس المعرفي الذي

قامت عليه أحدث النظريات الوظيفية في اللسانيات المعاصرة.³ وهو التراث.

فبالنظر الفاحص إلى الدرس اللساني التداولي الحديث ممثلا في ماكتبه الفيلسوفان (ج. ل. أوستين) وتلميذه (ج. سيرل) حول مفهوم الأفعال الكلامية والذي يعتبرونه مفهوما لسانيا تداوليا جديدا يعني التصرف أو العمل الاجتماعي أو

1 - مسعود صحراوي: المرجع السابق، ص 8

2 - حسن حنفي: التراث والتجديد موقفنا من التراث القديم، المؤسسة الجامعية للنشر، ط1، 1991، ط 4، ص 31

3 - مسعود صحراوي: المرجع السابق، ص 8

المؤسساتي الذي ينجزه الإنسان بالكلام. أي الإنجاز الذي يؤديه المتكلم بمجرد تلفظه بملفوظات معينة كالأمر والنهي والوعد والسؤال والتعيين والإقالة والتعزية والتهنئة... وبالعودة إلى التراث العربي نجد هذه الظاهرة حاضرة ممثلة في المعاني والمقاصد والإفادات التي تستفاد من صيغ التواصل العربي وألفاظه كمعاني الأساليب العربية المختلفة خبرية كانت أم إنشائية ودلالات (حروف المعاني)...¹ فهو يستثمر المفاهيم التداولية في قراءة الأعمال التراثية للكشف عن جوانب النبوغ فيها، وتتمين جهود علمائه الجبارة ولفت الأنظار إلى نتائجها.

وقد خلص إلى أن نظرية الأفعال الكلامية كانت من صور النشاط العلمي للعلماء العرب ممن سبقت الإشارة إليهم كسيبويه وعبد القاهر الجرجاني والخطيب القزويني ورضي الدين الاستريازي وسيف الدين الأمازي وشهاب الدين القرافي والفارابي... وكان لها حضورها البارز في حقولهم المعرفية وبحوثها وتعمقوا في عرضها وتطبيقها واحتقوا بها احتفاء خاصا ضمن نظرية الخبر والإنشاء وشغلت حيزا مهما في فروع معرفية مختلفة كالنحو والبلاغة والفقه وأصوله والمنطق، فهم المؤسسون الأوائل لها وإليهم ترجع جذورها الأولى. إلا أن الرجوع إلى التراث لا يغني بحال من الأحوال عن الدرس التداولي الحديث، ومفهوم الفعل الكلامي بالتحديد لا تتضح معالمه إلا ضمن الإطار النظري لما يسمى الأفعال الكلامية للفيلسوف المعاصر (ج. ل. أوستين)، وتلميذه الفيلسوف (ج. سيرل). الذين يريان أن التصرف أو العمل، الاجتماعي أو المؤسساتي الذي ينجزه الإنسان بالكلام أمر يتعلق مباشرة بالفعل الكلامي. وبهذا نجد مسعود صحراوي لا يتعسف في التمسك بالتراث وحده بل يُثمن أيضا الجهود اللسانية الحديثة فيشير إلى جهود (أوستين) ويعتبرها عملا تنظيريا ذا فائدة لسانية هامة لأنه يساهم في تجاوز فكرة أن اللغة أداة للتفكير فقط وبيبلور في المقابل فكرة وظيفة اللغة هي التأثير في العالم وصناعته. كما لا يتعسف في قبول الدرس الحدائثي والتسليم بمطلق معطياته بل يقترح أن يعتدل أحد الدرسين بالآخر لذلك خلص إلى أن الجهد الكبير الذي بذله (سيرل) بحاجة إلى أن يعاد فيه النظر وفق

1- مسعود صحراوي: المرجع السابق، ص 10

مقتضيات النقد لاسيما في التصنيف الذي أتى به في مبدأ اتجاهات المطابقة والإيقاعات حيث اقترح إضافة صنف جديد هو الاستفهاميات وهو من وحي الدرس اللساني العربي التراثي كما رأينا سابقا.

خلاصة: من خلال النماذج التي عرضناها بدا لنا جليا أنّ النشاط اللساني الجزائري يتميز بتنوع صورته ومضامينه واتجاهاته. فقد وقف الجزائريون على أنّ تراثنا اللغوي نتاج معرفي ثري فعكفوا على دراسته وتجنبوا القطيعة عنه والإهمال له. كما أقبلوا على الدرس اللساني الغربي الحديث بفهم عميق فعمدوا إلى نقله إلى البيئة العربية. منفحتين بذلك على المناهج اللسانية الغربية الحديثة دون تعسف في إسقاطها على التراث العربي، كما عملوا على مدّ جسور التواصل بين الدرس اللساني العربي التراثي بنظيره الغربي الحديث على نحو من التوفيق العلمي والمنهجي الرصين؛ انطلاقا من مبدأ التراكمية الذي تخضع له العلوم، القاضي باستثمار القديم والحديث على السواء دون فصل بينهما أو إقصاء معطيات أحدهما.

وقد نجم عن ذلك درس لساني مثّزن يتسم بفهم اللسانيات من جانب، وإعادة قراءة التراث وفهمه واستيعابه والتقيب فيه من جانب آخر. وقد خلصنا من خلال تحليلنا للنماذج التي تناولناها في هذا الفصل إلى أن المقاربة اللسانية الجزائرية في عمومها تقوم على استثمار المناهج اللسانية للكشف عن المعارف والتطبيقات المختلفة في التراث اللغوي العربي، بعيدا عن الانبهار والتقديس اللذين ينأيان عن الموضوعية العلمية، واللذين لا يبرزان قيمة التراث الحقيقية بقدر ما يحرفانه ويزيفانه. وقد لاحظنا نأي الدارسين الجزائريين عن التعصب لأي اتجاه فمن كان تراثيا منهم ك(محمد الحباس) لاينكر قيمة الدراسات اللسانية الغربية الحديثة، ومن كان حديثا ك(خولة طالب الإبراهيمي) لاينكر قيمة التراث. فالدرس اللساني الجزائري حافل بمتابعة ونقل كل ما يستجد في مجال اللسانيات الغربية الحديثة، دون إقصاء ما يطفح به تراثهم من مبادئ علمية في التعاطي مع الظاهرة اللغوية.

الفصل الأول:

ظهور النظرية الخليلية

الحديثة وأهم مبادئها

1. موقف الحاج صالح من الدراسات اللسانية العربية الحديثة
2. ظهور النظرية الخليلية الحديثة
3. المبادئ الأساس للنظرية الخليلية الحديثة

تمهيد:

لقد توصلنا في الفصل السابق إلى أنه قد تعددت صور النشاط اللساني الجزائري، من حيث المضامين والاتجاهات. وقد كانت النماذج التي رأيناها بمثابة لبنات هامة للمشروع اللساني الجزائري الذي له حضور نوعي في الساحة اللسانية العربية. وإذا كانت تلك الأسماء لها حضورها اللسانية الجزائرية، فإنه لا يسعنا الحديث عن الدرس اللساني الجزائري دون الحديث عن يدين له الجميع بالفضل، ويجمع على أنه الرائد والمؤسس الحقيقي لعلوم اللسان في الجزائر، وهو الأستاذ عبد الرحمن الحاج صالح؛ صاحب النظرية الخليلية الحديثة؛ التي أبرز من خلالها خصوصيات التفكير اللساني في التراث العربي الأصيل.

لذلك سنتناول في هذا الفصل آراء الحاج صالح اللسانية، التي ظلّ يؤصّل لها ويشرحها من خلال كتاباته المتتالية على مدى يزيد عن نصف قرن.

وقد ارتأينا تناول ذلك وفق المباحث الآتية:

1. موقف الحاج صالح من الدراسات اللسانية في البلاد العربية.
2. ظهور النظرية الخليلية الحديثة.
3. المبادئ الأساس للنظرية الخليلية الحديثة.

وقد اقتضت طبيعة الفصل أن يكون هناك تفاوت ملحوظ في حجم المباحث، حيث كان المبحث الثالث هو الأطول، وذلك لأننا خصّصناه لعرض مبادئ النظرية الخليلية الحديثة؛ التي لا يمكن أن يعرضها باحث باختصار دون أن يُخلّ بجوهرها، لأنها تحتاج إلى قدر كبير من التحليل الذي لا تحويه صفحات معدودة.

1. موقف الحاج صالح من الدراسات اللسانية العربية:

يؤرخ الدارسون لظهور اللسانيات في البلاد العربية بمفهومها الحديث؛ وهو الوصف العلمي والموضوعي الدقيق للسان باتصال العرب بالغرب إثر حملة نابوليون على مصر، ثم عودة عدد من الطلبة المصريين المبعوثين إلى أوروبا مُحمّلين بأفكار وآراء جديدة، وعملهم على نقل المنهج الأوروبي الجديد في دراسة اللغة، وتكريس النظريات اللغوية التي تكونوا فيها على أيدي أساتذتهم في الجامعات الغربية،¹ وعرضها على أنها علم تجريبي وأ نموذج بديل للنحو العربي الذي وسموه بأنه تقليدي انطباعي، كفيل بحلّ جميع مشكلات اللغة العربية.² فكانت محاولاتهم وأفكارهم التي تبوّها ثورة على نمط الدراسة اللغوية السائد في تلك الفترة ليشهد حقل الدراسات اللغوية ظهور مؤلفات تُعرّف بالمنهج الجديد "تستند نظريا ومنهجيا للمبادئ التي قدمتها النظريات اللسانية في مختلف اتجاهاتها الأوروبية والأميركية في إطار ما أصبح يعرف باللسانيات العامة."³ وذهب بعضهم إلى حدّ نقد النحو العربي مستندا في ذلك إلى تشبعه وانبهاره بالمعرفة اللسانية الغربية الحديثة وبتأثير من تبني معظم المنهج البنوي الوصفي، مثل الدكتور عبد الرحمن أيوب، سنة 1957 في كتابه: (دراسات في النحو العربي)، والدكتور تمام حسان سنة 1958 في كتابه: (اللغة بين المعيارية

1- ينظر :- نعمان بوقرة: محاضرات في المدارس اللسانية المعاصرة ، منشورات جامعة باجي مختار، عنابة، 2006 ، ص 37

- تمام حسان: الفكر اللغوي الجديد، عالم الكتب، ط1، 2011، ص11

- فاطمة الهاشمي بكوش: نشأة الدرس اللساني العربي الحديث، دراسة في النشاط اللساني العربي، إيتراك للنشر، القاهرة، مصر، ط1، 2004، ص 12.

2 - محمد صاري: قراءة في الكتابة اللسانية العربية الحديثة، المجلة الأردنية في اللغة العربية وآدابها، المجلد 4، العدد4، جامعة مؤتة، وزارة التعليم العالي، الأردن، 2008 ، ص 199، 200.

3- مصطفى غلفان، اللسانيات العربية الحديثة دراسة نقدية في الأسس النظرية والمنهجية، سلسلة رسائل وأطروحات رقم 4 ، جامعة الحسن الثاني، عين الشق، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، مطبعة فضالة المحمدية، المغرب، د.ط، 1998 ، ص48 .

والوصفية)، والدكتور إبراهيم السامرائي سنة 1966 في كتابه (الفعل: زمانه وأبنيته).¹ وفي المقابل رفض بعضهم القطيعة مع التراث اللغوي العربي الثر وأبى الانسياق خلف هذه المناهج الوافدة ورفض فرضها على اللغة العربية وقواعدها، وظل ينادى بضرورة التمسك بالأنموذج التقليدي في دراسة اللغة وإعادة إحياء ما جاء به الخليل وسيبويه وغيرهما من أئمة النحو العربي، "وبذلك كان الفكر العربي الحديث يتشكل بقطبين متناظرين: سلفي يحاول أن يعيد إنتاج الموروث الحضاري العربي الإسلامي بصيغته القديمة نفسها، أو بصيغة مُعدّلة تعديلاً جزئياً، وحدائي يحاول أن يتبنى المسار الحضاري الغربي بكل تفصيلاته، ويعلن القطيعة مع القطب الأول."² وأصبح الدارسون اللغويون العرب يدورون في فلك نقل الفكر الغربي، وفلك نشر الفكر العربي القديم. وكل ذلك نأى بالدرس اللغوي العربي عن أصالته وعن المنهج الصائب، وجعل اللساني العربي حبيس الجمود والتقليد وأبعده عن الأصالة والإبداع.

في هذا الوقت الذي لم تتضح فيه الرؤى والتوجهات بالنسبة لأغلب الدارسين العرب برز الأستاذ عبد الرحمن الحاج صالح كواحد من اللسانيين الذين لهم بعد نظر في الموضوع، وبرزت كتاباته على قدر كبير من العمق والدقة في التنظير والتحليل، وقد أفاء على غيره في ذلك وأرباً فكان من أوائل الذين أدركوا حق الإدراك هذا الوضع الذي كان غالباً على حقل الدراسات اللغوية في البلاد العربية ومن أوائل الذين كوّنوا وعياً واضحاً بأزمة اللسانيين العرب وسلبيات بحثهم، فقد استقرأ الواقع وعمل على شرح وتحليل معطياته، وتمكّن من تقديم وصف دقيق للوضع ووقف على الأغلاط التي يزرح تحت وطأتها اللسانيون العرب في الآراء والأفكار التي يروجون لها وفي المناهج التي يتبنونها ويعملون بها وفي الاتجاهات التي يميلون إلى اتباعها، وقد أجمّلها رحمه الله في نوعين من الأخطاء: أخطاء في "في الأصول المنهجية نفسها أو في تطبيقها على المبحث العلمي، وأوهام تتعلق ببعض النظريات العامة كانت سبب

1- حسن خميس سعيد الملخ: نظرية التعليل في النحو العربي بين القدماء والمحدثين، دار الشروق للنشر والتوزيع الأردن، ط 1، 2000، ص 277 .

2 - فاطمة الهاشمي بكوش: نشأة الدرس اللساني العربي الحديث، المرجع السابق، ص 14.

الأغلاط الجزئية الكثيرة في تفسير الظواهر اللغوية و تعليلها.¹

أما النوع الأول من الأخطاء والتي تتعلق بالأصول المنهجية التي وقع فيها الدارسون العرب؛ فهي إصرارهم على القطيعة الكاملة مع اللسانيات الحديثة أو مع التراث، يقول: "إن أهم الأخطاء المنهجية الشائعة اليوم في الأوساط العلمية العربية تتوزع في هذه الآونة على نوعين من البيئات: البيئة التقليدية التي حافظت على التقاليد الدراسية، والبيئة التجديدية التي نشأت عن احتكاك العرب بالحضارة الغربية الحديثة."² إلا أن العيب ليس في التمسك بالتراث ولا في الانفتاح على تجليات الحضارة الغربية في الدرس اللغوي وإنما العيب في العجز عن فهم التراث بالطريقة السليمة والعجز عن فهم الأصول التراثية الدقيقة التي خلفها الخليل وأصحابه وإهمال أكثرها استنباط المنهج العلمي الدقيق الذي اتبعه أولئك الأوائل من النحاة والذي لا يقل عن علماء اللغة الغربيين المعاصرين،³ وذلك فحوى قوله: "فأما البيئة الأولى فقد واصلت دراستها للغة بنفس المناهج التي تركتها لها الأجيال المتأخرة، وأكبر العيوب التي أصيبت بها هي تعلقها بالمعيارية المطلقة ونعني بذلك شدة اهتمامها (بالعلل التعليمية) على حد تعبير الزجاجي وقلة التفاتها إلى (العلل القياسية)، وإلى الأسرار الكامنة في الظواهر اللغوية."⁴ وأصحاب هذه البيئة هم أصحاب الاتجاه التراثي (المحافظ) الذي يدعو إلى التمسك بالتراث العربي، والانغلاق عليه ولا يرى ضرورة ملحة للمناهج اللسانية الحديثة، ويعتبرها غير ملائمة للغة العربية بسماتها وخصائصها الفريدة. ويسعى إلى تكريس طابع النضج والاكتمال للجهود اللغوية التراثية. والأسوأ أنهم لا يميزون بين تراث المتقدمين وتراث المتأخرين من النحاة. باستثناء بعض الذين امتازوا بالفهم الصحيح للتراث وساهم في بعث مفاهيمه الناجعة مثل المرحوم محمد علي النجار.

1- عبد الرحمن الحاج صالح: مدخل إلى علم اللسان الحديث؛ تحليل ونقد لأهم مفاهيمه ومناهجه، مجلة

اللسانيات، المجلد الأول، الجزء الأول، العدد الأول، الجزائر، 1971، ص 15

2- عبد الرحمن الحاج صالح: مدخل إلى علم اللسان الحديث؛ تحليل ونقد لأهم مفاهيمه ومناهجه، المرجع

السابق، ص 15

3- نفسه، ص 11

4- نفسه، ص 15

وكذلك الشأن بالنسبة للذين راحوا يروجون للنظريات اللسانية الغربية الحديثة ذوي الاتجاه الحداثي الذي يرفض الجمود ويقول بعدم كفاية الأنموذج التراثي التقليدي لدراسة اللغة ويشجع على تبني المناهج اللسانية الغربية الحديثة والانفتاح عليها وممارسة الاستيراد للرؤى الغربية الجديدة والتفتح على ثقافة الآخر بدعوى التطور والمعاصرة والحداثة. فهؤلاء لم يكن عيبهم في انفتاحهم على المناهج الغربية الوصفية والتحليلية التي أثبتت جدارتها في الدراسة العلمية للغة ولا يختلف اثنان على أهميتها وإنما كان عيبهم في الإقبال على تلك الآراء الغربية دون تدقيق وتمحيص، يقول: "أما البيئة التجديدية فقد وفقت في كثير مما اختارته لبحثها من مناهج استقرائية، وتحليلية وخصوصا المناهج التي تعتمد على التتبع التاريخي؛ إذ أدخلت في دراسة العربية مفهوم التحول والتطور ونبذت بعد ذلك المعيارية المحضة في البحث العلمي كما فعل العلماء المشار إليهم سابقا غير أن الأوهام التي سادت في الأوساط العلمية الغربية تسربت إليها بحكم التأثير فأوقعتها في نفس المشاكل".¹

وهي المشاكل التي تمثل النوع الثاني من الأخطاء التي أشار إليها عبد الرحمن الحاج صالح، وهي عبارة عن أوهام بعض النظريات العامة في تفسير الظواهر اللغوية وتعليلها ومنها: الاعتقاد الراسخ بأن الطريقة الفيلولوجية الأوروبية هي الأسلوب الوحيد الذي يناسب البحث اللغوي، وأن الوصف المجرد من كل تعليل هو وحده يكفل نجاح البحث على اعتبار العلة مفهوما ميتافيزيقيا محضا لا قيمة له في مناهج دراسة اللغة والحقيقة أن الوصف هو مرحلة مهمة في دراسة اللغة لكنه ليس المرحلة الوحيدة ولا يمكن أن يستغني الباحث المحلل عن التعليل. والاعتقاد بأن السلوك اللغوي هو الذي يستحق وحده أن يؤخذ بعين الاعتبار في المشاهدات والعمليات الوصفية.²

1- عبد الرحمن الحاج صالح: مدخل إلى علم اللسان الحديث؛ تحليل ونقد لأهم مفاهيمه ومناهجه، المرجع

السابق، ص 16

2- نفسه، ص 16

إن هذه الملاحظات والنقائص والمآخذ التي توصل إليها الحاج صالح من خلال استقرائه وتحليله لواقع الدراسين رآها خطيرة على مسار الدرس اللغوي في البيئة العربية لأن سببها وسبب استفحالها يرجع إلى الجمود الفكري والتحجر ذلك أن تلك الأفكار إنما أخذت تغطي على غيرها من وجهات النظر بالتقليد لا غير، وهي المآخذ التي دفعته إلى وصف واقع الدرس اللغوي العربي بالفوضى والبطء والسير المتناقل، ومن ثم دفعته إلى التأكيد على ضرورة تلافي هذه العيوب والنقائص واستئصال جملة الأوهام والأغلاط التي استبدت بالبحث اللغوي في البلاد العربية وتحريه من آثارها وذلك بالرجوع إلى التراث اللغوي الأول الأصيل للخليل وأتباعه والفصل بينه وبين تراث النحاة المتأخرين الذين غلب عليهم المنطق والجمود.¹ لذلك قال: "فإما أن نبقي عالية على تراث المتأخرين كما هو الحال في الوقت الحاضر ويستمر تجاهلنا للنحاة الأولين بل وجهلنا المطبق لمفاهيمهم ومنهجيتهم مع التقليد الأعمى لا لهؤلاء المتأخرين فقط، بل أيضاً لما يقوله اللسانيون الغربيون من دون أي تمحيص، وإما أن نحاول المقارنة التقويمية العلمية بين كل هذه الاتجاهات بقصد الوصول إلى مفاهيم دقيقة أصيلة ذات نجاعة كبيرة في الميدان العلمي والتكنولوجي، وهذا الاختيار الأخير هو الذي اختارته النظرية الخيلية الحديثة."²

فهذا الاختيار وهذا التوجه الذي ارتضاه عبد الرحمن الحاج صالح لنفسه ولغيره من الباحثين في حقل دراسة اللغة، كان نابعا من الاستقراء الشامل لواقع الدرس اللغوي العربي والوعي الدقيق به وبمتطلباته وهو الذي كان يوجه آراءه ويحدد سمات توجهه اللساني، فكان يتحرى الموضوعية ويتحاشى الانغلاق على التراث كما يتلافى القطيعة مع مفرزات الدرس اللساني الغربي بل كان يصير على إقامة علاقة وطيدة بين الموروث اللغوي العربي والدرس اللساني الغربي، ويلج على ضرورة فهم التراث وإعادة قراءة النحو العربي وفق المناهج الغربية، انطلاقا من شخصيته العلمية التي كونها

1- عبد الرحمن الحاج صالح: مدخل إلى علم اللسان الحديث؛ تحليل ونقد لأهم مفاهيمه ومناهجه، المرجع

السابق، ص 13، 16

2- عبد الرحمن الحاج صالح: بحوث ودراسات في اللسانيات العربية، المرجع السابق، ج 2، ص 53

تكويننا عميقا بإحاطته الشاملة بمناهج القداماء والمحدثين على السواء، وإيماننا منه بأهمية قضية التراث العربي بصفة عامة والتراث اللغوي خاصة في ميدان الدراسات وبقيمته العلمية كمخزون غني وثرى حصيلة قرون من الاجتهاد العميق في البحث اللغوي من جهة ومن جهة أخرى ثقته بالكثير من مبادئ وآليات اللسانيات الحديثة ووعيه بالنقلة النوعية التي أحدثتها في دراسة اللغة لدى الغربيين وأنها صارت من أرقى العلوم وأحدثها وأكثر ما يوثق به في الدراسة العلمية للغة البشرية، وإن كانت علما لا يزيد عمره في الغرب في أحسن الأحوال على ثلاثة قرون ولم يدخل إلى البلاد العربية في صورة علم متكامل إلا بعد الأربعينيات من القرن الماضي. فقد كان يرنو دائما إلى التوفيق بين الدرس التراثي ونظيره الحدائثي وقد أعلن عن موقفه هذا صراحة منذ أوائل السبعينات وفي مقالاته الأولى حيث أشار إلى مدى "التناسب الوضعي الذي يوجد بين علم اللسان الحديث وبين علم العربية".¹ ودعا إلى ضرورة تركيز الجهود وصرفها للكشف عن ذلك التناسب وإمارة اللثام عنه ودراسته يقول: "إن هذا التناسب الغريب الذي وجدناه بين الأوضاع النظرية والمنهجية التي امتاز بها فكر الخليل ومن تابعه، وبين الأوضاع العلمية الحديثة (وأخص منها أحدثها) لجدير بالدراسة"² وهو يخص من التراث تراث الأوائل "الذي وضعه العلماء العرب في أواخر القرن الأول الهجري (السابع الميلادي) وبلغ أشده في زمن أبي عمرو بن العلاء واكتملت مادته ووسائله على يد الخليل بن أحمد وتلميذه سيوييه".³ وهو يشمل كل تلك الأعمال الجليلية التي خلفها العلماء الأوائل والتي انطلقوا فيها من دراسة القرآن للحفاظ على لغته وذلك بطريقة علمية وهي الاستقراء للنص القرآني واستمر على مدى قرون⁴ ، فالتراث الجدير بالدراسة والذي يتعين الرجوع إليه والاعتداد به إنما هو التراث العربي الأصيل الذي لم

1- عبد الرحمن الحاج صالح: مدخل إلى علم اللسان الحديث؛ تحليل ونقد لأهم مفاهيمه ومناهجه، المرجع

السابق، ص 11

2- نفسه، ص 11

3- نفسه، ص 11

4- عبدالرحمن الحاج صالح: السماع اللغوي العلمي عند العرب ومفهوم الفصاحة، وحدة الرغبة للفنون

المطبعة، الجزائر، د. ط، 2008، ص 70

يتأثر بالمنطق اليوناني وهو يتمثل فيما تركه العلماء الأوائل الذين برزوا في القرون الأربعة الأولى و"ما قالوه وأثبتوه من الحقائق العلمية التي قلما توصل إلى مثلها كل من جاء من قبلهم من علماء الهند واليونان ومن بعدهم كعلماء اللسانيات الحديثة في الغرب".¹ ومعنى ذلك أنه كان يرى أن التراث العربي في العلوم الإنسانية عامة والعلوم اللغوية خاصة ليس طبقة واحدة من حيث الأصالة والإبداع بين أوائل النحاة المبدعين الذين عاشوا في زمان الفصاحة اللغوية الأولى، وشافهوا فصحاء العرب، وقاموا بالتحريات الواسعة النطاق للحصول على أكبر مدونة لغوية شاهدها تاريخ العلوم اللسانية. والأواخر الذين جاؤوا من بعدهم فكانوا عالة عليهم، بما ضيقوا من حدود النحو الواسعة، واستبدلوا مفاهيم القدماء الإجرائية النشطة بمفاهيم أخرى جامدة تأملية، مع بقاء نفس الألفاظ التي تدل عليها في الغالب.² فالأصل عنده أن لا ينظر إلى التراث العربي على أنه نسق واحد يطابق أوله آخره في المنهج والمضمون، والأصل كذلك أن لا يحمل القديم من المصطلحات على المعنى الذي تعارفه المتأخرون من النحاة، ذلك أن عمل اللغويين في القرون الأولى بعد الهجرة كان كله إبداعا وأصالة ولا سيما المتقدمين منهم من زمان أبي عمرو بن العلاء إلى زمان الخليل وسيبويه؛ هذين الأخيرين الذين ظهرت على أيديهما وعلى أيدي العلماء السابقين والمعاصرين لهما كل المفاهيم العلمية الأصيلة الأساسية في النحو ولم يزد عليها بعد ذلك النحاة إلا القليل مما لم يبلغ قيمة ما وضع من قبل، مما يستوجب والحال هذه أن لا يجعل كل ما ظهر من المفاهيم وطرق التحليل من قبل اللغويين عبر العصور بما فيها عصر الجمود الفكري على قدم المساواة مع تراث الأوائل من حيث القيمة العلمية. والمطلوب هو التمييز الصريح بين ما ينتمي إلى النظرية العربية الأصيلة وما هو دخيل عليها؛ وألحق بها من عصور متأخرة.³

1 - عبد الرحمن الحاج صالح: بحوث ودراسات في اللسانيات العربية، المرجع السابق، ج 1، ص 169

2- محمد صاري: المفاهيم الأساسية للنظرية الخليلية، مجلة اللسانيات، مركز البحوث العلمية والتقنية لترقية اللغة

العربية، بوزريعة، الجزائر، العدد 10، 2005، ص 10

3 - عبد الرحمن الحاج صالح: أصول البحث في التراث اللغوي العلمي العربي، مجلة الممارسات اللغوية، جامعة

مولود معمري، تيزي وزو، الجزائر، العدد 2، 2011، ص 10 - 11

كما أوضح في ذات المقال رؤيته الخاصة ومنهجه الذي خطه لنفسه ولغيره للنهوض بالدراسات اللغوية في البلاد العربية بقوله: "وقد أيقنا أن الدراسات اللغوية لن يكون لها أي شأن إذا لم يرجع أصحابها إلى الخليل بن أحمد ويحاولوا أن يتفهموا ما قصده هذا الرجل العبقرى بتعليقاته لظاهرة اللغة، وذلك بالرجوع أولاً إلى كتاب سيبويه وشروحه التي لا تزال مخطوطة، وبالرجوع ثانياً إلى من أدرك مقاصده حق الإدراك مثل ابن السراج وأبي على الفارسي وابن جني وذلكم العالم الفذ الرضي الاسترياذي، فهو يحرص على تفسير التراث بالتراث، لا بإسقاط مفاهيم وتصورات دخيلة عليه تبخسه حقه سواء من العرب المتأخرين الذين طمسوا النظرية اللغوية العربية الأصيلة أو من المفاهيم اللسانية الغربية التي تتجاهل خصوصياته النوعية.

ويضيف أيضاً "ويا حبذا لو درسوا في نفس الوقت نظريات علم اللسان الحديث؛ لأنه فيها من المعاني والمفاهيم، لو تدبروا لوجدوها شديدة الشبه بما يجدونه في تلك الكتب القديمة، وربما ساعدتهم على إدراك ما لا يزال غامضاً لديهم من نظريات النحو العربي"¹ فهو يحث على الاطلاع على اللسانيات الغربية وتوظيفها في دراسة التراث. ولكنه يحرص على أن لا يسلم الدارس بالصحة المطلقة لتلك النظريات والمفاهيم اللغوية الغربية الحديثة لمجرد كونها حديثة وأن لا يجعلها المرجع الوحيد الذي يقاس عليه التراث اللغوي، ولا الأصل الذي يجوز أن يرد إليه كل تحليل وماتركه لنا العلماء العرب فرعا عليه، ويحث على أن لا تقبل من أي نظرية كانت إلا ما تسنده الأدلة العقلية والتجريبية وألا يتعسف في حق التراث وهو المبني على أسس علمية فتعتبر مما تجاوزه الزمان قبل أن ينظر فيه النظر الجدي الصحيح.²

وهو ما ظل يؤكد عليه بقوله: "وأردنا أن لا تكون دراستنا للجانب الأهم من هذا التراث وهو الأصول العلمية التي امتازت بها علوم اللسان عند العرب عن غيرها، مقطوعة الصلة عما ظهر في زماننا من النظريات العلمية في العلوم اللسانية...

1- عبد الرحمن الحاج صالح: مدخل إلى علم اللسان الحديث؛ تحليل ونقد لأهم مفاهيمه ومناهجه، المرجع السابق، ص 11

2- عبد الرحمن الحاج صالح: أصول البحث في التراث اللغوي العلمي العربي، المرجع السابق، ص 15

فحاولنا القيام بمقارنة بين ما قاله العلماء العرب القدامى وما قاموا به من بحوث وما توصلوا إليه من أفكار ومناهج التحليل وما يقوله العلماء المحدثون في مختلف نظرياتهم ومذاهبهم كالبنوية المعاصرة الأوروبية منها والأمريكية، وكانحو التوليدي والتحويلي وكنظرية الخطاب وغيرها.¹ فهو يبدي قناعاته بضرورة المزج بين الدراسة المعمقة للنظرية العربية الأصيلة التي كان الباحث يؤمن إيماناً راسخاً بوجودها وبدقة أصولها ومفاهيمها في النحو العربي الأصيل الذي تركه الخليل وسيبويه ومن تبعهما، مع النظر في مكتسبات اللسانيات الغربية الحديثة، وقيم نظريته اللسانية على نظرة عميقة دقيقة في الأصول والمفاهيم والتصورات وطرق التحليل التراثية الأصيلة التي توصل إليها العلماء العرب القدماء في دروسهم المختلفة النحوية والبلاغية والأصولية، ويسعى إلى إعادة قراءة ذلك كله في ضوء النظريات اللسانية الحديثة في دراسة ابستمولوجية معرفية دقيقة، ومن دون إسقاط أي تصور آخر لتصور النحاة العرب المتأخرين أو تصور الغربيين عليها.² وإلا يكون الباحث الذي يفعل ذلك كمن ينظر فيما أخرجه القدامى وفي عينيه نظارات خاصة بالعصر الحديث فيطمس الرؤية القديمة بالرؤية الجديدة ولو من بعض الجوانب، لأنه لكل عصر نظرة خاصة وتصوراً خاصاً للظواهر وكيفية خاصة للكشف عن أسرارها، والمنظور العربي يتميز بلا شك في هذه العلوم اللسانية عن المنظور الغربي الحديث.³

وهكذا استطاع الحاج صالح بفكره اللساني وجهوده اللغوية أن يدخل التراث اللغوي العربي في حوار علمي بناء مع اللسانيات الحديثة عكس غيره من الدارسين الذين مالوا إلى أحدهما على حساب الآخر، كما أقر بذلك الدكتور حسن خميس الملح حيث يرى أن الفكر اللساني العربي في مراحله الأولى لم يدخل في حوار علمي حقيقي مع الفكر اللساني الحديث ليحدد موقعه منه ويستثني من هذا الحكم أعمال كل

1- عبد الرحمن حاج صالح: السماع اللغوي عند العرب ومفهوم الفصاحة، المرجع السابق، ص 7 - 8

2- حسن خميس سعيد الملح: نظرية التعليل في النحو العربي بين القدماء والمحدثين، دار الشروق، عمان، الأردن، ط1، 2000، ص247.

3- عبد الرحمن حاج صالح: السماع اللغوي عند العرب ومفهوم الفصاحة، المرجع السابق، ص 8

من الحاج صالح وعبد السلام المسدي.¹

كما استطاع أن يتبوأ مكاناً وسطاً بين توجهات عدة، أقلّ ما يقال عنها أنها كانت ذات نظرة قاصرة في التعامل مع التراث اللغوي العربي ومع اللسانيات الغربية الحديثة، وذات منهج يشوبه الكثير من العيوب والهناات.

وعليه وإن كان الواقع يشي بصعوبة في تحديد اتجاهات الكثير من اللسانيين العرب المحدثين بصورة دقيقة؛ بسبب السمات التي تمتاز بها كتاباتهم وآراؤهم من تداخل في المواقف أحياناً؛ ومن تغير في الآراء أحياناً أخرى حتى إن الواحد منهم قد يأخذ بأكثر من موقف دفعة واحدة، أو ينتقل من موقف إلى آخر خلال فترات حياته العلمية. ونظراً للتطورات التي عرفتها النظريات اللسانية فقد عرف الخطاب اللساني بدوره اتجاهات متعددة الأمر الذي يجعل كل محاولة تستهدف ترتيب الكتابة اللسانية وتصنيفها عملية محفوفة بكثير من الصعوبات.² ويسبب ما تتطلبه عملية التحديد من إحاطة وإمام شاملين واستقراء وتمحيص دقيقين لما يكتبه باحث معين. إلا أننا نستطيع الجزم بأن الأستاذ عبد الرحمن الحاج صالح يُعدّ من أوائل وأشهر دعاة الاتجاه التوفيقي الذي يقوم على محاولة "إيجاد نظريات ونماذج لغوية صالحة لوصف اللغة العربية انطلاقاً من النظريات اللغوية العربية وترميمها على ضوء الدراسات اللسانية الحديثة."³ فقد كانت له رؤاه الخاصة ومبادئه في التعامل مع محتويات التراث اللغوي العربي ومعطيات الدرس اللساني الغربي الحديث وهو المنهج الذي حافظ عليه منذ بداية عهده بالبحث اللساني وإلى آخر مساره العلمي. فقد كان - رحمه الله - يسعى دائماً إلى وصل الماضي بالحاضر وتكوين نموذج يستثمر المعطيات التراثية والآليات اللسانية الحداثيّة معاً، في محاولة لاستيعاب الدرسين

1 - حافظ اسماعيلي علوي، وليد أحمد العناني: أسئلة اللغة أسئلة اللسانيات، المرجع السابق، ص 328.

2 - مصطفى غلفان: اللسانيات العربية الحديثة دراسة نقدية في الأسس النظرية والمنهجية، المرجع السابق، ص

87 - 86

3 - أحمد المتوكل: نحو قراءة جديدة لنظرية النظم عند الجرجاني، مجلة كلية الآداب، الرباط، ع1، 1977،

ص91

التراثي والحداثي، وفهمهما وتمثلهما واستغلال مناهجهما ونظرياتها وآلياتهما معا، ودمجهما في مقارنة لغوية بين اللسانيات العربية التراثية واللسانيات الغربية المعاصرة؛ تنزل التراث العربي منزلة تبرز سعته وعلميته وتساهم في تطوير جوانب عديدة منه على نحو يجعله يماثل الإنتاج اللساني الغربي الحديث، على نحو لا يُفِرِّط ولا يُفَرِّط في الأخذ عن التراث ولا عن الحداثة، ويرفض التوقع والانغلاق من جهة والانسلاخ من جهة أخرى؛ يقول: "وأما مكانة هذه النزعة من النزعات الأخرى في العالم العربي فهي تتوسط في اعتقادنا بين اتجاهين: اتجاه يتجاهل تماما أو إلى حد بعيد اللسانيات الحديثة ويعتمد أساسا على المفاهيم اللغوية التي تبلورت كما قلنا عند المتأخرين ويخلط أصحابه بين المفاهيم العربية الأصيلة ومفاهيم هؤلاء المتأخرين واتجاه آخر يتجاهل تماما أو إلى حد ما التراث العربي أو يجعل مثل الاتجاه الأول كل التراث واحدا وبعض أصحابه على الرغم من معرفتهم لهذا التراث فإنهم مقتنعون اقتناعا تاما أنه قد تجاوز الزمان أو هو وجهة نظر لا يمكن أن تساوي وجهات اللسانيات الغربية."¹

وقد صرّح أنه لم يحد عن الاتجاه الذي يراه الأصوب في علاج مشاكل اللسانيات في البيئة العربية والنهوض بمستواها حين قال: "بناء على ما التزمناه منذ أمد بعيد وما نصبو إليه من التقريب بين هذه النزعات والتخفيف من وطأة الخلاف معتمدين في ذلك على ربط التراث العربي الأصيل بأحدث ما ينتجه العلم الحديث مما هو مجمع على صلاحيته أو بتسليط النقد البناء عليه."² متفاديا الانسلاخ عن رصيدنا المعرفي التراثي أو الغض من قيمته أمام الدراسات اللسانية الحديثة، ومتلافيا الإعراض عن النشاط اللساني الحداثي، لأنه يرى أنه "يستحيل أن يعيش الإنسان بالاعتماد على ما يصنعه هو وحده أو يرقى به العلم بدون أن يراعي ما ابتكره الآخرون، والعلم بهذا الاعتبار هو أحوج الأشياء إلى التفاعل والتداخل والأخذ بما يأتي به الآخرون."³ كما

1 - عبد الرحمن الحاج صالح : المدرسة الخيلية الحديثة والدراسات اللسانية الحالية في العالم العربي، نقلا عن:

خولة طالب الإبراهيم: مبادئ في اللسانيات، دار القصة للنشر، الجزائر، ط2، 2006، ص 142

2- عبد الرحمن الحاج صالح: بحوث و دراسات في اللسانيات العربية، المرجع السابق، ج 1، ص 124

3 - عبد الرحمن الحاج صالح: بحوث و دراسات في اللسانيات العربية، المرجع السابق، ج 1، ص 12

أنه أحوج إلى أمثال الأستاذ عبد الرحمن الحاج صالح وطريقته التجديدية لأن العلم "مدِين في وجوده أو في تقدمه إلى أشخاص عرفوا كيف يجددون طرق مشاهدتهم ومعاينتهم وتساؤلهم وتأملمهم وتنظيمهم واكتشافهم".¹

وقد مكنته آراؤه هذه من بعث التراث العربي إلى ساح الدراسات اللسانية وأخرجه في ثوبه الأصيل تارة وممزوجا بما جد واستحدث في البحث اللساني الحديث تارة أخرى ومثبِتا في كثير من الأحوال تفوق التراث العربي وعبقورية أصحابه، وهو وإن كان من أكثر المشتغلين بالتراث اللغوي العربي والمدافعين عن قيمته فهو أيضا من "الأوائل الذين عرّفوا القارئ العربي بأساسيات اللسانيات الغربية".² وبذلك يعد من القلائل الذين لهم سعة اطلاع على الفكر اللغوي قديمه وحديثه عربيّه وغربيّه، وهو ما مكّنه من "وضع نظرية لسانية عربية وسمها بالنظرية الخليلية الحديثة، يرى فيها مستقبل النحو العربي".³ وقد استند في مضمونها على محاولة الاستفادة من كل ما أنتجته المناهج اللسانية ومحاولة قراءة تراث اللغويين العرب من وجهة علمية حديثة مغايرة عن تلك التي مال أصحابها إلى الانغلاق والتفوق، فامتاز فكره اللساني من منطلق اتجاهه التوفيقي بالابتعاد عن الانبهار بالمناهج الغربية الحديثة إلى درجة التسليم بكل ما تناوله من جهة، والنأي عن التفوق المترتب عن التقيد المطلق بالتراث العربي إلى حد الخضوع والتقليد. معتمدا في ذلك على التزامه بالموضوعية التي يقتضيها البحث العلمي السليم ولذلك نلفيه ينص على أن الأصل "هو الاستقلال المطلق وعدم الخضوع لنظرة الغير، والامتناع عن التمسك بعقيدة سابقة غير الأصول العقلية والعلمية المجمع على صحتها في كل زمان وفي كل مكان".⁴ فهو ينكر على

1 - موريس أنجريس: منهجية البحث العلمي في العلوم الإنسانية، تر: بوزيد صحراوي وآخرين، دار القصبية، الجزائر 2004، ص42.

2- شريف بوشحان: الأستاذ عبد الرحمن حاج صالح وجهوده العلمية في ترقية استعمال اللغة العربية، مجلة كلية الآداب والعلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة محمد خيضر، بسكرة، العدد7، جوان 2010، ص2.
3- نفسه، ص2.

4- عبد الرحمن الحاج صالح، تحديث أصول البحث في التراث اللغوي العلمي العربي، المجمع اللغوي للغة العربية، الجزائر، العدد: 4، ديسمبر 2006، ص 9.

الباحث أن يدين بالولاء للمعارف السابقة سواء العربية أو الغربية مجردا عن الدليل العلمي والتقويم الموضوعي وهو ما قاده إلى مفهوم خاص لمصطلح الأصالة فيه دليل على نزعه التوفيقية أيضا؛ حيث جعلها قرينة العلمية ومنافية للتقليد والتبعية، ويستوي في ذلك عنده تقليد علماء العرب المتقدمين في تراثهم، وتقليد اللسانيين الغربيين في حديثهم، إذ إن الأصالة عنده أن يكون الإنسان مبدعا؛ لا نسخة لغيره فيما ينتجه من أفكار مهماً كان عصره، فالأصالة لا تعود إلى الزمن القديم فقط وإنما قد تكون في زماننا هذا أي إنه يخالف الاعتقاد السائد في عرف الباحثين من أن الأصالة هي نقيض الحداثة أو المعاصرة، والحقيقة عنده أنها تقابل التقليد أيًا كان المقلد المحتذى به سواء كان من العلماء العرب القدامى أو من العلماء الغرب المحدثين، وهو إذ يدعو الباحثين في ميدان اللغة إلى الأصالة في أبحاثهم إنما يدعوهم إلى أن لا يكونوا نسخة لغيرهم، لا سيما في ذلك أولئك المفرطين في الثقة في الدراسات اللسانية الغربية ظنا منهم أن التقليد إنما هو تقليد القديم فقط.¹ فهو لا يسلم بالتراث مطلقا ولا بالحداثة مطلقا، وإنما يُحكّم المناهج العلمية ويصر على الحرص على التأكد من الأفكار والنظريات بالدراسة والدليل وعلى "ضرورة التمهيد الموضوعي الدقيق للنظريات اللسانية، إذ لا يجوز أن تقبل أي نظرية كليا أو جزئيا إلا كآراء وافتراسات."² ولا يجوز أن يقتصر علم الباحث على جزء من النظريات الغربية بل يجب أن يكون له علم بما جاءت به اللسانيات الحديثة بجميع مذاهبها ولا يقتصر على نظرية واحدة، وأن يكون له علم بكل ما وجهه اللسانيون الغربيون أنفسهم من انتقادات لمختلف هذه النظريات، وأن يتجرد من كل فكرة سابقة إزاء التراث وإزاء كل قديم ولا يسقط على هذا التراث مفاهيم اللسانيات، إنما الذي يجب أن يقوم به هو أن يتسلح بمنهجية البحث العلمي ومفاهيم الإستمولوجية الحديثة؟³ وفي هذا ملحق آخر من ملامح اتجاهه

1 - عبد الرحمن الحاج صالح: بحوث ودراسات في اللسانيات العربية، المجرع السابق، ج 1، ص 11

2- محمد خان: الأستاذ الدكتور عبد الرحمن الحاج صالح وجهوده في بعث التراث اللغوي العربي، مجلة كلية الآداب والعلوم الإنسانية والاجتماعية، الجزائر، جامعة محمد خيضر بسكرة، العدد 7، جانفي 2005، ص 3-4.

3- عبد الرحمن الحاج صالح، النظرية الخليلية الحديثة - مفاهيمها الأساسية -، كراسات المركز، مركز البحث

العلمي والتقني لتطوير اللغة العربية، الجزائر، ع 4، 2007، ص 11 - 12

التوفيقى وسمة من سمات تفكيره اللساني الذي يسعى من خلاله إلى إحياء التراث العربي لكن بطريقة علمية تستند إلى التفكير العلمي الغربي ومناهجه ونظرياته العلمية الحديثة المختلفة من بنوية وتوليدية، لكن دون الانسياق تماما خلف تلك النظريات. وقد أجمل ذلك بقوله: " وأما مكانة هذه النزعة بين النزعات الأخرى في العالم العربي فهي تتوسط في اعتقادنا بين اتجاهين: اتجاه يتجاهل تماما أو إلى حد بعيد اللسانيات الحديثة ويعتمد أساسا على المفاهي اللغوية التي تبلورت كما قلنا عند المتأخرين وبخلط أصحابه بين المفاهيم العربية الأصيلة ومفاهيم هؤلاء المتأخرين، واتجاه آخر يتجاهل إلى حد ما التراث العربي أو يجعل -مثل الاتجاه الأول- كل التراث واحدا وبعض أصحابه على الرغم من معرفتهم لهذا التراث فإنهم مقتنعون اقتناعا تاما قد تجاوزه الزمان أو هو وجهة نظر لا يمكن أن تساوي وجهات نظر اللسانيات الغربية." ¹

ونظرته هذه تدلّ على أنّه يُقيم آراءه وتوجهاته اللسانية على عصب التحري والدقة والموضوعية العلمية، فلا يشيد بالمعطيات التراثية، ولا يُسلم بالنظريات الغربية إلا بعد إخضاعها للتدقيق والتمحيص، وهذا ما جعل منهجه في البحث والتظير يتسم بالعلمية التي تدعو إليها اللسانيات الحديثة.

ومع ما من فرق بين المنهج والاتجاه الذي نحن بصدد دراسته فإننا نستشف من المنهج العلمي التحليلي الدقيق الذي خطه لنفسه وللباحثين في حقل اللغة، مزجه بين المعطيات والآليات التراثية ونظيرتها الحداثية، -وإن كان ينطلق من الفكر اللغوي العربي ويعتد به كثيرا ويبرز تفوقه حتى ليكاد يظهر للبعض على أنه ذو توجه تراثي محض -إلا أنه قد سئل إن كان من المحافظين؟ فنفي صراحة: أن يكون تراثيا محافظاً أو حداثياً مجدداً، وإنما أخبر أنه يبحث عن المفيد، اكتشف في القديم شيئاً عظيماً لم يجده في الحديث، ولو اكتشفه في الحديث لأخذ به.² فهو إنما يبحث عن الجيد والمفيد الذي يخدم العلم عموماً والعربية خصوصاً وينظر إلى العلماء العرب

1- عبد الرحمن الحاج صالح: بحوث ودراسات في اللسانيات العربية، المرجع السابق، ج 1، ص 227، 228

2- محمد صاري: المفاهيم الأساسية للنظرية الحديثة، المرجع السابق، ص9.

القدامى والغرب المحدثين على السواء وإلى علمهم "نظرة المتطلع الذي لا يريد أن يفلت منه أي اتجاه وأي نظرة وأي نوع من التحليل بل ولا يحكم على أي منها إلا بعد النظر الممعن والتمحيص المتواصل".¹ ويبحث عن ما يحقق التقدم في علوم اللسان النظرية والتطبيقية وفي علم العربية خاصة، ودراسة اللسان العربي دراسة علمية دقيقة وفقا للمفاهيم اللسانية الحديثة، وإحياء التراث النحوي العربي الأول وإعادة قراءته قراءة جديدة تكون الغاية المنشودة فيها والهدف الرئيس المعقود على صرف الجهود فيها هو إعادة البريق للتراث وإعادة صياغته صياغة جديدة بلغة ومنطق العلم الحديث. وهذا التقدم المنشود رأى أنه يتحقق من خلال:

- التزام الباحثين بالمحافظة على التراث العلمي العربي الأصيل والرجوع إليه لا حبا في القديم في ذاته، ولا للمحافظة من أجل المحافظة والتقليد، وإنما لمواصلة البحث انطلاقا مما تركه لنا علماءنا القدامى المبدعون.

- التمييز الصارم بين التراث الفكري العربي الأصيل الذي يتصف بالإبداع لاتباعه وغير الأصيل الذي يسوده التقليد وبالتالي الجمود لتركه؛ فما دام هو تراثنا وركن من أركان هويتنا فعلينا أن نربط هويتنا بالصحيح الأصيل لا بالفاقد، ذلك أن القول بأن التراث كله حسن لا كلام فيه هو ضرب للتراث وليس انتصارا له لأن العلم أثبت أن في تراث المتأخرين جمودا وتقليدا ولذلك يتعين التمييز بين تراث الأوائل والأواخر.

- التسلح بمنهجية البحث العلمي ومفاهيم الإبستمولوجية الحديثة والاختبار المتواصل لجميع النظريات اللسانية بالتكنولوجيا الحديثة، وإخضاعها للتفكير العلمي السليم والتجرد من كل ولاء وكل تسليم بأي فكرة سابقة إزاء التراث أو إزاء اللسانيات الغربية الحديثة. والابتعاد عن إسقاط مفاهيم اللسانيات الغربية على هذا التراث.²

1- نقلا عن: حولة طالب الإبراهيم : مبادئ في اللسانيات، المرجع السابق، ص 142

2- عبد الرحمن الحاج صالح: النظرية الخليلية الحديثة - مفاهيمها الأساسية-، كراسات المركز، مركز البحث العلمي والتقني لتطوير اللغة العربية، الجزائر، ع 4، 2007، ص 11 - 12

2. ظهور النظرية الخليلية الحديثة:

ظهرت اللسانيات في القرن العشرين كعلم يهتم بدراسة اللغة وحازت مكانة مرموقة في حقل العلوم وصارت جسرا تعبر عنه مختلف العلوم الإنسانية، وانتقل ذلك الاحتفاء بهذا العلم إلى البلاد العربية وزرعت بذوره الأولى في بيئة مصر والشام من خلال الطلبة الذين عادوا من أوروبا متشبعين بهذا الفكر الجديد، حيث بدأ الطرح اللساني نقداً للنظرية اللغوية العربية القديمة ولا سيما النحو وثار الجدل بين داعم للوافد الجديد ورافض له ليتحول ذلك الجدل في السبعينات إلى وعي متقدم بالنظريات اللسانية الغربية وحوار متوازن بين البعد اللساني والبعد التراثي، وصار الحديث اللساني حديثاً مقبولاً عند المتخصصين والمتقنين، وتجاوز بعض رواده النقد وحده إلى الحوار العلمي؛ حيث صارت النظرية اللغوية العربية تفهم حق الفهم من خلال المبادئ اللسانية الغربية الحديثة. ولم تكن بلدان المغرب العربي بمعزل عن هذا التحول في ميدان الدراسات اللغوية بل إن ذلك الغرس الذي استقطبته الجامعات المشرقية واهتم برعايته الدارسون سرعان ما أثمر واستوى على سوقه في بيئة المغرب العربي لأن المشتغلين بها عرفوا هذا العلم من بعض ينابيعه عبر الثقافة الفرنسية ولغتها، فلم يمرروا في مرحلة تشبه الترجمة أو ردة الفعل¹. ولم تكن الجزائر استثناء في ذلك؛ فهي البلد الذي لم يعقمه الله في أي عصر من العصور على أن يخرج قامات علمية في مختلف الميادين ساهمت في إثراء التراث الفكري الإنساني، حيث برز في حقل اللسانيات (الأستاذ عبد الرحمن الحاج صالح) كرائد يحمل هم اللغة العربية وله رؤى خاصة في معالجة أهم القضايا اللغوية، وقدم مشروعاً لسانياً متكاملًا؛ هو مشروع النظرية الخليلية الحديثة، وهي النظرية التي لها وزنها في ميدان الدراسات اللغوية العربية واستثناء عنها إذ إن الوقع يشي بأن "الفكر اللساني العربي لم يدخل في حوار علمي حقيقي مع الفكر اللساني الحديث ليحدد موقعه منه، وقد نستثني من هذا الحكم القاسي إلى حد ما

1 - حسن خميس الملح: ضمن كتاب: حافظ اسماعيلي علوي، وليد أحمد العناتي: أسئلة اللغة أسئلة اللسانيات؛

حصيلة نصف قرن من اللسانيات في الثقافة العربية، المرجع السابق، ص 314 - 315

أعمال الدكتور عبد السلام المسدي والدكتور عبد الرحمن الحاج صالح.¹ ويرجع ذلك إلى تميز الأستاذ عبد الرحمن الحاج صالح بإيمانه الراسخ بوجود نظرية أصيلة للغة سابقة لأوانها في التراث العربي وسابقة لنظيرتها الغربية، فكان يدعو إلى الرجوع إليه بالتدقيق والتمحيص، ويحث على إعمال النظر فيما تركه العلماء الأوائل المبدعون، لفهم ما قالوه من الحقائق العلمية واستتباط شبكة المصطلحات اللسانية والمفاهيم والتصورات الإجرائية والأدوات والآليات التحليلية التي توصلوا إليها في دراستهم للغة، وقد أكب على كتاب سيبويه وأمعن فيه النظر فاسترعى اهتمامه ما يحويه من الآراء وتبين له أن المفاهيم التي يتضمنها هذا الكتاب في الحقيقة نظرية دقيقة قل نظيرها في أي نظرية لغوية أخرى سواء كانت قديمة أو حديثة.²

واكتشف أهمية الأعمال التي قام بها عباقرة اللغة الأوائل وما تركوه من أفكار علمية ومنهجية تحليلية رياضية عجيبة سبقوا بها زمانهم فرأى أنها جديرة بأن يعاد فيها النظر وتستنمّر بالفعل³ لاسيما ما ينسب للخليل بن أحمد الفراهيدي لما له من " تصور علمي وأدوات تحليلية لا يضاهاها في القيمة العلمية إلا ما ابتكره العلماء في عصرنا هذا، وذلك لا من الناحية المنهجية فقط، بل أيضاً من الناحية المنهجية التجريبية منها والنظرية." ⁴ وأيقن أن "الدراسات اللغوية لن يكون لها شأن إذا لم يرجع أصحابها إلى الخليل بن أحمد ويحاولوا أن يتفهموا ما قصده هذا الرجل العبقري بتعليقاته لظاهرة اللغة، وذلك بالرجوع أولاً إلى كتاب سيبويه... وثانياً إلى من أدرك مقاصده حق الإدراك مثل ابن السراج وأبي علي الفارسي، وابن جني."⁵ إلا أن الحاصل في حقل الدراسات أن هناك جهلاً مطبقاً بهذه المعطيات والآليات التحليلية

1 - حافظ اسماعيلي علوي ، وليد أحمد العناتي: أسئلة اللغة أسئلة اللسانيات؛ حصيلة نصف قرن من اللسانيات

في الثقافة العربية، الكرجع السابق، ص 328

2 - عبد الرحمن الحاج صالح، بحوث ودراسات في اللسانيات العربية، المرجع السابق، ج 2 ، ص 81

3- عبد الرحمن الحاج صالح: أنماط الصياغة اللغوية الحاسوبية والنظرية الخليلية الحديثة، مجلة المجمع الجزائري للغة العربية، العدد 6، 2007، ص 10.

4 - عبد الرحمن الحاج صالح: بحوث ودراسات في اللسانيات العربية، المرجع السابق، ج 2 ، ص 59

5 - عبد الرحمن الحاج صالح: بحوث ودراسات في علوم اللسان، دار موفم للنشر، الجزائر 2007، ص 10.

ونكرانا تماما لقيمتها ولذلك عكف على الدراسة المعمقة والمستفيضة لآراء هذا العبقرى وتلميذه سيبيويه وغيرهما من النحاة الأفاضل وتتبع آثارهم في المدونات النحوية والبلاغية ونظر في القواعد التي استنبطوها من كلام العرب الموثوق في عربيتهم وما أسسوه من طود عظيم في الدراسة العلمية للغة لا يزال صرحا شامخا في حقل الدراسات اللغوية والإنسانية عامة ولا يزال يقف فيه الباحثون على "مرجع من الضوابط لم يسبق أن جمع وألف من ذي قبل".¹ فتأسست عنده الدوافع الملحة إلى إعادة قراءة التراث اللغوي العربي لإعادة الاعتبار إليه ونفض الغبار عن منجز أصحابه يقول: "والذي جعلنا نفكر في حداثة أفكار النحاة الأولين ممن عاصر الخليل وأتباعه وأصالتها خاصة... ما أجمع عليه الناس في وقتنا؛ فقد لاحظ كل معاصرنا أن الأفكار الأساسية التي بنى عليها التحليل عند الخليل هي رياضية محضة، فهذا شيء لا يتفق مع ما يتصوره اللسانيون في الوقت الحاضر؛ فإن كان النحو العربي في زمان الخليل وسيبيويه بدائياً بالنسبة للسانيات الحديثة فما هذا الاتجاه الرياضي الذي أجمع معاصروننا على الاعتراف بوجوده عند الخليل؟ ثم لننظر إلى هذا الذي يقال إنه نزعة رياضية ما هو".² وقد هداه النظر إلى أن ذلك التصور الرياضي الدقيق الذي بنى عليه الخليل النحو العربي هو تصور مدهش وعجيب يمكن أن يستغل لتحليل اللغة تحليلاً دقيقاً، إلا أن العجيب أكثر أنه يبقى مجهولاً ومهملاً من طرف الدارسين يقول: "ومن الغريب جداً أن تكون هذه الأعمال التي لا تقل أهمية عن أعمال أكبر العلماء المحدثين في العلوم الأخرى مجهولة تماماً عند أكثر الناس، بل ومجهولة في كنهها وجوهرها عند كثير من الاختصاصيين المعاصرين".³ وتتظافر جملة من العلل والأسباب لبلورة هذا الجهل والإهمال "أولاً: هذه المعرفة السطحية للتراث وللمفاهيم العلمية الحديثة بما فيها العلوم الدقيقة وعلم المعرفة العلمية (الابستمولوجية)، وثانياً: استغلاق ما تركه الفطاحل من

1- عبد الرحمن الحاج صالح: النحو العلمي والنحو التعليمي وضرورة التمييز بينهما، مجلة المجمع الجزائري للغة العربية، العدد 17، 2013، ص 9.

2 - عبد الرحمن الحاج صالح: مستقبل البحوث العلمية في اللغة العربية وضرورة استثمار التراث الخليلي، مجلة الحضارة الإسلامية، جامعة أحمد بن بلة، وهران، الجزائر، العدد 6، ج 5، ص 12.

3 - عبد الرحمن الحاج صالح، بحوث ودراسات في اللسانيات العربية، المرجع السابق، ج 1، ص 208.

علماء الصّدر الأوّل على أفهام الكثير من المتأخّرين والمحدثين، ثالثاً: الخضوع المطلق لما قاله الغربيّون في القرن الماضي (حتى نهاية النّصف الأوّل من القرن العشرين) أنّ تطوّر المعرفة هو خطّيّ تسلسليّ: من البدائيّ إلى ما هو أرقى منه (أوغست كونت الفرنسي) وهذا غير صحيح بالنّسبة إلى الفكرة العلميّة الواحدة؛ لأنّ الرّقيّ العلميّ قد يتحقّق عند قوم فجأة في وقت ما لبعض الأسباب، ثمّ يتوقّف عندهم الإبداع وتختفي بعض الأفكار، ثمّ يكتشفها غيرهم من جديد ربما في إطار تاريخي آخر وتصور آخر عند غيرهم بعد زمان، وقد يكون طويلاً.¹

ولذلك استمر الحاج صالح على البحث في ذلك المعين الصافي ودأب على العمل المثابر ما يربو على سبعة عشر سنة من أوائل الستينات؛ ليكلل مسعاه بأطروحته للدكتوراه التي ناقشها سنة 1979 بجامعة السوربون بباريس، بعنوان (اللسانيات العربية واللسانيات العامة)² التي أثبت فيها عبقرية النحاة الأوائل وأعلن من خلالها ميلاد نظرية جديدة في اللغة وأطلق عليها اسم النظرية الخليلية الحديثة يقول: "أما ما أطلق عليه بالنظرية الخليلية الحديثة فهي نظرية على نظرية وتشرفت بعرضها لأول مرة عام 1979".³ سنة 1979 هي السنة التي شهدت ظهورها إلى حقل الدراسات اللسانية كنظرية مبلورة مكتملة ومتماسكة محددة الأصول والمبادئ، ومصوغة بطريقة علمية - وإن كان استمر بعد ذلك في ذات السياق يصل البحث بالبحث للتعريف بها، ويلحق العمل بالعمل لتتقيحها وتدقيقها - أما بوادرها الأولى وجذورها الحقيقية فترجع إلى أوائل الستينات؛ حيث تطالعنا بواكير كتابات عبد الرحمن الحاج صالح اللسانية؛ التي يدافع فيها عن التراث العربي؛ لاسيما ما يتعلّق بدفع تهمة التأثر بالمنطق اليوناني. ولقد أشار إلى ذلك في قوله: "نشرنا في 1964 مقالا حاولنا أن نبرهن فيه على أن النحو العربي لم يتأثر في نشأته ولا عند اكتهاله في زمان الخليل وسيبويه بمنطق أرسطو

1 - عبد الرحمن الحاج صالح، بحوث ودراسات في اللسانيات العربية، المرجع السابق، ج 2، ص 45.

2 - Abderrahmane Hadj Salah, linguistique arabe et linguistique générale: essai de méthodologie et d'épistémologie du à l'Ilm al-àArabiyya, thèse de doctorat, université Paris 4, 1979.

3 - عبد الرحمن الحاج صالح: بحوث ودراسات في اللسانيات العربية، المرجع السابق، ج 2 ص 268

إطلاقاً.¹ كما يوحي لنا بذلك قوله في مداخلة له بملتقى حول تطور اللسانيات في العالم العربي، الذي نظّمته اليونيسكو في الرباط سنة 1987 "وقد حاولنا منذ ما يقرب من ثلاثين سنة أن نحلّل ما وصل إلينا من تراث فيما يخصّ ميدان اللّغة، وبخاصّة ما تركه لنا سيبويه وأتباعه ممن ينتمي إلى المدرسة الخليليّة. وكلّ ذلك بالنّظر في الوقت نفسه فيما توصّلت إليه اللّسانيات الغربيّة. وكانت النّتيجة أن تكوّن مع مرور الرّمان فريق من الباحثين المختصّين في علوم اللّسان بمعناه الحديث يريد أن يواصل ما ابتدأه الخليل وسيبويه ومن تابعها، لكن بعد التّمحيص لما تركوه من الأقوال والتّحليلات؛ أي بعد التّحليل النّقدي الموضوعي لها.² فقوله (منذ ما يقرب من ثلاثين سنة) وهو في سنة 1987 وبعملية حسابية بسيطة نستدل على أن عمله على النظرية الخليلية لا يعود إلى سنة 1979، وإنما إلى أوائل الستينات. بل إن التفكير فيها بدأ حين كان الأستاذ طالبا بالأزهر الشريف بداية من سنة 1947 وهو ما صرح عنه بقوله: "اضطرت إلى اللجوء إلى مصر في سنة 1947... فالتحقت بالجامع الأزهر، وكانت فرصة عجيبة لأن مقامي في المشرق غير كل شيء في حياتي ولا سيما في الدراسة إذ كنت قد اخترت وأنا في الجزائر الرياضيات تخصصاً فإذا أنا أمام تراث علمي عظيم في ميدان اللغة خاصة وشعرت آنذاك أنه غير مستثمر.³ مما يدلّ على أنه قد انتبه في ذلك الحين إلى أصالة وعبقريّة النحو الخليلي والسيبويهي، ويؤكد ذلك بقوله: "إن النظرية الخليلية الحديثة نتجت عن جهود متواصلة وقد بدأت التفكير فيما يقول الخليل وأنا طالب في الجامعة الأزهرية وبخاصة في كلية اللغة العربية، وقارنت بين ما اطلعت عليه في كتاب سيبويه آنذاك من أقوال الخليل وما قرأته وكنت أقرأه على شيوخنا في هذه الجامعة العتيقة، فلاحظت الفروق الكثيرة التي توجد بين ما ذهب إليه الخليل وشيوخه وتلاميذه وخاصة سيبويه وبين ما يقوله المتأخرون من النحاة، بل لاحظت فرقا كبيرا لا في النزعة العقلية ولا في مناهج التحليل وفي الاتجاه العلمي فقط بل في

1 - عبد الرحمن الحاج صالح: بحوث ودراسات في اللسانيات العربية، المرجع السابق، ج2، ص268 -الهامش-

2 - نفسه، ج1، ص208 .

3 - عبد الرحمن الحاج صالح: الخليل وسيبويه سبقا عصرنا في دراسة الصوتيات، حوار أجراه معه: بشير إبرير،

مجلة الفيصل، الرياض، المملكة العربية السعودية، العدد 245، ص 51

كل شيء ذكره.¹ وقد مكنه ذلك الجهد المتواصل من إحكام نظامها وإظهارها في بناء متماسك من الفروض والمبادئ والأصول العلمية المقترحة لدراسة الظواهر اللغوية، وجعلها تحتل مكانة كمشروع لساني مبني على أسس علمية استقرائية وتحليلية، وميزها بجملة من السمات والخصوصيات أهمها المقارنة والنقد الموضوعي والاستناد على إعادة قراءة التراث النحوي العربي والعمل على إعادة صياغته بلغة لسانية حديثة .

وهي وإن كانت تنسب إلى الحاج صالح وإليه يرجع الفضل في ظهورها لأنها تبلورت على يديه؛ إلا أنه عمل عليها كثير من الباحثين الجزائريين بدليل قوله السابق عن تكوّن فريق من الباحثين المختصين في علوم اللسان بمعناه الحديث يعمل على مواصلة ما ابتدأه الخليل وسيبويه ومن تابعهما، وبدليل قوله: "والذي نريد أن ينتبه إليه إخواننا الباحثون هو وجود نظرية استخراجها بعض الباحثين الجزائريين ممّا أخرجهم علماء النحو الأوّلون، وبنيت هذه النظرية على عدد من المفاهيم والتصورات قد لا يوجد في اللسانيات الحديثة ما يماثلها بل قد تفوقها إلى حدّ بعيد، وهذا ما حاولنا أن نبرهن على صحّته بتحليل هذه النظرية وصياغتها صياغة منطقيّة."²

وهي تسمى (الخليلية) نسبة إلى الخليل بن أحمد الفراهيدي (ت 175هـ) لأنها تقوم في كثير من معالمها على استقراء فكره وترجمة المفاهيم النحوية التي ابتكرها والتصورات وطرق التحليل لاسيما المبتوثة في كتاب سيبويه لأنه "بسط النحو، ومد أطنا به، وسبب علله، وفتق معانيه، وأوضح الحجاج فيه حتى بلغ أقصى حدوده، وانتهى إلى أبعد غاياته."³ إلا أنها تسمى كذلك "بالتغليب لأنّ الخليل -رحمه الله- وإن كان هو العماد فيها إلا أنه قد أخذ كثيرا عن شيوخه."⁴ كما أنها لا تقصي تراث غيره من النحاة الأوائل أمثال أبي علي الفارسي، وابن جني، ورضي الدين

1 - عبد الرحمن الحاج صالح: النظرية الخليلية الحديثة، مجلة اللغة والأدب، المرجع السابق، ص 85

2 - عبد الرحمن الحاج صالح: بحوث ودراسات في اللسانيات العربية، المرجع السابق، ج2، ص44.

3- جلال الدين السيوطي، المزهرة في علوم اللغة وأنواعها، تح: محمد أحمد جاد المولى بك وآخرون، مكتبة دار التراث، القاهرة، ط 3 ، 2008 ، ص 80

4- عبد الرحمن الحاج صالح: بحوث ودراسات في اللسانيات العربية، المرجع السابق، ج 1 ، ص 20 .

الاسترياذي... وهذا ما قرره عبد الرحمن الحاج صالح بقوله "لابد من ملاحظة مهمة، فإن الخليل ليس هو وحده المسؤول عن كل ما أبدعه عباقرة العلماء الأولين؛ فهناك من عاصره وكان عبقرياً مثله ومن جاء بعده وكان عبقرياً مثله".¹ وجوهر هذه النظرية هو التعريف بملامح العبقرية تلك من خلال التعريف بفكر هؤلاء الفطاحل ومن اتبعهما، و"إحياء المبادئ التي وضعها النحو الخليلي... إحياء اجتهادياً لا تقليدياً أعمى".² ذلك أن التحليل اللغوي الذي تعرضه النظرية الخليلية الحديثة يستند إلى "ما استجد من نظريات لسانية حديثة، وما أنتج في مجال الإعلام الآلي، حيث طبق مواصفاتها على الحوسبة اللغوية التي تفرضها أنماط التعامل مع الأجهزة الحديثة".³ مما يعني أنها تقوم على أسس علمية حديثة، وتسعى إلى قراءة التراث اللغوي العربي قراءة لسانية إحيائية حديثة؛ تظهر سبق العرب في حقل الدراسات اللغوية وإسهامهم الحقيقي فيه-وهو الإسهام الذي سعى الكثير من الدارسين إلى نكرانه وتغييبه-.

أما تسمية **الحديثة** فلأن لها نظيرتها التراثية التي وضعها الخليل وأتباعه، وأما ما وضعه (الحاج صالح) فهو امتداد مباشر وإثراء لنظرية النحو العربي القديمة التي وضعها الخليل بن أحمد الفراهيدي، وسيبويه، ومن جاء بعدهما من العلماء الأفاضل، أمثال أبي علي الفارسي، وابن جني، ورضي الدين الاسترياذي.⁴ وقراءة جديدة لتراثهم النحوي "الذي وُضع على أسس إبستمولوجية مغايرة تماماً لأسس اللسانيات البنوية، وخصوصاً المبادئ التي بنيت عليها تحليلاته".⁵ ولذلك تعتبر نظرية ثانية Métathéorie تقوم على النظر والبحث في أسس النظرية اللغوية العربية القديمة (الخليالية الأولى) واستخراج مبادئها ومفاهيمها الأساسية وإعادة صياغتها على نحو

1- عبد الرحمن الحاج صالح: النظرية الخليلية الحديثة، مجلة اللغة والأدب، المرجع السابق، ص 85

2- شفيقة العلوي: العامل بين النظرية الخليلية الحديثة والربط العملي لنعوم تشومسكي، حوليات التراث، جامعة مستغانم، العدد السابع، 2007، ص 30

3 - صالح بلعيد: مقاربات منهجية، مطبعة دار هومة، الجزائر، 2004 م، ص 153 .

4 - خولة طالب الابراهيمي: مبادئ في اللسانيات، المرجع السابق، ص 135.

5 - Abderrahmane Hadj-Salah : La linguistique néokhalilienne et les études linguistiques actuelles dans le monde arabe, Maroc 1987, p. 71.

حدثي، ومقارنتها بما توصل إليه البحث اللساني الحديث ومحاولة استثمار ذلك في الدراسات اللغوية العربية. حيث يعمل فيها صاحبها على ربط التراثي بالحدثي من خلال قراءته التجديدية للتراث العربي وتحليل ما وصل إلينا من عصر الخليل وسيبويه ومن تابعهما في المنهج السليم من أوائل النحاة في ضوء ما توصلت إليه اللسانيات الغربية الحديثة من مبادئ علمية. وذلك إيماناً منه بالتقارب والتناسب الكبير الموجود بين علم اللسان الحديث وبين علم اللسان العربي الذي وضعه العلماء العرب في أواخر القرن الأول الهجري وهو التقارب الذي استوجب الدراسة واسترعى الاهتمام. فعلوم اللغة التراثية وعلوم اللسان الحديثة تبدو بين يديه اثنين في واحد لا يغني أحدهما عن الآخر. وقد ركزت وركز أصحابها على الاهتمام بشخصيات علمية شامخة من علماء العرب القدامى وأشادت بفطنتهم ودهائهم وسبقهم فيما يتعلق بالدراسات اللغوية، على علماء اللسانيات الغربية الحديثة، مثبتة أن المبادئ التي اعتمدها في دراساتهم وأبحاثهم اللغوية مأخوذة عن النحو العربي الأصيل. ومن خلالها أيضاً تم بعث مصطلحات ومفاهيم نحوية وبلاغية تراثية أصلية وعمدت إلى تفسيرها بمنهج علمي رصين يستند إلى جهود العلماء العرب القدامى ولا ينأى ولا يختلف عن المناهج اللسانية الغربية الحديثة.¹ وأهم ما صُرفت إليه الجهود في النظرية الخليلية الحديثة هو الكشف عن المنهجية العلمية التي سلكها نحاة الصدر الأول لدراسة كلام العرب، وذلك بإمعان النظر في "الطرق والمناهج التي اعتمدها لتحويل ما نقلوه ودونوه من معطيات لغوية إلى معقول؛ أي نظام من الأصول والحدود المترابطة ليستطيع العقل بذلك أن يدرك كيفية انتظامها وأسباب وجودها على ما هي عليه."² وأهم هذه الطرق الموضوعية والمناهج العلمية التي اعتمدها النحاة الأوائل والتي استندت إليها النظرية الخليلية في القول ببراعة النحاة الأوائل هي: "الخُصوع التام للسمع ومشاهدة الوقائع اللغوية ثم

1 - بشير إبرير: أصالة الخطاب في اللسانيات الخليلية الحديثة، مجلة العلوم الإنسانية، جامعة محمد خيضر، بسكرة، ع7، فيفري 2005، ص 9.

2 - عبد الرحمن الحاج صالح: التعريف العلمي وماهيته عند سيبويه وأتباعه، مجلة المجمع الجزائري للغة العربية، العدد 14، 2011، ص 9.

تطبيقهم لمبدأ الأكثرية في الباب أو في الاستعمال وتطبيقهم لها في توثيق الرواية، ثم استنباط الأصول وتوسيعهم القياس إلى قياس رياضي - عند الخليل خاصة- وتفسيرهم الشامل لكل شذوذ عن هذه الأصول.¹

والقراءة التي تقترحها النظرية الخليلية الحديثة للتراث اللغوي العربي، والتي تُمكن من إعادة البريق إليه تستند هي الأخرى إلى سمات البحث العلمي الموضوعي وتستغل أدواته وآلياته لاسيما المنهج الذي اختارته وهو منهج المقارنة التقويمية العلمية بين التراث اللغوي العربي للنحاة الأوائل، والدراسات اللسانية العربية الحديثة، بغية الوصول إلى مفاهيم دقيقة أصيلة ذات نجاعة كبيرة في ميدان الدراسة العلمية للغة.² و"المقارنة بين هذه المفاهيم كما تصورها هؤلاء العلماء المبدعون، وما جاء بدلها فيما بعد من مفاهيم غير علمية، والمقارنة أيضا بينها وبين ما نجده اليوم من مفاهيم علمية في العلوم اللسانية الحديثة وفي المنطق العلمي... لأن أوجه الشبه قد تخدع الباحث أحيانا، كما أن الفوارق الكثيرة قد تُضلل أحيانا الباحثين، فلا يهتدون إلى الشبه العميق الذي لا يتضح إلا بالطرق التحليلية الدقيقة كالتطرق المنطقية الرياضية."³

وهو منهج يستند إلى جملة من المعايير الصارمة في التعامل مع التراث أولها: "البحث عن المصادر الموثوقة والتي لها الأولوية على غيرها في الاعتماد عليها من جهة وأصول البحث عن معاني الألفاظ التي قصدتها القائل في نص مُعين من جهة أخرى."⁴ ثم:

"1- ضرورة الرجوع إلى ما قاله القائل هو نفسه، أي إلى نص قوله والامتناع البات من الاكتفاء في ذلك بما روي عنه مع وجود النص..."

1 - عبد الرحمن الحاج صالح: التعريف العلمي وماهيته عند سيبويه وأتباعه، المرجع السابق، ص 9

2 - عبد الرحمن الحاج صالح: بحوث ودراسات في اللسانيات العربية، المرجع السابق، ج 2 ، ص 53

3 - نفسه، ج 2 ، ص 81.

4 - عبد الرحمن الحاج صالح: تحديث أصول البحث في التراث اللغوي العلمي العربي، المرجع السابق، ص 13،

- 2- ضرورة الرجوع إلى أكثر من مصدر في كل ما يُروى، ويجب أن تنتمي كلها إلى عنصر واحد ولم تكن بعضها منقولة عن بعض...
- 3- ضرورة التمييز بين المصادر... واختيار ما وقع عليه الإجماع على توثيقه....
- 4- تقديم النظر في النص الأصلي على التأويلات والشروح التي تلت هذا النص...
- 5- التصفح الكامل للنص مهما بلغ طوله قصد حصر الألفاظ الهامة التي يكثر ورودها مع جميع سياقاتها التي وردت فيها...
- 6- اللجوء بعد هذا التصفح إلى طريقة خاصة لاكتشاف المعاني المقصودة في النص...
- 7- الاعتداد المستمر بعامل الزمان وتأثيره في تحول التصور العلمي والمفاهيم...
- 8- النظر في جميع النظريات اللسانية الحديثة وتمحيصها...¹

3. المبادئ الأساس للنظرية الخليلية من خلال كتابات الحاج صالح: عمل الأستاذ

(عبد الرحمن الحاج صالح) -رحمه الله- على نظريته على مدى سنوات، وسعى لإخراجها على نحو بناء متكامل واضح المعالم، فحدّد وشرح ما تقوم عليه من مفاهيم ومبادئ وتصورات لدراسة الظواهر والمعطيات اللغوية وتحليلها، من منطلق علمي يجمع بين التراث والحداثة. وقد كان منهجه يتجاوز الوصف إلى النقد والمقارنة والتحليل والتقويم فهو لم يقف عند وصف ما قدّمه النحاة العرب الأوائل، ولا عرض ما قدّمته النظريات اللسانية الغربية الحديثة كما هي بتسليم مطلق لمحتوياتها ومضامينها، بل أمعن النظر في التراث اللغوي العربي دون الانغلاق عليه والإشادة اللاموضوعية به، ودون التّكّرر الجائر له، والمُجحف في حق أصحابه. فأشاد به دون مغالاة، وسبر أغوار الدرس اللساني الغربي الحديث دون انبهار به ولا تعسف في حق رواده أيضا،

1- عبد الرحمن الحاج صالح: تحديث أصول البحث في التراث اللغوي العلمي العربي، المرجع السابق، ص 14

وما يليها - بتصرف-.

بل حلّ معطياتهما تحليلاً علمياً دقيقاً، ولم يستتف عن النقد لأكبر النظريات اللسانية الغربية الحديثة كالنظرية البنوية. وكما نأى في إشادته بالتراث اللساني العربي عن المغالاة فقد نأى في نقد اللسانيات الغربية عن الشطط، وإنما كان دارساً حصيفاً ومُحلّلاً فطناً وناقداً مُتمرساً.¹ وكان في كل ذلك يحتكم إلى شروط البحث العلمي من دقة وموضوعية، ويصدر عن منهج تجريبي للتحقق من المعطيات والوقائع تماماً كما يفعل العالم البيولوجي أو الفيزيائي في تعامله مع المعطيات.

ومن أبرز المبادئ التي سنتناولها مما يُشكّل القوام العام للنظرية: مفهوم الاستقامة واللفظة والانفراد في التحليل والموضع والعلامة العدمية والعامل وما يرتبط بها. حيث يتفرع عن هذه المبادئ الكبرى مفاهيم أخرى أساسية اعتمدها نحاة العرب الأوائل، وحفلت بها مؤلفاتهم وتميّز بها درسهم النحوي، أهمها: الوضع والاستعمال، الأصل والفرع، الانفصال والابتداء، مفهوم الباب والمثال، مفهوم القياس...

وحدثنا عن هذه المبادئ كما تمثلها الأستاذ عبد الرحمن الحاج صالح، وكما تصوّرها وقدمها للقارئ العربي من خلال بحوثه ومقالاته ومؤلفاته المختلفة، التي ظل يُقدّمها تمهيدا لنظريته من أوائل ستينيات القرن الماضي، ثم صياغتها من خلال أطروحته للدكتوراه سنة 1979، ثم شرحها وبسطها وتنقيحها إلى حين وفاته رحمه الله - أي ما يربو على نصف قرن؛ يمكننا من الوقوف على الكفاية العلمية للنظرية الخيلية وقيمتها في حقل الدراسات اللسانية الحديثة ويُطلعنا على المقاربة العلمية التي اعتمدها الأستاذ في قراءته للتراث اللغوي العربي وجمعه بين التراث والحداثة.

1.3. مفهوم الاستقامة والإحالة:

1 - سنبين نقده للبنوية في مواضع لاحقة من هذا البحث عند الحديث عن مبدأ الانفراد وحد اللفظة.

ينطلق الأستاذ (عبد الرحمن الحاج صالح) في هذا المبدأ من قول (سيبويه) في باب (الاستقامة من الكلام والإحالة) الذي يذهب فيه إلى أن الكلام: "منه مستقيم حسن ومحال ومستقيم كذب، ومستقيم قبيح، وما هو محال كذب. فأما المستقيم الحسن فقولك أنتيك أمس وسأتيك غدا، وأما المحال فأن تنقض أول كلامك بآخره فتقول: أتيتك غدا وسأتيك أمس، وأما المستقيم الكذب فقولك حملت الجبل وشربت ماء البحر ونحوه، وأما المستقيم القبيح فأن تضع اللفظ في غير موضعه نحو قولك قد زيدا رأيت وكى زيد يأتيك وأشباه هذا، وأما المحال الكذب فأن تقول سوف أشرب ماء البحر أمس.¹ فقد استنبط من هذا القول أن (سيبويه) يُقسِم الكلام إلى أصناف حسب مقتضيات التركيب وحسب مقتضيات الاستعمال؛ فالكلام عنده نوعان مستقيم (حسب مقتضيات التركيب) ومنه (حسن وكذب وقبيح)، ومحال (حسب مقتضيات الاستعمال).

وقد صاغ (الحاج صالح) رحمه الله التقسيمات التي عرضها (سيبويه) بطريقة رياضية على النحو الآتي:

" - مستقيم حسن = سليم في القياس والاستعمال.

- مستقيم قبيح = غير لحن ولكنه خارج عن القياس، وقليل -في الاستعمال-

- محال = قد يكون سليما في القياس والاستعمال، ولكنه غير سليم من حيث المعنى.²

وتفصيل ذلك أن الكلام له عدة مستويات من حيث السلامة في القياس

والاستعمال وعدمها:

- المستوى الأول: المستقيم الحسن، وهو ما وافق مجاري العربية لفظا ومعنى فهو

سليم في القياس والاستعمال، فهو ممكن.

- المستوى الثاني: المستقيم القبيح، وهو يوافق القياس، ولكنه نادر في الاستعمال.

1 - أبو بشر عمرو بن قنبر سيبويه: الكتاب، المصدر السابق، ج 1، ص 25، 26

2 - عبد الرحمن الحاج صالح، بحوث ودراسات في اللسانيات العربية، المرجع السابق، ج 1، ص 218. وأيضا:

- المستوى الثالث: المستقيم القبيح، وهو يوافق القياس في أصل الوضع، ولكنه لا يخرج إلى الاستعمال إلا مجازاً كقولك: حملت الجبل.
 - المستوى الرابع: المحال وفيه يكون الكلام مستقيماً نحويًا، ولكنه لا يحمل معنى بسبب تنافر بين أطراف الكلام والتناقض بين أوله وآخره.
- وتمثل ذلك بطريق الرموز على النحو الآتي:

مثال	عدم سلامة		سلامة		أضرب الكلام
	استعمال	قياس	استعمال	قياس	
أنتيك أمس	-	-	+	+	مستقيم حسن
حملت الجبل	+	-	-	+	مستقيم كذب
قد زيدا رأيت	-	+	+	-	مستقيم قبيح
أنتيك غدا	-	-	+	+	محال

وقد خلص (الحاج صالح) من إمعان النظر في تلك التقسيمات التي عرضها (سيبويه) إلى أنه قد وضع أصلاً من أصول نظرية لغوية متكاملة، وأحال على فهم عميق للغة ينبئ عن عبقرية النحاة العرب الأوائل؛ الذين جمعوا في تحليلهم بين الاهتمام باللفظ والمعنى على السواء، فكانت لهم تحليلات نحوية محضة Analyse grammatical تهتم باللفظ وحده، وأخرى دلالية Analyse sémantique ، تأخذ بالاعتبار الاعتبارات المعنوية. وكان النحاة -كما يرى الأستاذ عبد الرحمن الحاج صالح- يُميزون تمييزاً دقيقاً بين هذين التحليلين ولا يخلطون بينهما، وبقيرون نظريتهم اللغوية على التمييز المطلق والصّارم بين اللفظ والمعنى، "فقد عرف أولئك النحاة وخاصة الخليل بن أحمد (القرن الثاني) الوظيفة الأساسية للغة وهي التبليغ (communication) إلا أنهم لم يجعلوه المبدأ الوحيد لتفسير الظواهر اللغوية، وعلى هذا فإنهم أقاموا التمييز

الصارم بين ما هو راجع إلى الخطاب والبيان وما هو راجع إلى البنية اللفظية التي تختص بها اللغة.¹ وهذه تُعدُّ قضية مفصلية في فهم التراث؛ تفتن إليها أستاذنا (عبد الرحمن الحاج صالح) من خلال إعادة قراءة التراث بمناهج البحث العلمي والمعاصر وهي تتمثل في التمييز الصارم بين النظر إلى الكلام كبنية والنظر إليه كخطاب، من خلال إدراك الحدود الفاصلة بين البناء المجرد الذي ترتكز عليه اللغة ونظامها الخفي، وبين الإسناد المنطقي الذي يرتبط بالسياق التداولي، ومعنى ذلك أن: "اللفظ إذا حدد أو فسر باللجوء إلى اعتبارات تخص المعنى فالتحليل هو تحليل معنوي (Sémantique) لا غير، أما إذا حصل التحديد والتفسير على اللفظ نفسه دون أي اعتبار للمعنى فهو تحليل لفظي نحوي (Semiologico-grammatical)."² ولكل نمط من أنماط التحليل هذه قوانين خاصة وحدود ضابطة يرتكز عليها فلا يصح الخلط بينهما وإلا عدَّ ذلك خطأ في عمل النحوي يقول (الحاج صالح) "والتخليط بين هذين الاعتبارين يعتبر خطأ وتقصيرا، وذلك كالاقتصار على تحديد الفعل بأنه: (ما دل على حدث وزمان) فهذا تحديد على المعنى فهو جيد ولكنه من وجهة المعنى. أما التحديد على اللفظ فهو (ما تدخل عليه من زوائد معينة كـ قد والسين ويتصل به الضمير في بعض صيغته)."³ وقد ترتب عن هذا التمييز بين اللفظ والمعنى "أن اللفظ هو الأول لأنه هو المتبادر إلى الذهن أولا ثم يفهم منه المعنى، ويترتب على ذلك أن الانطلاق في التحليل يجب أن يكون من اللفظ في أبسط أحواله، وهو الأصل (الذي ليس فيه زيادة ولا علامة له بالنسبة إلى ما يبني عليه)."⁴ وهو الفرع الذي يتميز عن الأصل بالزيادة العارضة على الأصل الذي يبني عليه، والعلامة اللفظية وغيرها من الميزات والفوارق التي سنتحدث عنها لاحقا .

1 - Abdrrahmane Haj-Salah: Linguistique et phonétique Arabes , Revue Al-isanyyat , Centre de Recherche Scientifique et Technique sur le Développement de la Langue Arabe , Alger , n 8 , 2003 , p12

2 - عبد الرحمن الحاج صالح: بحوث ودراسات في اللسانيات العربية، المرجع السابق، ج1، ص 218 .

3 - نفسه، ج 1 ، ص 218- 219 .

4 - عبد الرحمن الحاج صالح: بحوث ودراسات في اللسانيات العربية، ج 1 ، ص 219 .

وقد أثبت الأستاذ عبد الرحمن الحاج صالح من خلال هذا أن النظرية اللغوية العربية الأصيلة التي أقامها الخليل وسيبويه والنحاة المتقدمون تجمع في وصفها للظواهر اللغوية بين النحو والدلالة، وقد بحث فيها أصحابها مستوى الشكل والوظيفة كما بحثوا مستوى المعنى والدلالة. ويوافقه في هذا الرأي بعض الدارسين مثل:

- محمد حماسة عبد اللطيف: الذي يذهب إلى أن نص سيبويه في باب الاستقامة والإحالة يحوي "بذور نظرية نحوية دلالية؛ حيث تندمج في تلاؤم صميم قوانين النحو مع قوانين الدلالة، أو بعبارة أخرى قوانين المعنى النحوي الأولي؛ وتمثله الوظائف النحوية المختلفة مع قوانين دلالة المفردات الأولية، وتمثلها الدلالة المعجمية للكلمة وتمتج فيما يمكن أن يسمى المعنى النحوي الدلالي".¹

- نهاد موسى: الذي يرى أن الفكر النحوي العربي يقوم على معياري اللفظ وقواعد التركيب من جهة والمعنى والدلالة من جهة ثانية؛ يقول: "وما بي حاجة إلى إعادة القول أن سيبويه يومئ إلى أصول صريحة في معايير الصواب والخطأ؛ يتمازج فيها الاحتكام إلى الدلالة والاحتكام إلى النحو، ولكي لا أجد بأساً من التذكرة بذلك المثال الذي ضربه سيبويه على المحال من الكلام وهو قولك (أتيتك غدا)... وقول سيبويه في شرح المحال الذي بين يدي ذلك المثال إنه أن تنقض أول كلامك بآخره صريح في الاحتكام إلى الدلالة".²

وهو عكس ما ادّعه بعض الدارسين المُحدثين الذين نفوا اهتمام النحاة بالجانب الدلالي مثل (ميشال زكريا) الذي يقول: "أصبح بمقدورنا أن نؤكد أن مسألة

1 - محمد حماسة عبد اللطيف: النحو والدلالة مدخل لدراسة المعنى النحوي الدلالي، ط1، دار الشروق، مصر، 1983، ص 61

2 - نهاد موسى: نظرية النحو العربي في ضوء مناهج النظر اللغوي الحديث، المؤسسة العربية للنشر، بيروت، لبنان، د ت، دط، ص 103 .

الاستقامة من الكلام والإحالة في الكتاب مسألة نحوية بحثة لا ترتبط بمستوى الدلالة، فسيبويه في يقيننا لا يحتكم مطلقا في ما يتعلق بأصولية الكلام إلى الدلالة.¹

كما يُثبت باب (الاستقامة والاستحالة) عند سيبويه أن الفكر النحوي والتراث اللغوي العربي يزخر بالبعد التداولي، ودليل ذلك تمييز سيبويه المعنى النحوي والمعنى الخطابي وذلك من خلال تمييزه بين السلامة التي تعود إلى اللفظ والسلامة التي تعود إلى المعنى من جهة، وتمييزه بين السلامة التي يقتضيها القياس والسلامة التي يفرضها الاستعمال الحقيقي للناطقين من جهة أخرى، أي إنه يربط مفهوم السلامة باللفظ والقياس من ناحية وبالمعنى والاستعمال من ناحية أخرى. حيث يُعدُّ "سيبويه على إثر الخليل هو أول من ميّز بين السلامة الراجعة إلى اللفظ (المستقيم، الحسن، القبيح) والسلامة الخاصة بالمعنى: المستقيم/ المحال. ثم ميز أيضا بين السلامة التي يقتضيها القياس (أي النظام الذي يميز لغة من لغة أخرى) والسلامة التي يفرضها الاستعمال الحقيقي للناطقين (وهذا معنى الاستحسان، وهو استحسان الناطقين أنفسهم).² وذلك أنه عندما ميّز بين المستقيم الحسن والمستقيم الكذب إنما اعتمد على السلامة من حيث اللفظ لا غير وهذه الاستقامة اللفظية تمس النحو واللغة وبالتالي ملكة المتكلم اللغوية. وعندما ميّز بينهما وبين المحال (الخُلف) فقد بنى تمييزه على المعنى وسلامته وسلامة المعنى في ذاته (دون اللفظ) هي المنطق الطبيعي وهي ما يعقله المتكلم مع غيره أو العادة والعرف (المجبر عليه الإنسان في تعامله مع كل ما يحيط به وفي كل مكان وزمان) ومنه ما اكتسبه من البديهيات. لأن السلامة اللغوية لا تتم بمراعاة ما يخص الأبنية وتصاريفها مما يقتضيه الوضع والقياس فحسب بل لابد من مراعاة ما تدل عليه هذه الأبنية من المعاني في الاستعمال؛ لأن اللفظ اللغوي هو الصوت الدال على معنى في تركيب معين، وهي أيضا قد تكون سليمة وغير سليمة (محال)، والسلامة هنا عقلية خاصة بالمعنى لا لفظية، ففي قول القائل (أنتيك غدا) و(سأتيك

1 - ميشال زكريا: بحوث ألسنية عربية، المؤسسة الجامعية للنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، 1992، ط1، ص 27

2 - عبد الرحمن الحاج صالح: بحوث ودراسات في اللسانيات العربية، المرجع السابق، ج1 ص 218.

أمس) انتقض أول الكلام بآخره فاستحالت الدلالة.¹ ولكن هذا النوع من الكلام سليم في عرف التداوليين ويحمل دلالة إذا ما روعيت قوانين الاستعمال كالسياق، ذلك أن "الكلام تصطحبه في جميع أحواله أدلة من نوع آخر وهي خارجة عن اللفظ، وهي مجموع القرائن من مشاهدة الحال وحضور المتخاطبين وتقدم الذكر وعلم المخاطب ولا يمكن أن يفهم الغرض من الكلام والكلم التي يتألف منها إلا بهذه القرائن، فلا كلام إلا بها أبدا. والذي امتاز به العلماء العرب هو في امتناعهم من جعل الخطاب ينحصر في اللفظ الملفوظ الدال وحده؛ فالتخاطب لا يمكن أن يتحقق إلا باندماج تام لعوامل مختلفة... وما كان يمكن للنحوي أن ينظر في ما تدل عليه الألفاظ من المعاني إلا بالتتبع الواسع للاستعمال..."² الذي ينضبط بأنواع من الضوابط تنتمي إلى ميادين مختلفة. أي إن الكلام المفيد باعتباره أقل ما يكون عليه الخطاب، والذي يتكون أساسا من مسند، ومسند إليه وهما كما عرفهما سيبويه: "ما لا يستغنى واحد منهما عن الآخر."³ وتحليل تركيبهما يحمل وظائف دلالية وإفادية مختلفة حسب السياقات المختلفة، وسيبويه ومن تابعه من النحاة الأوائل يعتمدون مبدأ الاستقامة والإحالة والاستعمال والقياس لتحليل الخطاب وتفسير الكثير من الظواهر اللغوية التي تكتنفه، فينظرون في أحوال الخطاب وأحوال المخاطب والمخاطب لأنهم يعتبرون الكلام عملية خطابية لا مجرد وحدات تخضع لتركيب نمطي صارم. وهذا التصور للغة من قبل سيبويه ومن قبله أستاذه الخليل يثبت البعد التداولي للكلام الذي لم يغفله الفكر النحوي العربي الأصيل. ومثال ذلك ما يشتمل المحال مثلا من مظاهر واضحة لخرق البناء النمطي المقرر للجملة. وهذه "ميزة أساسية في كتاب سيبويه فهو يميز بين الاستقامة التي أساسها المعنى وكذلك بين ما يقتضيه القياس بالنظر إلى النظام اللغوي العام الذي يميز لغة من لغة أخرى، وبين ما يقتضيه الاستعمال بحسب الأوضاع والمقاصد

1 - عبد الرحمن الحاج صالح: الخطاب والتخاطب في نظرية الوضع والاستعمال العربية، موفم للنشر ، 2012، ص 10 وما يليها.

2 - نفسه، ص 112، 113

3 - أبو بشر عمرو بن قنبر سيبويه: الكتاب، المصدر السابق، ج1، ص 23

والأغراض التي يؤمها المتكلمون.¹ فالنحو الخيلي يهتم في تحليله للظواهر اللغوية بالجانب البنوي الشكلي الذي يستند إلى مقتضيات القواعد والضوابط النحوية، والجانب الخطابى الاستعمالي الذي يستند إلى السياقات اللفظية وغير اللفظية والمقامات التي يرد فيها الخطاب. وهذا يدل على أن النظرية اللسانية للخليل وسيبويه عميقة جدا وأن المنهج الذي أقاموه لتحليل اللغة هو منهج متكامل، فقد عرفوا أن المنهج الدقيق يقوم على "التفاعل بين مستوى البنية وما يقتضيه من قوانين وقواعد وبين مستوى الخطاب وما يقتضيه من استعمال داخل الحياة الاجتماعية وقد شكل ذلك عند سيبويه وأستاذه الخليل بن أحمد وشيوخه الآخرين نظرية لسانية تميز -من حيث التحليل والتفسير- بين ميدانين هما: اللفظ الدال ومدلولاته وبين الخطاب الذي هو كيفية استعمال هذا اللفظ وبين مدلولاته في الإفادة.² على اعتبار أن "الروابط البنيوية متعاونة مع التحديدات السياقية تنتج التركيب الأساسي المقبول نحويا ودلاليا."³

وهذا يفيد أن النحاة العرب قد أقروا منذ القرن الثاني للهجرة مبدأ لسانيا دقيقا سبقوا به الدرس اللساني الغربي الحديث هو استقلال اللفظ عن المعنى النحوي والتداولي وانفراد كل منهما بالاستقامة أو عدمها، بحيث يمكن أن يستقيم اللفظ ويسلم من الخطأ النحوي من الناحية الصوتية والمعجمية والصرفية والتركيبية، ومع ذلك لا يستقيم المعنى كأن يكون غير معقول مثل (شربت ماء البحر).⁴

والحاصل أن مبدأ الاستقامة والإحالة يُعدّ مبدأ أساسا من مبادئ النظرية الخيلية الحديثة، كما كان مبدأ أساسا من مبادئ النحاة الأوائل ودليلا قاطعا على عبقريتهم وسبقهم في ميدان الدراسات العلمية للغة، إذ إنهم لم يهملوا جانب المعنى

1 - بشير إبرير: آليات تحليل الخطاب في كتاب سيبويه ، المرجع السابق، ص 24

2 - نفسه، ص 25

3 - مازن الوعر: نحو نظرية لسانية عربية حديثة لتحليل التراكيب الأساسية في اللغة العربية، دار طلاس، دمشق، ط 1، 1987، ص 68.

4 - عبد الرحمن الحاج صالح: الخطاب والتخاطب في نظرية الوضع والاستعمال العربية، المرجع السابق، ص

والاستعمال في تحليلهم للغة ولم يخلطوا بينه وبين اللفظ. يقول: "يتضح من هذا أولاً: أن النحاة لم يتهاونوا أبداً بالمعاني مهما كانت ماهيتها، وثانياً أنهم ميّزوا قبل المحدثين من علماء اللسان بقرون بين ما هو راجع إلى استقامة اللفظ وما يخص استقامة المعنى. فالأول إما من حيث سلامته من اللحن أو من حيث الشذوذ في القياس والاستعمال والثاني هو من حيث السلامة من الكذب أو من الإحالة، وبهذا يتضح أن ميدان النحو واللغة (وهما من المواضعة) كان يراعي فيهما العلماء العرب كل جوانب اللفظ والمعنى مع التمييز الصارم بين هذا وذاك، فسلامة اللفظ لا تلزم منه سلامة المعنى وبالعكس، وهذا دليل قاطع على استقلال كل واحد منهما عن الآخر في الاستعمال."¹

فالنحاة الأوائل لم يقفوا عند حدود المستوى الشكلي البنوي في تحليلهم للظواهر اللغوية، وإنما تجاوزوا ذلك إلى مستوى المعاني، ولا يقصد هنا المعاني المعجمية وإنما المعاني النحوية الوظيفية والدلالات التي تحصل من التركيب والمعاني التداولية المرتبطة بالاستعمال. فقد كان الخليل وسيبويه ومن تابعهما يعنون بالمعاني النحوية (الفاعلية والمفعولية...) وكانت ماثلة راسخة في أذهانهم وممارسة في استعمالاتهم ومُعْتَدًا بها في تحليلاتهم وتنظيراتهم، ولكن لم يكن اهتمامهم مقتصرًا على تتبع هذا النوع من المعاني (الوظيفة النحوية للوحدات) الحاصلة من سلامة التركيب فقط، بل اهتموا أيضاً بالسلامة التداولية والمعاني الناجمة عنها، ولذلك اهتموا بتلك التصنيفات القائمة على الاستقامة والاستحالة والاستحسان والاستقباح والكذب وغيرها من العلاقات.

وإذا رمنا كشف النقاب عما يُقصد بالمعنى النحوي والمعنى التداولي فإننا نحددهما على النحو الآتي:

1- عبد الرحمن الحاج صالح: الخطاب والتخاطب في نظرية الوضع والاستعمال العربية، المرجع السابق،

أ. المعنى النحوي يُقصد به: الوظيفة النحوية التي يؤديها كل عنصر لغوي في التركيب؛ من فاعلية ومفعولية وغيرها.

ب. المعنى التداولي: يُقصد به الدلالة التي يحملها اللفظ في الخطاب؛ أي في الاستعمال تبعاً للسياق اللفظي وغير اللفظي.

وتمثّل لذلك بتركيب معين وليكن (محمد يرسم) مثلاً، كلمة محمد يتغيّر معناها الوظيفي كلما تغيّر التركيب، بينما يبقى معنى الخطاب نفسه:

الأمثلة	المعنى النحوي	معنى الخطاب
يرسم محمد	فاعل	فاعل
محمد يرسم	مبتدأ	فاعل
إن محمداً يرسم	اسم إن	فاعل
مررت بمحمد يرسم	اسم مجرور	فاعل

ضروب الكلام عند الخليل وسيبويه:

كان الخليل ومن تابعه من النحاة يُصنّفون الكلام إلى ضروب بمراعاة اللفظ والمعنى على السواء، وعلى أساس من التفكير الرياضي الدقيق (قسمة التركيب) وعلى نحو كبير من التجريد العلمي المتقدم، وهذا ما سمح لهم بذلك العدد من الممكنات الرياضية والعقلية التي يحتملها القياس والتي لا يحتملها، والتي يقبلها الاستعمال والتي لا يقبلها (المهملة والمستعملة). وهذه المُمكنات شرحها سيبويه في كتابه في باب الاستقامة والإحالة. وقد توصلنا من خلال ما سبق وبالاعتماد أساساً على النظرية الخليلية الحديثة، وبمناقشة آراء صاحبها في بعض المواضع والتي اعتمدنا فيها أساساً على عرض آراء غيره من الدارسين لاسيما الغربيين منهم، إلى شرح وتفصيل ضروب الكلام التي وقف عندها سيبويه على النحو الآتي:

شرحها	صياغة الحاج صالح	مثالها	ضروب الكلام
هذا المستوى يراد به الكلام الذي يوافق مجاري اللغة من حيث قوانين التركيب النحوي، ويوافق الاستعمال من حيث المعنى، فهو كلام سليم من التناقض من حيث اللفظ؛ وموافق لسنن العربية وأصل وضعها؛ ويحتمله القياس؛ وممكن في الاستعمال، ولا يوجد خلل في العلاقة بين وحداته بحيث وضعت كل وحدة الموضوع الذي يقتضيه علم النحو وقواعد النظم والتركيب، وسليم من حيث الدلالة، فقد "وُضع كل مُكوّن وما يُمثّله من الأصوات المنطوقة في موضعه الصحيح، وهو وضع يسمح به نظام اللغة. ولذلك جاء هذان المثالان من الكلام المستقيم الحسن الذي لم تتصادم فيه قواعد الاختيار في الوظائف النحوية والمفردات بدلالاتها الأولية." ¹	سليم في القياس و الاستعمال	- أتيتك أمس - سأتيك غدا	المستقيم الحسن
كلام سليم من التناقض النحوي فقط، فهو موافق لسنن العربية وأصل وضعها، وهو مما يحتمله القياس، وعلاقات الإسناد بين وحداته صحيحة (فعل + فاعل + مفعول به)، ولكنه لا ينطبق على الواقع ويُخالف الحقيقة، والمعنى الذي يحمله مناف للحقيقة ولا يقبله العقل، وهو يرتبط عند	/	- حملت الجبل - شربت ماء البحر	المستقيم الكذب

1 - محمد حماسة عبد اللطيف: النحو والدلالة، مدخل لدراسة المعنى النحوي الدلالي، المرجع السابق، ص 100.

الجرجاني بمعنى المعنى، فيكون استعماله مجازاً لا حقيقة. ففي هذا المستوى من مستويات الكلام ننتقل من مستوى الحقيقة إلى مستوى المجاز، فكلمة الجبل في المثال ليس المقصود بها (الجبل) في حد ذاته بل قد يكون المقصود بها (الهموم أو المصائب) ومثل ذلك كلمة (القرية) في قوله (اسأل القرية) معناها مجازي لا حقيقي، وهنا نحتكم إلى السياق بنوعيه اللفظي وغير اللفظي، كما نحتكم إلى قصد المتكلم ليكونا مُسوغين للمستقيم الكذب وينقله من اللادلالة إلى الدلالة. ومعلوم أنّ القصد والسيّاق من مقومات التحليل التداولي، وهكذا يكشف لنا هذا الضرب من ضروب الكلام الذي تحدث عنه سيبويه عن البعد التداولي للنحاة الأوائل؛ وهو ممّا لم يقف عنده كثيراً الحاج صالح. فهو لم يشر إلى القيمة الأسلوبية التي ترتبط ارتباطاً وثيقاً بالانزياح، لأن حمل الجبل في الواقع يكون مُحالاً، وقد يكون الحمل معنوياً، كقولك: حملت جبلاً من الهموم، فالكذب يكون في لغة المجاز كالشعر، ومثال ذلك قول البحثري:

(أتاك الربيع الطلق يخال ضاحكا)،
فهو مستقيم كذب، ولكنه يحتوي على استعارة
أضفت على الكلام طابع الإبداع والجمال.

وقد سماها الباحث (مقبول إدريس)
باللحن التداولي بقوله: "جرت العادة أن ينسب

<p>اللحن (الخطأ) أو يضاف إلى اللّغة، ويُقصد به غالباً خرق جانبها النّحوي أو الصّرفي في بعض الأحيان، غير أنّي أرى أنّ هذا اللّحن قد يعترني مستويات عدّة على جهة التوسّع، ومن بينها المستوى التّداولي التكلّمي، ومرجعي في هذا الطّرح كلام سيبويه ونظرة النّحوي... من خلال عمله (الكتاب).¹ ويَقصد بذلك مبدأ الاستقامة ويوضّح ذلك قوله: "إنّ حكم سيبويه على أحد أنماط الكلام (ج) بصفة المستقيم الكذب هو ما أسمّيه باللّحن التّداولي؛ الذي تتخّرّم فيه شروط المطابقة بين النّسبة الكلامية والنّسبة الواقعية الخارجية والنّسبة العقلية كما يُعبّر البلاغيون وكذا التّداوليون.² لأنّ هذا الصّنف من الكلام (المستقيم الكذب) "تركيب انتظمت عناصره وفق نسق لغوي وقواعديّ مقبولٍ يحافظ فيه على الرّتب والمحلات وآثار الإعراب، غير أنّ اللّحن يمكن أن يأتيه من جهة دلالة ملفوظه في علاقته بالاعتقاد والواقع، إذ هو إمّا صادق وإمّا كاذب، بناءً على المنطق الثّنائي القيمة، كما هو معروف عند بعض التّداوليين المناطقة.³</p> <p>فهذا التحليل من قبل (إدريس مقبول) يحيل إلى اعتبار الجانب السّيافي أو التّداولي في</p>			
--	--	--	--

1 - إدريس مقبول: البعد التداولي عند سيبويه، المرجع السابق، ص 246.

2 - نفسه، ص 246.

3 - نفس، ص 247.

<p>المستقيم الكذب، وهو ما يصفه باللاحن تداولياً؛ أي أن هناك لحناً لا في البنية أو التركيب وإنما في الدلالة التي يمكن أن تستفاد من التركيب السابق. ففي (شربت ماء البحر)، معلوم أن ماء البحر مالح لا يشربه البشر لذلك فهو كذب. ولكننا نرى أنه إنما يصدق هذا التحليل في المستوى العادي من الكلام، ولكن يتغير الوصف حين ننتقل إلى المستوى الأدبي أو الشعري خاصةً، حيث يصبح الكذب واللدلالة دلالة، إلا أن الدلالة هنا تداولية يقتضيها السياق كقولنا (حتى يلج الجمل في سمّ الخياط).</p>			
<p>الأصل أن تدخل (قد) و(كي) على الفعل، ويشترط له أن يليهما مباشرة ولا يفصل بينهما فاصل²، والملاحظ في المثالين السابقين أن (قد) و(كي) لم توضعاً موضعيهما الصحيحين فجاءت البنية التركيبية سليمة ولكنها مؤافقة لوجه ضعيف أو نادر أو قبيح من سنن اللغة العربية. والغالب في القبيح أنه من ضرائر الشعر وفي ذلك يقول سيبويه: "ويحتملون قبح الكلام حتى يضعوه في غير موضعه لأنه مستقيم ليس فيه نقص."³</p>	<p>غير لحن ولكنه خارج عن القياس وقليل في الاستعمال . القبيح يطلق</p>	<p>- قد زيدا رأيت - كي زيد يأتيك</p>	<p>المستقيم القبيح</p>

2 - يقول سيبويه " و ذلك أن من الحروف حروفا لا يذكر بعدها إلا الفعل و لا يكون الذي يليها غيره مظهرا أو مضمرا ، فمما لا يليه الفعل إلا مظهرا : قد و سوف و السين و لما و نحوهن ... " (الكتاب ، ج 1 ، ص 98) و يقول : " فلا يجوز أن تفصل بين الفعل و العامل فيه بالاسم ، كما لا يجوز أن تفصل بين الاسم و بين إن أخواتها بفعل " (الكتاب ، ج 1 ، ص 110)

3 - الكتاب ، ج 1 ، ص 26

<p>ويقول: "وهذا قبيح ضعيف لا يجوز إلا في موضع الاضطرار. ⁴ فالقبح هنا أطلقه سيبويه على اللفظ لا المعنى لأن صفتي (الحسن والكذب) تختصان بالمعنى، بينما تتعلق صفة القبح باللفظ، وفي هذا يقول (الحاج صالح) القبيح "يطلق على الجانب الشكلي للجملة وليس جانبها الدلالي وفي هذا الإطار يظهر التعارض بين حسن وقبيح. ⁵ وقول الحاج صالح (قليل في الاستعمال) يشير إلى أنه اعتمد على معيار الشيوخ والانتشار، فهو يعتبر أن المستقيم الحسن هو الكلام الشائع والكثير على السنة الناطقين، أما المستقيم القبيح فهو الكلام النادر أو القليل على السنة المتكلمين، ويتعين علينا هنا أن نطرح سؤالاً هو الآتي: (هل معيار الشيوخ والنُدرة) أو (الكثرة والقلّة) هو الوحيد الذي يتحدد به حسن الكلام من قبحه؟ والذي نراه نحن هو أن هذا المعيار (القلّة والكثرة) ما هو إلا واحد من المعايير ويوجد غيره؛ كالضرورة الشعرية مثلاً والسياق، فقول القائل (قد زيدا رأيت) يمكن أن يفسر من ناحية تداولية باعتبار السياق الذي يكون فيه المتكلم؛ كأن يكون في سياق دهشة من رؤية زيد بحيث لم يكن يتوقعها ولذلك عبّر بتقديم كلمة زيد على الفعل رأيت اهتماماً بالأمر المتقدم،</p>	<p>على الجانب الشكلي للجملة وليس جانبها الدلالي وفي هذا الإطار يظهر التعارض بين حسن وقبيح. ¹</p>		
---	---	--	--

1 - Abdrrahmane Haj-Salah : Linguistique arabe et Linguistique général , Référence précédent, p 457

5 - Abdrrahmane Haj-Salah : Linguistique arabe et Linguistique général , p 457

<p>وهذا مما أغفله الحاج صالح وتنبّه له (برنارد بوتيه) بحيث سنجده يرى بأنه لا يوجد اعتراض براغماتيا على (أ) المستقيم الحسن (ب) المحال و(د) المستقيم القبيح.</p>			
<p>هو الكلام الذي يخضع لضوابط القياس وترتبط وحداته بعلاقات تُوافق سنن اللغة العربية، فالمثال الأول مُركب على النحو الآتي: [فعل + فاعل + مفعول فيه (ظرف)] فهو سليم من الناحية النحوية. ولكنه يحمل تناقضا في المعنى. ويرجع هذا التناقض إلى عدم مناسبة الظرف (غدا) الدال على المستقبل لزمن الفعل (الماضي)، فالزمن الماضي يدل على أن الحدث قد وقع؛ بينما الظرف غدا يدل على أن الحدث لم يحدث بعد، وهذا تنافر وتناقض في المعنى. وعليه فالسلامة النحوية غير كافية لأنّ "الألفاظ لا يتجانس بعضها مع بعض إلا إذا كانت في موضعها الصحيح من التأليف، وكانت مُؤدّية للمعنى المُكمل معنى ما قبلها، لذا كان قولنا (أتيتك أمس) مستقيما حسنا لما ذكرناه من تجانس بين الألفاظ، ولكن التغيير في هذه الألفاظ ووضع الكلمة في غير موضعها يدلّ على استحالة الكلام في مثال سيبويه (أتيتك غدا) ذلك لأن دلالة الفعل على المُضي لا تتجانس مع دلالة الظرف</p>	<p>سليم في القياس و الاستعمال وغير سليم من حيث المعنى.</p>	<p>أتيتك غدا ، سأتيتك أمس</p>	<p>المُحال</p>

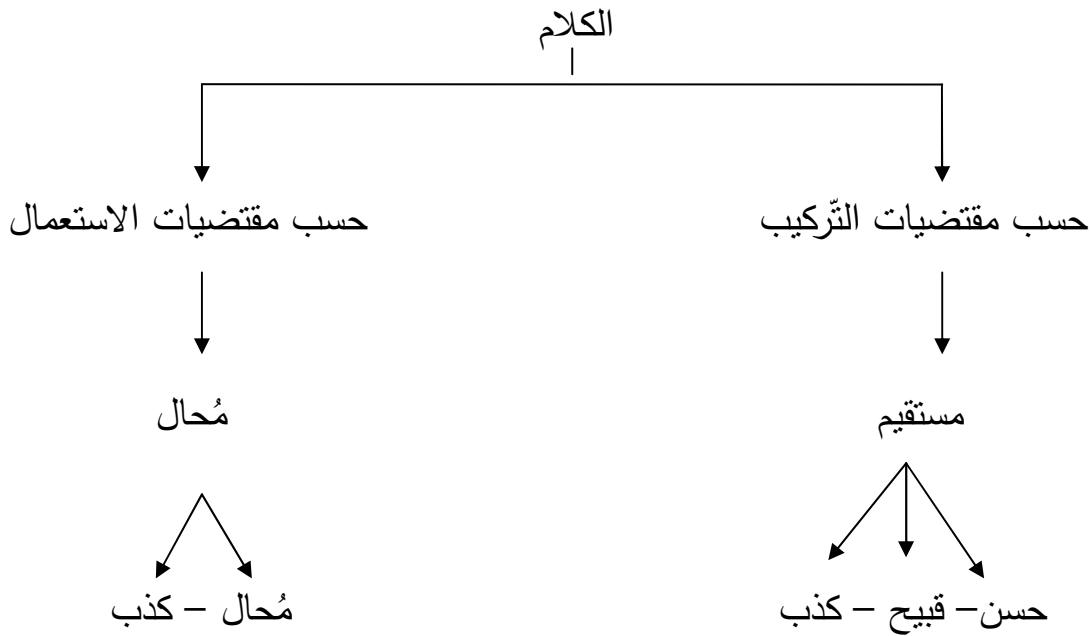
<p>على الاستقبال، فهو تركيب مؤلف من أجزاء متغايرة ومتنافرة ومتناقضة...¹ وعليه فالمحال يطلق على الجانب الدلالي للجملة وليس جانبها الشكلي. وهنا يتبين أن النحاة الأوائل لم يكونوا يقتصرون في تحليلاتهم على الألفاظ وحدها ولا على المعاني وحدها، كما لم يقتصروا على المُمكنات العقلية وحدها ولا على الواقع والاستعمال وحده وإنما يراعون كل ذلك معا.</p> <p>ولنا في هذا الضرب ملاحظتان؛ الأولى: هي أن سيبويه لم يصف المُحال لا بالحسن ولا بالقبح.</p> <p>الثانية: المحال غير المهمل لأن المهمل لا تنتفي فيه الدلالة فقولنا (مقول - مبيوع) يحتمله القياس ولا يُستعمل على السنة الناطقين لدواعٍ مُعيّنة كالميل إلى الخفة والاقتصاد؛ وليس لخلوه من الدلالة، أما المُحال فهو سليم في القياس مثل المهمل ولكنه خال من الدلالة إلا الدلالة البراغمية.</p>			
<p>وإذا كان سيبويه اكتفى في هذا الضرب من أضرب الكلام بتقديم مثال دون أن يعرض شرحا أو تعريفا، فإننا نستشف شرحه من خلال شرحه السابق لكل من المحال والكذب، ومنهما ومن المثال نخلص إلى أن المحال الكذب هو الكلام</p>	/	سوف أشرب ماء البحر أمس	المحال الكذب

1 - كريم حسين خالدي: نظرية المعنى في الدراسات النحوية، دار الصفاء، عمان، الأردن، ط1، 2006، ص

<p>الذي ينتقض أوله بآخره (أمس تنقض سوف) وهو مخالف للواقع والحقيقة، والمعنى الذي يحمله (شرب ماء البحر) مناف للحقيقة ولا يقبله الحس، وهو قبل ذلك سليم في القياس لم يخرق قواعد النحو والتركيب ولم يحد عن سنن العربية بل جاء موافقا لها؛ [أداة (دالة على الاستقبال)+ فعل (مضارع) +فاعل (مستتر) +مفعول به (مضاف+ مضاف إليه) + مفعول فيه (ظرف زمان)].</p> <p>وهو ما برع في توضيحه (برنارد بوتيه) عندما تحدث عن أهمية مفهومي الإحالة والكذب الذين يسمي التناقض فيهما (لعبة دلالية) (jeusémantique) أي إنها اللعب بالألفاظ والتصرف في تركيبها لتأدية معان غير التي وضعت لها في الأصل، وهذه المعاني أغراض معينة مرتبطة بأحوال خطابية معينة، ولذلك يؤكد على أن المحال يجب أن يُفسر تداوليا، وذلك بتفسير هذه اللعبة الدلالية في المضمون والحالة -الحال الخطابية-، يقول: "مهمة مفاهيم الإحالة والكذب؛ الإحالة وُضحت بالحدث الذي وقع في الماضي يُمكن دمجها في حالة في المستقبل، يوجد عدم تناسق ذو طبيعة موضوعية. يجب القول إن تم النطق (التلفظ) بجملة كهذه يعني المتكلم يريد بها لعبة دلالية (jeu sémantique) يجب تفسيرها في المضمون والحالة. هذا هو عنوان فيلم (روني كلير: René clair) (حدث غدا:</p>			
--	--	--	--

<p>(c'est arrivé demain) أين شخصية من الفيلم تقرأ جريدة اليوم التي تضم الأخبار التي ستحدث في الغد. فيما يخص الجانب البراغماتي ما هي إلا قضية التشابه مع الواقع التي ليس لها حدود أحدهم الذي (شرب الحساء) مرتين في المسبح ألا يستطيع القول لصديقه (البارحة شربت كل ماء المسبح)؟¹ وهذا ما لم يقف عنده الحاج صالح.</p>			
--	--	--	--

وتمثل ضروب الكلام عند سيبويه بالمشجر الآتي:



وهذا التقسيم يكشف القيمة العلمية للنظرية الخليلية القديمة، ويبيّن الفكر الرياضي للخليل وسيبويه والنحاة الأوائل الذين اعتمدوا معايير لفظية وأخرى معنوية؛ سمحت لهم بحصر كل المُمكنات العقلية ممّا هو مُستعمل ومُهمل. وهو ما يُثبت بالدليل القاطع أنّ التراث اللساني العربي يضمّ شبكة من المفاهيم العلمية والرياضية الدقيقة، التي تُشكّل نظرية لسانية متكاملة تتفوق في كثير من مفاهيمها وأسسها على

1 - Bernard Potier : Sibawayhi et L'actualite Linguistique , Revue Al- Lisanyyat , centre de recherche scientifique et technique pour le Développement de la Langue Arabe, Alger , n 14 - 15 , 2008 - 2009 , P 6

أحدث النظريات اللسانية الغربية. وأبرز ملامحها هو عدم وقوفهم على الجانب الشكلي البنوي في التحليل ومجاوزه ذلك إلى مستوى المعاني الحاصلة من التركيب (النحوية) والمعاني التداولية المرتبطة بالاستعمال.

ولأنّ النظرية اللسانية للنحاة العرب الأوائل هي نظرية لسانية متكاملة في أسسها، فإنّ كل أصولها ومبادئها دقيقة ومُنسجمة ومترابطة بإحكام، والأصل الواحد منها يتفرّع عنه أصول أخرى، فمبدأ الاستقامة والاستحالة تتفرّع عنه ويترتب مبادئ وأسس أخرى؛ منها:

1.1.3. الوضع والاستعمال:

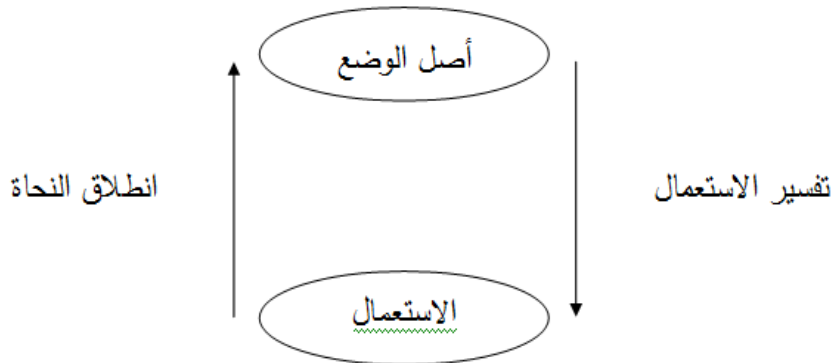
يقوم نحو الأوائل على: "التّمييز الصّارم بين الوضع والاستعمال، أي بين ما يرجع إلى اللفظ من صيغة ومدلول وما يرجع إلى استعمال هذا اللفظ ومدلوله في واقع الخطاب.¹ فحديث سيبويه عن استقامة الكلام وحُسنه وقُبْحه يقود إلى الحديث عن الوضع والاستعمال، ذلك أن الاستقامة يعني بها موافقة البنى النحوية للقياس (الوضع)، والحُسن والقُبْح يعني بهما كثرته في الاستعمال أو قلّته على أسنة المتكلمين في أفعال خطابية معينة، ذلك أن سيبويه ومن تابعه من نحاة الصّدر الأوّل كانوا يستندون إلى منهج علمي دقيق قادهم إلى آراء علمية في مجال اللسانيات سبقوا بها نظراءهم الغربيين والمحدثين، ومن ذلك تمييزهم بين اللغة في أصل الوضع، واللغة في الاستعمال؛ أو كما يقول (يحي بعيطيش): "الوضع كنظام قواعدي مجرد يفترضه عالم اللغة وهو شيء مختلف تماما عن الاستعمال الذي يصدر عنه متكلم اللغة الأصلي. في حين خلط بعض النحاة المُحدثين بينهما حين رفضوا ظاهرة الحذف أو التقدير التي يقتضيهما القياس ومنطق العلم بحجة أنهما لم تسمعا عن العرب.² ونحن إذ نوافق الباحث في أن الوضع هو نظام قواعدي مُجرّد إلا أنّنا لا نوافق في أنه من افتراض

1 - عبد الرحمن الحاج صالح: بحوث ودراسات في اللسانيات العربية، المرجع السابق، ج 2، ص 51

2 - يحي بعيطيش: الكفاية العلمية والتعليمية للنظرية الخليلية الحديثة، مجلة التواصل، قسنطينة، عدد 25، مارس

2010، ص 85

عالم اللغة، لأن عالم اللغة لا يضع النظام القواعدي ولا يفترضه من عنده بل يستنبطه من استعمالات المتكلمين. وهذا هو الثابت في الدرس اللغوي العربي حيث بنى النحاة صرحهم اللغوي على أساس العمل الضخم الذي قام به الرواة الذين بذلوا جهوداً معتبرة في الترحال إلى البوادي ومشاهدة الأعراب الفصحاء، وقد صرح النحاة بأن قواعدهم مبنية على السماع لا على القياس، وفي حال تعارضهما فإنه يُقدّم السماع، وحتى (الخليل بن أحمد الفراهيدي) بعقليته الرياضية كان يبحث في المُمكّنات التي يحتملها القياس ولا يقف عند الواقع اللغوي، إلا أن المُمكّنات التي لا يقبلها الاستعمال كان يصنفها من قبيل المهمل، ودليل ذلك قول (ابن جني): "واعلم أنك إذا أدّك القياس إلى شيء ما ثم سمعت العرب قد نطقت فيه بشيء آخر على قياس غيره، فدع ما كنت عليه إلى ما هم عليه.¹" وعليه فأصل الوضع في جميع مستويات اللغة الصّوتية والصّرفية والجُمليّة يتوصّل إليه العلماء باتّباع جملة من الوسائل العقلية والعلمية والتجريبية كالاستنباط والاستنتاج والاستدلال. وللتوضيح أكثر نُمثّل ذلك بالمخطط الآتي:



أي إن علماء اللغة (النحاة) ينطلقون من الاستعمال (الواقع اللغوي) ويُجرون عمليات الاستنباط والاستنتاج والاستدلال ليتوصلوا إلى بناء (أصل الوضع) الذي يُصبح مقياساً يُفسّر به الاستعمال. فقد كانت مشاهدة العرب الأقحاح المُنتطق لرصد مختلف الاستعمالات اللغوية؛ ومن ثمّ الأساس الذي استنبطت منه قواعد اللغة

1 - أبو الفتح عثمان بن جني: المصدر السابق، ج1، ص 125

العربية الصّوتية والصرفية والنحوية. وهذا السلوك جعل عملهم وصفيًا علميًا موافقًا لمنهج الدرس اللساني الغربي الحديث. وهذا الذي يذهب إليه (الحاج صالح) في نظريته الخليلية الحديثة. وهذا يكشف لنا مع احترامنا لـ (يحيى بعبطيش) وغيره من الباحثين- أنّ نجاح النظرية الخليلية الحديثة وتفعيلها لتأخذ مكانها بين النظريات اللسانية- خاصة بعد وفاة صاحبها- يحتاج إلى بذل جهود كبيرة لقراءتها لا سيما من قبل تلامذته، على أن تكون القراءات حسيّة تُبرز مكامن قوتها وتميط اللثام عن آراء صاحبها، ولا يخفى علينا الدور الكبير الذي يلعبه التلامذة للتعريف بآراء أساتذتهم فهذا علم (الخليل) لم يصلنا إلا من خلال كتاب تلميذه (سيبويه) والمنهج الوصفي لدراسة اللغة الذي دعا إليه (سوسير) لم يظهر إلى ميدان الدراسات إلا من خلال جمع تلامذته لمحاضراته.... ولذلك فإننا نُشيد بجهود (الحاج صالح) في شرح التراث اللغوي العربي وبسط مفاهيمه ومناهجه، ولعلنا لن نُغالي إذا قلنا أنه من أراد أن يفهم النظرية الخليلية القديمة ويستجلي ملامح دقتها وموضوعيتها وعلميتها فعليه بكتابات (الحاج صالح) وخطابه اللساني المترامي في ثنايا مؤلفاته وعليه بالنظرية الخليلية الحديثة، ولكن من أراد أن يفهم النظرية الخليلية الحديثة فعليه بالنظرية الخليلية الحديثة ذاتها، وبمن فهم مقاصدها ومراميتها، ومقاصد ومرامي صاحبها حقّ الفهم؛ من الباحثين الذين يُشهد لهم بفهم النظرية الخليلية الحديثة مثل (محمد صاري، بشير إبرير، مخلوف بن لعلام، بوحساين نصر الدين، عبد المجيد سالمى، الطاهر ميلة....) ذلك أنه إذا تُرك الحبل على غاربه لكل من يرفع قلمه ليكتب حول النظرية الخليلية الحديثة؛ فإن ذلك يعود بالضّرر على هذه النظرية التي نحتاج إلى استثمارها استثمارًا حسنًا لإبراز مكانة البحث اللساني في الجزائر. ولعلّه لا يخفى على أحد أن القراءات الخاطئة لأي فكر أو لأي نظرية تعود بالضّرر حتى وإن كانت قراءات تتحى منحى الإشادة والتمجيد وتتأى عن النّقد، لأن النّقد الموضوعي لا يضرّ الفكر ولا يضره بل يُطوّره، وهذا الذي تحتاجه النظرية الخليلية الحديثة؛ تحتاج إلى قراءات حسيّة صائبة ونقد موضوعي بناءً ولا تحتاج إلى قراءات تمجيدية بعيدة عن روح النظرية الخليلية الحديثة ومنهج صاحبها.

ويرى الحاج صالح أن مفهوم (الوضع والاستعمال) من المفاهيم والحقائق التي تقطن إليها النحاة واللغويون العرب الأوائل قبل أن يتوصل إليها الغربيون ويثبتوها بالدرس اللساني الحديث ويجعلوا منها مُسَلِّمات وبديهيات لا تقبل الجدل؛ لصحتها ولكثرة ما تفرع عنها من مبادئ جزئية لها أهميتها في حقل الدراسات اللسانية النظرية والتطبيقية.¹ وأكبر دليل على تمييز النحاة القدامى الصارم بين ما يرجع إلى الوضع وما يرجع إلى الاستعمال؛ هو "استنباطهم أولاً لبنى الكلم والكلام بمناهج خاصة وما تدل عليه في الوضع، ثم التفاتهم بعد ذلك إلى ما تصاب به هذه البنى من التغيير في الاستعمال بالحذف والقلب وإبدال وحدة بوحدة أخرى وغير ذلك، وما يصاب به المعنى الوضعي من التغيير بسبب الاستعمال الذي يتصرف فيه الناطق. فلا يخلطون بين الدلالة الوضعية وبين غيرها كدلالة الحال ودلالة المعنى هذه (أو العقلية) في تحديدهم لبنى اللغة وكل ما يرجع إلى الوضع."² فهم يُمَيِّزون بين الوضع والاستعمال ويخصّون كل واحد منهما بقوانين خاصة. فالأول (الوضع) المستوى الأول للسان فهو نظام الأدلة المتواضع عليه؛ أي النظام القواعدي الذي يتجسد به الكلام أو الخطاب؛ فهو ما يوافق القياس وسنن العربية سواء أجراه المتكلمون في الواقع أم لا، والثاني (الاستعمال) المستوى الآخر للسان وهو الكيفية العفوية التي يجري بها الناطقون الأصليون لهذا النظام في واقع الخطاب كوسيلة تبليغ وتواصل. أي كيفية إجراء أصل الوضع في واقع الخطاب، وذلك لأن القياس هو عملية عقلية يُجرىها النحوي فينجم له عدد من المُمكنات منها المستعمل ومنها المُهمل، وهذا المهمل هو ما لا يقبله الاستعمال أي لا يجري على ألسنة الناطقين في حالات خطابية، فليس كل ما يوجد في أصل الوضع يحصل في الاستعمال، لأن هذا الأخير يبني على قوانين خاصة تتعلق بأحوال التبليغ والإفادة وأساسها الاقتصاد في المجهود العضلي والذاكري الذي يحتاج إليه المرسل

1 - عبد الرحمن الحاج صالح: مدخل إلى علم اللسان الحديث؛ أثر اللسانيات في النهوض بمستوى مدرسي اللغة العربية، مجلة اللسانيات، العدد 04، الجزائر، 1973، ص 28 .

2 - عبد الرحمن الحاج صالح: بحوث ودراسات في اللسانيات العربية، المرجع السابق، ج 2 ، 37

والبيان الذي يحتاج إليه المرسل إليه.¹ وهو ما يُسمّيه التداوليون قانون السهولة والتيسير. ومن الأمثلة التي نسوقها للتدليل على ذلك عُدول العرب في صيغة اسم الفاعل من الثلاثي معتلّ العين عن الواو إلى الهمزة مثل (قال ← قاول ← قائل) (باع ← بايع ← بائع) للنقل في أصل الوضع (قاول - بايع) والخفة والاقتصاد في المجهود العضلي في الاستعمال (قائل - بائع) إذ يُعدّ هذا العدول "مظهراً ذرائعياً نفعياً وصلت إليه اللغة لتسهيل النطق على أبناء اللغة بصورة تلقائية (لا واعية)".² كما قد تكون الضرورة الشعرية من قوانين الاستعمال.

ولقد اهتم الأستاذ (عبد الرحمن الحاج صالح) ببيان وتوضيح ثنائية الوضع والاستعمال التي يقوم عليها النحو العربي الأصيل.

أ- أصل الوضع (وضع اللغة): وهو مصطلح لغوي يقابله (le code) في

عصرنا الحاضر، ومعناه عند النحاة هو نظام اللغة الاصطلاحي المُنسجم من الأدلة الصوتية نوات المعاني في حد ذاته، وهو المتواضع عليه والموافق للقياس من البنى الجزئية المُندرجة ضمن البنية العامة وهي اللغة، فهو ما يُثبت العقل من انسجام وتناسب بين العناصر اللغوية وعلاقاتها الرابطة وبين العمليات المحدثة لتلك العناصر على شكل تقريعي أو توليدي (من الأصول إلى الفروع).³ فهو يَخُصُّ اللَّفْظَ الموضوع للدلالة على معنى، وهذا المعنى المدلول عليه باللفظ وحده ومن ثم ما يَخُصُّ بنية هذا اللفظ بقطع النَّظَرِ عمّا يُوَدِّيهِ في واقع الخطاب (أي في حال من أحوال الخطاب الملموسة) وهو يقع في مقابل استعمال الناطقين له.

1 - عبد الرحمن الحاج صالح: مدخل إلى علم اللسان الحديث، أثر اللسانيات في النهوض بمستوى مدرسي اللغة العربية، المرجع السابق، ص 38 - 39.

2 - ريم فرحان المعاينة: برامجتية اللغة ودورها في تشكيل بنية الكلمة، دراسة لغوية في كتب لحن العامة، جامعة مؤتة، الأردن، ط1، 1999، ص1.

3 - عبد الرحمن الحاج صالح: البنى النحوية العربية، موفم للنشر، الرغاية، الجزائر، 2016، ص 23/ وبشير

إبرير أصالة الخطاب في اللسانيات الخليلية الحديثة، المرجع السابق، ص 04

ب- الاستعمال (وضع الكلام): هو تأدية تلك الألفاظ للمعاني المقصودة بالفعل وهي الأغراض، أي إنّه كيفية إجراء الناطقين لهذا الوضع في واقع الخطاب وفي السياقات المختلفة، بحيث يستعمل المتكلم اللغة بحسب ما تقتضيه أحوال الخطاب فيختار ما يحتاجه من الدوال للتعبير عن أغراضه، بحيث إن المستعمل هو المتداول بالفعل من قبل الناطقين في الحياة اليومية والأدبية والعلمية مشافهة وكتابة باعتبارها الإطار الطبيعي للمفردات، فالاستعمال هو تنظيم خاص بالمتكلم ممّا يُجيزه النحو فقط ويختاره المتكلم لغرض خاص في مقام معين. لأنه ليس كل ما هو موجود في الوضع يخرج في الاستعمال. وإنما يتحول المتكلمون من الوضع والقياس إلى الاستعمال ويهتمون بقياسات متعددة مراعاة لظروف الخطاب المختلفة، وتبعاً لعوارض الاستعمال ولا سيما رغبة في الاقتصاد في المجهود العضلي والذاكري من قبل المرسل والبيان الذي يتطلبه المرسل إليه.¹

وقد أثبت (الحاج صالح) من خلال النظرية الخليلية الحديثة؛ أن منهج النحاة العرب الأوائل كان قائماً على ضرورة التمييز بين اللغة كسجل من الأدلة ونظام تتركب فيه هذه الأدلة، واللغة كنشاط اجتماعي يتحقق من خلال وقائع الخطاب التي تُخصّصها علامات خاصة وتُحفّظها ظروف خاصة وهي السياقات اللغوية وغير اللغوية التي تُحيط بالمرسل والمتلقي التي تُصير اللغة خطاباً فعلياً، بين مرسل يقول الخطاب، ومُتلق يُفسّر الخطاب. ومن خلال الجانب الاستعمالي للغة الذي يقوم على مراعاة السياق الاجتماعي وغيره من الجوانب الخارجية المحيطة والمؤثرة في اللغة تُفسّر أهم ميزة تمتاز بها اللغة وهي "قدرة المتكلم على التصرف في بنى اللغة للتعبير عن أغراضه؛ باستعمال البنى والأوضاع المتعارف عليها فقط في وضع لغته، وبالتالي العبارات التي تنتمي إلى تلك اللغة هي وحدها. وهذا هو الذي يُسميه سيبويه بالمستقيم الحسن. ويدخل فيه ما يستعمله عامة الناطقين أو الكثير منهم سواء وافق القياس أم لم يوافق (لأنه قد يكون قياساً فرعياً قد طرأ وشاع) فالمعيار إذن ليس هو القياس بل

1 - عبد الرحمن الحاج صالح: مدخل إلى علم اللسان الحديث؛ أثر اللسانيات في النهوض بمستوى مدرسي اللغة العربية، المرجع السابق، ص 38، 39. وعبد الرحمن الحاج صالح: البنى النحوية العربية، المرجع السابق، ص 26

الأكثر الأعراف، والضابط لهما هو هذا القياس إذا اطرّد أو الشاذ عنه إذا شاع وكثر.¹

فاللغة كما يتصورها المبدعون من علمائنا أمثال الخليل وسيبويه وابن جني وغيرهم ممن ظهر في الصدر الأول -قبل اللسانيين المحدثين- هي الاستعمال القائم على أسنة الناطقين، ويدل على ذلك ما كانوا يُظهرون من الاهتمام الكبير بالسماع والرواية عن العرب وتتبع كلامهم بالتصّحّ والتدوين، ورصدهم لاستعمال العرب الأَفْحاح أينما كانوا ويحثهم عن مدى اتساع هذا الاستعمال. وكيف كانوا يرجعون في جميع الأحوال إلى الاستعمال اللغوي لجعل أحكامهم موضوعية لا تحكم فيها ولا تعسّف وكيف كانوا يعتدّون به، ويعدّونه علة قوية لتعليل الظواهر اللغوية ويجعلونه هو المنطلق والمنتهى في الاستشهاد والمقياس المطلق في الحكم على اللفظ.² بل يُقدّمونه على القياس ويجعلونه مبطلا له عند تعارضهما، ومن ذلك نص (ابن جني): "إذا تعارضا -قوة القياس وكثرة الاستعمال- نطقت بالمسموع على ما جاء عليه ولم نقسّه في غيره وذلك نحو قول الله تعالى: "استحوذ عليهم الشيطان" فهذا ليس بقياس لكنه لا بدّ من قبوله لأنك إنما تنطق بلغتهم وتحتدي في جميع ذلك أمثلتهم."³ ومثال ذلك أيضا قولنا: (باع، طال، خاف، نام، مدّ، عدّ، استقام، استعاذ...) إنما هي استعمالات وليست قياسات، لأن القياس في ذلك هو على الترتيب: (بيع، طول، خوف، نوم، استقوم، استعوذ...) أي إنه يُقدّم ما كثر استعماله وإن كان شاذّا عن القياس، وإن شذ الشيء في الاستعمال وقوي في القياس كان استعمال ما كثر استعماله أولى.

وفكرة (الوضع والاستعمال) عند النحاة العرب تشمل جميع مستويات اللسان (الصوتي والصرفي والتركيبية)، وتظهر بشكل جلي في المستوى الإفرادي والجملي، ولذلك لم يكن قول (سيبويه) هذا باب الاستقامة من الكلام والإحالة من قبيل الصدفة، بل كان دقيقا في اختيار المصطلح، إذ إن "المُسَوِّغ العلمي لاستخدام مصطلح الكلام

1 - عبد الرحمن الحاج صالح: بحوث ودراسات في اللسانيات العربية، المرجع السابق، ج 2 ، ص 42

2 - نفسه، ج 2 ، ص 149، 150

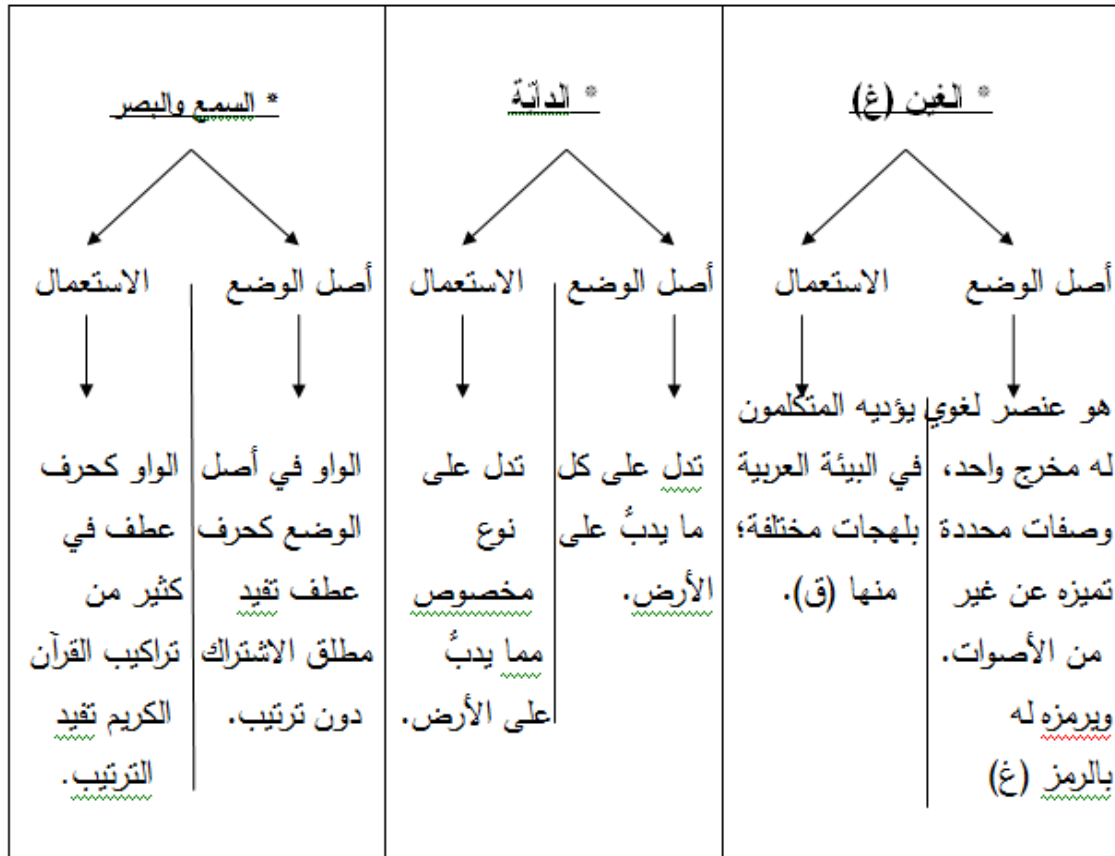
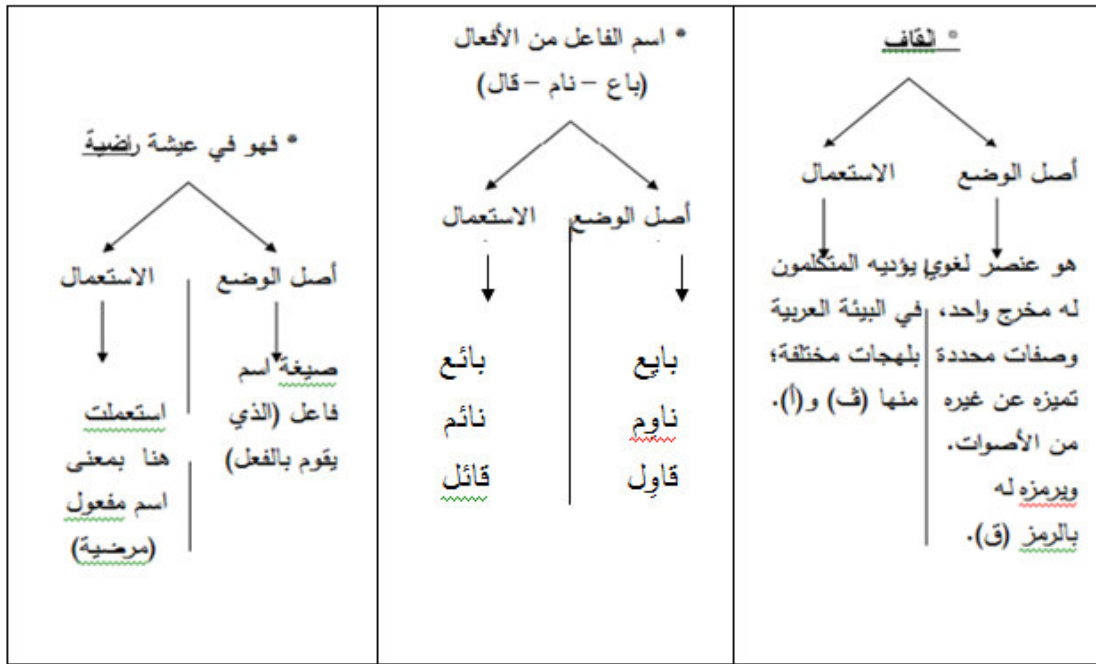
3 - أبو الفتح عثمان بن جني: المصدر السابق، ج 1 ، ص 117

هو أكثر تحديدا من الجملة، فالكلام يمكن أن يكون صوتا أو كلمة أو عبارة أو جملة مادام ذا فائدة.¹

ويمكن التمثيل للوضع والاستعمال في كل مستويات الكلام بالأمثلة الآتية:

المستوى الصوتي	المستوى الإفرادي	المستوى التركيبي
* <u>الجيم (ج)</u>	* اسم المفعول من الأفعال (باع - خاط - قال)	* <u>طويل النجاد</u>
الاستعمال	الاستعمال	الاستعمال
أصل الوضع	أصل الوضع	أصل الوضع
هو عنصر لغوي يؤديه المتكلمون له مخرج واحد، في البيئة العربية وصفات محددة بلهجات مختلفة؛ تميزه عن غير من الأصوات. ويرمز له بالرمز (ج) أو (ف).	مَبِيع مَخِيوط مَقُول	طويل غمد السيف (العلاقة) بين الدال والمدلول اعتباطية)
يرمز لها بالرمز (ج)		طويل القامة العلاقة بين الدال والمدلول عقائبة وليست اعتباطية.

1 - مازن الودع: جملة الشرط عند النحاة والأصوليين العرب في ضوء نظرية النحو العاملي لتشومسكي، الشركة المصرية العالمية للنشر، القاهرة، مصر، ط 1، 1999، ص 42



نخلص من المبدأين السابقين أن سيبويه ومن بعده النحاة الأوائل هم أول من ميّز وأقام الفرق بين الكلام كبنية نحوية (الوضع) والكلام كخطاب (الاستعمال)،

أي القدرة على التعبير السليم الخاضع لقواعد وأصول اللغة كبنى من جهة وبين استعمال المستعملين لهما في أفعال خطابية مُعَيَّنة وفق مقتضيات قوانين التخاطب (Pragmatics)، أي القدرة على تبليغ كل الأغراض الممكنة في حالات خطابية معينة من جهة أخرى، إذ إن البنى اللغوية لها دلالات خاصة في الوضع تختلف عن الأغراض التي يرمي إليها المتكلم في أوضاع خطابية مختلفة، كما وقفوا على القوانين والضوابط اللغوية والخطابية التي تخص بها كل نوع، فقوانين الوضع تختلف عن قوانين الاستعمال فالأول ينضبط بقانون القياس بينما الثاني يخضع لقوانين التبليغ والإفادة، وهذا ما لم يكتشفه علماء الغرب إلا منذ عهد قريب جدا.¹

2.3. حد اللفظة ومستويات التحليل اللساني: رأى الحاج صالح أن البنيويين ينطلقون في تحليلهم للغة من تقطيع الكلام؛ باللجوء إلى استبدال كل وحدة لغوية بوحدة لغوية أخرى. ورأى أن البنيويين الأمريكيين (التوزيعيون) ينطلقون من تقطيع الكلام إلى مكوناته المباشرة ووحداته الصغرى؛ التي يتداخل بعضها في بعض بالتدرج من الكل إلى الجزء، بحيث يُجزَّئون الكلام إلى أن يصلوا إلى أصغر وحدة دالة. في حين وجد النحاة العرب الأولين يتميزون عن الدرس اللساني الحديث في انطلاقهم من (أدنى ما يتكلم به مفردا) من الكلام المفيد وهو الجملة التي تتكون من مفردة فيما يخص الاسم وذلك مثل (كتاب) في الإجابة عن السؤال: ما هذا؟ أو ما بيدك؟ أو الفعل مع ضمير، ثم يحول هذا إلى وحدات أخرى تكون مكافئة له وذلك بعملية الزيادة.² فهم ينطلقون من أقل ما ينطق به ويحسن السكوت عليه، وهذا الذي ينطلقون منه هو نواة تقبل الزيادة على الأصل، بعمليات تسمى التقريع وهي عمليات تحويل من الأصول إلى الفروع تتم وفق قواعد معينة. وذلك المفرد الذي ينطلقون منه والنواة -الوحدة القابلة للامتداد- التي يبنون عليها تحليلهم اللغوي تسمى عندهم (الاسم المفرد) أو (الاسم

1 - عبد الرحمن الحاج صالح: بحوث ودراسات في اللسانيات العربية، المرجع السابق، ج 2 ص 54

Et: Abdrrahmane Haj-Salah: Linguistique et phonétique Arabes, Revue Al-isanyyat, centre de recherche scientifique et technique pour le Développement de la Langue Arabe, Alger, n8, 2003, p 12

2 - عبد الرحمن الحاج صالح: أنماط الصياغة اللغوية الحاسوبية والنظرية الخيلية الحديثة، مجلة مجمع اللغة

العربية، العدد 06، 1 ديسمبر 2007، ص 23

المظهر)، وهو ما أشار إليه الخليل بقوله: "المُظهر يُسكت عنده وليس قبله شيء ولا يُلحق به شيء".¹ وهو ما يسميه ابن يعيش² والرضي (اللفظة)³. واختار له الحاج صالح مصطلح "Lexie" لترجمته⁴ ويحدد مفهومها بقوله: "حتى لا يقع التباس بين الاسم ككلمة مفردة (أي مجردة مما يدخل عليها) وبين الاسم مع الزوائد الداخلة عليه أطلقنا على هذا الأخير مصطلحا استعمله الرضي وابن يعيش وهو اللفظة (الاسمية أو الفعلية)".⁵ أي إنها وحدة لغوية اسمية أو فعلية تقع فوق مستوى الكلمة وأدنى من مستوى الجملة، أو هي الكلمة مع ما تقبله من زوائد قبلية وبعديّة، أو هي مجموعة من الكلم تجري مجرى الكلمة الواحدة. يدلُّ على ذلك قول سيبويه "قبيح أن تفصل بين الجار والمجرور لأن المجرور داخل في الجار فصارا كأنهما كلمة واحدة".⁶ وقوله: "صار النعت مجرورا مثل المنعوت لأنهما كالاسم الواحد".⁷ وعليه فإنّ الوحدات في هذا المستوى ليست هي الكلم مجردة من لوازمها، بل هي وحدات يندرج فيها الاسم والفعل مع ما يقترن به لزوما من أدوات مُخصصة له ثابتة وغير ثابتة (على صورة دخول وخروج يُسمى عند نحائنا القدامى التعاقب) بل من وحدات مماثلة (أي من جنسها ومستواها) تُخصّصها على مثل ما تفعله الأدوات وتقوم مقامها وتؤديه مثل المضاف إليه والتّركيب المُسمّى بالصلّة والموصول والصفّات، وحتى الأبنية المسماة جملا وعلى هذا فإنّ مثل هذه العبارات: رجل، الرجل، رجل الغد، مع الرجل، الرجل

1 - أبو بشر عمرو بن قنبر سيبويه: الكتاب، المصدر السابق، ج 2، ص 304

2 - أبو البقاء علي بن يعيش الموصلي: شرح المفصل للزمخشري، تقديم إميل بديع يعقوب، دار الكتب العلمية بيروت لبنان، ط 2001، م 1، ج 1، ص 70

3 - رضي الدين محمد بن الحسن الأسترابادي: شرح كافية ابن الحاجب، تقديم وشرح إميل يعقوب، دار الكتب العلمية، ط 2007، ص 34.

4 - عبد الرحمن الحاج صالح: بحوث ودراسات في اللسانيات العربية، المرجع السابق، ج 1، ص 219.

5 - عبد الرحمن الحاج صالح: (أقائم أخواك) وطريقة تفسيره عند سيبويه والرضي بالاعتماد على مفهومي الوضع والمثال، (أعظم فارق يفترق فيه النحو العربي الأصيل عن اللسانيات الغربية الحديثة)، مجلة مجمع اللغة العربية المصري، القاهرة، مصر، ماي 1998، ج 82، ص 222

6 - أبو بشر عمرو بن قنبر سيبويه: الكتاب، المرجع السابق، ج 2، ص 164

7 - نفسه، ج 1 ص 421

الذي قام أبوه أمس، الرجل الطويل القامة الذي قام أبوه أمس في الصباح الباكر إلخ كل واحدة منها بمنزلة اسم واحد، ويسمى الرضي لفظة لا كلمة.¹ فإذا نظرنا إلى هذه العبارات التي ذكرها الحاج صالح وحددها على أنها لفظات لا كلمات نجد أنها مركبات مكوّنة من اسم وكلمة أو كلمات أخرى مقترنة به (ال، المضاف إليه، حرف الجر، الصفة، الاسم الموصول...) ولكنها بمنزلة كلمة واحدة، فهي جملة من الكلمات تجري مجرى الكلمة الواحدة، مما يدلنا على أن اللفظة في التصور الخليلي هي عبارة عن تركيب أحد أنواع الكلم مع ما يدخل عليه من علامات ومُخصّصات تلازمه دائما.² ومن ذلك تركيب الاسم مع ال التعريف أو حرف الجر، وتركيب الفعل مع الفاعل سواء كان الفاعل ظاهرا أو مستترا لأنه لا يمكن الفصل بينهما، وهذه التراكيب بمنزلة اسم واحد، أي لفظة يُبنى عليها أو تبنى على غيرها.³ فاللفظة إذن هي "أصغر قطعة في الخطاب أو الحديث؛ إذ لا تجد فعلا أو اسما في الخطاب إلا ويُحدد داخل هذه المصروفة أي داخل المصروفة الخاصة به."⁴

وهذا المفهوم حسب النظرية الخليلية هو مفهوم عربيّ فريد لا مثيل له في اللسانيات الغربية الحديثة، لأنه يُمثّل مستوى من مستويات التحليل اللساني؛ انفرد به النحاة العرب، وهم ينطلقون منه باعتباره أصغر وحدة تحمل معنى في الكلام؛ بحيث يحسّن السكوت عنها، وهو "المستوى الذي تتحدّد فيه الوحدة اللفظية والوحدة الإعلامية أو الإفادية."⁵ ومن هنا كان هذا المستوى المُسمّى (اللفظة) وبالاصطلاح الأجنبي (Lexie) الذي كشفت عنه النظرية الخليلية الحديثة مدخلا من مداخل نقد البنية التي سبق إليها أستاذنا (الحاج صالح) -رحمه الله- إذ نستطيع القول من خلال هذا المنطلق أنه كان من أوائل الذين انتقدوا المنهج البنوي. ولا يعني ذلك أنه يرفض

1 - Abdrrahmane Haj-Salah: Linguistique Arabe et linguistique Generale Référence précédent, tome 1 , P 195

وعبد الرحمن الحاج صالح: أثر اللسانيات في النهوض بمستوى مدرسي اللغة العربية، المرجع السابق، ص 35

2 - خولة طالب الإبراهيمي : مبادئ في اللسانيات، المرجع السابق، ص 97

3- Abdrrahmane Haj-Salah: Linguistique Arabe et linguistique Generale , tome1

4 - خولة طالب الإبراهيمي: مبادئ في اللسانيات، المرجع السابق، ص 99

5 - عبد الرحمن الحاج صالح: بحوث ودراسات في اللسانيات العربية، المرجع السابق، ج 1 ، ص 324

المناهج اللسانية الغربية في تحليل اللغة؛ بل هو يُشيد بتطورها ونجاحها وعلميتها إلا أنه يراها "وإن كانت قد بلغت شأنًا كبيرًا لاعتمادها للكثير من الحقائق العلمية إلا أنها قد تقلّ قيمة عن المناهج التي وضعها الخليل وسيبويه".¹ وما مفهوم اللفظة والانطلاق منها في التحليل الذي تميّز به النحو الخليلي إلا دليل على التفوق العلمي الذي تدافع عنه النظرية الخليلية الحديثة وتسعى لإثباته.

واللفظة في النظرية الخليلية تُحدّد بـ:

أ- (الانفصال والابتداء): أو (الوقف والابتداء) حيث كان النحاة يُحدّدون اللفظة "بحمل الجمل بعضها على بعض، إلا أنهم ينطلقون في هذا المستوى من أبسط الجمل؛ وهي التي تتركب من عنصر واحد وهو الاسم المفرد أو الفعل مع ضميره المرفوع أي أقل ما يتكلم به (منفردا) أو (ما يمكن أن ينفصل ويبتدأ) على حد تعبير سيبويه".² وهو عنده -ما ينفصل ويبتدأ عند سيبويه- "الاسم المظهر أو الاسم المفرد الذي يسكت عليه، والانفصال معناه لا يلحق به شيء، والابتداء معناه ليس قبله شيء والانفصال والابتداء = الانفراد".³ فاللفظة هي كل عنصر لغوي تتحقق فيه الإفادة ويكون قابلا للانفصال عما قبله وما بعده من العناصر اللغوية في مدرج الكلام، ولكنه غير قابل لفصل أجزائه بعضها عن بعض وإلا فقدت عنصر الإفادة. وهو كل عنصر لغوي يبتدأ به الكلام فلا يسبقه غيره يقول الحاج صالح: "كان المُنطلق عندهم كل ما ينفصل ويبتدأ وهي صفة الانفراد، ويمكن أن يكون بذلك الأصل لأشياء أخرى تتفرع عليه؛ ولهذا فيجب أن ينطلق من أقل ما ينطق به ممّا ينفصل ويبتدأ (ينفرد) وهو الاسم المظهر بالعربية. وكل شيء يتفرع عليه ولا يمكن لما في داخله أن ينفرد فهو بمنزلته، ولهذا سمى النحاة الأولون هذه النواة بالاسم المفرد... وأطلقوا عليها (اللفظة)

1 - عبد الرحمن الحاج صالح: بحوث ودراسات في علوم اللسان، المرجع السابق، ص 202

2 - نفسه، ج 2، ص 49 - 50

3 - Abdrrahmane Haj-Salah: Linguistique Arabe et Linguistique Générale, Référence précédent, Tome 2, P 148

وترجمناها بـ "(Lexie)"¹ فاللفظة (Lexie) هي منطلق النحاة الخيليين في التحليل وليس ما هو أدنى منها كالصوت والكلمة ولا ما هو أعلى منها كالتركيب.

ومع أن الألفاظ تحدد بالانفصال والابتداء إلا أنها أصناف ثلاثة:

– بعضها ينفصل ويبتدئ مثل: لفظة (الرئيس) في قولنا: (جاء الرئيس) و(الرئيس جاء).

– وبعضها ينفصل ولا يبتدئ مثل ضمير (تاء الفاعل) (نا) والمضاف إليه في قولنا: (خرجت) و(كتابنا).

– وبعضها يبتدئ ولا ينفصل مثل حرف الجر في نحو قولنا: (في التأني السلامة)².

ومفهوم (الانفصال والابتداء) هو أحد الفروق بين اللسانيات الخيلية الحديثة لعبد الرحمن الحاج صالح واللسانيات التوليدية لتشومسكي، فهو مفهوم يُمكن الباحث من استكشاف الحدود الحقيقية التي تحصل في الكلام، بالانطلاق من اللفظة أولاً، دون حاجة إلى افتراض أي افتراضات؛ كما يفعله التوليديون وغيرهم الذين ينطلقون من الجملة قبل تحديدها.³

وعلى هذا فتحديد اللفظة بالاعتماد على الانفصال والابتداء هو تحديد إجرائي دقيق؛ بعيد عن التصورات الفلسفية. هو منهج رياضي دقيق سبق إليه العرب في تحليلاتهم اللغوية، بحيث يعتمدون التحويل بالزيادة والتعاقب لتحديد الوحدات بدل التحليل إلى المكونات القريبة فهم ينطلقون من النواة في صورتها البسيطة المجردة من الزيادة إلى المركب بإضافة عناصر أولية تتدرج من خلالها الوحدات الفرعية الأكثر تركيباً من البنيات الأصلية، فعملهم (تركيبية تقريعي) في حين أن عمل البنويين

1 - عبد الرحمن الحاج صالح : بحوث ودراسات في اللسانيات العربية، المرجع السابق، ج 1، ص 219.

2 - محمد صاري: المفاهيم الأساسية للنظرية الخيلية الحديثة، المرجع السابق، ص 12.

3 - عبد الرحمن الحاج صالح: بحوث ودراسات في اللسانيات العربية، المرجع السابق، ج 1، ص 219.

الأوروبيين والأمريكيين هو (تحليلي تقطيعي).¹ فهذا يقفنا على ما قلناه سابقا من أن مفهوم اللفظة وماتقوم عليه من انفصال وابتداء واعتمادها في التحليل اللغوي كان مدخلا من مداخل النقد الذي وجهه الحاج صالح للبنويين. حيث يرى أن هذه النظريات اللسانية الغربية أقرب في جوهرها إلى المنطق اليوناني والفلسفة الأرسطو طاليسية على عكس النظرية اللغوية الخليلية القديمة، لأن التحليل البنوي يقوم على "مبدأ الهوية فيكتفي أساسا بتشخيص العناصر والوحدات بانيا كل ذلك على مبدأ التقابل بين العناصر الصوتية."² فأصحاب هذه النظرية -البنويون- "يكتفون بتقطيع مدرج الكلام إلى أدنى القطع الصوتية؛ تتحد كل واحدة منها بقابليتها للاستبدال بقطعة أو أكثر من قطعة تقوم مقامها مع بقاء الكلام كلاما مفهوما."³ أي إن التحليل البنوي يقوم على تشخيص الوحدات اللغوية بالاعتماد على جنسها مثلها مثل المنطق اليوناني الذي يقوم على التحديد بالجنس والفصل وهذا النوع من التحليل هو تحليل منطقي تصنيفي ساذج بعيد عن السليقة اللغوية وجوهرها الرياضي، وتحليل يُقضي السياق في عملية تحليل الكلام. وهو الجانب الذي عمل الاستغراقيون الأمريكيون على إشراكه في منهجهم ليتداركوا هنات المنهج البنوي الأوروبي من خلال اهتمامهم بالقرائن اللفظية التي تجري في مدرج الكلام بـ "حصر كل السياقات الممكنة للقطع الصوتية."⁴ على نحو يشبه قسمة التركيب عند النحاة العرب، إلا أن تحليلهم بقي يغلب عليه طابع التشخيص الأرسطي والتحديد بالجنس والفصل للوحدات اللغوية عكس التحليل في النظرية اللغوية الخليلية الأصيلة التي تتفوق على التصورات الغربية الحديثة (البنوية الغربية والأمريكية) بإعمالها أدوات تحليلية إجرائية رياضية دقيقة قائمة على "إجراء الشيء على الشيء أو حمل العنصر على الآخر."⁵ مما يجعل عمليات التحليل في الفكر

1 - عواطف قاسمي الحسني: التفكير الرياضي في علوم العربية، أطروحة مقدمة لنيل درجة الدكتوراه، إشراف: بن

لعلام مخلوف، جامعة البليدة 2 ، الجزائر 2016 - 2017 ، ص 562

2 - عبد الرحمن الحاج صالح: بحوث ودراسات في اللسانيات العربية، المرجع السابق، ج 1 ، ص 209

3 - نفسه، ج 1 ، ص 210

4 - نفسه، ج 1 ، ص 210

5 - نفسه، ج 1 ، ص 212

اللساني العربي أكثر دقة وفاعلية. ويشرح ذلك بقوله بأن "كل العناصر المفيدة القابلة للانفراد تعتبر في اللسانيات الخليلية كأصول؛ يمكن أن تفرّع منها وحدات أخرى بعمليات خاصة وهذا بعد حصر الأصول، فهذا أقرب إلى (الصياغة الرياضية) من تحليل الجمل بعملية التقطيع المتسلسل والاستبدال كما هو الحال عند الوظيفيين، وتجاوز هذا التحليل الساذج القرائنيون الأمريكيون بلجوئهم إلى التقطيع إلى مجموعات متداخلة من العناصر اللغوية يسمونها بالمكونات القريبة، فجاء تشومسكي فاستطاع أن يصوغها على شكل (شجرة) وهو مفهوم منطقي رياضي. مهما كان فكل هذا عمل (تحليلي تقطيعي). أما عند الخليليين فالعمل على عكس ذلك تركيبى تقريعي، وهذا طبيعي لأنهم ينطلقون في عملهم من أصغر ما يتخاطب به مفردا ويعتمدون في ذلك -كما فعل الخليل وسيبويه- على عملية تقريعية (أو تحويلية) واحدة؛ هي الزيادة على الأصل وهي تخضع لقواعد معينة.¹ وأهم هذه القواعد التي يخضع لها التقريع عند النحاة الأوائل هو القياس والحمل على النظير على أساس التكافؤ في الموضع، ويرى الخليليون أن كل الوحدات المحمولة بعضها على بعض بعمليات التحويل تلك هي نظائر للنواة من حيث أنها وحدات تتفرد أولاً وتتفرع بالزيادة ثانياً. وهي تكون مجموعة ذات بنية تسمى في الاصطلاح الرياضي بالزمرة.² إذ إن مجموعة التحويلات التي يقوم بها النحوي ابتداءً من أصغر وحدة (الكلمة المفردة) "هي صورة للاسم في تولّد وجوهه التي تقبلها اللغة إلى ما لا نهاية، إذ تشكل بالضرورة بنية رياضية وليست هي المونويد، بل هي الزمرة بدليل بنائها على عملية تجميعية مع وجود عنصر محايد وهو عدم الزيادة، ووجود تناظر في المجموعة بإمكانية رد الشيء إلى أصله حسب تعبير نحائنا، فلكل تحويل تحويل مقابل ونظير له."³ وعليه فحدّ اللفظة في النحو الخليلي هو حد إجرائي رياضي لأنه يتحدّد بعمليات التقريع والزيادة على الأصل، وكذلك الشأن في

1 - عبد الرحمن الحاج صالح: بحوث و دراسات في اللسانيات العربية، المرجع السابق، ج 2 ، ص 83

2 - نفسه، ج 1 ، ص 220 - 221 .

3 - عبد الرحمن الحاج صالح: أنماط الصياغة اللغوية الحاسوبية والنظرية الخليلية الحديثة، المرجع السابق، ص

الرياضيات؛ حيث يُحدد الكيان الرياضي بعمليات التوليد كمجموعة العدد الصحيح الإيجابي: العدد+ واحد ابتداء من 0.¹

ب - التمكن: هو المقياس الثاني الذي تُحدّد به اللفظة في النحو الخيلي، ويتمثل في "قابلية الوحدة لتحمل الزيادات يمينا ويسارا على محور التعاقب دون أن يفقدها ذلك وحدتها.² وذلك لأنه إذا كانت بعض الوحدات اللغوية ثابتة في ذواتها لا تقبل الامتداد فإن بعضها الآخر ليس كذلك. فقد كشف النحاة العرب بأن هناك نوى تقبل الامتداد من خلال عمليات التفريع بالزيادة على يمين النواة (زيادات قبلية) ويسارها (زيادات بعدية) دون أن يفقدها ذلك وحدتها أو يخرجها عن حد "اللفظة". وهذه القابلية للزيادة يمينا ويسارا للعناصر يُسمّيها النحاة "التمكن"، وقد حددها النحاة ببعض المواضع التي تكون قبل أو بعد النواة، فالزيادة عندهم "محدودة يمينا وشمالا، فلا تتجاوز موضع الجار ولا موضع الصفة، ومجموع المواضع تُكوّن بنية الوحدة (اللفظة) القابلة للامتداد والتقلص في هذه الحدود."³ ويسمى اللفظ المتمكن بالأصل، فإذا صرفنا كلمة (رجل) يمكن أن ندخل عليها الألف واللام (الرجل) أو حرف الجر(بالرجل) كما يمكن أن يدخل على آخر الكلمة علامات الإعراب؛ التنوين أو عوض التنوين المضاف إليه. واللفظة التي تتكون من كلمة واحدة وفي الوقت نفسه متمكنة هي الأصل بالنسبة إلى ما يتصرف منها، بدخول بعض العناصر عليها في أولها أو آخرها وتربطها علاقات وصلية، وتسمى هذه العناصر بالزوائد أو الفروع.⁴

وعليه فأقسام الكلم في العربية: متمكن وغير متمكن:

* المتمكن: يشمل الكلم التي لا تحتاج إلى غيرها في مدرج الكلام لتدل على معنى

1- عبد الرحمن الحاج صالح: أنماط الصياغة اللغوية الحاسوبية والنظرية الخيلية الحديثة، المرجع السابق، ص31.

2 - Abdrrahmane Haj-Salah: Linguistique Arabe et Linguistique Générale , vlume 1 ; p 162

3- عبد الرحمن الحاج صالح: أنماط الصياغة اللغوية الحاسوبية والنظرية الخيلية الحديثة، المرجع السابق، ص30.

4- حسين نواني: الأرتفونيا واللغة العربية؛ مدخل إلى علم أمراض الكلام، دار الخلدونية، الجزائر، ط1، 2018،

ومنها الأفعال المتصرفة والأسماء المتمكنة. والتمكن في النحو العربي الخيلي درجات متفاوتة وهي:

- المتمكن الأمكن: ومنه اسم الجنس المتصرف.

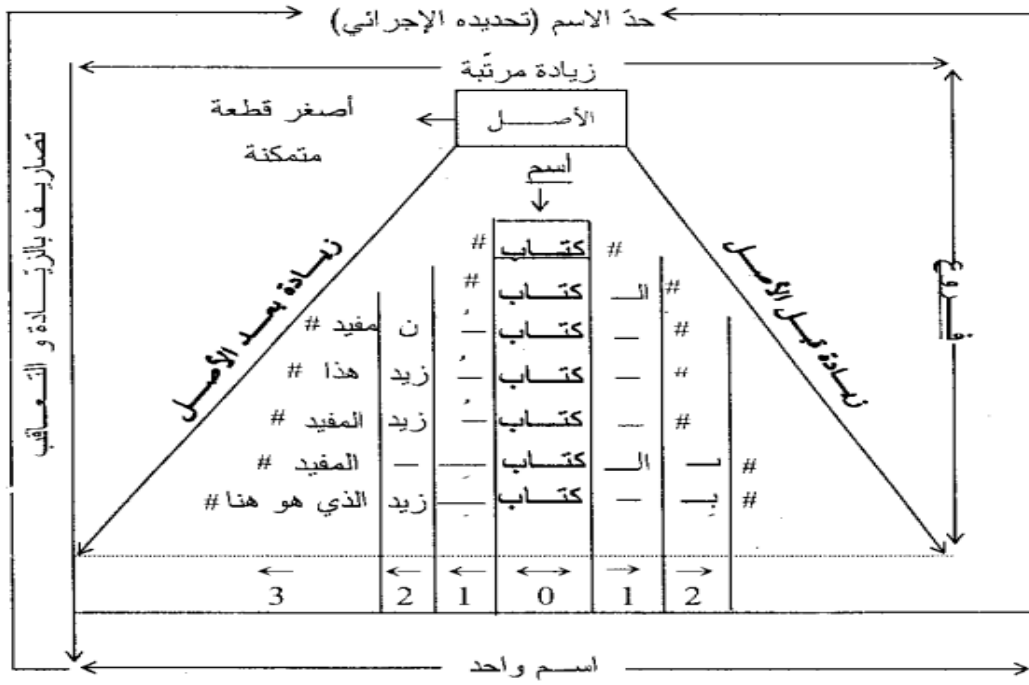
- المتمكن غير الأمكن: ومنه الممنوع من الصرف.

* غير المتمكن: ويشمل الكلم التي لا تكتفي بنفسها بل تحتاج إلى غيرها من الكلم ومنها حروف المعاني والأسماء المبنية والأفعال الناقصة.¹

1.2.3. أنواع اللفظة: اللفظة نوعان: اسمية لها مثال واحد، وفعلية لها ثلاثة أمثلة؛ مثال الماضي (الحدث المنقطع) ومثال المضارع (الحدث غير المنقطع)، ومثال الأمر.²

1.1.2.3. حدّ اللفظة الاسمية: لقد رسم الحاج صالح حدّ الاسم في تصرفه أو

مجراه على النحو الآتي:¹



1 - عبد الرحمن الحاج صالح: بحوث ودراسات في اللسانيات العربية، المرجع السابق، ج 1، ص 220، 219

2 - Abdrrahmane Haj-Salah: Linguistique Arabe et linguistique Generale, Référence précédent, vlume 2 , P 695 - 698

حيث: 2

0: هو موضع النواة ويرمز له بالرمز (0) وهو عبارة عن قطعة ثابتة وعنصر أصل يقبل زيادة وحدات لغوية على يمينه ويساره على النحو الآتي:
-يأتي على يمينه:

1: ويرمز له بالرمز (1) موضع ال التعريف، وهناك تعاقب أفقي بين هذا الموضع والموضع (2) حيث إذا كانت هناك زيادة ال في هذا الموضع تتعذر زيادة في التتوين أو الإضافة.

2: ويرمز له بالرمز (2) موضع حرف الجر.

-ويأتي على يساره:

1: ويرمز له بالرمز (1) موضع علامات الإعراب.

2: ويرمز له بالرمز (2) موضع التتوين والإضافة، وهناك تعاقب عمودي بين التتوين والإضافة لأنهما يحتلان نفس الموضع ويستحيل أن يجتمعا معا.
3: ويرمز له بالرمز (3) موضع التخصيص (الصفة، البدل...).

وهذه الزيادات التي تقبلها النواة قائمة على التحويل أو التفريع؛ بالانتقال من الأصل إلى الفرع ومن الفرع إلى الأصل. وهذا النوع من التحويل هو ما يُمَيِّز التحويل في النحو الخيلي عن التحليل البنوي -كما ذكرناه سابقاً- إذ إن التحليل البنوي يقوم على الحد بالجنس والفصل الأرسطي، بينما يقوم التحليل الخيلي على تفريع كل الفروع الممكنة من الأصل بعمليات الزيادة على يمين النواة ويسارها. وهذا النوع من التحويل هو عملية رياضية بعيدة كل البعد عن المنطق الأرسطي. وبهذا النوع من التحويل والتفريع يظهر ما يسمى اللفظة. وبه أيضا يظهر مفهوم المواضع ويتحدد موضع كل عنصر داخل المثال بدءا بموضع النواة ومواضع ما قبلها ومواضع ما بعدها، بما في ذلك المواضع الفارغة. وكلها مفاهيم رياضية أصيلة؛ تفرّد بها النحو الخيلي وتفقّ بها على اللسانيين الغربيين المعاصرين.

1 - Abdrrahmane Haj-Salah: Linguistique Arabe et linguistique Generale , Référence précédent, vlume 2 , P 669

2 - Ibid , vlume 2 , P 670 – 671

2.1.2.3. حدّ اللفظة الفعلية: معروف في النحو الخليلي أن الكلم اسم وفعل وحرف جاء لمعنى، فالفعل هو أحد أنواع الكلم الثلاثة، وهو يتكون من مادة أصلية وصيغة، ويتضح ذلك من قول (الحاج صالح): "لفظ الفعل يُحلل عموديا إلى مادة هي علامة الحدث، وصيغة هي علامة أحوال الحدث الذي يُحدّد زمانه بفضل الزوائد بالدخول على الفعل.¹" ومثال ذلك: الفعل ضرب: يُحلل عموديا إلى:

1- ض. ر. ب: المادة الأصلية تحمل الدلالة على حدث هو الضرب.

2- ضرب: صيغة دالة على الحدث المنقطع/ يضرب: صيغة دالة على الحدث غير المنقطع/ ضارب: صيغة دالة على اسم الفاعل/ مضروب: صيغة دالة على اسم المفعول.²

وعليه فإننا نلاحظ أن هذا النوع من الكلم (الفعل) هو الآخر له خاصية قبول زيادة على يمين النواة ويسارها. والنواة مع هذه الزيادات القبالية والبعديّة هي ما يُشكّل حدّ الفعل ومصفوفة اللفظة الفعلية. حيث: "لا يصعب التّعريف في القطعتين (ضربتُ) و(ضربتهُ) التي تشكل بدورها لفظات وهي أصغر قطع دالة مثل (ضرب) التي يمكن استبدالها ب (كتب) (جلس) إلخ كما يمكن استبدالها ب (تُ) (ه) (ت) (ت) (تم) (ت) (ت) إلخ و(ك) (ك) (ك) (ك) إلخ. فهذه الوحدات تحمل نوعا من التمكن؛ لأنها تحتوي على عناصر تتنوّع عن طريق التعاقب المطلق... ومع ذلك فإن هناك علاقة بناء حقيقية تربط بين الفعل والضمير (فاعل) وتشكّلان مع بعض وحدة لا يمكن الفصل بينها.³ أي إنها تُشكّل بنية تُمثّل نواة اللفظة الفعلية، وهي الأخرى تقترن بها زيادات عن يمينها وعن يسارها، وتشكّل لنا في مجموعها اللفظة الفعلية (فعل+ ضمير مرفوع)+ زوائد ثابتة أو عدمية (∅). ولللفظة الفعلية في العربية ثلاثة حدود أو مُثُل؛ حدّ الفعل الماضي الدال على حدث منقطع وحدّ الفعل المضارع الدال على حدث غير منقطع وحدّ فعل الأمر، والفعل يُحدّد بما يقترن به من العناصر اللغوية يميناً

1 - Abdrrahmane Haj-Salah: Linguistique Arabe et linguistique Generale, Référence précédent, vlume 2, p 631

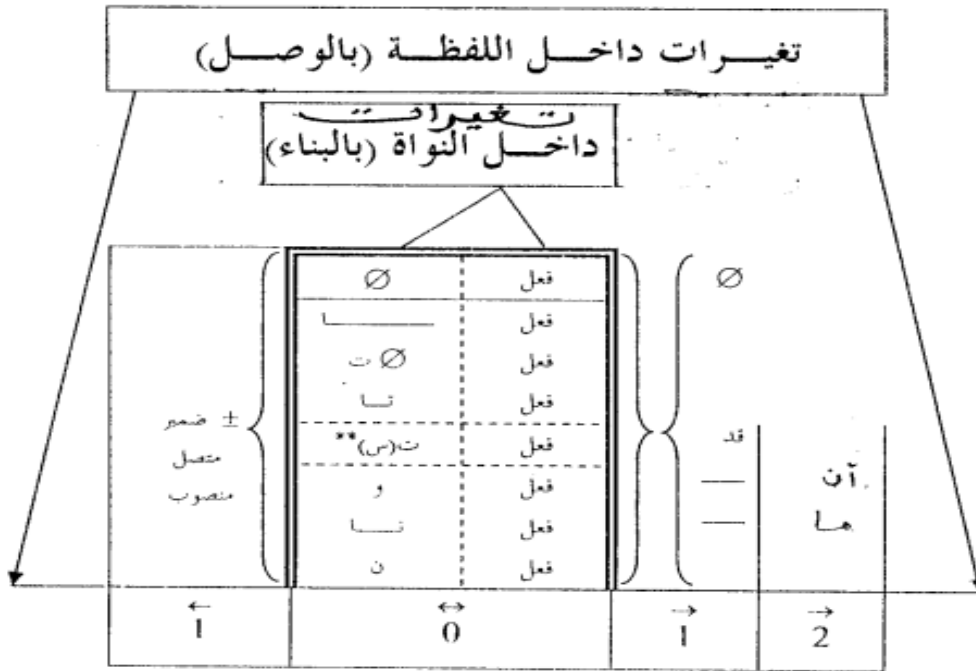
2 - Ibid , vlume 2 ,p 631

3- Ibid, vlume2,p 691

وشمالاً، وهذه القرائن تعتبر جزءاً من حدّ الفعل.¹

1.2.1.2.3. حدّ الفعل الماضي:²

نشير أولاً إلى أن الحاج صالح يرى أن الماضي هو الأصل في الأفعال لأنه يتحدّد بصيغة فَعَلَ مع العلامة العدمية؛ لأن الأصل يتحدّد بالعلامة العدمية، بينما الفرع يتحدّد بالعلامات اللفظية كالمضارع؛ الذي يتحدّد بحروف المضارعة (أُنيت). وهذا الذي عبر عنه بقوله: "إذا نظرنا إلى كلمة (كَتَبَ) فالذي يدل على الزمان الماضي فيها ليس هو فَعَلَ وحده، بل هذه الصيغة: (فَعَلَ / Ø) أي عدم دخول عنصر يدل على الزمان الماضي فيها مع صيغة فَعَلَ (التي تدل وحدها على انقطاع الحدث بقطع النظر عن الزمان)."³ وقد رسم حد الفعل الماضي على النحو الآتي:⁴



1 -Abdrrahmane Haj-Salah: Linguistique Arabe et linguistique Generale Référence précédent vlume 692

2 - Ibid, vlume 2 , P 693

3 - عبد الرحمن الحاج صالح: بحوث ودراسات في اللسانيات، المرجع السابق، ج 1 ، ص 90 ، ط 2012

4- يشير الرمز (س) الذي يظهر في كل الحدود أو (x) كما في الرسالة باللغة الفرنسية إلى تغيرات الضمير

الفاعل الذي يدل على المتكلم أو المخاطب (تُ، تَ، تِ، تما...). ينظر:

Abdrrahmane Haj-Salah: Linguistique Arabe et linguistique Generale, Référence précédent, vlume 2, P693.

حيث :¹

0: هو موضع نواة اللفظة الفعلية، ويرمز له بالرمز $(\overleftrightarrow{0})$ وهو عبارة عن قطعة ثابتة مُركّبة من عنصرين لا يقبلان الانفصال هما (الفعل والفاعل (ضمير)) فالفعل والفاعل بمنزلة اسم واحد؛ أي لفظة يبني عليها ولا تبني على غيرها. وأقل ما يمكن أن ينطق به في حد الماضي هو الماضي المسند إلى ضمير الغائب المفرد المذكر حيث يتكون من (فعل + \emptyset). وهذه النواة مكونة من الفعل والفاعل تقبل زيادة وحدات لغوية على يمينها ويسارها على النحو الآتي: يأتي على يمينها:

1: ويرمز له بالرمز $(\overrightarrow{1})$ موضع (قد) وهي تعتبر المخصص الوحيد الذي تُقبل زيادته قبل نواة اللفظة الفعلية في صيغة الماضي، وهي زيادة تدل على التأكيد على الحدث المنقطع.² وهذا المخصص في حد الفعل الماضي يتعاقب مع عدم ظهوره فقد تكون البنية (قد فعل) كما قد تكون (\emptyset فعل).

2: ويرمز له بالرمز $(\overrightarrow{2})$ (أن) و(ما) المصدريتان، وهذا الموضع يتعاقب مع سابقه الموضع $(\overrightarrow{1})$.

ويأتي على يسارها: موضع واحد ويرمز له بالرمز $(\overleftarrow{1})$ وهو موضع الضمائر التي تتصل بالفعل على أنها مفعول به.

1- Abdrrahmane Haj-Salah: Linguistique Arabe et linguistique Generale, Référence précédent, vlume 2 , P 694 – 695
2 - Ibid, vlume 2 , P 694

0: هو موضع النواة ويرمز له بالرمز $\overleftrightarrow{0}$ وهو عبارة عن وحدة لغوية مكونة من أربعة عناصر هي (الفعل- الفاعل- حروف المضارعة (أنيت)- علامات الأفراد (\emptyset) والتثنية (ا) والجمع (و) وتأتي المخاطبة (ي). وهذه النواة قطعة ثابتة تقبل زيادة وحدات لغوية على يمينها ويسارها على النحو الآتي: يأتي على يمينه:

1: ويرمز له بالرمز $\overrightarrow{1}$ موضع (قد، س، سوف، ما، لا، لن، لم، لما، ل، لا) ويلاحظ أن هذه الوحدات التي تظهر في هذا الموضع منها ما يفيد الاحتمال والشك والتوقع (قد) ومنها ما يفيد النفي (لا، ما، لم) ومنها ما يفيد الإثبات. وعموما فهو الموضع الذي تظهر فيه دائما وبالتعاقب الزوائد التي تضيف تحديدا زمنيا لقيمة المضارع غير المحدد أصلا.¹

2: ويرمز له بالرمز $\overrightarrow{2}$ وهو موضع نواصب الفعل المضارع (أن، كي، إذن) وما المصدرية. وهذا الموضع يتعاقب مع سابقه، حيث لا يجتمع في لفظة واحدة عنصران من الموضعين معا، ومثال ذلك لا يمكن أن تجتمع لن وسوف في اللفظة نفسها. ويأتي على يساره:

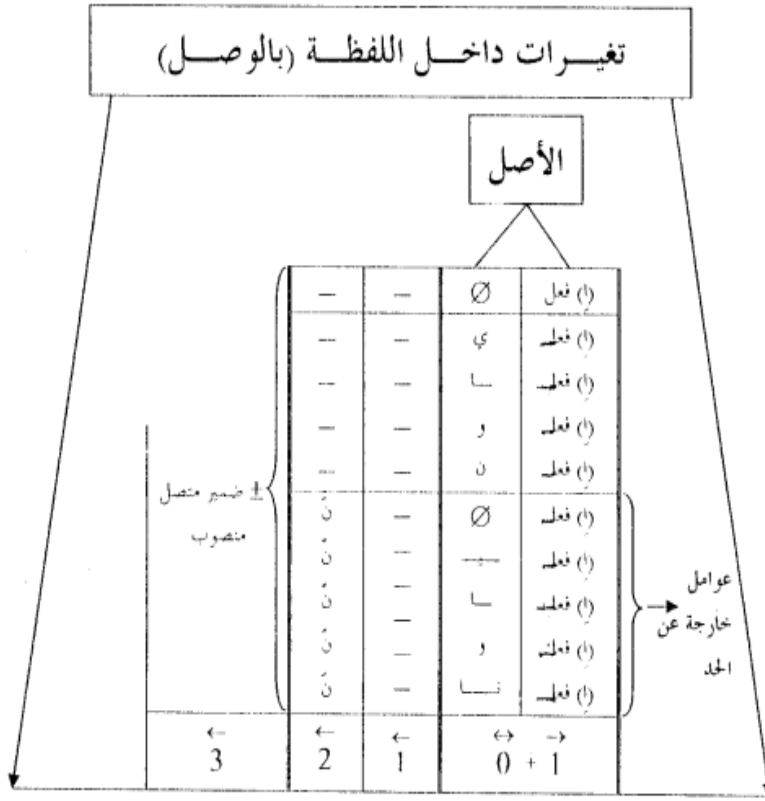
1: ويرمز له بالرمز $\overleftarrow{1}$ موضع علامات الإعراب؛ التي تتحدد وفق الزوائد التي تأتي في المواضع التي قبل النواة. وعلامات المضارع التي تشغل هذا الموضع متعددة وهي الضمة (أفعل)، الفتحة (لن تفعل)، النون (تفعلان، تفعلون)، حذف النون (أن تفعل، لن تفعلوا) والعلامة العدمية (\emptyset) في الحالات التي يكون فيها الفعل المضارع مبنيًا وهي عند اتصاله بنون النسوة أو نون التوكيد الخفيفة أو الثقيلة.

2: ويرمز له بالرمز $\overleftarrow{2}$ موضع نون التوكيد (الخفيفة والثقيلة).

3: ويرمز له بالرمز $\overleftarrow{3}$ وهو موضع التخصيص الضمائر المتصلة المنصوبة. وتشبه الموضع (1) في مصفوفة الفعل الماضي.

1 - Abdrrahmane Haj-Salah: Linguistique Arabe et linguistique Generale , Référence précédent, vlume 2 , p 700

3.2.1.2.3. حدد فعل الأمر: ¹



حيث: ²

الموضع $0 + \leftrightarrow$ + الموضع $1 \rightarrow$ يشكلان معا النواة أو الأصل، أي إن الموضع $1 \rightarrow$ مندمج في الموضع $0 \leftrightarrow$ وهذا خاص بفعل الأمر. وهذا الإدماج يجعل نواة الأمر تتعاقب مع المجموعة (زوائد $\overleftarrow{1}$ + نواة المضارع) مما يعطينا:

تفعل	ل
افعل	
$\overleftarrow{0}$	$\overrightarrow{1}$

1 - Abdrrahmane Haj-Salah: Linguistique Arabe et linguistique Generale , Référence précédent, tome 2 , P 698

2- Ibid , vlume 2 , P 702 – 703

- والجدير بالملاحظة أن حد فعل الأمر هو أبسط الحدود للاعتبارات الآتية:
- الأمر محصور في صيغة المخاطب والأصل فيه أو النواة تتكون من (فعل + فاعل مضمرة (افعل Ø) أو متصل (افعل، افعلي).
- قد يأتي الأمر في صورة نواة فقط دون زوائد (افعل Ø) في حال المخاطب المفرد، وهذه أبسط صورة له.
- في كل الأحوال الأمر لا يقبل زيادة على يمين نواته؛ وإنما يقبل زيادات على يسار نواته فقط.
- الأمر مبني دائما مما يجعل موضع علامة الإعراب على يسار النواة فارغا دائما.

* الزيادة على يسار نواة فعل الأمر تقع في ثلاثة مواضع:

- ←
- الموضع 1: وهو موضع علامات الإعراب، وهو موضع فارغ دائما (Ø) باعتبار أفعال الأمر مبنية دائما وغير معربة.
- ←
- الموضع 2: وهو موضع نون التوكيد.
- ←
- الموضع 3: وهو موضع ضمائر النصب المتصلة التي تدخل وتخرج دون أن يؤثر خروجها لذلك يرمز لها بالرمز (+)

4.2.1.2.3. الحد العام للفعل:

- ومن خلال المصفوفات الثلاث السابقة للفظات الفعلية نلاحظ أن هناك نقاط مشتركة بين الأفعال الثلاث ومنها:
- نواة الأفعال الثلاثة مركبة من فعل وفاعل لا يمكن الفصل بينهما.
- الأفعال الثلاثة لها موضع تقبل فيه ضمائر النصب.
- الماضي والأمر يشتركان في البناء فلا يشتمل أحدهما على موضع علامات الإعراب.

- المضارع والأمر يشتركان في قبول نون التوكيد وبالتالي تشتمل مصفوفتهما على موضع لذلك.

ومن خلال نقاط الاتفاق هذه، ومن خلال التعاقبات التي تحدث بين الحدود الثلاثة خلص الأستاذ عبد الرحمن الحاج صالح إلى أن: "المواضع الموجودة داخل اللفظة الفعلية هي دائما ثابتة، والعناصر التي تشغلها لا يمكن فصلها بواسطة التقديم والتأخير، ولا يمكن فصلها إلا بواسطة الاستبدال مع الصفر لأنها مخصصات حقيقية تعتبر كجزء من الفعل الذي تدل عليه.¹ ومنها خلص إلى صياغة مصفوفة عامة للفعل تضم التقابلات الخاصة بكل حد من حدود اللفظة الفعلية، وهذه المصفوفة على النحو الآتي:²

	تصاريح كيفية	تعاكس	معان مفردة بدائية			معان ثنائية	معان ثنائية
			معان مفردة بدائية	معان مفردة بدائية	معان ثنائية		
			0	1/0	1+		
			عدم التخصيص / الخاضع	- الإنيات (0) - الأمر (1-) - النهي (1-) - عدم التأكيد (1+)	ماضي / مستقبل	زوائد خارجية كأيا أو لا يتأمن الحجاز	
→ أصل 1	-	-	فعل	∅	∅	∅	∅
↑ تعاكس ↓	-	∅	يفعل	لم	∅	∅	∅
	-	-	فعل	∅	∅	∅	∅
	-	-	فعل	ف	∅	∅	∅
	-	∅	يفعل	لما	∅	∅	∅
	-	-	فعل	هل	∅	∅	∅
	-	-	فعل	قد	∅	∅	∅
	-	-	فعل	لما	∅	∅	∅
	-	-	فعل	∅	∅	∅	∅

1 - Abdrrahmane Haj-Salah: Linguistique Arabe et linguistique Generale , Référence précédent, vlume 2 , p 705

2 - Ibid, vlume 2 , P 709

<p>→ أصل 2</p> <p>↑</p> <p>↓</p> <p>ن</p> <p>ن</p>	—	—	يفعل	∅	∅	—	∅	
	—	—	يفعل	←	ما	→	—	
	—	—	يفعل	←	لا	→	—	
	—	—	يفعل	←	قد	→	—	
	—	—	يفعل	←	قد لا	→	—	
	—	—	يفعل	←	س	→	—	
	—	—	يفعل	←	سوف	→	—	
	—	—	يفعل	←	هل	→	—	
	ن	—	يفعل	←	لا	→	—	
	—	—	يفعل	←	لن	→	—	
	—	∅	يفعل	←	لـ	→	—	
	—	∅	تفعل	←	لا	→	—	
	ن	—	تفعل	←	لا	→	—	
	→ أصل 3	—	←	إفعل	—	—	—	—
	ن	←	←	إفعل	—	—	—	—
←	←	←	→	—	—	—	—	
2	1	0	1	—	—	—	—	

ويترتب عن مفهوم اللفظة مفهوم آخر للنظرية الخيلية الحديثة وهو (مستويات التحليل اللغوي).

2.2.3. مستويات تحليل الكلام: يقصد بمستويات التحليل اللغوي المجالات التي يعنى بها اللسانيّ، ويوجّه إليها اهتمامه في دراسته للظاهرة اللغوية ووصفها وتحليلها، وهي تشمل الأصوات والكلمات والتراكيب والدلالة والنص. وانطلاقاً من اعتماد النحاة العرب اللفظة أساساً ينطلقون منه في تحليلهم للكلام، وانتقالهم إلى مستويات أدنى منها وأخرى أعلى منها فقد تحققت عندهم عدة مستويات للتحليل؛ كشفت عنها النظرية الخيلية الحديثة. والوحدات اللغوية المندرجة في كل مستوى من مستويات التحليل في اللسانيات العربية هي نتاج بناء لعناصر أو وحدات المستوى الأدنى تُركّب على شكل تقريعي إجرائي¹. ذلك أن اللسان في جوهره هو: "نظام من الوحدات يتداخل بعضها

1 - خولة طالب الإبراهيمي: مبادئ في اللسانيات، المرجع السابق، ص 95

في بعض على شكل عجيب، وتتقابل فيها بناها في المستوى الواحد التقابل الذي لولاه لما كانت هناك دلالة.¹

"وقد أثبتت اللسانيات العربية عند تحليلها للغة المستويات التالية²:

المستوى 6	الحديث أو الخطاب
المستوى 5	أبنية الكلام أو البنى التركيبية
المستوى 4	اللفظات (ج لفظة)
المستوى 3	الكلم أو الكلمات
المستوى 2	الدوال
المستوى 1	الحروف
المستوى 0	الصفات المميزة للأصوات

أما في النظرية الخليلية الحديثة فقد حدد الأستاذ عبد الرحمن الحاج صالح مستويات التحليل اللساني سنة 1973 من خلال مقاله الموسوم (أثر اللسانيات في النهوض بمستوى مدرسي اللغة)، وفيه نص على أن هذه المستويات هي على التوالي: "1- مستوى النظام الحرفي الصوتي، 2- مستوى الدوال الأربع، 3- مستوى الكلم وأبنيتها، 4- مستوى الأسماء والأفعال كعناصر لا بنية الكلام، 5- مستوى أبنية الكلام.³ ولذلك فإننا سنورد قوله بالتفصيل لبيان كل مستوى، ونعتمده أساساً للإبانة

1 - عبد الرحمن الحاج صالح: مدخل إلى علم اللسان الحديث 4؛ أثر اللسانيات في النهوض بمستوى مدرسي اللغة، المرجع السابق، ص 34

2 - خولة طالب الإبراهيمي: مبادئ في اللسانيات، المرجع السابق، ص 95

3 - عبد الرحمن الحاج صالح: مدخل إلى علم اللسان الحديث 4؛ أثر اللسانيات في النهوض بمستوى مدرسي اللغة، المرجع السابق، ص 36 - هامش -

عن جملة هذه المستويات. ونشير إلى أن بعض المستويات يتم التعرض لها بتفاصيل أكثر في مواضع مختلفة من البحث كالمستوى الصوتي والحرفي والعلامة العدمية والعامل... مما سيتم الحديث عنه لاحقاً.

1.2.2.3. المستوى النظام الحرفي الصوتي: يقول الأستاذ عبد الرحمن الحاج صالح: "للحروف التي تتركب منها الكلم نظام خاص بها -وهي أصغر أجزاء الكلم- ووظيفة هذا النظام هو التمييز بينها، وبالتالي التمييز بين الكلم ومن ثم بين المعاني الإفرادية، وله إحدائيات (ككل نظام غايته التمييز) وهي مخارج الحروف وصفاتها (اللازمة لا العارضة وهذا قد تعرض له علماءنا باستفاضة، وينقسم الآن إلى قسمين: الصوتيات المادية والصورية أو الوظيفية أي الفونولوجية)"¹ ونفهم من كلامه أن النحاة العرب قد اهتموا في تحليلهم للغة بدراسة صفات الوحدات الصوتية ومخارجها، فدرسوا الحروف في صورتها الجامدة التي لا تدل على معنى، أي حروف البناء أو الهجاء (بما فيها حركات وحروف المد). ولم يقفوا عند هذا الحد؛ بل اهتموا أيضاً بدراسة علاقة الأصوات ببعضها. وقد نجم عن دراستهم للأصوات مستويان هما:

أ - مستوى الأصوات: ويهتمّ بالجانب الصوتي المحض، من حيث مخارج الحروف وصفاتها، ويمثّل في النظرية الخليلية الحديثة المستوى 0 من مستويات التحليل اللساني.

ب - المستوى الوظيفي: وهو ما يُعرف بالفونولوجيا، ويدرس أصوات اللغة لجهة وظيفتها التمييزية في نظام التواصل اللغوي، وهذه الوظيفة التمييزية بين المعاني والدلالات. وما يطرأ عليها من تغييرات، ويمثّل المستوى 1 من مستويات التحليل اللساني. وهو هنا يختلف مع (جان كانتينو) الذي اهتم بالحديث عن الصوتيات العربية، وخلص إلى أن: "علم وظائف الأصوات -وهو فرع جديد في علم اللغات نشأ

1- عبد الرحمن الحاج صالح: مدخل إلى علم اللسان الحديث 4؛ أثر اللسانيات في النهوض بمستوى مدرسي

اللغة، المرجع السابق، ع 4 ص 34

منذ عهد قريب- لم تُطبق طُرقه قط على ميدان اللغة العربية.¹

2.2.2.3. مستوى الدوال: يشرحه الأستاذ عبد الرحمن الحاج صالح بقوله: "ثم تنتظم هذه العناصر الأولية (الحروف) في وحدات أخرى انتظامات مختلفة إلا أنها محدودة ومحصورة وتخضع لمقاييس عامة معينة. فينتج منها ثلاث دوال: الأصل والصيغة وحرف المعنى وتصير أربع دوال بما يسمى بترك العلامة. أما الأولان فهما مجردان لا يحدثان في الكلام إلا مندمجين ويتكون منهما هذا النوع من الكلم التي هي الأسماء المتمكنة والأفعال المتصرفة. أما الثالث فهو كلمة محسوسة بنيت بناء لازماً ووظيفتها تخصيص دلالة الأسماء والأفعال المذكورة (ولذلك سميت بالأدوات) وقد يقوم بعضها مقام الأسماء إلا أنها تبني بناء لازماً كالأدوات الأخرى وذلك مثل الضمير واسم الإشارة واسم الموصول وغيرها. أما ترك العلامة فكل ما يدل على معنى بعدم ثبوته في اللفظ ومقابلته لثبوت غيره وذلك مثل علامة التذكير (العدمية) في مقابل تاء أو ألف التأنيث، وكحذف نون الرفع مقابل ثبوتها وغير ذلك كثير.²

فهذا المستوى يشمل :

أ- دلالة المادة الأصلية: تتمثل في المعاني الملازمة للوحدات المعجمية كما في القاموس، بعيداً عن المعاني المركبة أو الدلالات التي يفرزها السياق مثل (ض ر ب) (ك ت ب).

ب- دلالة الوزن: أو الصيغة ويقصد بها "تلك القوالب التي تفرغ فيها المواد الأصلية؛ ذلك أن الكلمة العربية تتولد من تركيب المادة في الصيغة وتتمثل في الأسماء المتمكنة والأفعال المتصرفة، إلا أن الكلمة تنتمي أو تندرج بتعبير أدق إلى المستوى الثالث.³

1-جان كانتينو: دروس في علم أصوات العربية ، ترجمة: صالح القرمادي، مركز الدراسات والبحوث الاقتصادية

والاجتماعية، تونس، د.ط، 1966، ص 15

2- عبد الرحمن الحاج صالح: مدخل إلى علم اللسان الحديث4، أثر اللسانيات في النهوض بمستوى مدرسي اللغة،

ص 34، 35،

3 - خولة طالب الإبراهيمي: مبادئ في اللسانيات، المرجع السابق، ص 96

والمادة الأصلية والوزن هما كيانان صوريان غير محسوسين، ولا يحدثان في الكلام إلا مندمجين فلا يمكن الفصل بينهما.

ج- حروف المعاني: ذلك أن سيوييه عندما "يحدد تقسيم الكلم العربية فإنه يقول: (اسم وفعل وحرف جاء لمعنى ليس باسم ولا فعل). ولم يقف عند كلمة حرف كما يفعله أكثر من جاء بعده، ومعناه: الكلم اسم وفعل وعنصر آخر جاء لمعنى أي لم يأت لدلالة على ذات (object) كالاسم أو حدث (process) كالفعل بل على معنى مثل الاستفهام أو النفي أو غير ذلك مما يضاف إلى الاسم والفعل وليس ذلك اسماً أو فعلاً لأن بعض الأسماء والأفعال قد تدل على هذه المعاني كالظروف وأسماء الاستفهام والأفعال الناسخة وغير ذلك.¹ فحروف المعاني في النحو العربي الأصيل هي وحدات دالة مثلها مثل الأسماء والأفعال.

د- العلامة العدمية: "اقتبس اللغويون مفهوم العلامة العدمية من مفهوم المجموعة الفارغة المستعمل في الرياضيات الحديثة."² و"هي عند العرب أصل مهم من أصولها المنهجية، لا بالنسبة إلى اللغة فقط بل بالنسبة إلى جميع العلوم الدقيقة والتجريبية وهي مفهوم رياضي، ونرجح أن الخليل هو أول من استخرجه من مفهوم الصفر بعد أن أدرك دوره في علم العدد فطبقه على علوم العربية وبالخصوص النحو والعروض."³ وهي تتمثل في غياب اللفظ الدال حيث يصبح ترك العلامة علامة، وتتجلى عند مقابلة القطع بعضها ببعض؛ ويحددها الحاج صالح بأنها العلامة التي "تختفي في موضع لمقابلتها لعلامة ظاهرة في موضع آخر."⁴ ونمثل لذلك بما يأتي:

1- عبد الرحمن الحاج صالح: بحوث ودراسات في اللسانيات العربية، المرجع السابق، ج1، ص 242.

2 - خولة طالب الإبراهيمي: مبادئ في اللسانيات، المرجع السابق، ص 91

3 - عبد الرحمن الحاج صالح: بحوث ودراسات في علوم اللسان، المرجع السابق، ص 64 - الهامش -

4 - نفسه، ج 1، ص 222

العلامة	المثال	
∅	طويل	المذكر
ة	طويلة	المؤنث
∅	رجل	النكرة
ال	الرجل	المعرفة

حيث نلاحظ أن للمؤنث علامة تميزه هي (التاء)، وللمعرفة علامة تميزها هي (ال) وهذه العلامات ملفوظة وظاهرة في مدرج الكلام، على خلاف المذكر والنكرة إذ ليس لهما علامة لفظية ظاهرة في مدرج الكلام تميزهما، ولا يعني ذلك أن ليس لهما علامة وإنما علامتهما عدمية، لأن هذه العلامة وإن لم تكن محسوسة أو ملفوظة فإن موضعها موجود ولكنه فارغ.

3.2.2.3. مستوى الكلم: الكلمة في اللسانيات الحديثة أو ما يسمى المونيم (Monème) عند الفرنسيين أو المورفيم (Morphème) عند الأمريكيين، وهي عندهم أقل ما ينطق به مما يدل على معنى، فهي القطعة التي تتدرج في المستوى الأول من التقطيع المزدوج، حيث إنها أصغر قطعة يصل إليها التحليل مما يدل على معنى.¹ وهي في النحو الخيلي تتدرج في "المستوى الثالث فلا يمكن أن نعتبرها أصغر قطعة يصل إليها التحليل وتدل على معنى، وهي تُحلل إلى عنصرين دالين هما المادة الأصلية والوزن على الأقل بالنسبة للأسماء المتمكنة والأفعال المتصرفة."²

يُعرّف الحاج صالح الكلمة وفق النحو العربي الأصيل بقوله: "أما لفظة كلمة فهي عند سيوييه غير ما هي عند ابن مالك، (لفظة كتاب) كلمة والألف في (الزيدان خرجا) كلمة ولكن الهمزة في (اكتب) والتاء في (اكتب) والميم في (مكتب)

1 - خولة طالب الإبراهيمي: مبادئ في اللسانيات، المرجع السابق، ص 85

2 - نفسه، ص 96

ليست كلمات لأنها حروف بنيت عليها الكلمة ولا تتفصل، فالكلمة في الحرف (= العنصر) المنفصل: إما بالتمام (تبتدأ وتوقف عليها) أو جزئياً كالحروف التي تدخل إذا اقترنت بكلمة أخرى ولم تبين عليها هذه الأخيرة، فهذا هو مفهوم الخليل وسيبويه، فالتتوين على هذا كلمة، وحتى الحركات الإعرابية كما لاحظها الرضي.¹ فهذا المستوى يخص الوحدات الدالة من البنى الإفرادية ويشمل الأسماء والأفعال والحروف التي تأتي لمعنى، وقد تمكن الحاج صالح من خلال تعريفه للكلمة من تمييز نحو المتقدمين عن نحو المتأخرين، حيث تتوسع دائرة الكلمة عند الخليل وسيبويه والرضي لتشمل الحركات الإعرابية، والتتوين، وعلامات التنثية والجمع من الحروف ومثلها علامات التأنيث، وأل التعريف وحروف المضارعة... وهذا واضح في تحديد سيبويه الشهير للكلمة العربية بقوله: (اسم وفعل وحرف جاء لمعنى ليس باسم ولا فعل) ولم يقف عند كلمة حرف كما يفعل أكثر من جاء بعده. في حين يخرج ابن مالك وهو من متأخري النحاة- هذه الحروف كأحرف المضارعة، والجر والتأنيث من دائرة الكلمة، وسبب ذلك عنده أن هذه الحروف لا تعتبر كلمات لأنها لا تستقل بذاتها ولا تتفصل عن غيرها وإنما ترتبط دائماً بغيرها. لأنه يعتبر الكلمة اللفظ الدال على معنى مفرد والمستقل بذاته عن غيره.² وعلى هذا فهو يُغفل تمييز النحاة القدامى بين الانفصال التام (الكلي) والانفصال الجزئي للوحدات، وهذا الذي وقف عنده الحاج صالح في تحديده لمفهوم الكلمة، وهذا الذي نوضحه من خلال المشجر الآتي:

1 - عبد الرحمن الحاج صالح: بحوث ودراسات في اللسانيات العربية، المرجع السابق، ج1، ص243
 2- ابن عقيل: شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك، تح: محمود مصطفى حلاوي، دار إحياء التراث العربي، مؤسسة التاريخ العربي، بيروت، لبنان، دط، دت، ح1، ص 39 -الهامش-

الكلمة عند ابن مالك	الكلمة عند الحاج صالح و الخليل و سيبويه و النحاة القدامى
<p>الكلمة</p> <p>↓</p> <p>منفصلة انفصالا تاما</p> <p>↓</p> <p>مثل</p> <p>كتاب - قلم - ذهب - وجد</p>	<p>الكلمة</p> <p>↓</p> <p>منفصلة انفصالا جزئيا</p> <p>↓</p> <p>مثل</p> <p>التنوين - حركات</p> <p>الإعراب - ال التعريف</p> <p>منفصلة انفصالا تاما</p> <p>↓</p> <p>مثل</p> <p>كتاب - قلم - وجد</p> <p>ذهب</p>

من خلال ما سبق وانطلاقاً من اعتبار الكلمة هي كل ما دل على معنى، نستنتج أن النحو الخليلي يعتمد في تحديد الكلمة على الدلالة المعجمية والدلالة النحوية، في حين لا يعتمد ابن مالك إلا على الدلالة المعجمية ويقصي الدلالة النحوية في تحديد الكلمة، ويبين لنا هذا دقة وعبقورية النحو العربي الخليلي.

4.2.2.3. مستوى أبنية الكلام: يرى الأستاذ عبد الرحمن الحاج صالح أن الوحدات التي تفوق مستوى الكلم، والتي سماها اللفظات تنتظم بدورها بواسطة عمليات الوصل والبناء¹ (الحَمَل) الصورية في مستوى أعلى وهو مستوى أبنية الكلام، الذي يتكون من "مجموعات من الكلم الموصول بعضها ببعض باعتبار الثابت فيها (الداخل) وغير الثابت لفظاً (إلا أنه دال على معنى)، والمبني أحدها على الآخر، ففي مثل هذه العبارات: زيد قائم، زيد ضربته، زيد مبني عليه اللفظ الآخر، أما في ضربت زيدا، زيداً ضربت، فزيد مبني على غيره والوحدات الاسمية ههنا (وهي غير الجمل) تتكون من ثلاثة عناصر متقطعة وهي (زيد) وعلامة الإعراب ثم التنوين ومجموعها بمنزلة اسم واحد، وكذلك هو الأمر بالنسبة للوحدات الفعلية، ففي (ضربت) كلمتان (ضرب+ علامة الإضمار) تكونان من حيث البنية وحدة صالحة للبناء، ويمكن أن تطول هذه

1 - البناء هو مفهوم صوري نحوي يرتبط بالبنية النحوية للفظ، وهو يتميز عن الإسناد و- هو مفهوم صوري أيضا- في كونه لا يرتبط بالإفادة مثل الإسناد.

الوحدات إلى ما لا نهاية إلا أن قدرة الإنسان محدودة على الإتيان أو على فهم الوحدات الكثيرة الكلم والمتداخلة العناصر.¹

ونستنتج من هذا القول أن هذا المستوى هو المستوى الذي يهتم فيه النحوي بالإعراب والمواضع والعوامل والمعمولات، لأن بنية الكلام تتكون من: مبتدأ+ مبني عليه وفعل+ فاعل+ مفعول.² ولذلك سنُفصّل القول في هذه الجوانب لاحقاً عندما نتطرق لمفهوم العامل، ونكتفي في هذا المقام بالقول أن هذا المستوى (النحوي) هو عبارة عن بنية تركيبية تفوق بنية الكلمة وبنية اللفظة فهو وحدة لغوية تمثل مستوى أكبر من مستوى الكلم واللفظة، بل هو يتألف من ضم لفظة إلى غيرها من اللفظات، وفق علاقات صورية محددة بين تلك الوحدات الصغرى التي تسمى (اللفظات). وقد تُفضي هذه العلاقة إلى تركيب مفيد كما قد تُفضي إلى تركيب غير مفيد، ولهذا ظهر عند النحاة في هذا المستوى مفهومان مختلفان هما مفهوم الكلام ومفهوم الجملة، وقد حرص النحاة المتقدمون على التمييز الصارم بينهما، فحددوا الكلام بأنه: القول المفيد بالقصد، والمراد بالمفيد ما دلّ على معنى يحسن السكوت عليه. وحددوا الجملة بأنها: عبارة عن الفعل وفاعله كقام زيد والمبتدأ والخبر كزيد قائم، وما كان بمنزلة أحدهما، نحو: (ضرب اللص) و(أقام الزيدان) و(كان زيد قائماً) و(ظننته قائماً). أي إنهم اعتمدوا في تحديد مفهوم الكلام على شرط الإفادة بينما اعتمدوا في تحديد مفهوم الجملة على شرط الإسناد بغض النظر عن الإفادة من عدمها. وبهذا يظهر أنهما ليسا بمترادفين كما يتوهمه كثير من الناس، وهو ظاهر صاحب المُفصّل، فإنه بعد أن فرغ من حد الكلام قال: ويسمى جملة والصّواب أنها أعمّ منه إذ شرطه الإفادة بخلافها، ولهذا تسمّعهم يقولون: جملة الشرط، جملة الجواب، جملة الصلة، وكل ذلك ليس مفيداً

1- عبد الرحمن الحاج صالح: مدخل إلى علم اللسان الحديث⁴؛ أثر اللسانيات في النهوض بمستوى مدرسي اللغة

العربية، ص 35 - 36

2 _ عبد الرحمن الحاج صالح: الخطاب والتخاطب في نظرية الوضع والاستعمال العربية، المرجع السابق، ص

فليس بكلام.¹ وعليه فمفهوم الجملة أعمّ من مفهوم الكلام لأنها تشمل التركيب المفيد وغير المفيد، بينما يقتصر حد الكلام على التركيب المفيد، أي إن كل كلام جملة والعكس غير صحيح فليس كل جملة كلام. وقد عالج الحاج صالح هذه المسائل المتعلقة بهذا المستوى من التحليل في عدة مواضع، وهو يذهب في ذلك مذهب النحاة الأوائل الذين يُميزون بين الجملة والكلام، وله بحث قيّم بعنوان (الجملة في كتاب سيبويه) يُبين فيه مفهوم الجملة عند النحاة العرب المتقدمين، وفيه وقف على وجود مفهوم الجملة عند سيبويه ومن تابعه دون وجود المصطلح، فهو "يسمياها عادة (كلاما) وإذا دقق قال (الكلام المستغنى) ويريد به الكلام الذي يحسن أن يسكت المتكلم عند انتهائه لأنه قد استقل لفظا ومعنى، وبذلك يشكل وحدة تبليغية تتم بها الفائدة للمخاطب."² مما يعني أن مصطلح الكلام يستخدمه سيبويه مرادفا للجملة المفيدة فقط ولا يصلح لأن يكون مرادفا للجملة التي تخلو من الفائدة، وفي ذلك يقول: "إن الكلام المستغنى أو الجملة المفيدة هو أقل ما يكون عليه الخطاب إذا لم يحصل فيه حذف، ويمكن أن يحل كما فعله سيبويه إلى مكونات قريبة على حد تعبير اللسانيات تكون خطابية لا لفظية صورية؛ أي عناصر لكل واحدة منها وظيفة دلالية وإفادية، وهذه العناصر في الحقيقة عنصران: المسند والمسند إليه."³ مما يعني أن الجملة هي تركيب إسنادي خاضع لضوابط اللغة العربية، ولكنه قد يكون تركيبا مفيدا كما قد يكون غير مفيد بينما الكلام هو تركيب إسنادي خاضع لضوابط اللغة العربية أيضا ولكنه لا يمكن أن يكون مجردا من الإفادة وفي هذا يقول: "الكلام هو مجموع الجمل غير المنتهية القابلة للوضع بالاعتماد على أمثلة اللغة العربية."⁴ ويقول: "إن الكلام المستغنى له عند سيبويه والنحاة الأولين صيغة لفظية خاصة وليست هي الصيغة الخطابية

1 - ابن هشام الأنصاري: مغني اللبيب عن كتب الأعاريب، تح: صلاح عبد العزيز السيد، دار السلام، القاهرة،

2004، ط1، المجلد 2، ص 505

2 - عبد الرحمن الحاج صالح: الجملة في كتاب سيبويه، مجلة مجمع اللغة العربية، القاهرة، مصر، ماي 1996،

الجزء 78، القسم الأول، ص 99 - 100

3- نفسه، ص 102.

4 - Abderrahmane Hadj -Salah : Linguistique arabe et linguistique générale, Référence précédent,

Volume 1 , p43

المتكونة من مسند ومسند إليه، وإلا فلم احتاج أولئك العلماء إلى تسمية أخرى مثل المبتدأ والمبني عليه، ولماذا احتاجوا إلى تصوّر عنصر لفظي هام هو العامل وما يتعلق به من معمول.¹ فهو يشير إلى تمييز النحاة الأوائل بين الكلام كخطاب والكلام كبنية، وبالتالي تمييزهم بين الجانب الوظيفي وهو الإعلام والمخاطبة وتبليغ الأغراض وبين الجانب اللفظي الصوري. وقد اعتمد الحاج صالح على مفهوم الجملة كما بيناه ليوضّح "الفرق الكبير الذي يميز المنظور العلمي لسيبويه وشيوخه وتلاميذه للغة وكيفية تحليلهم لها بناء على هذا المنظور من النزعة التعليمية للنحو التي استولت على كل الممارسين للنحو بعد القرنين الخامس والسادس."² فقد اعتمد النحاة الكلام منطلقاً للتحليل لا الجملة لأن الكلام تحصل به الفائدة وتتحقق فيه الدلالة، ومن خلال ذلك اهتموا باللفظ والدلالة والاستعمال والخطاب وعناصره كالمقام والسياق ودورهم في تحديد الدلالات على نحو سبقوا به التداولين في عصرنا الحالي.

ومما سبق نلاحظ أنّ النظرية الخيلية الحديثة وقفت عند مستوى أبنية الكلام وما دونه، ونستطيع أن نصف نحوها بأنه نحو الجملة واستوفى صاحبها دراسة اللغة في هذه المستويات حقاً من الضبط والتنظير، وقد حقّق فيها جميعاً قدراً كبيراً من الوصف الدقيق والتوصيف الأمثل للوحدات اللغوية والعلاقات المؤلفة بينها والناظمة لبنية اللغة. لكنّه لم يلتفت إلى المستوى الأعلى من ذلك وهو نحو النص رغم الضرورة الملحّة التي يستدعيها هذا المستوى في تحليل الخطاب، باعتبار نحو الجملة صورة من صور التحليل النحوي، يقف في معالجته عند حدود الجملة، ولا يتجاوزها ويعتبر الجملة هي الوحدة الكبرى في الكلام، وهذا غير كاف في علم اللغة لاستيفاء كل مسائل الوصف اللغوي باعتبار النص هو بنية كبرى تتشكل من تعالق مجموعة من الجمل والتراكيب، وهذا التّعالق فيما بين الجمل هو الذي يُشكّل المعنى والدلالة، بحيث ترتبط كل جملة بما قبلها وبما بعدها من الجمل، فتُسهّم الجمل السوابق واللواحق

1 - عبد الرحمن الحاج صالح: الجملة في كتاب سيبويه، مجلة مجمع اللغة العربية، القاهرة، المرجع السابق،

ج78، القسم الأول، ص104

2 - نفسه، ص 98

في فهم الكل، كما تسهم في ذلك الروابط وعناصر التماسك النصي. ذلك أن النص في مفهومه البسيط هو: "سلسلة من الجمل كل منها يُفيد السامع فائدة يحسن السكوت عليها، وهو مجرد حاصل جمع للجمل الداخلة في تشكيله."¹ فالنص هو الوحدة الكلامية الكبرى التي تتحقق فيها الإفادة، وما الجملة إلا واحدة من وحداته الصغرى. لذلك لا يمكن الاستغناء عن نحو الجملة لكن في المقابل لا يكفي الوقوف عند مستوى الجملة في التحليل اللغوي، ولا دراسة العلاقات بين وحداتها الصغرى، وإنما يجب دراسة العلاقات بين الجمل أيضا للوصول إلى الدلالات العامة والكلية التي يحملها النص، خاصة عندما يرتبط النص بالسياق. ذلك أن نحو النص يعني "أن القول لن يوصف فقط باعتبار بنيته الداخلية، والمعنى المسند إليه، بل سيوصف أيضاً باعتبار الفعل المنجز (إنتاج تواصلية)"² وربط الخطاب بالإنجاز الفعلي للغة يجعله مرادفا للكلام حسب توجّهات درس اللساني الحديث، وهو الذي يذهب إليه الأستاذ (عبد الرحمن الحاج صالح) بقوله "يمكن أن يكون الكلام مرادفا للخطاب أو الاتصال الشفوي باعتباره لفظا شفويا."³ يصدر عن متكلم معين في سياق معين. فالخطاب هو "الكلام الحاصل بالفعل بين المتخاطبين، وهو باللغات الأجنبية Discours".⁴

ولا يعني ذلك أن الحاج صالح أهمل هذا المستوى (الخطاب) والدليل أنه عالج كثيرا من قضاياها خاصة ما يتعلق بالوضع والاستعمال. وإنما لم يقف عنده كثيرا كما وقف عند غيره من المستويات. وذلك لأنه كان يُركّز على مستوى أبنية الكلام ويؤسّس له ويؤكد على ضرورته وضرورة معرفته لكل دارسي اللغة. وقد خلصنا إلى هذا الموقف من قوله: "ولا نحتاج ههنا أن نُبيّن كل ما يترتب على دراسة البنى من فوائد: يكفي أن نقول أن معرفة هذه البنى على حقيقتها ودون الخلط بينها وبين آليات

1- أحمد عيفي: نحو النص اتجاه جديد في الدرس النحوي، مكتبة زهراء الشرق، القاهرة، 2001، ص 24.

2 - محمد خطابي: لسانيات النص -مدخل إلى انسجام الخطاب-، المركز الثقافي العربي، بيروت، لبنان، 1991، ص 29.

3 -Abderrahmane Hadj-Salah, linguistique arabe et linguistique générale, Référence précédent, Volume 1 , p 43

4- عبد الرحمن الحاج صالح: الخطاب والتخاطب في نظرية الوضع والاستعمال العربية، المرجع السابق، ص 13

الإفادة من جهة والمفاهيم الراجعة إلى المعاني وحدها (دون اللفظ) من جهة أخرى جد ضرورية لا يمكن أن يستغنى عنها في أي ميدان من الميادين التي تعالج اللغة أو تتعرض لها كيفما كان.¹ كما يشير إلى عناية النحاة العرب بظواهر التخاطب، يقول في ذلك: "إنّ ما تطرّق إليه أحد هؤلاء النحاة المبدعين وهو سيبويه في كتابه... هو أساسا الجانب النحوي الصرفي الصوتي للغة، ولم يكن هذا الميدان -مع ذلك- مجرد نحو وصرف لأنه لم يهمل أبدا الجانب الدلالي لأنواع الأبنية والتراكيب العربية من جهة، ومن جهة أخرى المعاني الخارجة عن دلالة اللفظ كدلالة الحال وغيرها... ثم اعتدّ سيبويه كثيرا بظواهر الاستعمال ومنها نظريته في ظواهر التخاطب pragmatics وكل هذا يدخل في الميدان الواسع المسمى بعلم اللسان."²

كما أنه عاد واهتم بالخطاب في كتابه (الخطاب والتخاطب) وهو الآخر امتداد للنظرية الخليلية الحديثة وتطوير لها. وقد حدّد موضوع الكتاب بأنه: "الجانب الجاري من الكلام بالفعل على الألسنة الذي تعرض لو العوارض لا على الإطلاق بل في إطار النظرية اللغوية العربية التي اختص بها علماء اللغة العرب النحويون منهم والبلاغيون."³ مما يدل على أنه كتاب يهتم بالاستعمال والكلام والخطاب من منظور النحاة العرب الأوائل الذين كانوا سبّاقين في هذا المجال. وقد انطلق فيه من أهم ما تتصف به النظرية اللغوية العربية الأصيلة فيما يخص الخطاب، وأساسها الذي بنى عليه النحاة الأوائل علوم العربية وهو التمييز الصارم بين اللغة في أصل الوضع واللغة في حال استعمالها في التخاطب، وبالتالي مقابلتهم بين اللغة والكلام (الخطاب).

وهذا التمييز له أثر عميق في تحديد ماهية اللغة في حد ذاتها، فهو يبين أن اللغة ليست وضعا فقط وإنما استعمال أيضا.⁴ بل يتعجّب من عدم اهتمام الباحثين

1- عبد الرحمن الحاج صالح: مدخل إلى علم اللسان الحديث⁴ أثر اللسانيات في النهوض بمستوى مدرسي اللغة العربية، المرجع السابق، ص 36

2- عبد الرحمن الحاج صالح: منطق العرب في علوم اللسان، المرجع السابق، ص 8، 9

3- عبد الرحمن الحاج صالح: الخطاب والتخاطب في نظرية الوضع والاستعمال العربية، المرجع السابق، ص 8

4- نفسه، ص 12

بهذا المستوى من التحليل الذي اهتم به اللغويون العرب؛ وفي ذلك يقول: "ومن العجيب أن أكثر ما اكتشفه العلماء العرب وما أثبتوه من الحقائق العلمية لم يحظ إلا قليلا باهتمام الباحثين، وذلك كالمقابلة بين الوضع والاستعمال وما يتصف به كل واحد منهما من الصفات والمزايا والتميز بين ما ينتمي إلى الأول وما لا يخرج من الثاني ولماذا يمتنع أن يُسوَّى أحدهما بالآخر وما الكلام كبنية وبما يجب ألا يختلط بما يخص الكلام كخطاب..."¹ وعليه فإننا نلمس من خلال هذا القول حرصه على اعتماد مستوى الخطاب في التحليل اللساني وعدم التوقف عند مستوى أبنية الكلام وما دونها. وهو الحرص والاهتمام الذي يَبْدَى لنا ويتأكد بما لا يدع مجالاً للشك من خلال الاطلاع على مضمون الكتاب؛ الذي صرّح فيه بأنه يتطرق إلى بعض الظواهر الخطابية فقط من بين ما تعرض له العلماء العرب وليس كلها. وقد علل ذلك بقوله: " بما أن الظواهر الخطابية التي تعرّض لها العلماء العرب -وغيرهم- هي كثيرة جدا فإننا سنقتصر على الجوهرية منها وخاصة الظواهر التي هي من صميم الخطاب فلا تتخلف ومن وجهة النظر اللغوي ونكتفي أيضا مما قاله علماء البلاغة بأهم ما جاء في علم المعاني وبأهم ما أثبتوه من جهة أخرى من الصور البيانية."²

ومن الظواهر الخطابية التي تعرض لها في كتابه والتي نستدل بها على

اهتمامه بمستوى الخطاب:

- مفهوم الكلام ومفهوم الإعلام، ومفهوم الفائدة كجانب آخر في الخطاب غير الجانب الدلالي عند سيبويه خاصة؛ الذي يعني مفهوم الكلام عنده الخطاب، ويستدل على ذلك باطراد رجوعه فيما يخص التراكيب إلى المخاطب والمتكلم، ولا يكون ذلك عند تحليل أو إثباته لأبنية الكلام أو الكلم في ذاتها لأن ذلك يخص الصياغة النحوية ولا دور مباشر للمخاطب فيها. وهذا ما يؤكد اعتبار سيبويه للغة مجموعة منسجمة من الدوال يتخاطب بها المتكلمون في أحوال خطابية معينة. كما استدل بظواهر التخاطب

1 - عبد الرحمن الحاج صالح: الخطاب والتخاطب في نظرية الوضع والاستعمال العربية، المرجع السابق، ص17

2- نفسه ، ص18

التي تخضع لقوانين الاستعمال الحقيقي للغة ومصطلحاتها العديدة ومنها (الاتساع) في مقابل (الأصل في الكلام). ومفهوم وضع اللغة في مقابل استعمالها (الكلام الحاصل في التخاطب) وتطوره في الدراسات العربية عند النحاة المتقدمين والمتأخرين والأصوليين والمتكلمين والفلاسفة. بدءاً بابن السراج وتلامذته الذين يستعملونه للدلالة على (الأصل في الكلام) الذي استعمله سيبويه والقاضي عبد الجبار الذي يعتقد بمقابله بين اللغة كمواضعة وبين الخطاب كاستعمال فعلي للغة، وقد مثل لكلامه وعمق تحليلاته حول الوضع والاستعمال بهذه المعادلة (لغة/ خطاب = مواضعة/ استعمال). كما تطرق إلى الوسائل التي يلجأ إليها المتخاطبان لإنجاح عملية التخاطب وتحصيل التفاهم التام: (البيان) (communication) ومن هذه الوسائل الرجوع إلى كل ما يقوم مقام اللفظ المحذوف أو الناقص الدلالة أو الغامض. وغيرها من القضايا والظواهر التي تدل على تفتن العرب نحاة وأصوليين ومتكلمين إلى الوضع اللغوي وتصورهم الواضح له.¹

- وصف دورة التخاطب بمكوناتها ودور كل واحد فيها بناء على أقوال العلماء العرب ابتداءً من زمن الخليل وسيبويه على أنها شبكة من القنوات المقترنة، ومجموعة من الدلائل المندمجة (ألفاظ وقرائن مقترنة بها) لا يحصل أي خطاب إلا بحصولها جميعاً مقترناً بعضها ببعض. ودليل ذلك أن سيبويه والنحاة الأوائل اهتموا في تحليلاتهم اللسانية بالنظر إلى الكلام كأبنية وتراكيب دالة بالوضع، وتجاوزوا ذلك إلى الاهتمام بدور المخاطب والمخاطب والاعتناء خاصة بكيفية حصول التفاهم بينهما بالرجوع إلى الأدلة التي تقترن بها عملية التلطف بالكلام مما هو خارج عن اللفظ المنطوق به كالسياق والمقام ودلالة الحال وعلم المخاطب وغيرها. وهذا الاهتمام بالبحث في الدلائل غير اللفظية يرتبط بعملية التخاطب وبالاستعمال الفعلي للغة لا بأصل الوضع. يدل على اهتمام النحاة العرب بظواهر التخاطب وتناول الكلام كفعل في دراساتهم اللغوية وسبقهم في التفتن إلى أن دلالات الألفاظ في أي لغة لا تتحدد دون

1 - عبد الرحمن صالح الحاج: الخطاب والتخاطب في نظرية الوضع والاستعمال العربية، المرجع السابق، ص 21 وما يليها

الرجوع إلى أدلة أخرى غير لفظية. مما يدل على تطور الدراسات اللسانية العربية في القرون الأولى للهجرة. وزاد من عظمة الدراسات العربية أنها في اهتمامها بالتخاطب والاستعمال (النظر إلى كل عبارة كوحدة خطابية لها لفظ منطوق ومعنى مقصود من جهة) لم تهمل الوضع (النظر إلى كل عبارة كبنية لها مدلول) من جهة أخرى. ولم تخط بينه وبين الاستعمال فكان هذا الدمج للدراستين والفصل بينهما دليلاً على عمق فهم النحاة العرب للظاهرة اللغوية. الذي يرجع إلى مشاهدة فصحاء العرب وهم يتخاطبون بالفعل، وهذه المشاهدة الفعلية لأحوال مخاطباتهم لم يحظ بها كل من جاء من النحاة بعد زوال الفصاحة السليبية. كما تحدث عن مفهوم الإعلام عند سيبويه ومفهوم الفائدة عند غيره كجانب آخر في الخطاب غير الجانب الدلالي.¹

- ما تتصف به الأوضاع كلها من الإبهام (اللدلالة) كصفة أساسية ملازمة للدلائل اللغوية في أصل وضعها، الإبهام (عدم التعيين) في الجنس بالنسبة إلى الأسماء غير الجامدة، وعدم التعيين بالتالي، وإبهام الحروف والأسماء الجامدة لعدم وجود شيء تعود إليه إلا في الخطاب.² فلكل كلمة مُتصرفّة بنية ولكل جملة مفيدة بنية ولكل بنية من جانب آخر دلالة في الوضع إلا أنها مُبهمة بالضرورة. ثم بنية الكلمة أو الكلام هي هيكلها العظمي وتقع دراستها هي بالذات وهو جانب هام مما اهتم به النحاة العرب وخاصة الخليل بن أحمد.³

- اللفظ والمعنى في كل من الوضع والاستعمال. "فاللفظ عند النطق به يصاب بشيء من التغيير،... كما يصيب المعنى أيضاً شيء كثير من التغيير لأن المعنى لا يوجد منعزلاً عن المعاني الأخرى فهو يدخل في نظام من العلاقات العقلية. ولهذا قد يتحول إلى معنى آخر بوجود هذه العلاقات وإرادة المتكلم. ثم أهم ما أثبتته علماؤنا هو وجود استقلال تام لكل من اللفظ والمعنى الواحد إزاء الآخر على الرغم من ارتباطهما

1 - عبد الرحمن الحاج صالح: الخطاب والتخاطب في نظرية الوضع والاستعمال العربية، المرجع السابق، ص44 ومايليها.

2 - نفسه ص18

3 - نفسه، ص 104

بالوضع.¹ وفي ذات السياق اهتم العرب بالتمييز بين استقامة اللفظ واستقامة المعنى. فقد بين سيبويه - لأول مرة في تاريخ علوم اللسان أن اللفظ والمعنى ينفرد كل واحد منهما عن الآخر بالاستقامة وعدمها، فقد يكون اللفظ سليماً من حيث النحو والصرف والمعجم والأداء، ويكون المعنى مع ذلك غير سليم، غير معقول أو غير صحيح أو العكس.² وقد سبق أن تحدثنا عن هذا باستفاضة في باب الاستقامة والإحالة.

- الظواهر التي يسميها البلاغيون الإنشاء والإيقاع، وسبق سيبويه في تقسيم الكلام إلى التمييز بين الواجب من الكلام وغير الواجب وهو التقسيم الذي كان معروفاً عند الخليل.³ كما تناول الخبر والإنشاء كمعان للكلام وكأفعال للمتكلم في كلام أو بكلامه عند العلماء العرب وفي هذا يقول: "كل خطاب هو فعل للمتكلم حتى الإخبار ومع ذلك فقد أقاموا فرقاً في هذا الإطار العام بين الخبر وبين الطلب الذي سمي فيما بعد إنشاء ولهذا ميزوا بين فعل الإخبار وبين الخبر المقابل للطلب. إلا أن سيبويه وشيخه الخليل -وزملاؤهما بلا شك- قد أتوا بشيء لم يعرفه غيرهم وهو مفهوم الواجب من الكلام في مقابل غير الواجب... وبنوه على التمييز بين ما هو ثابت مما يعلمه المتكلم في حال حديثه وما لم يثبت بعد."⁴

- التعريف بأهم ما جاء به العلماء الغربيون من فلاسفة اللغة واللسانيين الخطابيين مما سموه بالبراكماتيك ونظرية الخطاب وما يقاربها، والمقارنة بين هذه النظريات ومفاهيمها وبين ما جاء به علماءنا في هذا الميدان.⁵

1 - عبد الرحمن الحاج صالح: الخطاب والتخاطب في نظرية الوضع والاستعمال العربية، المرجع السابق ،

ص111، 112

2 - نفسه، ص 113

3- نفسه، ص 165

4- نفسه، ص174

5- نفسه، ص18

3.3. مفهوم الموضع وما يترتب عنه:

ينطلق الأستاذ عبد الرحمن الحاج صالح في هذا المبدأ من المبدأ السابق (الانفراد وحدّ اللفظة) القائل بأن اللفظة تُحدّد بالموضع، فيرى بأن "المواضع التي تحتلها الكلم هي خانات تُحدّد بالتحويلات التقريعية أي الانتقال من الأصل إلى مختلف الفروع بالزيادة التدريجية -أو العكس (رد الفروع إلى أصلها)-. وهذه الزيادة هي نفس التحويل (في هذا المستوى). وإذا أردنا أن نُعبّر عن هذا باصطلاح الرياضيات فيمكن أن نقول بأن ما يظهر بالتفريع في داخل المثال المُؤدّ للفظة هي عبارات متكافئة حتى ولو كانت بعضها أطول بكثير من البعض الآخر وذلك لا يخرجها عن كونها لفظة.¹ فالموضع في النحو العربي الأول من المفاهيم الأساسية التي اعتمد عليها النحاة في تحليلاتهم اللغوية وهو مظهر من مظاهر عمق دراستهم للغة في كل مستوياتها، وهو مفهوم إجرائي يرتبط بمفاهيم التكافؤ بين الوحدات اللغوية والتقابل التناظري والقياس. "ويُقصد بالموضع المحلّ أو الموقع الذي يمكن أن يحتلّه عنصر من العناصر المؤثرة في مدرج الكلام (الحرف بالنسبة للكلم واللفظة بالنسبة للجملة) وتكون للوحدات اللغوية مواضع خاصة في تركيب الكلام فإذا وضعت في غير موضعها فإما أن يقبح ذلك في غير الشعر، وإما أن يكون لحناً لم تتكلم به العرب.² ومن ذلك قول سيبويه: "وأما المستقيم القبيح فأن تضع اللفظ في غير موضعه نحو قولك: قد زيدا رأيت، وكى زيدا يأتيك."³ فالموضع هو "الحيز في البنية الذي يمكن أن يشغله عنصر معين ويمكن أن ينعدم هذا العنصر تماماً."⁴

وقد توصل إلى هذا المبدأ من خلال استقرائه لكتاب سيبويه -الذي لا يكاد يخلو فصل من فصوله ولا صفحة من صفحاته من هذا المصطلح أو ما يُشتقّ منه-،⁵

1 - عبد الرحمن الحاج صالح: بحوث ودراسات في اللسانيات العربية، المرجع السابق، ج1، ص 221.

2 - نفسه، ج 2 ص 10

3 - أبو بشر عمرو بن قنبر سيبويه : الكتاب، المصدر السابق، ج1، ص 26

4 - عبد الرحمن الحاج صالح: بحوث ودراسات في اللسانيات العربية، المرجع السابق، ج1، ص 92.

5 - نفسه، ج 2، ص 9

الذي يحتفي مع أستاذه الخليل كثيرا بفكرة الموضع؛ كمفهوم وكأداة منهجية إجرائية في التحليل اللغوي ودراسة الظواهر اللغوية، وفي الاستدلال على أحكام نحوية كثيرة كاستدلاله على أقسام الكلم وأصنافها وأجناسها "فكل وحدة تستطيع أن تدخل في موضع الأسماء أو موضع الأفعال أو موضع حروف المعاني فمعنى ذلك أنها تتدرج تحت أحد هذه الأجناس ويكون مجراها وحكمها (= مسلكها وأحوالها) مثل مجراها وحكمها... وقد يكون للعنصر الواحد أكثر من موضع فيتحول حكمه ومجراه بحسب الموضع فيجري مجرى الباب الذي ينتمي إلى ذلك الموضع.¹ كما يستدل به على تحديد العوامل والمعمولات والتمييز بين الأصول والفروع والتمييز بين المفاهيم النحوية، كالتمييز بين الفاعل في اللفظ والفاعل في المعنى الذي يقوم على موضع اللفظ وترتيبه في التركيب يقول (ابن جني): "الفاعل ليس المراد به أن يكون فاعلا في المعنى دون ترتيب اللفظ، وأن يكون اسما ذكرته بعد فعل وأسندته ونسبته إلى الفاعل كـ (قام زيد وقعد عمرو)، ولو كان الفاعل الصناعي هو الفاعل المعنوي للزمك أن تقول: (مررت برجلٌ يقرأ) فترفعه لأنه قد كان يفعل شيئا وهو القراءة، وأن تقول: (رأيت رجلاً) يُحدِّثُ فترفعه بحديثه، وأن تقول في رفع زيد من قولك: (زيد قام) أنه مرفوع بفعله لأنه الفاعل في المعنى.² ومعنى ذلك أن موقع العنصر اللغوي في الذِّكْر يختلف عن موقعه في تسلسل الكلام. ومثال ذلك قولنا (عمرو ذاهب) وقولنا (ذاهب عمرو) ف(عمرو) تحتل موضع الابتداء في التركيب الأول وفي التركيب الثاني رغم اختلاف الترتيب، حيث تقدّم ذكره في المثال الأول وتأخر ذكره في المثال الثاني وفي الحالين يُعرب مبتدأ.

وُورود هذا المصطلح في الكتاب يأتي في سياقات مختلفة وبمفاهيم متعددة تختلف حسب كل مستوى من مستويات اللغة؛ إذ لا ينحصر الموضع في مستوى الكلم (الأوزان) بل يوجد في كل مستويات اللغة بما فيها التراكيب وما فوقها.³ وقد توصل

1 - عبد الرحمن الحاج صالح: (أقائم أخواك) وطريقة تفسيره عند سيبويه والرضي بالاعتماد على مفهومي الوضع والمثال، المرجع السابق، ص 219.

2 - أبو الفتح عثمان بن جني: المحتسب ج 1، ص 230، نقلا عن: عبد الرحمن الحاج صالح: الخطاب والتخاطب في نظرية الوضع والاستعمال العربية، المرجع السابق، ص 141.

3 - عبد الرحمن الحاج صالح: بحوث ودراسات في اللسانيات العربية، المرجع السابق، ج 2، ص 10 - 16.

الأستاذ (الحاج صالح) إلى أن مبدأ الموضع يُعدّ أعظم فارق يفترق فيه النحو العربي الأصيل عن اللسانيات الغربية الحديثة، وأنه كمصطلح وكمفهوم عند سيبيويه له مدلول أوسع وأعمق من كونه يدل على مجرد المواقع المحسوسة التي تحتلها الوحدات اللغوية، فقد يكون للوحدة اللغوية موضعا اعتباريا، فالموضع إذن في تصور النحاة العرب القدامى "هو الفضاء الاعتباري الذي لا يظهر في مدرج الكلام إلا إذا دخلت فيه، وشغلته وحدة لغوية مهما كان محتوى الكلام المنطوق، وبشغلها لهذا الفضاء تكشف هذه الوحدة الملفوظة عن وجود الموضع في بنية من الكلام. وقد لا تدخل فيه، ولا تظهر فيه أحيانا أخرى، ولهذا يضطرّ اللغوي إلى تقديرها لإظهار الموضع.¹ وعلى هذا الأساس توصلّ الحاج صالح إلى أنه لا يجب الخلط بين الموضع والموقع وهو المحل الذي يمكن أن يحتلّه أي عنصر في مدرج الكلام "الموضع شيء ومحتواه - أي ما يدخل فيه - شيء آخر. ونستنتج من هذا أمرا مهما جدا (قد فات الكثير من اللسانيين الغربيين وأتباعهم من العرب) وهو أن موقع الوحدة اللغوية في مدرج الكلام غير موضعها.² ويمكن أن نمثل لهؤلاء ب (حسين رفعت حسين) الذي اعتبر - على غرار كثير من الدارسين العرب والغرب - الموضع والموقع شيئا واحدا، فذهب إلى أن كلمة الموقعية تشير إلى قيمة الموقع. وفاته أن الموقع لا يكون منسوبا إلى الكلمة المفردة، وإنما يكون حين توجد الكلمة في سياق يربطها بكلمات أخرى في الجملة، فكلمة الموقع عبارة عن مكان الكلمة بالنسبة لما يصاحبها من الكلمات.³ فالموضع في النظرية الخليلية يقول (الحاج صالح) يشبه "إلى حد بعيد الموضع الطبولوجي في الرياضيات الحديثة، ولا يعرف هذا المفهوم الهام جدا الكثير من علماء اللسانيات.⁴ فهم لا يعرفون

Et: Abderrahmane Hadj Salah: Linguistique arabe et linguistique générale, vlume 2 , Référence précédent, p 651.

- 1 - عبد الرحمن الحاج صالح: البنى النحوية العربية، المرجع السابق، ص 68.
- 2 - عبد الرحمن الحاج صالح: (أقائم أخواك) وطريقة تفسيره عند سيبيويه والرضي بالاعتماد على مفهومي الوضع والمثال، المرجع السابق، ص 220.
- 3 - حسين رفعت حسين: الموقعية في النحو العربي؛ دراسة سياقية، عالم الكتب، الرياض، المملكة العربية السعودية، ط1، 2005، ص19
- 4 - عبد الرحمن الحاج صالح: منطق العرب في علوم اللسان، المرجع السابق، 291

الموضع موضعاً اعتبارياً أو تصوراً ذهنياً له صورة مجردة بل يعرفونه موقعا حسياً في مدرج الكلام.

وهذا المبدأ من الأهمية بمكان في النظرية الخليلية لأنه مبدأ إجرائي في تحليل اللغة، ولأنه يقود إلى عدة مفاهيم دقيقة وأصيلية في النحو العربي منها: العلامة العدمية، الأصل والفرع، القياس، المثال، الباب،...

1.3.3. العلامة العدمية: حيث يمكن للموضع أن يخلو من أي عنصر، وعندئذ يتأسس مفهوم آخر تقوم عليه النظرية الخليلية القديمة والحديثة؛ وهو ما يسمّى بالعلامة العدمية *marque zéro* التي "تحتفي في موضع لمقابلتها لعلامة ظاهرة في موضع آخر. وذلك كجميع العلامات التي تُميّز الفروع عن أصولها (المفرد والمذكر والمكبر لها علامات غير ظاهرة بالنسبة للجمع والمثنى والمؤنث والمصغر) وكذلك هو الأمر بالنسبة للعامل فإن العامل الذي ليس له لفظ ظاهر هو الابتداء.¹ وبوجود هذه المواضع الخالية فإن المحور التركيبي يُصبح مُجرّداً (أي لا يختلط بمدرج الكلام).² والعلامة العدمية عند النحاة العرب إنما هي موضع فارغ في الكلمة أو التركيب ولكن لا لفظ فيه ويكون ذلك في الأصول وتقابل العلامة اللفظية، وهي موضع أيضاً ولكن تحتله علامة لفظية وتكون في الفروع.³ والعلامة العدمية هي واحدة من علامات نبوغ الخليل وعبقريته الرياضية التي خدمت الدرس اللغوي العربي إلى أبعد حد ووسمته بالتجريد الذي يقتضيه الخطاب العلمي، لأن اللجوء إلى الصفر في جميع العلوم يجعلها ترتقي إلى أعلى الدرجات من التجريد العلمي، وهكذا هو الأمر في علم العربية وخاصة عند الخليل بن أحمد الفراهيدي؛ الذي بلغ به اجتهاده أن وضع وابتكر الكثير من المفاهيم الرياضية التي لم تظهر إلا في القرن التاسع عشر مثل مفهومي المجموعة ذات البنية، والباب وما يترتب عليهما من أوصاف (الخالية وذات العنصر الواحد) والجداء الديكارتي والعلامة غير الظاهرة (عدم العلامة)... أي إن الخليل يُعدّ أول من

1 - عبد الرحمن الحاج صالح: بحوث ودراسات في اللسانيات العربية، المرجع السابق، ج 1، ص 222

2 - Abdrrahmane Haj-Salah : M Linguistique et phonetique Arabes , Revue Al-isanyyat, n8, 2003, p 13

3- مخلوف بن لعلام: مبادئ في أصول النحو، دار الأمل للطباعة، تيزي وزو، ط1، 2012، ص 275

اعتمد هذا المفهوم في التحليل اللغوي لأن مثل هذا المفهوم الرياضي لا يُفكر في استعماله في مثل اللغة إلا من كان له تفكير رياضي وموهبة فذة في حقل الرياضيات وقدرة نادرة على التجريد كالخليل.¹

وعلى سبيل المثال لا الحصر فإنه يُمثّل للموضع والعلامة العدمية على مستوى الكلم بالتذكير والتأنيث والتعريف والتتكير والإفراد والتثنية والجمع... مثل:

موضع العلامة	الاسم	موضع العلامة	الاسم	الاسم	موضع العلامة
∅	حافظ	∅	حافظ	حافظ	∅
ان	حافظ	ة	حافظ	حافظ	ال
ون	حافظ				
ات	حافظ				

ويُمثّل لهما على مستوى أبنية الكلام بالعوامل والمعمولات، مثال:

موضع العامل	المعمول 1	المعمول 2
∅	البنث	مؤدبة
إن	البنث	مؤدبة
ليست	البنث	مؤدبة

حيث يُمثّل للعلامة العدمية في هذا المستوى بمفهوم الابتداء الذي يعني خلو الموضع من العامل اللفظي لأنه "بمنزلة الصفر في العدد وهو عدم وجود شيء في مرتبة معينة، ولهذا دور ودلالة في الحساب وفي الأبنية."² فالموضع قد يكون فارغا في المثال المجرد لا موقعه الحقيقي في مدرج الكلام، ولهذا فالموضع قد يكون

1- عبد الرحمن الحاج صالح: بحوث ودراسات في اللسانيات العربية، المرجع السابق، ج2، ص 73-76

2- نفسه، ج2، ص 73

فارغا، وذلك مثل الابتداء الذي هو الخلو من العامل الملفوظ في الاسم المبتدأ وليس معناه بداية الجملة.¹ والعامل مبدأ قارّ وأساس في النظرية الخليلية القديمة واهتم (الحاج صالح) بإعادة الاعتبار إليه ودافع عن قيمته في التحليل اللغوي - وسنتطرق له بالتفصيل في مراحل هذا البحث - وإنما الذي يعيننا في هذا المحل هو الحديث عن العوامل والمعمولات باعتبارها وحدات لغوية تحتل مواضع في مدرج الكلام.

وفي هذا المستوى يرد مصطلح الموضع بمعنى "التوزيع distribution أي: مجموع السياقات conextes التي تظهر فيها وحدة."² فهو يكافئ مفهوما لسانيا حديثا ومبدأ مهما من مبادئ أحد المدارس اللسانية الحديثة وهي المدرسة التوزيعية، وهذه المدرسة تبنت منهجا جديدا لتحليل اللغة يقوم على "معالجة جميع المواقع التي يمكن أن تحتلها الوحدات في نظام لغة بعينها؛ معالجة مبنية على الملاحظة والوصف أي على تحديد توزيع الوحدات اللغوية."³ فمحور اهتمامها إنما هو (توزيع) الوحدات اللغوية - أي مواضعها - الذي تمتحنه عن طريق استبدال وحدة لغوية بأخرى في تعيين القسم الذي تنتسب إليه من أقسام الكلم.⁴

يقول الحاج صالح: "يعتقد أصحابه -المذهب الاستغراقي الأمريكي- أن الوصف للغة هو وصف لمواقع الألفاظ في الكلام، وبالتالي فهو دراسة لكل ما تحتمله العناصر اللغوية من القرائن يمينا وشمالا، أو كل ما يمكن أن تقترن به على مدرج الكلام، وذلك مثل:

- أعطى الرجل الولد تفاحة.

1- عبد الرحمن الحاج صالح: بحوث ودراسات في اللسانيات العربية، المرجع السابق، ج 2 ، ص 50

2- مصطفى حركات: اللسانيات العامة وقضايا العربية، الدار الثقافية للنشر، القاهرة، مصر، ط1، 1998، ص78.

3- ميكا إفيش: اتجاهات البحث اللساني، تر: سعيد عبد العزيز مصلوح ووفاء كامل فايد، المجلس الأعلى للثقافة، ط2، 2000، ص 279.

4- نهاد الموسى: نظرية النحو العربي في ضوء مناهج النظر اللغوي الحديث، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، لبنان، ط1، 1980، ص32.

- أعطى زيد القط اللبن.
- أعلم الرجل الولد الخبر.

فالظاهر أن مفردة (الرجل) و(زيد) من جهة و(أعطى وأعلم) من جهة أخرى يندرج كل منهما في فئة واحدة من أجل تكافؤ الموقع، فهذا قريب جدا من التحليل العربي إذ يستتبط النحاة الأحكام من مجرد وقوع العناصر في مواضع معينة، أو امتناعها من الوقوع في غيرها وذلك دون أن يلجأوا إلى المعنى.¹

فهذا المذهب البنوي الأمريكي الجديد الذي تبلور مع بلومفيلد وهاريس ويمتاز بمبدأ التوزيع في الدراسة الشكلية اللغوية "يطلق اصطلاح توزيع الوحدة أو المقولة على مجموع المحيطات أي العناصر التي تتواجد على يمين هذه الوحدة وشمالها؛ التي يتحدد داخلها موقع هذه الوحدة (أو هذه المقولة).² باعتماد القرائن اللفظية القبلية أو البعدية المحيطة بالوحدة اللغوية. وهو المفهوم الذي "يقاربه مفهوم الموضع في مدرج الكلام عند سيبويه -وهو غير مفهوم الموضع في المثال- ذلك أنه يتحدد بقرائن لفظية قبلية أو بعدية وكل الوحدات التي يمكن إحلالها فيه ترتبط بحكم نحوي واحد."³ ويؤكد ذلك الحاج صالح بقوله: "إن موقع الوحدة اللغوية في مدرج الكلام غير موضعها، فالاهتمام بما ظهر في اللفظ وموقعه أي الموقع الذي تقع فيه في كلام محصل (actualised) في مكان محسوس من كلام ملفوظ بالفعل هو جوهر المذهب الذي اختص به المنتمون إلى المدرسة الاستغراقية أو القرائنية الأمريكية، فالـ Distribution عندهم هو استغراق القرائن التي يمكن أن تكتنف بها الوحدة أي جميع مواقعها الممكنة في الكلام أو كما يقول عنها الرمانى (قسمة الموقع)."⁴ أي إن الموضع يقابل التوزيع عند سيبويه عندما يكون المقصود منه الموضع في مدرج الكلام

1- عبد الرحمن الحاج صالح: بحوث ودراسات في اللسانيات العربية، المرجع السابق، ج1، ص 344.

2- ماري نوال غاري بريور: المصطلحات المباحث في اللسانيات، تر: عبد القادر فهيم الشباني، سيدي بلعباس، الجزائر، ط1، 2007، ص50.

3 - مخلوف بن لعلام: مبادئ في أصول النحو، المرجع السابق، ص280.

4 - عبد الرحمن الحاج صالح: بحوث ودراسات في اللسانيات العربية، المرجع السابق، ج 2، ص 11، 12،

لا غير. وهو ما يسميه الحاج صالح (الكلام المحصل) أي الموضع الذي تأخذه الوحدة اللغوية أثناء تحليل الكلام الملفوظ. ويشتهر التوزيعيون بنظرية: المكونات المباشرة Theory immediate constituent، ومفادها أن مهمة النحوي تقوم على تحليل الجملة إلى المركبات النحوية المباشرة، وبعدها تحليل هذه المركبات إلى مكونات نحوية أصغر إلى أن يصل التحليل بنا إلى وضع تغدو فيه عملية التحليل مستحيلة... حيث الجملة تتفرع إلى مجموعة من الألفاظ تدعى المكونات المباشرة، ذلك أن لكل مكون مباشر جزء يتفرع منه وهكذا إلى أن يتم الوصول إلى أصغر وحدة غير دالة بحيث لا يمكن تجزئتها مرة أخرى، حيث: (النص) = (جملة + جملة + جملة) ثم (الجملة) = (المورفيم + المورفيم + المورفيم) ثم (المورفيم) = (الفونيم + الفونيم + الفونيم)، أي إن كل تركيب مبني على مكونات أساسية هي مورفيمات. فجملة (جون المسكين يفر) مثلا

تتكون من أربع مورفيمات مرتبة على النحو الآتي: جون / ال / مسكين / يفر.¹

والتوزيع بهذا المعنى-تحليل الجمل إلى مكوناتها القريبة والنظر في مواضعها التي تحتلها في مدرج الكلام دون الاهتمام بوظائفها- حسب الحاج صالح يطابق تماما مفهوم الموضع عند النحاة العرب.

2.3.3. الأصل والفرع: مفهوم الموضع السابق يُستدلّ به على الأصل والفرع وهو أيضا يُعدُّ مفهوماً آخر من مفاهيم النظرية التي صاغها وصاغ مبادئها الأستاذ عبد الرحمن الحاج صالح -رحمه الله- وهو قبل ذلك من أهم المفاهيم الإجرائية في النحو الخليلي خصوصا ونحو أساتذته وتلامذته عموما، "وهو الأساس المتين الذي أسس عليه الفكر النحوي العربي الأصيل، حيث اعتبر الخليل ومن بعده سيبويه والنحاة بعده النظام اللغوي كله أصولا وفروعا، وهي فكرة قريبة من ثنائية الجمل الأصلية (Kernel sentence) أو (Phrases de base) التي تولدها القواعد التحويلية، غير أن ثنائية الأصل

1- شفيقة العلوي: محاضرات في المدارس اللسانية المعاصرة، أبحاث للترجمة والنشر، بيروت، لبنان، ط1، 2004، ص30. وعلي زوين: منهج البحث اللغوي بين التراث وعلم اللغة الحديث، دار الشؤون الثقافية العامة، وزارة الثقافة والإعلام، بغداد، 1986، ص 220.

والفرع أشمل وأدق؛ لأنها لا تقتصر على التركيب فحسب وإنما تستغرق البنية اللغوية في شموليتها وكليتها أفراداً وتركيباً،¹ فقد كان النحاة العرب يجرون ثنائية الأصل والفرع على المستوى الصوتي الفونولوجي بأن يجعلوا للحرف في الأصل صفات خاصة مميزة ثم يكسبونه في الفرع صفات حرف آخر، والمستوى الإفرادي بأن جعلوا التذكير أصلاً في الأسماء والتأنيث فرعاً، والمستوى الدلالي بحيث يدل اللفظ في الوضع على معنى هو الأصل ليدل في السياق على معنى آخر فرعي. وترتبط هذه الثنائية بالقياس وتدور في مداره فهو ما تبنى عليه الأصول والفروع. "لأنها تُبنى أساساً على افتراض النحاة المؤسسين تحقُّق مُمكنات القياس في الاستعمال أو في التقدير دون الاستعمال."² كما يرتبط هذا المبدأ بالموضع والعلامة العدمية فـ "الثنائيات النكرة والمعرفة، والمذكر والمؤنث، والمفرد وإزاء المثنى أو الجمع يتقابل فيها الطرفان تقابلاً سلبياً بأن يكون الأصل معدوم العلامة اللفظية في الموضع، ويقابله الطرف الثاني بعلامة لفظية في الموضع نفسه، أي تدخل العلامة اللفظية في الموضع الذي يقابلها في الأصل فيخرج الفرع منه بهذه الزيادة."³ فالأصل والفرع يرتبطان بالموضع والعلامة العدمية من حيث إن الأصل له العلامة العدمية، فهو مجرد من الزيادة اللفظية والفرع له العلامة اللفظية فهو الأصل مع زيادة، كما قال ابن جني: "الفروع هي المحتاجة إلى العلامات والأصول لا تحتاج إلى علامة... بدليل أنك تقول في المذكر قائم وإذا أردت التأنيث قلت قائمة فجئت بالعلامة عند المؤنث ولم تأت للمذكر بعلامة."⁴ وقد أوضح الحاج صالح جملة الفروق بين الأصل والفرع، نلخصها ونرتبها على النحو الآتي⁵:

1- يحي بعيطيش: الكفاية العلمية والتعليمية للنظرية الخليلية الحديثة، المرجع السابق، ص 79.

2- مخلوف بن لعلام: التقدير في كتاب سيبويه، المرجع السابق، ص 150

3 - مخلوف بن لعلام: مبادئ في أصول النحو، المرجع السابق ص 277 - 278

4 - جلال الدين السيوطي: الأشباه والنظائر في النحو، تح: عبد العال سالم مكرم، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، ط 1، 1985، ج2، ص282.

5 - Abdrrahmane Hadj- Salah : Linguistique Arabe et linguistique Generale , vlume 1 , P 204 - 211

الأصل	الفرع
- يبني عليه ولا يبني على غيره.	- يبني على غيره (الأصل) ولا يبني عليه.
- يستقل بنفسه في الكلام كالاسم.	- لا يستقل بنفسه كالفعل والحرف.
- له العلامة العدمية.	- له العلامة اللفظية.
- الأصل واحد.	- الفروع كثيرة ومتنوعة.
- أثقل وأقوى وأشد تمكنا.	- أخف وأضعف وأقل تمكنا.

ويظهر ذلك في قوله: الأصل هو "ما يبني عليه ولم يبن على غيره، وهو أيضا ما يستقل بنفسه - أي يمكن أن يوجد في الكلام وحده - ولا يحتاج إلى علامة لتمييز عن فروعه (فهو العلامة العدمية *marque zéro* على حد تعبير اللسانيات الحديثة) والفرع هو الأصل مع زيادة أي مع شيء من التحويل.¹ وقوله: "الفروع يستمر فيها الأصل وهو واحد على حين أن الفروع كثيرة ومتنوعة."² وقوله: "الأصل هو العنصر الذي يؤخذ منه عنصر آخر؛ بزيادة علامة تُحوّله إلى وحدة أخرى وتكون بذلك فرعا على الأول. فهذا التفريع يتم دائما بهذه العملية فكل من المؤنث والجمع والمعرفة، فلفظه مأخوذ من أصله الذي هو المذكر والمفرد والنكرة فالأسبعية ههنا هي في جميع هذه الأحوال بسبب تفريع شيء من أصل ليس غير. والأصل ههنا هو أشد تمكنا أي أقوى كما يقول النحاة لأن الأصول بهذا المعنى تقوى دائما على تحمل الزوائد أكثر من فروعها لأنها عارية منها وهي المنطلق للزيادة التفريعية."³ وقد توصلت الباحثة (عواطف قاسمي الحسني) من خلال دراستها للتفكير الرياضي في علوم العربية إلى أن المفهوم اللساني الأصالة والفرعية هو مفهوم رياضي يقترن بمفهوم الثابت والمتغير؛ تقول: "ثنائية الأصل والفرع في الفكر اللساني تقابل ثنائية الثابت

1 - عبد الرحمن الحاج صالح: النظرية الخليلية الحديثة، كراسات المركز، المرجع السابق، ص 29

2 - عبد الرحمن الحاج صالح: منطق العرب في علوم اللسان، المرجع السابق، ص 248

3 - نفسه، ص 140

والمتمغير في الفكر الرياضي، فالأصول كوحدات لغوية جارية في الواقع اللغوي هي وحدات تعرف بثباتها في مقابل الفروع المبنية عليها أساسا وفق قانون التغيير، هذا التغيير الذي قد يكون لفظيا أو دلاليا أو لفظيا ودلاليا معا.¹

وترى النظرية الخليلية على لسان الحاج صالح في إقامة النحاة العرب الاختلاف بين الأصل والفرع على أساس العلامة العدمية Zero Mark والعلامة اللفظية، وعلى أساس أسبقية الأصل على الفرع وتقدمه عليه واستقلاليتيه؛ دليلا على ميلهم إلى التجريد بالنسبة إلى التفريع، ودليلا على قرب تحليلاتهم من الرياضيات لبنائها على مفهوم الانتظام والترتيب الصوري (الرتبة) (أي علاقة تقدم شيء على شيء) وهما هنا (الأصل والفرع)، فهذه الأسبقية يلزم منها أن يكون المتأخر تابعا للمتقدم عليه بمعنى أنه لا يوجد إلا بوجوده ولا يتحقق إلا بتحقيقه.²

فنظرية الأصل والفرع هي دليل على التفكير الرياضي التجريدي الذي تميز به نحاة العربية في تفسير كثير من الظواهر اللغوية، ذلك أن توزيع عناصر اللغة إلى أصول وفروع هو توزيع بنيتها الأساسية إلى ما هو نواة تمثل أصل الوضع والأصل الذي يشتق منه، وما هو مُتولد عنها من الفروع والمشتقات يقوم على الانتقال من العناصر الأولية (الأصول) إلى الوحدات المتولدة عنها (الفروع) بإجراء عمليات تحويلية هي عمليات عقلية رياضية؛ تقوم على إدخال عناصر أولية على البنية النواة لصياغة بنيات فرعية جديدة تتسم بالتجريد. وهذه العمليات هي نوع من الحساب على الوحدات اللغوية وقد برع فيها النحاة العرب منذ أقدم العصور.³

3.3.3. القياس:

يرتبط القياس بمبدأ الأصل والفرع، حيث يعمل النحاة على توليد الفروع من الأصول في مدار القياس والحمل على النظير وبمفهوم الباب، وهو في النحو العربي

1 - عواطف قاسمي الحسني: المرجع السابق، ص 574

2 - عبد الرحمن الحاج صالح: منطق العرب في علوم اللسان، المرجع السابق، ص 151

3- نفسه، ص 154

الأصيل أداة إجرائية من أدوات التحليل، وأصل من الأصول التي استند عليها النحاة في وضع القواعد النحوية واطرادها، وقد كثر اعتمادهم عليه، دون أن يوجد منهم من أنكره مطلقاً، بل كان يغلب على بعضهم النزوع إليه والإكثار منه كعبد الله بن أبي إسحاق، والخليل بن أحمد، وسيبويه، وأبي علي الفارسي، وابن جني، وغيرهم. وسرى في عرفهم أنّ: "إنكار القياس في النحو لا يتحقق، لأن النحو كله قياس، ولهذا قيل في حده: النحو علم بالمقاييس المستتبطة من استقراء كلام العرب، فمن أنكر القياس فقد أنكر النحو."¹ أي إنهم يعتبرون النحو هو القياس.

ويُعرّف عند النحاة القدامى بأنه "حمل غير المنقول على المنقول إذا كان في معناه، كرفع الفاعل ونصب المفعول في كل مكان، وإن لم يكن كل ذلك منقولاً عنهم."² أو "حمل أصل على فرع بعلّة وإجراء حكم الأصل على الفرع."³ ومعنى هذا أن القياس يرتبط بالسماع عند العرب ولا ينفصل عنه، ذلك أن القياس إنما يقوم على ركنين هما المقيس والمقيس عليه؛ فالأول فرع (غير المنقول) والثاني أصل (المنقول) وهو المسموع أو المستعمل على لسان العرب، والنحاة إنما يحملون "الكلام العربي الفصيح الخارج عن حد القلة إلى حد الكثرة."⁴ وهذا ما يُبرّر ما يذهب إليه النحاة أمثال الخليل وسيبويه وابن جني من نسبة القياس إلى العرب أنفسهم، ذلك أن القياس النحوي ذو طبيعة مستمدة من النظم اللغوية المسموعة والمختزنة في أذهان المتكلمين، بحيث تعتبر تلك النظم المسموعة نماذج يقيس عليها النحوي أشياء جديدة. والقياس على هذا الأساس هو ما يُميّز عمل اللغوي عن عمل النحوي؛ بحيث يقتصر عمل اللغوي على نقل وتدوين ما نطقت به العرب، بينما يقوم عمل النحوي على التصرف فيما ينقله اللغوي ويقيس عليه.⁵

1- أبو البركات الأنباري: الإغراب في جدل الإعراب ولمع الأدلة في أصول النحو، المصدر السابق، ص 95.

2- نفسه، ص 45.

3- نفسه، ص 93

4- نفسه، ص 81

5- محمد خير الحلواني: أصول النحو العربي، مطبعة الشرق، لبيروت، حلب، سوريا، 1979، ص 97.

وقد جعل الحاج صالح القياس مبدءاً من مبادئ نظريته، مدافعاً بذلك عنه أمام بعض الدارسين العرب المحدثين؛ الذين تبَنُّوا المناهج اللسانية الغربية الحديثة القائمة على المذهب الوصفي الذي قوامه وصف الظواهر اللغوية، دون التطرق إلى تحليلها وتفسيرها، فثاروا على القياس النحوي العربي القديم، وخاصة ضد مدرسة البصرة، ولحوا عليها اهتمامها بالقياس زاعمين أنه منطوق لا علاقة له باللغة، ورجحوا آراء الكوفيين المعتمدة -في ظنهم- على السماع. وقد فات هؤلاء أن العرب لم تعتمد الوصف وحده في الدراسة العلمية للغة، بل كان الوصف عندها مرحلة من مراحل الدراسة يعقبها التعليل والاستنتاج والافتراض.¹

ويعرفه الحاج صالح بأنه: "مجمل القواعد أي الحدود والأصول التي استنبطت من المدونة العربية القديمة والضابط لها." ² وأنه "ما يثبتته العقل من انسجام وتناسب بين بعض العناصر اللغوية، والعلاقات التي تربطها، ومن جهة أخرى ما يثبتته من تناسب بين العمليات المُحدثة لتلك العناصر على شكل تفريعي أو توليدي من الأصول إلى الفروع." ³ كما يُعرفه بأنه "حمل شيء على شيء لوجود بنية جامعة بينهما، أو استنباط هذه البنية وإثباتها بهذا الحمل، وهذا في الرياضيات هو ما يسمّى بمقابلة النظير بالنظير... ثمّ هذا القياس النحويّ هو أيضاً مثال مولّد للعبارات السليمة، ولذلك يتمّ به تفريع الفروع ابتداءً من الأصل..."⁴ فهو عنده كما في التراث اللغوي العربي حمل المنقول على غير المنقول إذا كان في معناه، أو حمل الأصل (المقيس عليه) على الفرع (المقيس) بعلّة جامعة بينهما، وإجراء حكم الأصل على الفرع. وهو بهذا مفهوم وعملية منطقية رياضية إجرائية دقيقة اتسم بها نحو الخليل على نحو يُثير الدهشة والعجب وذلك لكون القياس مظهراً من مظاهر اعتماد النحاة على

1 - محمد الحباس: النحو العربي والعلوم الإسلامية، المرجع السابق، ص 373

2 - Abdrrahmane Hadj- Salah : Linguistique Arabe et linguistique Generale , Référence précédent, vlume 2,P462

3- عبد الرحمن الحاج صالح: مدخل إلى علم اللسان الحديث؛ أثر اللسانيات في النهوض بمستوى مدرسي للغة العربية، المرجع السابق، ص 38

4 - عبد الرحمن الحاج صالح: بحوث ودراسات في اللسانيات العربية، المرجع السابق، ج 2، ص 77.

الاستدلال والمنطق الرياضي والتصورات العقلية المجردة المعقدة في تحليل اللغة.¹ ولارتباط القياس بمفهوم الباب -الذي سنأتي على شرحه وبيانه- ومفهوم النظائر (مقابلة النظر بالنظر) وهي "كما يفهمها النحاة قد تكون بعيدة بعضها عن بعض من عدة أوجه ومع ذلك يكتشف فيها النحوي ميزة واحدة تجمعها وهي ميزة إجرائية دائماً، فنستنتج من كل هذا أن هذا النوع من التكافؤ يتجاوز مجرد التصنيف الكيفي وخاصة المبني منه على الأجناس والفصول، وهذا هو المنهج العلمي في أحدث صورته ويمكن أن نخلص بأنه البحث الدائم عن النظائر فيما يختلف من الأمور أشد الاختلاف، ومحاولة اكتشاف عن الجامع الذي يجمعهما في أعلى مستوى من التجريد وهو غير التجريد التصنيفي."² وهي -النظائر- "هي مجموعة الأفراد التي تنتمي إلى باب وكونها نظائر بعضها لبعض معناه أن كل واحد منها هو المقابل والمساوي في الصيغة (مهما اختلف عنه) لجميع عناصر الباب، والنظر غير الشبيه بل المتفق في البناء وهذا التوافق في البناء هو الذي يسميه النحاة قياساً.³ فالحاج صالح -رحمه الله- يلفت الانتباه إلى أن النظر في النحو الخيلي مفهوم إجرائي رياضي دقيق يقصد به العنصر المساوي أو المكافئ لعنصر آخر أو مجموع من العناصر التي قد لا يشبهها إطلاقاً، لذا لا ينبغي أن يفهم منه على أنه هو مجرد شبيه وإن كان يكثر ورود (الكاف ومثل) للدلالة على النظر، يقول: "مفهوم المكافئ الذي يوجد في مدلول النظر لا ينبغي أن يفسر بالشبيه والمطابق، لأنه قد لا يوجد مجرد شبه كما قلنا بين النظائر أولاً ولأن الشيين المتطابقين يتفقان في كل شيء ولا ينبغي أن يختلفا ثانياً."⁴

والقياس هو "تلك العملية المنطقية الرياضية، التي سمينها تفرعاً من الأصل على مثال سابق أي في بناء كلمة أو كلام باستعمال مواد أولية هي كالمعطيات واحتذاء صيغة الباب الذي ينتمي إليه العنصر المحدث وهذا التفرع لا

1 - عبد الرحمن الحاج صالح: منطق العرب في علوم اللسان، المرجع السابق، ص 110

2 - نفسه، ص 138 - 139

3 - عبد الرحمن الحاج صالح: بحوث ودراسات في اللسانيات العربية، المرجع السابق، ج 1، ص 322 ، 323

4 - عبد الرحمن الحاج صالح: منطق العرب في علوم اللسان، المرجع السابق، ص 138

يجوز إلا إذا اطرده الباب وإذا لم يطرد فيقاس على الأكثر أي على الصيغة الغالبة في الباب وفي الاستعمال (لا في الاستعمال وحده).¹

ومعنى ذلك أن القياس كعملية رياضية عند النحاة العرب هو تكافؤ Equivalence العناصر وتوافقها في البنية، وهذا التكافؤ هو ما يصطلح الرياضيون الغريون على تسميته بـ (الايزومورفيزم) Isomorphism. ومن المنطلق الرياضي فهو نتيجة لعملية تطبيق مجموعة على مجموعة بشكل رياضي شرط أن يكون التطبيق من نوع التقابل النظيري Bejection لا غير، ومن هذه الحيثية يرتبط مفهوم القياس بالباب إذ يمكن أن يُسمّى الباب قياساً، لأن الباب أيضاً هو مجموعة رياضية ذات بنية عامة اعتبارية مجردة يتكوّن من مجموعة من العناصر المتكافئة، وقد مثّل لهذا التكافؤ عند النحاة العرب بالتكافؤ بين بناء التفسير للرباعي، وبين بناء التصغير له، وخلص إلى أن القياس النحوي العربي يتميّز بالتّجريد عكس القياس الأرسطي الذي هو قياس شمولي.² وعلى هذا يُعد النحاة العرب هم أول من تفتن إلى الجوهر الرياضي للغة وأول من سلك مسلكاً رياضياً في تحليل تراكيبها واعتمد آليات ومناهج وتجريدات رياضية لذلك.³ فقد سبقوا الغربيين بقرون في نزعتهم التجريدية ومنطقهم الرياضي في التحليل اللغوي، وما معنى التكافؤ في البنية (الايزومورفيزم) الذي يقوم عليه القياس النحوي إلا دليل على هذا السبق والعمق.

4.3.3.المثال: انطلاقاً من اعتماد الخليليين على مفهوم الموضع والمفاهيم المرتبطة به. واعتمادهم على الانفصال والابتداء في تحديد اللفظة واعتمادهم على عمليات التفرع والتحويل بالزيادة، وغيرها من المفاهيم التي كانوا يقيمونها كلها على عصب مبادئ رياضية دقيقة منها نظام التكافؤ والتقابل وعمليات الحمل والقياس. طُبعت تحليلاتهم اللسانية بطابع التجريد الرياضي، وهذا ما قادهم إلى مفهوم لساني ورياضي دقيق هو مفهوم المثال إذ "يؤدي هذا الحمل إلى تجريد رياضي لا يكتفي فيه بتجريد

1 - عبد الرحمن الحاج صالح: بحوث ودراسات في اللسانيات العربية، المرجع السابق، ج 1، ص 323

2 - نفسه، ج1، ص 322، 323

3 - عبد الرحمن الحاج صالح: منطق العرب في علوم اللسان، المرجع السابق، ص 31

الصفات المشتركة الذي ينتج منه الجنس (الفئة البسيطة) بل إلى بنية مجردة وهي مثال الكلمة وتمثل فيها المتغيرات برموز ف/ع/ل) والثابت بالبقاء على أصلها.¹ ما يعني أن مفهوم المثال هو مفهوم رياضي يقابل مفهوم التعميم عند الرياضيين يدل على ذلك قول الحاج صالح: "ففاء الكلمة مثلا هي أي صامت عربي يأتي في المرتبة الأولى في الكلمة وهكذا، فهذا تعميم منطقي رياضي وليس تجريدا كفيما، وسنرى أن منطق النحو عند النحاة الأولين قد بني على هذا الاعتبار الرياضي كله."² فهذا الترميز الذي يطالعنا في كتب النحاة الأوائل بكثرة والذي يُمثل أحد معالم النظرية اللغوية العربية في نسختها الأصلية وما يسمونه التمثيل هو نوع من التجريد الدقيق الذي توصلت إليه اللسانيات العربية من خلال العقلية الرياضية الجبارة للخليل بن أحمد الفراهيدي، وهو "وسيلة يلجأ إليها النحوي ليمثل البنية التي اختصت بها مجموعة من العناصر أو مجرى من مجاريها بصفة عامة، وهي دائما رسم مختزل للواقع اللغوي... كما يفعل الباحث في العلوم الطبيعية بلجوهه إلى وضع نمط أي نموذج Model يمثل به بنية الشيء وكيفية تصرفه... فهو تدخل من الباحث وصنعة منه كما يقول علماؤنا القدامى."³

والمثال هو: مجموعة من المواضع الاعتبارية التقديرية المجردة مرتبة ترتيبا معيناً يدخل في بعضها العناصر الأصلية وفي بعضها الآخر العناصر الزائدة،⁴ فمثال الكلمة مثلا حدده الرضي بأنه "عدد حروفها المرتبة وحركاتها المعينة وسكونها مع اعتبار الحروف الزائدة والأصلية كل في موضعه."⁵ (" ففيه مواضع الفاء والعين

1 - عبد الرحمن الحاج صالح: بحوث ودراسات في اللسانيات العربية، المرجع السابق، ج 2، ص 39

2 - نفسه، ج 2، ص 71

3 - عبد الرحمن الحاج صالح: منطق العرب في علوم اللسان، المرجع السابق، 295

4 - عبد الرحمن الحاج صالح: بحوث ودراسات في اللسانيات العربية، المرجع السابق، ج 2، ص 13

5 - رضي الدين الاستربادي: شرح شافية ابن الحاجب، تح: محمد نور الحسن، محمد زفزاف، محمد محي

الدين عبد الحميد، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 1982، ج 1، ص 2.

واللام (في الثلاثي) وهي متغيرات ومواضع الزوائد وهي الثوابت بالنسبة للوزن.¹ فهو بذلك صورة مجردة للبناء وليس هو البناء ذاته،² وقد اهتم النحاة الأوائل بتطبيقه على مستوى المفردات والتراكيب لأنه مرتبط بفكرة الموضع التي يشمل تطبيقها الكلم والجمل فقد كان الخليل وسيبويه "يتصوران أن المثل ليست فقط للكلم المتصرف بل هناك مثلاً في مستوى الجمل، فكما أن لكل كلمة متصرفة مثلاً فكذلك لكل جملة مثالها، وإذا كانت مواضع الأصول في مثال الكلمة هي الفاء والعين واللام فإن مواضع مثال الجملة هي العامل وله موضع في المثال ومعمول أو أكثر له موضع أيضاً في هذا المثال."³ وهو ما غفل عنه النحاة المتأخرون ولم يلتفتوا إليه بحيث لم يدرك الكثير منهم "أن للجملة بناء ومثالا كما أن للكلمة بناء ومثالا وإن كان يختلف عنه مثال الجملة بكثير..."⁴ ويقصد بقوله (موضعا اعتباريا مجردا) أنه موضع العنصر اللغوي في المثال ولكن ليس في كلام محصل وإنما في مثال مجرد من كلام ملفوظ حمل بعضه على بعض بالقياس التناظري بين وحداته أو ما يسمى التطبيق عند الرياضيين. ويكون المثال في مستوى الكلم المفردة مواضع تحتلها حروف مرتبة؛ وعليها حركات معينة وهو ما يعرف بالوزن أو الصيغة إذ كل حرف من الميزان الصرفي يمثل موضعا مجردا، وهو في مستوى التركيب مواضع يحتلها عامل ومعمول أول وثان ومخصص، والمواقع في المثال كما تصورها العرب الأوائل إنما هي مواقع تقديرية تجريدية قائمة في التصور الذهني قد يقع فيها اللفظ حقيقة وقد لا يقع كما قد يحصل فيها تقديم وتأخير. وهذا المفهوم التجريدي الذي بنى عليه سيبويه وأستاذه وتلامذته نظريته اللغوية لم يتوصل إليه اللسانيون الغربيون ولم تعرفه نظرياتهم اللسانية، بل انفرد به الدرس اللساني التراثي العربي وقليل ممن كان له اطلاع على التراث النحوي العربي

1 - عبد الرحمن الحاج صالح: (أقائم أخواك) وطريقة تفسيره عند سيبويه والرضي بالاعتماد على مفهومي

الموضع والمثال، المرجع السابق، ص 223

2- عبد الرحمن الحاج صالح: منطق العرب في علوم اللسان، المرجع السابق، ص 279

3 - مخلوف بن لعلام: مبادئ في أصول النحو، المرجع السابق، ص 270

4 - عبد الرحمن الحاج صالح: بحوث ودراسات في اللسانيات العربية، المرجع السابق، ج 2، ص 73

وتمكن من اكتشاف عبقريته¹ وهو مفهوم عظيم ومن أبرز مظاهر عبقرية النحاة العرب الأوائل، وأداة منهجية إجرائية في تحليل اللغة. ولقد عقد الحاج صالح في كتابه (المنطق) فصلا كاملا بعنوان (التجريد التمثيلي عند النحاة) تناول فيه معنى المثل والتمثيل والاعتبار التجريدي الإجرائي وبناء الأنماط عند سيبويه والنحاة وقد كان على قدر من الأهمية والعمق في التحليل جعلنا نطيل في الاقتباس قصد تلافي بتر الفائدة، يرى فيه أن المثل -مثل المفردات (ف- ع- ل) والتراكيب (ع+ م+ 1م- 2م)- هي أنماط بالمعنى المقصود من هذا المصطلح في زماننا، أي صيغ وقوالب مجردة، تمثل وحدات اللغة أفرادا وتركيبا التي تشترك في البنية، وتهمل كل ما ليس مشتركا وشاملا لها من حيث البنية، وهذا المبدأ القائم على التجريد يمكن الباحث الذي يدرس الظاهرة اللغوية من تجاوز الوصف الساذج لوحدة اللغة، لأن التمثيل على هذا النحو مرتبط بالقياس، ذلك أن القياس يقتضي وجود بنية واحدة مجردة وجامعة للكثير من الوحدات والعناصر اللغوية من الفئة الواحدة أو عدة فئات. ومثالها يكتشف ويثبت وجوده بعمل مخصوص هو تمثيل لهذه البنية الشاملة، ولكي تستطيع أن تشملها كلها ينبغي أن تكون في مستوى عال من التجريد. وقد كان التمثيل عند النحاة عامًا يشمل كل البنى: الواضحة وغير الواضحة، بحيث رسموا لكل عبارة في العربية مثلا أدرجوا فيه مجموعة العبارات التي تشترك في نفس البنية والصورة وحصروا العدد الكبير من المفردات في نمط واحد يُمثل البنية التي تشترك فيها الوحدات، فأبدعوا في نحوهم طريقة علمية دقيقة ليس لها مثل في أي نظرية لغوية قديما وحديثا؛ تتمثل في طريقة الوصول إلى هذا النمط (المثال) الذي لم يكن مبنيا على التجريد البسيط وحده، مما جعل قواعدهم منتظمة مطردة لا يشوبها الاختلاف. وهذه الطريقة (التمثيل) التي سبق إليها النحاة العرب هي طريقة علمية بامتياز وتتاسب كل العلوم، وقد أصبحت في زماننا الحاضر أساسا من أسس البحث العلمي تستند إليها العلوم على اختلاف أنواعها طبيعية وفيزيائية وكيميائية وبيولوجية...، وتسمى بالانجليزية Simulation والمقصود من ذلك هو رسم البنية على شكل مثال (نمط) (model) مجرد يمثل الواقع في أهم صورته

1 - محمد بن حجر: المرجع السابق، ص 324 - 234

وهو بنيته، وقد يأخذ النمط شكل تركيب من الرموز أو رسم بياني أو تصميم مصغر كل ذلك بشكل تجريدي، مما يمكن الباحث من تفسير مجرى كل بنية ومسلكها وكيفية سيرها وتصرفها.¹

ولأن المثال موقع تقديري فإن التمثيل هو نوع من التقدير في النحو كما يرى الأستاذ (عبد الرحمن الحاج صالح) لأن التمثيل عند النحوي هو "محاولة لإعادة بناء الواقع على شكل آخر، واستبدال مظهره الحقيقي وخاصة في حالة الغموض والتعقيد الشديد بصورة أبسط وأقرب إلى الفهم، وجعلها في نفس الوقت تنطبق على كل نظائره، لأنها بنيتها المشتركة المجردة. كل هذا بدون تحكم وبدون تشويه لهذا الواقع."²

5.3.3. الباب: وعن المفهوم السابق (المثال) ينبثق مفهوم رياضي له اعتباره في النظرية اللغوية العربية القديمة، وهو مما اهتمت به النظرية الخليلية الحديثة وأشارت إلى أهميته وهو مفهوم الباب إذ بتلك المثل "استطاع النحاة أن يضبطوا ما استقرأوه من أسماء اللغة وأفعالها وأن يصنعوها في أبواب يُمثل كل باب قياساً مُعيّناً أي مجموعة من النظائر بالمفهوم الرياضي للكلمة."³ ف "النحاة يطلقون اسم الباب على كل وزن من أوزان الكلم المُتكوّنة من الفاء والعين واللام فيقول باب (فَعَل وباب فَعِل)."⁴ فهم من خلال محاولتهم لضبط النظام اللغوي وصياغته على نحو تجريدي لا يسعون إلى الكشف "لا عن هوية الجزء وجنسه فقط بل عن مكانته من المجموعة من أجزاء العبارة التي ينحصر فيها، فبذلك تتحدد هويته؛ لا بإدراجه في فئة بسيطة بل ببناؤه أو بتركيبه في مجموعة مرتبة لكل جزء منها موضع خاص يؤدي فيه عملاً وضعياً خاصاً، وهذه المجموعة بهذا المعنى الرياضي هو الذي يسمونه باباً وحداً وقياساً، ورسمه وتمثيله يسمى عندهم مثلاً ولكل مستوى من مستويات اللغة حدود خاصة به."⁵

1 - عبد الرحمن الحاج صالح : منطق العرب في علوم اللسان، المرجع السابق ص 281 ، 282

2 - نفسه، ص 281 ، 282

3 - محمد بن حجر : المرجع السابق ، ص 325

4- عبد الرحمن الحاج صالح : منطق العرب في علوم اللسان، المرجع السابق ص 135

5- عبد الرحمن الحاج صالح : بحوث ودراسات في اللسانيات العربية ، المرجع السابق ، ج 2 ، ص 37 - 38

فالباب بهذا الاعتبار مجموعة رياضية ذات بنية عامة اعتبارية مجردة يتكون من مجموعة من النظائر وهي العناصر المتكافئة -ليس بالضرورة متطابقة-، لأنه يضم كلّ الكلم التي هي على بناء واحد أي على مثال واحد ونمط واحد يُمثّل بتلك الحروف الرمزية مُركّبة مع غيرها من الأصوات، واستعمال النحاة لكلمة نظير ونظائر مع كلمة باب في أكثر النصوص يؤكد الأسس الرياضية لنظرية النحو العربي عموماً ومفهوم الباب الذي يُعدّ مفهوماً رياضياً محضاً لم يعرفه الفلاسفة القدامى من غير العرب، خصوصاً لقربه من مفهوم المجموعة الرياضي فهو مماثل له.... والباب لا يرتبط بالواقع والاستعمال الفعلي للكلام وليس بالضرورة أن يكون نتيجة لاستقرائه وإنما قد يوجد في الاستعمال حقيقة وتكون نماذج كثيرة أو قليلة كباب (فعل) مثلاً فهو مجموعة وحيدة العنصر إذ لا يوجد في الواقع ما هو على هذا البناء إلا إبل في المشهور. وقد لا يوجد تماماً فيكون وليد تصور الباحث ونزعتة التجريدية فقط كباب (فعل) فهو مجموعة خالية إذ لا يوجد أي عنصر على هذا الوزن في الاستعمال وهذا النوع موجود في نحو الخليل ومن تابعه من الأوائل وهو دليل على صفة التجريد في النحو العربي الأصيل وهي صفة من صفات العلمية. وقد سرّت هذه الميزة في النحو العربي لأن النحاة لم يكتفوا بالاعتماد على الاستقراء وحده في التنظير للغة وإنما أجروا العديد من العمليات العقلية الرياضية على المعطيات اللغوية، وأعملوا منهج الاستنباط على الظاهرة اللغوية على نحو عميق. وهذا الذي لا يوجد في الاستعمال هو ما سمّاه الخليل فيما يخص الجذور بالمهمل وهو خلاف المستعمل.¹ فالمهمل الذي توصل إليه الخليل من خلال التقليليات يُحدّد من المنظور الرياضي على أنه مجموعة خالية، وهو يأخذ أيضاً مصطلح الباب، وأساسه في النحو الخليلي هو (قسمة التراكيب) التي تقتضي أخذ كل الاحتمالات دون استثناء لأي تركيب، ويشرح الحاج صالح ذلك بأن الباب لا يتقوم بمجرد الصفات الذاتية فقط مثل الجنس، فباب فعل مثلاً الذي لا يوجد في الاستعمال توجبه الاحتمالات المترتبة عن التقليليات للثلاثي المجرد وهي 12، ليكون بذلك أساس الباب سواء المهمل أو المستعمل هو (قسمة التراكيب)، وكلاهما من

1 - عبد الرحمن الحاج صالح: منطق العرب، المرجع السابق، ص 136 - 137

المفاهيم الرياضية الدقيقة التي انفرد بها النحو العربي وتميز بها نحاة العربية دوناً عن سائر النحاة والفلاسفة القدامى.¹

ومفهوم الباب من هذا المنطلق من المفاهيم التي تدل على دقة النظرية الخليلية القديمة وعبقورية واضعيتها التي ليس لها نظير في نحو أي أمة، ولم يلتفت إليها الكثير من الدارسين، فهو يدل على أن الخليل وسيبويه ومن تابعهما كان يقيمان درسهما اللساني على أسس علمية دقيقة ومنطق رياضي مضبوط، وهذا اهتدى إليه (الحاج صالح) من خلال العناية بكتاب سيبويه وإطالة النظر فيه، ولذلك جعله من المبادئ الهامة في نظريته واتخذته وسيلة للدفاع عن أصالة النحو العربي يقول: "وقد نظرنا في كتاب سيبويه وأطلنا النظر، فبعد مدة تبين لنا أن المفاهيم التي يتضمنها هذا الكتاب تكون في الحقيقة نظرية دقيقة لم نعثر عليها في أي نظرية لغوية أخرى سواء قديمة أم حديثة... ونتج من مقارنتنا بين مفاهيم الكتاب والمنطق الرياضي الحديث أن اتضحت لنا العلاقات الوثيقة بين المفاهيم العربية ومفاهيم المنطق الرياضي، مثل الحمل ومفهوم القياس ومفهوم النظير ومفهوم الباب، وهذا الأخير لم يُفكر أي باحث في أنه يطابق تماماً المجموعة الرياضية.² والمجموعة في الفكر الرياضي الحديث تُعدّ أساساً من أهم الأسس الرياضية التجريدية ويقصد بها: "جملة من العناصر تربطها رابطة ما هي عبارة عن خاصية ما مشتركة بين العناصر."³ أو هي: "اجتماع في كل عدد من الأشياء التي نحسها بحواسنا أو نتصورها بأذهاننا وهي كائنات معينة تمام التعيين ومختلف بعضها عن بعض."⁴ فالكل هو المجموعة، والأشياء التي تكون ضمنها هي العناصر المكونة، يشترط لها أن تكون معينة تمام التعيين بما تحمله من صفات مميزة مشتركة تسمح لها بالانتماء إلى ذات المجموعة، وصفات أخرى مميزة لكل عنصر ينفرد بها وتتحدد بها هويته ويستقل بها عن غيره من العناصر التي

1 - عبد الرحمن الحاج صالح: منطق العرب، المرجع السابق، ص 135

2 - عبد الرحمن الحاج صالح: بحوث ودراسات في علوم اللسان، المرجع السابق، ج 2، ص 81، 82.

3- عواطف قاسمي الحسني: المرجع السابق، ص 769

4- جورج كانتور: نقلاً عن: هيئة الموسوعة العربية: الموسوعة العربية، دار الفكر، دمشق، ط1، 1998، مجلد

يشارك معها في المجموعة. إلا أنه لا يشترط لها أن تكون محسوسة بل قد تكون صورية مجردة، وهذا يطابق ما ذهب إليه الخليل من أن عناصر الباب باعتباره مجموعة بالمفهوم الرياضي قد تكون مستعملة (محسوسة) أو مهملة (صورية). والباب باعتباره مكافئاً ومقابلاً لمفهوم المجموعة في الفكر الرياضي هو بالتحديد "مجموعة رياضية ذات بنية عامة."¹ لأنه "يقوم على نظام إذ كل باب تحكمه مجموعة من القواعد والأصول."²

ومفهوم المجموعة كما تفتن إليه الخليل منذ ذلك الزمن يُعتبر من المفاهيم الهامة في مجال الرياضيات الحديثة، وعليه تقوم واحدة من أحدث وأهم النظريات الرياضية وهي نظرية المجموعات، وتعود بداية ظهورها إلى (جورج كانتور) الذي يعد هو مخترع هذه النظرية كما نفهمها اليوم،³ وقد بات لهذه الأخيرة حضورها في معظم الحقول المعرفية الحديثة بما في ذلك حقل اللسانيات، ولكن انطلاقاً من مفهوم الباب في النحو الخيلي يتضح جلياً أن اللسانيات العربية قد أفادت بظلمها في هذا المجال على غيرها، لأن تطبيق نظرية المجموعات في مجال اللسانيات وعلى الظواهر اللغوية قد سبقت إليه اللسانيات العربية من قرون بفضل عقلية الخليل الرياضية الفريدة.

4.3. مفهوم العامل:

1.4.3. موقف الحاج صالح من نظرية العمل العربية: ينطلق الحاج صالح في

نظريته من التراث اللغوي العربي ويسعى إلى إعادة الاعتبار له وإثبات عبقرية أصحابه، وهو النهج الذي اختاره واستمر عليه في كل أبحاثه، فلم يُخفِ إعجابه واعتزازه بما خلفه فطاحلة درس اللغوي العربي وجهابذته من أصحاب الرعيل الأول لا سيما الخليل وسيبويه ومن تابعهما، ولم يكن إعجابه من قبيل الذاتية والتقليد بل كان اعتزازاً يدعمه الدليل العلمي الموضوعي؛ فلم يتوانى -رحمه الله- عن تقديم ما يثبت

1- عبد الرحمن الحاج صالح: منطق العرب في علوم اللسان، المرجع السابق، ص 136

2- عواطف قاسمي الحسني: المرجع السابق، ص 807

3- مصطفى حركات: اللسانيات الرياضية والعروض، دار الحداثة، ط 1، 1988، ص 108

علمية الدراسات اللغوية العربية الأولى وسبقها على الدراسات اللسانية الحديثة في كثير من القضايا والمسائل التي تعنى بعلاج الظواهر اللغوية وتحليلها، وتقديم ما يُثبت وجود نظرية لغوية دقيقة الأصول والمفاهيم والتصورات والإجراءات في عمل النحاة العرب. لذلك لا يُلاحظ إلا مدافعا عن التراث في القضايا التي أثارت الجدل الواسع بين الدارسين القدامى والمحدثين، وأشهر هذه القضايا قضية العامل التي كان يعتدّ بها ويُعوّل عليها النحاة القدامى ويعتبرونها الفكرة الجوهرية التي تتأسس عليها نظريتهم اللغوية، وظلت تكتسي كمنظريّة أهميّة بالغة في النحو العربي، كونها هي "التي تضبط النظام الذي يجري عليه الإعراب وتتحدد به مواضعه في الكلام، وهي المعول عليها في التحليل الإعرابي وعليها تدار أكثر مسائل النحو".¹ وكونها أساسا لتفسير كثير من الظواهر اللغوية تفسيراً علمياً، وأساساً لفهم معاني النحو ومعرفة أسرار التراكيب اللغوية وما تتضمنه من علاقات ترتبط بالمعنى.² فكان كل النحويين القدماء "يقولون بنظرية العامل وينهجون نهجها في التحليل الإعرابي، وقد يختلفون في نتائج هذا التحليل -أي في تحديد العوامل والمعمولات في الكلام- إلا أنهم يتفقون على أن الإعراب في أواخر الكلم المعربة إنما يحصل بعوامل".³ فالعامل هو "ما يوجب كون آخر الكلمة على وجه مخصوص من الإعراب".⁴ أي إنه العنصر (اسم وفعل وحرف...) الذي يجلب الأثر الإعرابي على المعمول لفظاً أو تقديراً (رفع، نصب، جر، جزم) ويحدث أثراً في المعنى ويحدد العلاقات التركيبية بين الوحدات المكونة للجملة (فاعلية، مفعولية، إضافة...). ولا يعرف من النحاة القدامى⁵ من رفض هذه النظرية إلا (ابن مضاء القرطبي)

1 - مخلوف بن لعلام: مبادئ في أصول النحو، المرجع السابق، ص 249

2 - كريم حسين ناصح الخالدي: نظرية المعنى في الدراسات النحوية، دار صفاء، عمان، الأردن، ط1، 2006، ص 81

3 - مخلوف بن لعلام: مبادئ في أصول النحو، المرجع السابق، ص 314

4 - محمد بن علي الجرجاني: التعريفات، تحقيق: إبراهيم الأبياري، ط 1، 1405 هـ ج 1، ص 498

5- يستثنى من ذلك قطرب النحوي (محمد بن المستنير) (ت 206 هـ) فقد ذهب إلى القول بأن حركات الإعراب يؤتى بها للتخفيف وتجنب النقل الذي ينجم في إسكان أواخر الكلم عند وصلها مع غيرها، وفي رأيه هذا رفض لفكرة العامل ونفي أثرها في إحداث التغييرات على أواخر الكلم. (الزجاجي: الإيضاح في علل النحو، تح: مازن المبارك، دار النفائس، بيروت، ط 3، 1979، ص 71.

(592هـ)؛ حيث تَهَجَّم على النحاة العرب في كتابه (الرد على النحاة) الذي حدد الغاية منه بقوله: "قصدي من هذا الكتاب أن أحذف من النحو ما يستغني النحوي عنه، وأنبئه على ما أجمعوا على الخطأ فيه، فمن ذلك ادّعاؤهم أن النصب والخفض والجزم لا يكون إلا بعامل لفظي، وأن الرفع منها يكون بعامل لفظي ويعامل معنوي..."¹

بينما أخذت في العصر الحديث حيّزا من اهتمام الدارسين بين مؤيد ومعارض وداع إلى تجديدها وإعادة صياغتها، و"قامت حولها دراسات تناولت النظرية وأسسها وأصولها وقواعدها ومشكلاتها وما خلفته من آثار، وموقف النحاة منها قداماء ومحدثين... واصطخب جدلهم حولها بين مؤيد لها، ومعارض أنكرها وتمرد عليها وحاول هدمها أو وضع بديل جديد."² ومن هؤلاء الذين ثاروا على نظرية العامل ودعوا إلى إلغائها لتيسير النحو متأثرين بدعوة ابن مضاء وبالمنهج الوصفي (إبراهيم مصطفى) بقوله: "تخليص النحو من هذه النظرية وسلطانها هو عندي خير كثير وغاية تقصد ومطلب يسعى إليه ورشاد يسير بالنحو في طريقه الصحيح."³ ومهدي المخزومي بقوله: "إذا بطلت فكرة العامل بطل كل ما كان يبنى عليه من تقديرات ممتحلة لم تكن لتكون لولا التمسك بها، وبطل كل ما اعتقدوا من أبواب أساسها القول بالعامل."⁴ و(صاحب أبو جناح) الذي يرى أنه: "مع إيغال النحويين في تفسير ظواهر الإعراب المختلفة في الأسماء والأفعال بتأثير عوامل لفظية أو معنوية بدأت سلسلة المتاعب تكتنف طريق الدرس النحوي وتعوق مسيرة الدارسين، وأخذت أساليب اللغة الفصيحة تتعرض إلى سيل من التأويلات والتفسيرات لا تخدم قضية المعنى ولا تيسر سبيل الدرس، فامتألت كتب النحو بمئات من الأمثلة والعبارات المصنوعة."⁽⁵⁾ وتبعهم في ذلك كثير من الدارسين ك(محمد عيد) و(شوقي ضيف) (تمام حسان) و(محمد

1- ابن مضاء القرطبي: الرد على النحاة، تح: شوقي ضيف، دار المعارف، القاهرة، مصر، ص 76.

2- عبد الحميد السيد: نظرية العامل في النحو العربي ودراسة التركيب، مجلة جامعة دمشق، مج، 18، ع3-4، 2002، ص 42.

3- إبراهيم مصطفى: إحياء النحو، القاهرة، ط 2، 1992، ص 194-195

4- مهدي المخزومي: في النحو العربي نقد وتوجيه، دار الرائد المغربي، بيروت، لبنان، ط2، 1986، ص 16

5- صاحب أبو جناح: دراسات في نظرية النحو العربي وتطبيقاتها، دار الفكر، عمان، ط 1، 1998، ص 22.

حماسة عبد اللطيف) الذين رأوا أن لا حاجة إلى القول بالعامل، وأنه السبب في إصابة النحو العربي بالتعقيد والاضطراب وإيغاله في التقدير والتعليل مما أفضى إلى صعوبته على المتعلمين.¹ إلا أنه يكفي للتدليل على بطلان دعوتهم أنهم اكتفوا بالسعي لهدم جزء من النحو العربي يُعدُّ ناموسا هاما من نواميس اللغة العربية، وإلغاء نظرية متكاملة فيه أثبتت نجاعتها في ضبط التراكيب العربية وفهم أسرارها وبيان العلاقات والوظائف والتأثيرات بين وحداتها، دون أن يقدموا لها بديلا يستعمل لتحليل التراكيب اللغوية. وفي المقابل نهض كثير من الدارسين المحدثين للرد على هؤلاء الرافضين لنظرية العمل ورفضوا الطعن فيها والمساس بأركانها وتبنوا الدفاع عن سداد عمل النحاة العرب ومنهم (جعفر دك الباب) بقوله: "أرفض دعوة الدكتور شوقي ضيف إلى التخلي عن نظرية العامل."² ولاشك في أن تمسك هؤلاء بنظرية العامل هو إيمان منهم بقيمة النظرية اللغوية العربية وإيمان منهم بأنها "أقرب إلى حقيقة نظام اللغة العربية وقوانين الإعراب فيها، فهذه النظرية تجريد لهذا النظام وهذه القوانين، فعلامات الإعراب لا تظهر في الكلم كيفما اتفق وإنما تخضع مجاريها لنظام تكشف عنه نظرية العامل، وفي هذه النظرية خير كثير في تعليم العربية إذا أحسن المعلمون انتقاء ما يفضي منها في هذه الغاية."³

ويُعدُّ الحاج صالح من أشهر الذين دافعوا عن نظرية العامل، ورأى أنها أقرب نظرية إلى الصواب خلافا لما ذهب إليه كثير من الدارسين. رافضا بذلك مذهب ابن مضاء القرطبي وقد علل ذلك بأن ما أتى به هذا الأخير من نقد لمفهوم العامل لا يُعتدُّ به، لأنه هو النحوي الوحيد من بين أكثر من ألفي نحوي ذكرهم السيوطي في كتاب البغية وقف هذا الموقف السلبي إزاء النحو العلمي. كما رفض مذهب دعاة المنهج الوصفي من اللسانيين العرب المحدثين الذين تحمسوا لرأي ابن مضاء وتأثروا بالمنهج الوصفي للسانيات الغربية فحملوا لواء الدعوة إلى تجديد النحو العربي وتيسيره

1- مخلوف بن لعلام : مبادئ في أصول النحو، المرجع السابق ، ص 318 - 319

2- جعفر دك الباب: نحو نظرية جديدة إلى فقه اللغة، دار الأهالي، دمشق، سوريا، ط1، 1989، ص29.

3- مخلوف بن لعلام: مبادئ في أصول النحو، المرجع السابق، ص 324

بالتخلي عن نظرية العامل والتعليل والاكتفاء بالوصف. إلا أنه لا يرى في توجههم أي صواب لأن علوم اللسان لا تكتفي بالوصف الساذج للغة، بل تتجاوزه إلى التفسير العلمي.¹ وهو ما يتحقق بتحديد العوامل والمعاملات وتحديد العلل وغيرها من المفاهيم اللغوية التي اعتمد عليها النحاة القدامى وفي مقدمتها نظرية العمل؛ التي تُعدّ أهم ما أبدعته (المدرسة الخليلية القديمة). حسب وصف الحاج صالح الذي يقول: "وهناك مفاهيم لغوية عربية كثيرة لا تعرفها اللسانيات الغربية، مثل العامل، وهو ما يجب أن نفتخر بمثله لأنه يفسر الكثير من الظواهر اللغوية، وقد ضيَّق المتأخرون مفهومه فحصره في كونه سبب الإعراب وهو يتجاوز ذلك في الحقيقة، فإنه محور البنية في أي لغة هندية أوروبية أو حامية سامية وقد يكون مساوياً للصفر وهو مفهوم الابتداء في العربية وهذا غير معروف عند الغربيين."² ويقول: "إن نظرية العامل هي من أروع ما أبدعه الخليل بن أحمد وأصحابه (رحمهم الله) ومن أخطر النظريات التي سيكون لها دور عظيم في تطوير معلوماتنا حول الظواهر اللغوية؛ وذلك لأن مفهوم العمل هو المفهوم الحيوي الذي يبني عليه المستوى التركيبي للغة، فبفضله يستطيع اللغوي أن يرتقي إلى مستوى أكثر تجريداً من المستويات السفلى التي تحتوي على الوحدات الخطابية ومقوماتها القريبة. وهذا في الواقع أعمق بكثير من القول بأن مستوى التركيب ناتج عن تركيب الوحدات الدالة التي هي المورفيمات في اصطلاح الغربيين. وأول دليل على ذلك هو إمكانية استغلال العمل... في معالجة النصوص بالحاسب. فنظرية العامل يستطيع بها اللغوي أن يُمثّل بها أبسط الكيفيات وأنجحها في التراكيب المعقدة التي تتداخل فيها العناصر اللغوية؛ لأنها تصوغ التركيب في قالب رياضي دقيق ويرتقي بها من مستوى مادي مُعقّد إلى مستوى صوري مجرد قابل للصياغة ومن ثم للاستخدام في الحاسبات الإلكترونية."³

1 - عبد الرحمن الحاج صالح: النظرية الخليلية الحديثة، مجلة اللغة والأدب العربي، المرجع السابق، ص 98 .

2- عبد الرحمن الحاج صالح: تحديث أصول البحث في التراث اللغوي العلمي العربي، المرجع السابق، ص 14،

3- عبد الرحمن الحاج صالح: بحوث ودراسات في اللسانيات، المرجع السابق، ج 1، ص 170 ، 171

فنحن نلاحظ أنه يُبدي إعجابه الشديد بوحدة من أهم مقومات التراث الذي خلفه النحاة العرب المتقدمون وهي نظرية العمل، ويثبت علميتها وقيمتها في حقل الدراسات اللغوية وسبقها على الدراسات اللسانية الغربية الحديثة. باعتبارها نظرية متكاملة، تقوم على مفاهيم متعددة منها العامل والمعمول والعلامة والموضع، وتُعنى بوظيفة أقسام الكلم الثلاث: الاسم والفعل والحرف في التركيب وتأثير بعضها في بعض. وتقوم أساساً على مفهوم عقلي مجرد يرتبط بالمستوى التركيبي وله دور بارز في تحليل الظاهرة اللغوية هو العامل. وهو مفهوم من أهم المفاهيم الرياضية التي أبدعها الخليل من أسقائه للغة العربية، وهو أساس تقوم عليه نظرية النحو العربي ككل. لذلك فمن "باب الإنصاف العلمي القول إن ثمة نظرية لسانية عربية حديثة أعادت الاهتمام بالعامل وأكدت دوره الوظيفي في بناء التراكم اللغوية وفهمها قبل ظهور نظرية تشومسكي الجديدة -الربط العملي- وهي النظرية الخيلية الحديثة لصاحبها عبد الرحمن حاج صالح، والتي أعادت التأسيس له تأسيساً جديداً ينحو بها نحو الصياغة الشكلانية والرياضية كما تقتضيه المعالجة الآلية الإلكترونية للسان البشري. وبذلك تنتعش نظرية العامل ويتأكد دورها، فتتقاطع مع المناهج اللسانية المعاصرة."¹ ونخلص من هذا إلى أنّ الأستاذ عبد الرحمن الحاج صالح يُعدّ أشهر من أنصف النحاة القدامى أمام من تهجّم عليهم في قضية العمل. وأشهر من اشتغل على هذا المفهوم على نحو لساني حديث. وأعاد الاعتبار إليه في حقل الدراسات اللسانية الحديثة. وعدّه دليلاً قوياً في النظرية الخيلية على عبقرية النحاة العرب الأوائل وعظمة ما خلفوه من تراث لغوي. وأشاد بميزة المنطق الرياضي الذي تقوم عليه، والذي يجعلها من أطوع النظريات وأكثرها قابلية للصّورنة الرياضية، مما يجعل لها دوراً هاماً بالنسبة للسانيات الحاسوبية التي تعتمد على الرياضيات.²

1- شفيقة العلوي: العامل بين النظرية الخيلية الحديثة والربط العملي لنوام تشومسكي، مجلة حوليات التراث، جامعة مستغانم، العدد السابع، 2007، ص 10.

2 - عبد الرحمن الحاج صالح: النظرية الخيلية الحديثة، كراسات المركز، المرجع السابق، ص 60،

2.4.3. مقارنة مفهوم العامل في النظرية الخيلية الحديثة: ينطلق الحاج صالح في تحليله للغة مما ينطلق منه النحاة العرب الأوائل؛ وهو "أقل ما يمكن أن ينطق به البشر ويكون مفيدا، أي إنهم ينطلقون من كلام يستغني عما بعده، ثم يفرعون بتوليد تراكيب جديدة مشتقة منه عن طريق التحويل بالزيادة.¹ ومن خلال هذا التصور لا تكون (اللفظة) هي "الوحدة الصغرى التي يتركب منها مستوى التراكيب (niveau syntaxque) لأن لهذا المستوى وحدات أخرى من جنس آخر أكثر تجريدا. وههنا أيضا ينطلق النحاة من العمليات الحملية أو الإجرائية؛ يحملون مثلا أقل الكلام مما هو أكثر من لفظة باتخاذ أبسطه وتحويله بالزيادة مع إبقاء النواة كما فعلوا باللفظة للبحث عن العناصر المتكافئة (من بعض الوجوه).² أي إن النحاة العرب ينطلقون في مستوى التراكيب (أبنية الكلام) من الجملة؛ وقد عملوا في هذا المستوى أيضا على صياغة مثال مجرد يُبنى عليه أقل الكلام المُركَّب (ع + م₁ + م₂) وقد استندوا في ذلك على عملية رياضية وهي الحَمْل (حمل كلام على كلام آخر من جنسه). وفي ذلك لاحظوا أنّ العناصر اللغوية التي تدخل كزوائد على اليمين تؤثر على اللفظ والمعنى وتحدث تغييرا عليهما كالتغيير في أواخر الكلم (علامات الإعراب) وتتحكّم في بقية التركيب، وهذه هي العوامل.³ وانطلاقا من هذا التصور الذي يعتبر العامل عنصرا أساسا ومؤثرا في التركيب يتبين لنا أن الحاج صالح يتبنى نظرة النحاة العرب القدامى، لأننا نجده يعرف العامل كما يعرفه القدامى بأنه العنصر اللغوي الذي يدخل على التركيب ويؤثر لفظاً ومعنى على غيره كجميع الأفعال العربية وما يقوم مقامها.⁴ وبعبارة أدق وأوجز هو: "ما به تقوم المعنى المقتضي للإعراب."⁵ فالعوامل في اعتبار النحاة العرب الأوائل هي المسؤولة عن إحداث المعاني النحوية وما الحركات الإعرابية إلا دوال على

1- شفيقة العلوي: العامل بين النظرية الخيلية الحديثة والربط العملي لنوام تشومسكي، المرجع السابق، ص 12

2 - عبد الرحمن الحاج صالح، بحوث ودراسات في اللسانيات العربية، المرجع السابق، ج 1، ص 222 - 223.

3 - Abdrrahmane Hadj Salah : Linguistique Arabe et linguistique Generale , Référence précédent, tome 2 , P 199

4 - جلال الدين السيوطي: الاقتراح في علم أصول النحو، المصدر السابق، ص 3.

5 - ابن الحاجب جمال الدين أبو عمرو عثمان بن عمرو: الكافية في النحو، ضمن كتاب: المجموع الكامل

للمتون، جمعه وصححه: محمد العطار، دار الفكر، بيروت، لبنان، ط 1، 2005، ص 331.

ذلك التغيير. كما نجده يؤكد على أهمية العامل باعتباره أساسا لبناء الكلام وذلك في قوله: "يعمل العامل في المعمول الأول والمعمول الثاني لفظا ومعنى، إذ يكون سببا في إعرابهما، وسببا في تغيير المعنى، ولكن الأهم هو أنه سبب بناء الكلام. فلا كلام مفيد بدون بنية يكون أساسها العامل.¹ أي إن مفهوم العامل في النظرية الخليلية يرتبط بالبنية التركيبية للجملة، ولا ينحصر دوره في الإعراب وبيان حركاته كما ادعى كثير من متأخري النحاة والدارسين المعاصرين ومنهم تمام حسان² الذي يرى أنه يمكن الاستغناء عن نظرية العامل لأنه قد جاء بها النحاة لتفسير اختلاف العلامات الإعرابية حسب مواقع المفردات داخل التركيب، ولذلك يتعين الاهتمام بالإعراب وحده والاقتصار على كون الكلمة مرفوعة أو منصوبة أو مجرورة دون الاهتمام بالعامل المحدث لذلك، وهذا مناف للصواب لأنه لا يمكن الاكتفاء بالإعراب والاستغناء عن العوامل وذلك أنّ الأهم في العوامل أنها محدثة لمعان نحوية؛ ومحددة لوظائف عناصر التركيب في الجملة من فاعلية ومفعولية وغيرها، إلى جانب تغييرها للعلامات الإعرابية في أواخر الكلم. أي إن العامل هو المسؤول عن التغييرات التي تطرأ على المباني والمعاني في التركيب وبه تنتظم الوحدات المعجمية (أسماء، أفعال، حروف) داخل التركيب وفق جملة من العلاقات الوظيفية والدلالية فاعلية ومفعولية وغيرها. ولهذا اهتم عبد الرحمن الحاج صالح بجعل التحليل العملي في النظرية الخليلية الحديثة تحليلا نحويا/ معنويا يهتم بثنائية البناء والدلالة معا يراد منه:

أ- معرفة العامل لمعرفة المعنى النحوي (عامل بنائي أو لفظي أو تركيب)

ب- استنباط التمثيل المنطقي الدلالي وتحديد المعاني النحوية المتعاقبة على

اللفظة بتعاقب العامل اللفظي كالفاعلية والمفعولية، وفي ذلك فهم للتراكيب.³

1 - عبد الرحمان الحاج صالح: مدخل إلى علم اللسان الحديث؛ أثر اللسانيات في النهوض بمستوى مدرسي اللغة العربية، المرجع السابق، ص 89.

2 - حسان تمام: اللغة العربية معناها ومبناها، عالم الكتب، القاهرة، مصر، ط3، 1998، ص 233.

3- شفيقة العلوي: العامل بين النظرية الخليلية الحديثة والربط العملي لنظام تشومسكي، المرجع السابق، ص 14،

والأهم من كلّ هذا أنّه يعدُّ العامل كيانا اعتباريا "فهو موضع في داخل بنية وليس موقعا في تسلسل الكلام والدليل على ذلك أن محتواه قد يكون كلمة واحدة (إن) وقد يكون لفظة (حسبت) وقد يكون تركيبا بأكمله (أعلمت عمرا) والأهم من كل هذا أنه قد يكون... لاشيء بالمعنى الرياضي أي صفرا وهو عند العرب الخلو لأن هذا الموضوع قد يخلو ويتجرد من العامل الملفوظ.¹ أي إن العوامل قد تكون كلمة أو لفظة أو تركيبا مثل (إن، كان، حسبت، أعلمت عمرا)، وله تأثير على بقية التركيب ويكون في العمود الأول من المصفوفة اللفظية، ويليه في الترتيب ولا يمكن بحال من الأحوال أن يتقدم عليه المعمول الأول (م1) ويكون مع عامله (زوجا مرتبا) (couple ordonné) يليهما المعمول الثاني (م2) وقد يتقدم على العامل والمعمول الأول إلا في حالة كان العامل جامدا مثل (إن) أي إن الأصل للعامل أن له الصدارة في مدرج الكلام والنقدهم في الرتبة لفظا أو تقديرا على معموليه الأول والثاني، إلا أنه يمكن أن يتقدمه المعمول الثاني مثل (منطلقا كان زيد).² وذلك لأنه يحتل موقعا اعتباريا في التركيب، ولا يتقيد بالمرتبة الأولى بل يجوز تأخيره وتقديم معموله الثاني عنه. كما قد يكون عاملا معنويا حيث يخلو موضع العامل من العنصر الملفوظ ويشار إليه بالرمز الرياضي (Ø) وهو ما يسمى بالابتداء (عدم التبعية التركيبية).³ والابتداء باعتباره "بمنزلة الصفر في العدد وهو عدم وجود شيء في مرتبة معينة، ولهذا دور ودلالة في الحساب وفي الأبنية.⁴ مفهوم رياضي من المفاهيم القارة في اللسانيات العربية للسانيين العرب الأوائل.

وتُمثّل مصفوفة العوامل والمعمولات حسب النظرية الخيلية الحديثة على النحو الآتي:

1- عبد الرحمن الحاج صالح: بحوث ودراسات في اللسانيات العربية، ج 2، ص 89.

2 - Abderrahmane Hadj Salah : Linguistique arabe et linguistique générale , Référence précédent, p 719 – 720

3- Abderrahmane Hadj Salah : Linguistique arabe et linguistique générale , Référence précédent, p 716

4 - عبد الرحمن الحاج صالح: بحوث ودراسات في اللسانيات العربية، ج 2، ص 73.

ع	م 1	م 2
∅	البحثُ	ممتعٌ
إنّ	البحثَ	ممتعٌ
كان	البحثُ	ممتعاً
حسبت	البحثَ	ممتعاً
أعلمت الطالبَ	البحثَ	ممتعاً

حيث إن البنية الأصل في التركيب (البحثُ ممتعٌ) هي أقل ما يمكن أن ينطق به من الكلام المفيد مما هو أكثر من اللفظة، وقد كانت مجردة من الزوائد، ولذلك وضع في موضع العامل رمز العلامة العدمية، وهذه البنية تمثل النواة لذا فهي تقبل العديد من الزوائد منها (إنّ، كان، حسبت، أعلمت الطالبَ) وهذه الزوائد هي العوامل لأن لها تأثيراً على التركيب فهي تحدث تغييراً على اللفظ والدلالة. ويلاحظ أن هذه العوامل قد تكون عوامل معنوية غير لفظية يرمز لها بالعلامة العدمية وتسمى الابتداء. كما قد تكون عوامل لفظية تظهر في المصنوفة، وهذه الملفوظات قد تكون كلمة واحدة (إن وأخواتها، كان وأخواتها) كما قد تكون تركيباً (ظننت، حسبت، أعلمت فلانا).

ويوجد مستوى تركيبى آخر أعلى من هذا وهو مستوى (التصدير) وما فوق العامل، فإن هناك أدوات تدخل على (ع، م، خ) ويعني هذا أن هناك موضعاً آخر يتجاوز هذه المواضع. وقد لاحظوا أن لهذه المواضع الصدارة المطلقة، فكأن هذه الأدوات (المسماة بحروف الابتداء) عوامل توجد في مستوى أعلى، إذ إنها تتحكم في كل ما يوجد تحتها. ولا يكون لها بالضرورة عمل على ما تدخل عليه. ومن ذلك أدوات الاستفهام في مقابل الصفر كعلامات للإثبات وأدوات التوكيد. ثم في موضع آخر له

الصدارة تدخل فيه أدوات الشرط. والغريب أن بعض هذه الأدوات قد تغطي أكثر من موضع مثل: (ألم يخرج؟)¹ وتشرح (شفيقة العلوي) ذلك على أن العوامل على صنفين:

- صنف يُؤثر نحوياً مثل التّواسخ (كان، حسب) والأفعال (كتب، ذهب)

- صنف يؤثر دلالياً منطقياً لا بتغيير الحركات بل بتغيير المكون الدلالي الذي يتصدر التركيبين الاسمي أو الفعلي إذ يضيف عليهما دلالات جديدة كالاستفهام (هل جئت؟) أو التوكيد (قد جئت)... حيث تغيرت دلالات هذه التراكيب دون أن ينجم عنها تغيير في بنائها، وهي المسماة مستوى التصدير في النظرية الخليلية الحديثة وما فوق العامل.²

وقد توصل إلى أن العناصر التركيبية هي وحدات وكيانات خاصة مجردة؛ حيث إن العامل شيء ومحتواه شيء آخر. كما أن هناك عناصر أخرى (تدخل وتخرج) علاقتها بغيرها علاقة وصل على هذه النواة التركيبية وهي زوائد مخصصة كالمفاعيل الأخرى من غير المفعول به لأنه دائماً معمول ثان والحال والتمييز وغيرها ممّا لا يدخل في الوحدة التركيبية الصغرى المكونة من عامل ومعمولين، (رمزه: خ).³ فتصبح بنية الكلام تتكون من: مبتدأ + مبني عليه وفعل + فاعل + مفعول، ويصبح التركيب: (ع + م₁) + م₂ + خ والعلاقة بين م₂ والزوج المرتب (ع + م₁) هي علاقة بناء، بينما العلاقة بين العامل ومعموليه و(خ) هي علاقة وصل.⁴

وقد صاغ الأستاذ عبد الرحمن الحاج صالح العناصر التي تُكوّن هذا المستوى والعلاقات التي تربطها (الوصل والبناء) بطريقة رياضية في شكل حدّ أو

1 - عبد الرحمن الحاج صالح، بحوث ودراسات في اللسانيات العربية، المرجع السابق، ج1، ص 224، 225. و: Abderrahmane Hadj Salah : Linguistique arabe et linguistique générale, volume 2 , p 805

2 - شفيقة العلوي: العامل بين النظرية الخليلية الحديثة والربط العاملي لنظام تشومسكي، المرجع السابق، ص12 وما يليها.

3 - عبد الرحمن الحاج صالح: بحوث ودراسات في اللسانيات العربية، المرجع السابق، ج1، ص 224.

4 - Abderrahmane Hadj Salah : Linguistique arabe et linguistique générale, Référence précédent, Tome 2, p 724

مصفوفة قائمة على معادلة رياضية تُمثّل البنية الصورية للتركيب، وهي حدّه أو مثاله كما للفظة مثالها؛ وهي على النحو الآتي¹:

$$\text{وصل} \quad (\text{بناء})$$

$$خ \pm [\begin{array}{c} \downarrow \quad \downarrow \\ 2م \pm (1 م \leftarrow ع) \end{array}]$$

ونلاحظ من خلال هذه الصياغة أن:

أ- ما هو داخل قوسين يُمثّل الزوج المُرتَّب (العامل والمعمول الأول)، وما هو داخل معقوفتين يُمثّل الوحدة التركيبية الصغرى (عامل، معمول 1، معمول 2).

ب- الوحدات التي تكون هذا المستوى هي: العامل والمعمول الأول والمعمول الثاني والمخصص، وينشأ من علاقة هذه الوحدات ثلاث بنى:

- نواة البنية التركيبية أو زوج مُرتَّب = (ع + 1م)

- بنية تركيبية أصلية = (ع + 1م + 2م)

- بنية تركيبية عامة = (ع + 1م + 2م + خ)

ولذلك نراه في المعادلة السابقة يضع علامة (+) للجمع بين (العامل

ومعموله) والمعمول الثاني، وعلامة السالب (-) للجمع بين نواة البنية التركيبية (ع +

1م) والمخصصات، مما يعني أن التركيب يمكن أن يقوم على عامل ومعمول واحد

فقط دون أن يتعداه إلى معمول ثانٍ؛ ومثال ذلك الفعل اللازم وفاعله، كما يمكن

للتكريب أن يكون خالياً من المخصصات. وسنوضح ذلك بتفصيل أكثر في مرحلة

قادمة _____ من البحث.

ج- العلاقات بين الوحدات المكونة لهذا المستوى هي البناء والوصل، حيث العلاقة

بين العامل ومعموليّه هي علاقة بناء، ويقصد بالبناء "أن تجعل عنصراً لغوياً تابعاً

1 - عبد الرحمن الحاج صالح: بحوث ودراسات في اللسانيات، المرجع السابق، ج 1، ص 224.

لعنصر لغوي آخر بحيث أنهما يُكوّنان عنصراً أوسع من مستوى أعلى، ولا يعاقب أي واحد من العنصرين العلامة العدمية، أي لا يمكن أن يحذف وإن حذف ولم يرجع العنصر الأول إلى أصله زال عن الوجود.¹ والعلاقة بين البنية التركيبية الأصلية (العامل ومعمولييه) والمخصصات هي علاقة وصل، لأن حذف المخصصات لا يُؤثر في البنية الأصلية.

ومن خصائص نظرية العامل عند النحاة العرب قيامها على المنطق الرياضي، وهي الخاصية التي تجعلها من أطوع النظريات وأكثرها قابلية للصورة الرياضية، وبالتالي قابلتها للاستثمار في اللسانيات الحاسوبية التي تعتمد على الرياضيات.

1 - خولة طالب الإبراهيمي: مبادئ في اللسانيات، المرجع السابق، ص 111.

خلاصة: لقد خُصنا في هذا الفصل إلى أن الحاج صالح كان ذا توجهٍ توافقي، وذلك من خلال رؤاه الخاصة ومبادئه في التعامل مع محتويات التراث اللغوي العربي ومُعطيات الدرس اللساني الغربي الحديث، حيث كان -رحمه الله- يسعى دائما إلى وصل الماضي بالحاضر وتكوين نموذج يستثمر المعطيات التراثية والآليات اللسانية الحدائثة معا، في محاولة لاستيعاب الدرسين التراثي والحداثي، وفهمهما واستغلال مناهجهما ونظريتهما وآلياتهما معا، ودمجهما في مقارنة لغوية بين اللسانيات العربية التراثية واللسانيات الغربية المعاصرة؛ تُنزل التراث العربي منزلة تبرز سعته وعلميته وتساهم في تطوير جوانب عديدة منه على نحو يجعله يماثل الإنتاج اللساني الغربي الحديث، على نحو لا يُفَرِّط ولا يُفَرِّط في الأخذ عن التراث ولا عن الحدائثة، ويرفض التفوق والانغلاق من جهة والانسلاخ من جهة أخرى.

كما بدا لنا واضحا من خلال المفاهيم التي تقوم عليها النظرية الخليلية الحدائثة أنه كان للحاج صالح دور فعال في رد الاعتبار للتراث العربي ولفت الانتباه إليه وإلى رموزه، وجعله يقف على قدم المساواة مع الدرس اللساني الحديث، وبل يتفوق عليه في كثير من المناحي. وذلك من خلال إعادة قراءة التراث قراءة جديدة بأدوات وآليات إجرائية كشفت عن دقته وعمقه وعبقورية أصحابه. حيث تمكن من إعادة الاعتبار للكثير من المفاهيم والمصطلحات العربية الأصيلة كالعامل واللفظة والأصل والفرع، حيث انفرد عبد الرحمن الحاج صالح بتطوير وإضافة مبادئ علمية ومنهجية للنظرية الخليلية الأصل (الخليل) لا سيما من خلال الصياغة العلمية الجديدة التي قدّمها بنظرية العامل مثلا؛ حيث صاغها في قالب رياضي حتى تكون على شكل نماذج وقوالب خوارزمية لإدراجها في المعالجة الآلية للغة وبرمجتها بشكل مباشر داخل الحواسيب... مما جعله ينجح في كبح جماح المتحاملين على التراث العربي الذين وصموه بالمعيارية انسياقا خلف النظريات الغربية دون تمحيص. كما تمكن من عرض النظريات الغربية على النقد ورد هجوماتهم على التراث كالبنيوية التي رمى أتباعها النحو العربي بالمعيارية، فنجده يسمُ البنيوية بأنها صماء تتجاهل أن اللغة هي أيضا معيار، بل معايير زيادة على كونها نظاما من الوحدات.

الفصل الثاني:

تصاقب أفكار الحاج صالح وأفكار بعض المستشرقين

1. تصاقب أفكار الحاج صالح وأفكار مايكل جي كارتر.
2. تصاقب أفكار الحاج صالح وأفكار برنارد بوتيه.
3. تصاقب أفكار الحاج صالح وأفكار جيرار تروبو.
4. تصاقب أفكار الحاج صالح وأفكار جان باتريك جيوم.
5. تصاقب أفكار الحاج صالح وأفكار جان كانتينو.
6. تصاقب أفكار الحاج صالح وأفكار لوسيان تينيير.

تمهيد:

لقد كان للأستاذ عبد الرحمن الحاج صالح موقف حصيف من الدراسات اللسانية العربية، كما كانت له آراء وجهود قيّمة في البحث اللساني صاغها في نظرية كاملة ومتكاملة، وإن كنا قد بسطنا القول في مواقفه وآرائه في الفصل السابق؛ فإننا نتساءل عن الأسس الابدستمولوجية لفكر هذا العلامة، ولا شك أن تلك الحصيلة المعرفية قد حققها -رحمه الله- من خلال تكوينه العلمي الذي أخذ فيه بنصيب وافر من العلوم والمعارف المتنوعة لا سيما اللغوية منها على اختلاف مناهلها ومشاربها، وجمع بين الدّرسين العربي والغربي من منابعهما الأصلية، وهو التكوين الذي كان له أثره البين في تكوين شخصيته العلمية، فكان "ظاهرة فريدة من نوعها في الوطن العربي لأنه تتلمذ حتى مرحلة الدكتوراه في جامعة الأزهر فهضم وفهم النظرية اللغوية التراثية القديمة، وبعدها ذهب إلى جامعة باريس فتتلمذ على أساتذتها في موضوع اللسانيات الحديثة فهضمها وفهمها على نحو دقيق جداً، وبذلك استطاع أن يعالج بعض القضايا اللغوية العربية المعاصرة ذات الإشكاليات المعرفية."¹ بما تحقق له من آليات خاصة نهلها من معينين ينبعان من ثقافتين مختلفتين؛ إحداهما عربية أصيلة. والأخرى غربية حديثة كان له حظ في تحصيلها والتعرف على أصولها في وقت مبكر من خلال دراسته في الجامعات العربية والغربية وتخرجه بها بشهادات عليا؛ إذ يحمل في سيرته العلمية شهادة البكالوريا من جامعة بوردو بفرنسا، وشهادة ليسانس في اللغة العربية وآدابها جامعة بوردو سنة 1959، ودبلوم الدراسات العليا في فقه اللغة واللسانيات الفرنسية من نفس الجامعة سنة 1960، وشهادة التبريز في اللغة العربية وآدابها من باريس سنة 1961، ودكتوراه الدولة في اللسانيات جامعة باريس الرابعة (السوربون) عام 1979. وقبل ذلك دراسته بالأزهر الشريف حيث انتقل إلى مصر سنة 1947 أين كانت له فرصة وصفها بالعجيبة في تغيير حياته ولاسيما توجهات دراسته؛ حيث تحوّل من دراسة الرياضيات إلى دراسة اللغة بعد أن وقف على التراث العلمي الكبير للعرب

1- حافظ إسماعيلي علوي، وليد أحمد العناتي: أسئلة اللغة أسئلة اللسانيات، المرجع السابق، ص 114.

غير المُستثمَر.¹ وهذا الاطلاع الواسع والتَّبْحُرُ في الدرسين العربي والغربي على السواء هو ما مكَّنه من بلورة وجهته اللسانية التوفيقية في قراءة التراث العربي.

ومن جهة أخرى استفاد من اطلاع الغرب على الموروث اللغوي العربي واستفاد من آثارهم، ذلك أن بعض الغربيين كثيرا ما مالوا إلى دراسة تراث الشرق وتمكنوا في أحيان كثيرة من فهمه بكثير من الوعي، واستخرجوا الكثير من درره، لما يحوزونه من آليات ومقومات البحث العلمي لاسيما معرفتهم باللغات المختلفة وبُعدهم عن نزعة التمجيد والتقدّيس التي انغمس فيها العرب خاصة في عصور الجمود، إذ الثابت أن العديد من "العلماء الغربيين قد أولوا تراثنا العربي اهتماما واعتبارا، وجاءت جُلُّ أعمالهم من العمق والتحليل والدراسة؛ بالقدر الذي يجعلنا نؤكد أنهم استطاعوا الإجابة عن كثير من القضايا والمشاكل اللغوية في لغتنا العربية. مكَّنتهم من الوصول إلى هذه الإجابات إحاطتهم الواسعة باللغات السامية الأخرى، ومن ثم جاءت دراساتهم في الربط بين التراث اللغوي العربي القديم ونظريات البحث اللغوي الحديث، فقد جاءت هذه الدراسات على نحو من الدقة."² ولا يمكن استبعاد هذا التصاقب والتقارب في الأفكار على الحاج صالح ليس طعنا في مكانته وإنما اعترافا بفطنته وحدّة ذكائه، إذ يصعبُ استبعاد أن يكون رجل بمثل ذكائه وحبّه للتراث العربي؛ إلى درجة يتخلى فيها عن دراسة الطب ويتحول إلى دراسة اللغة أن يصرف نظره عما يكتبه وما يقوله المستشرقون عن التراث العربي، خاصة وأنه قضى فترة بينهم وفي جامعاتهم وتتلذذ على أيديهم، وهو يُقرُّ بذلك في بداية أطروحته؛ حين حدّد الغرض من الدّراسة التي يقدّمها بأنّه تقديم مساهمة متواضعة في بيان وتوضيح قيمة البحث اللغوي العربي التي لم تحظ بالاهتمام اللازم كما حظيت به لغويات أمم قديمة كاللغويات الهندية مثلا، حيث أشار عندها بأنّ ذلك لا يعني أنه لم تبذل أية محاولات في هذا الاتجاه. بل ذكر أنه قد درس عدد من العلماء البارزين المشكلات التي نشأت فيما يتعلق بأصول

1- عبد الرحمن الحاج صالح: الخليل وسيبويه سبقا عصرنا في الصوتيات، المرجع السابق، ص 53.

2- حسام البهنساوي: أهمية الربط بين التفكير اللغوي عند العرب ونظريات البحث اللغوي الحديث، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، مصر، 1994، ص 9

وطبيعة المفاهيم التي وضعها علماء النحو العرب، وخاصة علماء اللغة الذين تعلموا وواصلوا العمل من منظور فقه اللغة المقارن والتاريخي؛ في النصف الأخير من القرن.¹ وقد سمى بعضا من هؤلاء العلماء الذين اقتربت أعمالهم من بعض المفاهيم الخاصة بقواعد اللغة العربية بحيادية وموضوعية ودقة وعلمية؛ ومنهم: (فوك) (J. W. Füch) و(جان كانتيو) (Jean Cantineau) و(تشارلز بيلات) (Charles Pellat) و(روجر أرنالديز) (Roger Arnaldez) و (لويس جارديت) (Louis Gardet)،....²

لذلك سنحاول من خلال هذا الفصل من بحثنا أن ننفذ إلى عمق فكر الحاج صالح، لنرصد بعض مظاهر وملامح نزعة التصاقب الفكري عنده؛ من خلال مقارنة آرائه بآراء بعض الباحثين ممن ثبتت صلته بهم وسبقهم له، سواء ممن أشار إلى تأثره بهم أو ممن لم يشر، مثل:

(M . G . Carter, Bernard Potier, Gérard Troupeau, Jean-Patrick Guillaume, Jean Cantineau , Lucien Tesniere....)

ونشير إلى أن بعض المباحث كانت أطول من بعض، ونُرجع ذلك التفاوت إلى حجم التشابه في الآراء كمبحث تصاقب أفكار الحاج صالح بأفكار جان كانتينو الذي كان أطول المباحث؛ وذلك لأن أثر كانتينو كان عميقا في فكر الحاج صالح، وكذلك الشأن بالنسبة لتصاقب فكر الحاج صالح بفكر كارتر. كما نُرجعه إلى حجم المادة المتوفرة ونُمثل لذلك بمبحث تصاقب أفكار الحاج صالح بأفكار برنارد بوتيه؛ حيث كان أقصر المباحث وذلك لأن المقال الذي استتبطنا منه ملامح التشابه لا يزيد عن صفتين.

وقد كان دافعنا في هذا الفصل منهج الحاج صالح نفسه في البحث العلمي؛ فقد كان لا يتحرج في النقد للنظريات اللغوية سواء كانت تراثية عربية أو لسانية غربية حديثة، كما أنّ غايتنا هي تقديرنا للجهد الذي بذله الحاج صالح في إقامة صرح

1 - Abderrahmane Hadj Salah : Linguistique arabe et linguistique générale Référence précédent, Volume1 , P 3

2 - Ibid, P 4-le marge -

قيّم ومعمار مُميز؛ هو النظرية الخيلية الحديثة، إلا أنّ البناء لم يكتمل، وبعض الخل جاء من الذين يرفضون النقد ويرفعون دائماً شعار "لا مِساس" ونأمل أن يكون جهدنا البسيط منطلقاً لدراسات أخرى تنحو نفس النحو وتميط اللثام عن الكنه الحقيقي للنظرية الخيلية الحديثة وتستثمر معطياتها على نحو علمي سليم.

1. تصاقب أفكار الحاج صالح بأفكار ميشال جورج كارتر M.G. Carter:

"ولد مايكل كارتر في السابع من يناير عام 1939م في مدينة فولكستون Folkestone في مقاطعة كنت Kent بإجلترا ودرس مرحلة البكالوريوس في معهد الدراسات الاستشراقية بجامعة أكسفورد العريقة، ثم واصل في المعهد نفسه دراسته العليا وكللها بنيل درجة الدكتوراه سنة 1968م عن أطروحته حول (أسس التحليل النحوي عند سيبويه). وقد درّس في عدد من الجامعات العالمية المرموقة، ومن أبرز تلك الجامعات، جامعات سدني، وديوك، ونيويورك، وأوسلو. تقاعد من العمل في جامعة سدني سنة 2006م، ولكن الجامعة تقديراً له منحته الانتساب الفخري إليها إلى يومنا هذا، كما منحته جامعة لوند بالسويد دكتوراه الفلسفة الفخرية اعترافاً منها بجهوده البحثية، وذلك سنة 2003م. عمل أستاذاً زائراً في عدد من الجامعات والمؤسسات البحثية في مصر وعدد من البلدان الأوروبية، وانضم لفريق الباحثين في مؤسسة ألكسندر فون هومبولت في ميونيخ (1978- 1979) وكولونيا (1983- 1984) ويعمل حالياً على مشروع ضخم عن الكتاب يهدف من خلاله إلى حوسبة مادة الكتاب الضخمة في عمل أطلق عليه رقمنة كتاب سيبويه: The digitalisation of the Kitab of Sibawayhi. هذا فضلاً عن أعماله الكثيرة الأخرى التي أخرجها على شكل كتب أو ألقاها في مؤتمرات دولية عديدة ونشرها في مجلات علمية رصينة حول العربية وتراثها النحوي الضخم ومؤسسه الأول سيبويه.¹ ومن خلال هذه السيرة الذاتية والعلمية المختصرة للباحث نحرص على بيان نقطتين هامتين ندعم بهما توجهنا لإثبات تأثير

1- ناصر فرحان الحريص: مايكل كارتر وجهوده في درس النظرية النحوية التراثية مع ترجمة بحثه: التداولية واللغة التعاقدية في البدايات الأولى للنحو العربي والنظرية الفقهية، مجلة جامعة أم القرى، لعلوم اللغات وآدابها، العدد 19، ماي 2017، ص 379-380

الحاج صالح به؛ الأولى: الاهتمام البالغ لكارتير بكتاب سيبويه، والثانية: تاريخ أطروحته للدكتوراه (1968) مما يعني السبق التاريخي لكارتير على الحاج صالح.

وقد رصدنا من خلال اطلاعنا على جهود الباحثين على العديد من ملامح التشابه في الآراء وهو ما يُؤكد فرضيتنا بتصاقب الآراء بين الحاج صالح وميشال جي كارتير.

1.1. أولى ملامح هذا التصاقب أن الأستاذ عبد الرحمن الحاج صالح ينطلق في معظم بحثه من كتاب سيبويه بقوله: "وقد نظرنا في كتاب سيبويه وأطلنا النظر، فبعد مدة طويلة تبين لنا أن المفاهيم التي يتضمنها هذا الكتاب تكوّن في الحقيقة نظرية دقيقة لم نعثر على مثلها في أي نظرية لغوية أخرى سواء كانت قديمة أم حديثة. وأيقنا أن هذه المفاهيم جديرة جدا بأن يُكشف عنها وعن حقيقتها."¹ وهو الكتاب الذي حاز على عناية واهتمام جل المستشرقين فأمعنوا فيه النظر واكتشفوا فيه الكثير من الحقائق والدقائق التي لم يسبق إليها، وكان نافذتهم على التراث اللغوي للعرب وعلى نظريتهم النحوية التراثية الفريدة في دراسة اللغة ومن هؤلاء المستشرق الانجليزي (كارتير) الذي تخصص في كتاب سيبويه وتعمّق في فهم فكره النحوي، وقدم عنه عددا معتبرا من الأبحاث والمؤلفات حيث نشر عنه سنة 2004م كتابا بعنوان (سيبويه)²، والعديد من المقالات والأوراق العلمية في المؤتمرات الدولية منذ 1972، وحصل على شهادة الدكتوراه من جامعة أكسفورد بالمملكة المتحدة عن رسالته الموسومة بـ (التحليل النحوي عند سيبويه)³ وهو اليوم من المعدودين الذين تخصصوا بالنحو والتفكير اللساني العربي وأبانوا عن عمق الآراء ودقة المناهج فيه، وقد اعتمد عليه كثير من الدارسين والمستشرقين في قراءتهم للتراث العربي ومنهم المستشرق الفرنسي جيرار تروبو؛ أستاذ فقه اللغة بجامعة السوربون بباريس في بحثه الموسوم بنشأة النحو العربي في ضوء كتاب سيبويه -وسننتطرق له ولبحثه في الفقرات اللاحقة من هذا البحث- وله بحوث

1- عبد الرحمن الحاج صالح: بحوث ودراسات في اللسانيات العربية، المرجع السابق، ج2، ص81.

2 - M . G . Carter : Sibawayhi , Oxford Center for Islamic Studies , London , 2004

3 -M . G . Carter : A Study of Sibawaihi's Principles of Grammatical Analysis . D. Phil . Dissertation , University of Oxford. 1968

في أصوله.¹ وأشهرها: (أصول النحو العربي (1972)، عشرون درهما في كتاب سيبويه (1972)، نحوي عربي من القرن الثامن (1973)

- Les origines de la grammaire arabe , Revue des études islamiques , 1972

- Twenty Dirhams' in the Kitāb of Sībawayhi , 1972 .²

- An Arab Grammarian of the Eighth Century , 1973 .³

ولقد أشاد كارتر في مقالاته بالمنهج الدقيق الموجود في كتاب سيبويه، وأثبت القيمة العلمية لجهوده النحوية، وأشار إلى وجود نظرية دقيقة في النحو العربي الأول رغم تقدّمه في التاريخ. كما أشار إلى إهمالها وعدم فهمها من طرف النحاة المتأخرين الذين غلب على نحوهم الجمود والمعيارية وعبر عن ذلك بقوله: "لا بد أن تبرز للعيان نتيجتان؛ أولاهما أننا يجب أن نصل إلى الانطباع أن الكتاب عمل غاية في التماسك والثبات مع التسامح الواجب لتاريخ التأليف- وثانيتهما أننا سنكتشف سمات معينة لنظرية سيبويه النحوية يبدو أنه تم تجاهلها ممن تلاه من النحاة."⁴ ولا يخفى وجه التقارب بين هذه النتيجة التي توصل إليها كارتر بعد أن أمعن النظر في كتاب سيبويه حيث خلص إلى أنه كتاب يحوي نظرية لغوية دقيقة وتقوم على منهج علمي متماسك، وبين نتيجة الحاج صالح الذي تبين له أن المفاهيم التي يتضمنها هذا الكتاب تكوّن في الحقيقة نظرية دقيقة لم يُعثر على مثلها في أي نظرية لغوية أخرى سواء كانت قديمة أم حديثة. وأيقن أن هذه المفاهيم جديدة جدا بأن يُكشف عنها وعن حقيقتها.⁵ وإذا كان قد اتضح لـ (كارتر) من غوصه في كتاب سيبويه وعرضه لجملة من النماذج السيبويهية في علاج الظواهر اللغوية أن الرجل كان مفكرا نظاميا

1- ميشال جورج كارتر: عشرون درهما في كتاب سيبويه، تر: عبد اللطيف الجميلي، حاتم الضامن، مجلة المورد،

المجلد 16، 1987، العدد 1، بغداد، ص 119. - مقدمة المترجمين.-

2 - Michael G. Carter : Twenty Dirhams' in the Kitāb of Sībawayhi' , Bulletin of the School of Oriental and African Languages 35, 1972, P : 485-496

3 - Michael G. Carter : An Arab Grammarian of the Eighth Century AD, A Contribution to the History of Linguistics , Journal of the American Oriental Society , vol 93 , n 2 1973,P 146- 157

4- ميشال جورج كارتر: عشرون درهما في كتاب سيبويه، المرجع السابق، ص 120

5- عبد الرحمن الحاج صالح: بحوث ودراسات في اللسانيات العربية، المرجع السابق، ج2، ص81.

ومرتبطاً منطقياً أكثر بكثير مما أقرّ به ناقده الذين وصفهم بالانحياز الناجم عن: إما الاعتماد المفرط على النحويين العرب الذين تلوه أو عن افتراضات الهيلينيين ذات الأهمية العلمية الضئيلة.¹ مما حدا به إلى القول: "وفي انتظار دراسة كاملة عن الخليل في الكتاب يمكن على الأقل القول يقينا أن المعلم والتلميذ يكشفان عن طريقتين لدراسة اللغة عميقتين على حد سواء."² فإنّ قريبا من قريب ما اتضح للحاج صالح من أن: "الدراسات اللغوية لن يكون لها شأن إذا لم يرجع أصحابها إلى الخليل بن أحمد ويحاولوا أن يتفهموا ما قصده هذا الرجل العبقري بتعليقاته لظاهرة اللغة، وذلك بالرجوع أولاً إلى كتاب سيبويه... وثانياً إلى من أدرك مقاصده حق الإدراك مثل ابن السراج وأبي علي الفارسي، وابن جني."³ فالواضح أنه يستجيب إلى دعوة كارتر إلى القراءة الدقيقة لآراء الخليل بن أحمد الفراهيدي من خلال كتاب سيبويه للوقوف على طريقتيه العبقريّة في تحليل اللغة. فراح يدعو إلى التعريف بالنحو العربي وتخليصه من اعتقادات بعض الدارسين العرب والغرب الذين استغلّ عليهم فهم نحو الأوائل فلم يفقهوا ما يقوله الخليل وسيبويه ولم يدركوا حقيقة البعد العلمي الدقيق لسيبويه وشيوخه وتلاميذه للغة، في كفيّة تحليلهم للغة.⁴ وهو المعنى الذي عبر عنه كارتر عام 1973 بقوله: "من المطلوب أن تكون محتوياته -كتاب سيبويه- في متناول يد اللسانيين المحدثين، والذين من بينهم من لا يعرف عن نظرية النحو العربي إلا النزر اليسير، فضلا عن دارسي النحو العربي الذين كثيرا ما تكون معرفتهم لأساليب وطرق البحث اللغوي أقل مما ينبغي."⁵ وهذا ينم عن وعي (كارتر) بأهمية النظرية النحوية العربية السيبويهية والخليلية التراثية وتقاليدها وأعرافها في حقل الدراسات اللسانية الحديثة، وتقديره لعمق التفكير اللساني العربي، ودقته ونضجه ونضج أنظمتها ومناهجها.

1- ميشال جورج كارتر: عشرون درهما في كتاب سيبويه، المرجع السابق، ص 127 - 128

2- نفسه، ص 126

3- عبد الرحمن الحاج صالح: بحوث ودراسات في علوم اللسان، المرجع السابق، ص 10.

4- نفسه، ج 1، ص 241 .

5- ميشال جورج كارتر: نحوي عربي من القرن الثامن للميلاد؛ دراسة عن منهج سيبويه في النحو، تر: عبد

المنعم آل ناصر، مجلة المورد، المجلد 20، ج 1، 1992، بغداد، المرجع السابق، ص 30.

2.1. كما أن كليهما يُصِرُّ على التمييز بين نحو المتقدمين ونحو المتأخرين للعرب، ويرفض الخلط بين الفكرين كما فعل غوستاف يان وغيره من الدارسين فما أشبه قول كارتر: "يُعدّ الكتاب منهجا وصفيا إلى درجة يصبح معها عديم الفائدة كمنهج معياري في النحو، ومن الخطأ الفادح أن نعامل هذا العمل الضخم على ضوء فكر النحاة المتأخرين كما فعل كوستاف يان وآخرون غيره."¹ حيث نلاحظ أن هذا المستشرق الانكليزي (carter) يرفض رأي غيره من المستشرقين الذين اتهموا النحو العربي بأنه معياري وقائم على أسس فلسفية تعود إلى جذور يونانية أثرت في نشأته ونضجه في تلك الفترة المتقدمة والوجيزة. وأنّ العقل العربي في تلك المرحلة غير مؤهل لمثل هذا النمط من التفكير والصياغة التجريدية لولا الأثر الخارجي. ويشير (جيرار تروبو) إلى عمل (كارتر) على تبرئة النحو العربي من تأثيره بالمنطق اليوناني ودفاعه عن أصالته بقوله: له "مقالة نشرها منذ عدة سنوات وسماها في (أصول النحو العربي) فبين في هذه المقالة أن سيبويه يستعمل في الكتاب مجموعتين من المصطلحات: مجموعة قليلة العدد تتضمن مصطلحاتٍ لعلها يونانية الأصل، ومجموعة كثيرة العدد تتضمن المصطلحات العربية الأصل، منقولة من الفقه إلى النحو."²

كما أكد بشكل صريح على أصالة النحو العربي وبعده عن المنطق الأرسطي؛ من خلال حديثه عن القياس في النحو العربي حيث يرى أن القياس في النحو العربي "لم يتأثر فيه بالقياس الأرسطي الذي يسير من الكليات إلى الجزئيات بدل تأثره بالقياس الفقهي، أي أن القياس النحوي العربي كان قياساً لغوياً فطرياً يسير على نمط القياس الفقهي الذي كان شائعاً قبل ترجمة العلوم اليونانية إلى العربية."³

1- ميشال جورج كارتر: نحوي عربي من القرن الثامن للميلاد؛ دراسة عن منهج سيبويه في النحو، المرجع السابق، ص 39 - الهامش- و:

Michael G. Carter: An Arab Grammarian of the Eighth Century AD . A Contribution to the History of Linguistics, Référence précédent, vol 93, n2 , p 146 .

2 - جيرار تروبو: نشأة النحو العربي في ضوء كتاب سيبويه، مجلة مجمع اللغة العربية الأردني، المجلد 1، العدد1، كانون الثاني 1978، ط 2، 1982، الأردن، ص 125.

3 - ناصر فرحان الحريص: مايكل كارتر وجهوده في درس النظرية النحوية التراثية، المرجع السابق، ص 383.

فكما أن الفقه وغيره من العلوم الإسلامية أصيلة في منهجها وآلياتها وبعيدة عن التأثير بالمنطق اليوناني فكذلك النحو العربي بريء من التأثيرات الأجنبية. وهو يرى أنه توجد علاقة وطيدة بين النظرية النحوية والنظرية الفقهية في المنهج والغاية يقول: "من المعروف جيدًا أنّ النحو العربي والفقه الإسلامي تجمعهما على نحو مميز علاقة وثيقة، فكلاهما يتّحد مع الآخر لتحقيق هدف مشترك يكمن -على الترتيب- في ضبط السلوك اللغوي والسلوك العام، كما أنهما يقتسمان منهجًا مشتركًا؛ أعني به استنتاج القواعد من النصوص اللغوية، ومن ثمّ توظيف مقتضيات تلك القواعد لتحكم السلوك العام للمسلم.¹ وعليه فقد استفاد علماء أصول الفقه من إدراك سيبويه المبكر للمقتضيات الفقهية للصيغة النحوية ومنه قعدوا للبعد التداولي للمنهج الفقهي كما استفاد سيبويه في المقابل كثيرا من المصطلحات الفقهية التي وظفها في صياغة نظريته النحوية الوليدة آنذاك، حيث وُجدت "التعريفات الفقهية للخطاب طريقها نحو علم النحو."² مما يؤكد وفقا لكارتر حس سيبويه العلمي وأصالته في نظريته النحوية، ويؤكد أن الكتاب إبداع فكر رجل واحد ووصف غير مسبوق للعربية في كل أبعادها (الدينية والشعرية والعامّة والخاصة) في إطار تنظيري مستوحى بشكل عميق من مبادئ النظام الفقهي الناشئ آنذاك والذي لا يدين بشيء على الغالب لأي فكر أجنبي يوناني أو غيره. فهو بذلك يؤكد على براءة النحو العربي في نشأته من أي مؤثرات أجنبية، وذلك استنتاجًا من الإشارات الفقهية الكثيرة في الكتاب، التي تؤكد أن علماء الفقه والأصول كانوا مصدر إلهام لمنهج سيبويه ولأكثر مصطلحاته العلمية، وقد استعرض كارتر في واحد من أبحاثه أوجه التشابه العامة في منهج دراسة اللغة في بدايات النظريتين النحوية والفقهية، وركّز خاصة على حسّ سيبويه العلمي، وإدراكه المبكر للمقتضيات الفقهية للصيغة النحوية... وقد خلص من خلاله إلى سرد عدد من خصائص المنهج الفقهي التي تعود إلى أفكار لوحظت أولاً من قبل سيبويه، ثم استوت على سوقها بعد

1- مايكل جورج كارتر: التداولية واللغة التعاقدية في البدايات الأولى للنحو العربي والنظرية الفقهية، تر: ناصر

فرحان الحريص، مجلة جامعة أم القرى لعلوم اللغات وآدابها، العدد 19، ماي 2017، ص 385.

2 - نفسه، ص 402

نضوج علم أصول الفقه.¹ كما خلص من خلاله إلى القول بأصالة النحو العربي، يقول: "وعلى الرغم من أن ذلك ليس كافيًا للإجابة على القضية الجدلية حول التأثيرات الأجنبية في النحو العربي بشكل كامل، إلا أنها تُقوي الاحتمال القائل بأن الكتاب إبداع فكر رجل واحد، ووصف غير مسبوق للعربية في كل أبعادها الدينية والشعرية والعامية والخاصة في إطار تنظيري مستوحى بشكل عميق من مبادئ النظام الفقهي الناشئ آنذاك والذي لا يدين بشيء على الغالب لأي فكر أجنبي."²

فما أشبه منطلقات (كارتر) بمنطلق الدرس اللساني عند الحاج صالح وأساس نظريته التي يسعى إلى تكريسها وأساس ما تريد البرهنة عليه وهو أصالة النحو العربي والمقصود به هو ذلك "النحو الذي طوره وأنضجه الخليل بن أحمد مع بعض زملائه وأتباعه وخاصة سيبويه، وأكثره مبني على مفاهيم منطقيّة رياضيّة."³ أصيلة بعيدة عن المنطق اليوناني ومنطلقاته وتصوّراته وإجراءاته، التي طغت على الفكر العربي وطالت النحو العربي بعد القرن الرابع على يد النحاة المتأخرين الذين جاءوا من بعد الخليل وسيبويه وفشلوا في مواصلة عملهما لعدم قدرتهم على فهمهما وفهم نظامهما الرياضي ومنهجهما الوظيفي، فحادوا عن منهجه وطغى على نحوهم التوجه المعياري الصارم الذي مازال يُعدُّ السّمة السائدة في مُجمل الدرس النحوي حتى يومنا هذا. والذي صيّرهُ أقلَّ قيمة بكثير مما كان عليه عند الأوائل "الذين لم يحصل في زمانهم قط التأثير بالمنطق اليوناني خلافا لما يعتقدُه البعض ممن استغلق عليهم فهم نحو الأوائل، وممن لا يميزون بين ما يقوله الخليل وسيبويه وما يقوله من جاء بعده بأربعة قرون وأكثر، وممن لا يفقهون الفرق الكبير الذي يميّز المنظور العلميّ الدقيق لسيبويه وشيوخه وتلاميذه للغة، وكيفية تحليلهم لها بناء على هذا المنظور من التّزعة التّعليميّة للنحو التي استولت على الممارسين للنحو بعد القرنين الخامس والسادس

1 - مايكل جورج كارتر: التداولية واللغة التعاقدية في البدايات الأولى للنحو العربي والنظرية الفقهية، المرجع

السابق، ص 385-386

2 - نفسه، ص 411.

3- عبد الرحمن الحاج صالح: بحوث ودراسات في اللسانيات العربية، المرجع السابق، ج1، ص241.

وابتعدت كلّ البعد عن الرّوح العلميّة والنّظريّات العميقة للأوائل التي قد تفوق قيمة النّظريّات الحديثة.¹ كما يذهب عبد الرحمن الحاج صالح نفس مذهب كارتر القائل بتأثر الدراسات اللغوية العربية في نشأتها بالدراسات الدّينية بقوله: "فعلوم العربية نشأت وترعرعت مع القراءات وتدوين أصول اللغة الأولى وكل ما انبثق من دراسة القرآن كالنفسير والفقه وما ترتّب على اتخاذ السنة النبوية كأصل من أصول الشريعة من التحقيق للرواية. فسرعة اكتهال العلوم اللغوية كسرعة تكوّن العلوم الشرعية وجميع العلوم الإسلاميّة الأخرى."²

وقد أشار (عبد الرحمن الحاج صالح) إلى أنه سبق المستشرقين بإثباته أصالة النحو العربي؛ بقوله: "نشرنا في 1964 مقالا³؛ حاولنا أن نبرهن فيه على أن النحو العربي لم يتأثر في نشأته، ولا عند اكتهاله في زمان الخليل وسيبويه بمنطق أرسطو إطلاقاً. وقد أقر بذلك بعد سنين المستشرقان: كارتر⁴ (carter)، وتروبو⁵ (G. troupeau)."⁶ وفي كتابه (منطق العرب) يشير أيضاً إلى سبقه للدارسين المحدثين والمستشرقين من الجيل الجديد الذين خالفوا سابقهم ودحضوا مقولاتهم في شأن الجهود اللسانية العربية وقيمتها العلمية ومزاعمهم القائلة بتأثر النحو العربي بالمنطق الأرسطي وقال: "يؤسفني أن أحدا منهم لم يشر إلى ما قدمته من كلام في هذا الموضوع في مقالتي التي نشرتها في 1965 عن النحو ومنطق أرسطو."⁷ وتبقى هذه القضية بحاجة إلى مزيد من البحث لأن كارتر قد بدأ البحث والكتابة حول كتاب سيبويه قبل الحاج صالح بفترة طويلة.

1- عبد الرحمن الحاج صالح: بحوث ودراسات في اللسانيات العربية، المرجع السابق، ج1، ص241-242.
وص290.

2- عبد الرحمن الحاج صالح: منطق العرب في علوم اللسان، المرجع السابق، ص 43

3- عبد الرحمن الحاج صالح: منطق أرسطو والنحو العربي، مجلة كلية الآداب، 1964، جامعة الجزائر، المجلد الأول، ص 67، 86

4 - Michael G. Carter : Les origines de la grammaire arabe', Revue des études islamiques 40 , p 69 -97

5 - Gérard Troupeau : La logique d'Ibn al - moqaffa' et les origines de la grammaire arabe, Revue: arabika, T. 28, Fasc. 2/3, Numéro Spécial Double: Études de Linguistique Arabe, 1981 , p242 - 250

6 - عبد الرحمن الحاج صالح: بحوث ودراسات في اللسانيات، المرجع السابق، ج 2 ص 268

7- عبد الرحمن الحاج صالح: منطق العرب في علوم اللسان، المرجع السابق، ص 44.

3.1. سبق لنا أن أشرنا في ثنايا هذا البحث إلى اهتمام (كارتر) بالنحو العربي ويكتاب سيبويه خصوصاً، وهو يُعدّ من الأوائل الذين دافعوا عن أصالة النحو العربي وارتباطه بالعلوم الإسلامية ورفض نسبته إلى المنطق اليوناني الأرسطي، وأصرّ على أن مفاهيم النحو إن لزم أن لها جذورا وأصولا ينبغي البحث عنها في حقول المعرفة العربية والإسلامية وليس خارجها نظرا لتفاعلها الطبيعي الكبير داخل البنية المركّبة للعقل العربي والمسلم، وقد توقّف مليا عند هذه المصطلحات -الاستقامة والإحالة والحسن والقبح- وربطها بالمجتمع وعلم الكلام والأخلاق الإسلامية والسلوك، ووفّق إلى حد بعيد- قبل غيره من كثير من الدارسين العرب والمستشرقين- في فهم كلام سيبويه.¹ الذي يراه إمام النحاة العرب ويشهد له بسبقه وبراعته في تهيئة المعايير اللغوية الصرفة للصحة التركيبية والوضوح من خلال اهتمامه بالعناصر اللغوية داخل التركيب- الكلمات كمكونات للجمل- دون أن يعزلها عن المجتمع (الناطقين) حيث ميز من المنطلق البنوي بين الجيد والرديء (الحسن والقبيح) ومن المنطلق السلوكي الاجتماعي بين الصحيح والخطأ (المستقيم والمحال).² فقد انتبه كارتر إلى اهتمام سيبويه بالبعد التداولي للغة من خلال ربطها بالمتكلمين وبيئاتهم وأحوالهم الخطابية. ويؤكد على أن سيبويه يتعامل مع اللغة على أنها شكل من السلوك الاجتماعي ويبني جميع تحليلاته على افتراض أن الكلام نشاط اجتماعي يقع في أقل سياق بحديث بين اثنين: متكلم ومخاطب. ولذلك كانت تحليلاته مبنية على المقاييس الاجتماعية السائدة في عصره في تقويم مستوى الصواب في اللغة على جميع مستويات التحليل اللغوي ويرى كارتر أن لهذه المقاييس أهميتها في التحليل اللغوي باعتبار الكلام شكلا من السلوك والعرف الاجتماعيين حقيقة. وما يستعمله المتكلمون في ظروف لغوية مختلفة ما هو إلا شكل لغوي تقتضيه حالة الخطاب من بين الأشكال اللغوية المتعددة.³

1- مقبول إدريس: المرجع السابق، ص 249.

2- ميشال جورج كارتر: عشرون درهما في كتاب سيبويه، المرجع السابق، ص 127.

3 - ميشال جورج كارتر: نحوي عربي من القرن الثامن، المرجع السابق، ص 29 - 30

وقد توصل كارتر من خلال قراءته لباب الاستقامة والإحالة في كتاب سيبويه "ويدون أي غموض أن مسألتي الصدق والكذب كما جاءتا في الكتاب لا دور لهما في الحكم على لفظة معينة بأنها (صواب) أو (خطأ) أي (مفهومة أو لا معنى لها) وبأن لفظة معينة قد تكون (صوابا) دون أن تكون (حسنة) أي صحيحة البنية.¹ أي إنّ السلامة اللغوية لا تتعلق بالسلامة البنوية فحسب وإنما تتعلق باستعمال الألفاظ في التراكيب والسياقات الاستعمالية المختلفة، ذلك أن "صواب بنية اللفظة يتعلق بموقع كل عنصر في اللفظة، أي في موقعه الوظيفي الصحيح."² لتكون قدرة المتكلم على التبليغ وقدرة المخاطب على الفهم هي معيار الصواب، فالمخاطب هو الذي يحكم بصواب الكلام، والألفاظ الصائبة من هذا المنطلق هي تلك التي ترضي المخاطب إما بأن توصل له معلومات كان يجهلها، أو بأن توصل المعلومات المقصودة له لا إلى أحد غيره، بحيث يستطيع المتكلم أن يوصل المعلومات بألفاظ قبيحة (غير صحيحة البنية) أو غير مستقيمة دون أن ينطبق ذلك على الكلام المحال، لأن (المحال) يختلف عن (غير المستقيم) في كون الأول منهما لا يمكن أن يكون له معنى في حين يكون للثاني بعض المعنى حتى لو كان مبهما أو كان غير ما قصده المتكلم.³

وعلى سبيل المقارنة بين ما قاله ميشال جي كارتر في مقاله (نحوي عربي من القرن الثامن الميلادي) سنة 1973، وما قاله عبد الرحمن الحاج صالح في نظريته الخليلية التي عرضها من خلال أطروحته للدكتوراه سنة 1979 نقف على بعض ملامح التصاقب الفكري التي نعتبرها من وجهة نظرنا من ملامح تأثر اللاحق بالسابق البينة في فهم كلام سيبويه في باب (الاستقامة والإحالة) ومنها:

- ما يُسميه الحاج صالح (السلامة التي يقتضيها القياس في التركيب) يسميه كارتر (الصواب البنوي).

1 - ميشال جورج كارتر: نحوي عربي من القرن الثامن، المرجع السابق، ص 31

2 - نفسه، ص 31

3 - نفسه، ص 32-33

- ما يُعبّر عنه الحاج صالح بالسلامة التي يفرضها الاستعمال الحقيقي للناطقين في المجتمع يعبر كارتر بـ (شكل السلوك الإنساني) و(ملائم أو مناسب أو صائب اجتماعياً).

- ما يُعبّر عنه الحاج صالح بأنه القدرة على تبليغ كل الأغراض الممكنة في حالات خطابية معينة يعبر عنه كارتر بقدرة المتكلم على التواصل ضمن تقاليد المجتمع. وواجهه في أن يكون مفهوماً، والقدرة على الفهم عند المخاطب.

- ما يشرح به الحاج صالح المستقيم الحسن بأنه السليم في القياس والاستعمال، والمستقيم القبيح بأنه غير لحن ولكنه خارج عن القياس، وقليل في الاستعمال. شرح به كارتر على ذات النحو فالقبيح عنده هو ألفاظ غير صحيحة البنية أي أنها خارجة عن القياس، والمستقيم هو ما يؤدي به المتكلم دوره الاجتماعي في التواصل والتخاطب أي في الاستعمال، وهو الذي يبين مدى قدرة المتكلم العقلية على التواصل ضمن تقاليد المجمع وأعرافه، يقول: "يفترض سيبيويه، دون أن يُصرّح بذلك أن المتكلم لديه القدرة العقلية على صياغة الفكرة وإيصالها بنجاح، لقد كانت هذه الفكرة مضمنة في مصطلحه (مستقيم) المستعمل للحكم على الأقوال التي تكون مفهومة تماماً في معانيها المقصودة." ¹ ف (كارتر) هنا يؤكد على أن لسيبيويه طريقة خاصة في تعامله مع اللغة على أنها شكل من أشكال السلوك الاجتماعي، وذلك من خلال تبنيه للمقاييس الاجتماعية (ك مستقيم وحسن وقبيح) السائدة في عصره لتقويم مستوى الصواب في اللغة على جميع مستويات التحليل اللغوي خاصة المستوى النحوي والدلالي. وطريقة سيبيويه الخاصة في تعامله مع اللغة التي أشار إليها كارتر كشفت له عن سبق سيبيويه الدرس اللساني الحديث في التنظير لما يسمي باللسانيات التداولية، يقول: "إن نوعاً من اللسانيات التداولية يمكن تمييزه في تحليل سيبيويه للكلام قبل وقت طويل من تدوين علم أصول الفقه." ² يتمثل ذلك في تأكيد سيبيويه الدائم على أولوية العرف

1- مايكل جورج كارتر: التداولية واللغة التعاقدية في البدايات الأولى للنحو العربي والنظرية الفقهية، المرجع

السابق، ص 402.

2- نفسه، ص 387.

والاستعمال في تحديد المعنى فالمعنى عنده بغض النظر عن أصل منشئه هو الاستعمال الفعلي للغة، فهو يُقَيّد المعنى بالعادة واستعمال المجتمع أي أن متكلم اللغة مُجبر على البقاء مع الأعراف سواء كانت لغوية أو اجتماعية.¹

- يُفسّر الحاج صالح المحال بأنه قد يكون سليما في القياس والاستعمال، ولكنه غير سليم من حيث المعنى، وكذلك فعل كارتر إذ فسّر المُحال على أنه من باب (الخطأ) لكنه ليس الخطأ البنوي بل الخطأ الدلالي لكونه يشير إلى ألفاظ لا يمكن أن تصلح للتواصل، لعدم قدرتها على أداء معنى، وجمل لا يمكن أن تعني شيئا البتة بالنسبة للمخاطب ولا تنقل إليه دلالة بسبب مخالفة المتكلم لبنية اللغة وعرفها السائد. فهو - على حد تعبير كارتر- منطوق متناقض في ذاته ولا معنى له فهو خاطئ أخلاقيا ومناف للعقل دلاليا، وذلك بسبب مخالفته للعرف الاجتماعي للغة والعقد التواصلية بشكل كبير.² في حين أنه هنا يدخل مجال التداوليات باعتبار "التداولية ليست علما لغويا محضا ينحصر اهتمام الباحثين فيه بالانشغال بالتركيب اللغوية أو التركيز على الجوانب الدلالية فحسب، بل هي تهتم بدراسة التواصل اللغوي داخل الخطابات والبحث في طبيعة العلاقة بين الأحوال الخطابية والأفعال الاجتماعية ومن ثمّ التعامل مع الخطاب الإبداعي بوصفه تعبيراً عن تواصل معرفي اجتماعي في سياق ثقافي، فهي علم يدرس الظواهر اللغوية في مجال الاستعمال."³ أو هي "دراسة استعمال اللغة التي لا تدرس البنية اللغوية ذاتها، ولكن تدرس اللغة عند استعمالها في الطبقات المقامية المختلفة، أي باعتبارها كلاماً مُحدّداً صادراً من متكلم محدد وموجهاً إلى مخاطب محدد بلفظ محدد في مقام تواصل محدد لتحقيق غرض تواصل محدد."⁴

1- مايكل جورج كارتر: التداولية واللغة التعاقدية في البدايات الأولى للنحو العربي والنظرية الفقهية، المرجع السابق، ص 407.

2- نفسه، ص 391.

3- عبد الفتاح أحمد يوسف: لسانيات الخطاب وأنساق الثقافة، منشورات الاختلاف، الجزائر، ط1، 2010، ص 34-35.

4- مسعود صحراوي: المرجع السابق، ص 26.

فالدّراسة التداولية تختلف عن الدراسة البنوية في أنها لا تهتم بالجانب البنوي أو الشكلي فحسب، بل تهتم بدراسة الجانب الاستعمالي للغات الطبيعية، وهذا النوع من الدراسة يثبت خطابية اللغة ويظهر قدراتها التواصلية الكامنة خلف الكلمات والجمل، بحيث لا يُقتصر في دراسة المعنى على المعنى بمفهومه الدلالي البحت بل المعنى في سياق التواصل وهو المعنى الذي يقصده المتكلم ويفهمه المتلقي، أي "المعنى التواصلية أو المعنى الذي يسعى المتكلم لإيصاله للمتلقي بطريقة قد تتجاوز أحيانا معنى ما قاله حرفيا، ليدركه المتلقي بصورة غير مباشرة من خلال السياق."¹ لأن "التواصل اللغوي لا يتوقف فقط على ما للغة من قواعد صوتية و صرفية وتركيبية، إذ تظل غامضة إذا لم تدرج ضمن هذه القواعد معطيات تتعلق بالسياق بكل ما تحويه هذه اللفظة من معان."² وبهذا الاعتبار يمكن أن يكون للمحال خاصية تداولية هي التعبير عن المحال كما في قوله تعالى: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَاسْتَكْبَرُوا عَنْهَا لَا تُفَتِّحُ لَهُمْ أَبْوَابُ السَّمَاءِ وَلَا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّى يَلِجَ الْجَمَلُ فِي سَمِّ الْخِيَاطِ ۗ وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُجْرِمِينَ ﴾³ أي أن الكافرين لا يدخلون الجنة حتى يدخل البعير أو الحبل الغليظ -حسب التفاسير- في خرم الإبرة، وهذا أمر مستحيل. وكذلك في قولنا مثلا (سأتيك عندما يزهر الملح) هو تعبير عن المحال أي إن مجيئي مستحيل كاستحالة أن يزهر الملح.⁴

وهذا الذي يذهب إليه (جون سيرل) (John Searle) في نظرية الأفعال الكلامية التي يؤكد فيها على ضرورة الربط بين العبارة اللغوية ومراعاة مقاصد المتكلمين وسياقات الخطاب، بحيث لا يكفي المتكلم بتوظيف الكلمات والجمل للتعبير عما في نفسه، ولا يقتصر الفعل الكلامي على مراد المتكلم ومقصده، بل يرتبط أيضا

1- علي محمود حجي الصراف: في البراجماتية؛ الأفعال الإنجازية في العربية المعاصرة -دراسة دلالية ومعجم سياقي- مكتبة الآداب، القاهرة، مصر، ط 1، 2010، ص 2.

2- عمر بلخير: تحليل الخطاب المسرحي في ضوء النظرية التداولية، منشورات الاختلاف، الجزائر، ط 1، 2003، ص 39

3 - سورة الأعراف، الآية 40

4- توصلت إلى هذا المعنى من خلال مناقشتي مع الأستاذ (بوحساين نصر الدين) في إحدى جلسات الإشراف.

بحال المخاطب وسياق الحال والعرف اللغوي وظروف الخطاب وآلياته وملابساته النفسية والاجتماعية. "كل تواصل ذو طبيعة لسانية يتضمن أفعالا ذات طبيعة لسانية ووحدة التواصل اللساني ليست -كما نعتقد عموما- الرمز أو الكلمة أو الجملة ولكن ما تنتجه المتوالية من الرموز أو الكلمات أو الجمل في الوقت الذي يتحقق فيه الفعل الكلامي".¹ أي أن المعاني لا ينتجها المتكلم بما يتلفظ به من الرموز والكلمات والجمل فقط وإنما تتولد من خلال عملية التواصل ككل بما يحيط بها من ظروف وملابسات. وهذا ما لم يقف عنده الحاج صالح كثيرا مثله في ذلك مثل (ميشال كارتر) وهذا يكشف مدى التقارب بينهما في الآراء والتحليلات.

-خلص (ميشال كارتر) إلى أنّ زعم الكثير من الدارسين بأن سيبويه لم يلتفت إلى جميع الترتيبات الممكنة لمصطلحاته زعم باطل وعار عن الصحة.² وقد ذهب في ذلك الأستاذ (عبد الرحمن الحاج صالح) نفس المذهب عندما علّل عدم وصف سيبويه الكلام المحال بالحسن والقبح كما وصف المستقيم بأن منه حسنا وقبيحا، وقد قال في ذلك: "امتنع سيبويه في هذا الجزء من الخطاب من ربط المحال بفكرة الحسن لأن الجملة الخالية من المعنى لا يمكن أن تكون مقبولة على أي حال من الأحوال".³ وهذه نقطة أخرى يظهر فيها بوضوح كبير تصاقب أفكار الأستاذ (عبد الرحمن الحاج صالح) بأفكار المستشرق (ميشال جي كارتر) فكلاهما يدافع عن سيبويه ويُفند ادعاء بعض الدارسين في أن سيبويه في تصنيفه الكلام أهمل بعض الممكنات؛ بحيث لم يذكر المحال الحسن والمحال القبيح، وحجتها في ذلك أن الكلام الذي يعدل فيه المتكلم عن سنن العربية وقواعدها وقوانينها لا حاجة لوصفه بالحسن والقبح؛ لأنه خارج عن قياس اللغة وعرف متكلميها.

والجدول الملحق يوضح النقاط التي أشرنا إليها على نحو من التفصيل

بعرض أقوال (ميشال جي كارتر) ومقابلتها بما ذهب إليه عبد الرحمن الحاج صالح:

1 - John Searle : Les actes de langage; essai de philosophie du langage , Paris , hermann, 1972 , p 52

2 - ميشال جورج كارتر: نحوي عربي من القرن الثامن، المرجع السابق، ص 31.

3 - Abderrahmane Hadj Salah: Linguistique Arabe et Linguistique Générale, Référence précédent, Volume 1 ; p 457

كارتر 1973	الحاج صالح 1979
<p>- "فمصطلحا (حسن) و(قبيح) يشيران إلى الصواب البنيوي".¹</p> <p>- "يبدو واضحا أن أول مصطلحين (حسن، قبيح) اللذين يشيران إلى شكل السلوك الإنساني قد استعملهما سيبويه في وصف الأشكال اللغوية، ويمكن تفسيرهما على أنهما يدلان على تركيب بنيوي سليم أو غير سليم. وهذا التعبير يلفت نظرنا إلى المصطلح الحديث (حسن التكوين) (well-formed) الذي أصبح شائع الاستعمال في الأوساط اللسانية".²</p>	<p>- تمييز سيبويه بين السلامة التي يقتضيها القياس في التركيب والسلامة التي يفرضها الاستعمال الحقيقي للناطقين في المجتمع .</p>
<p>- يبدو واضحا أن أول مصطلحين (حسن، قبيح) اللذين يشيران إلى شكل السلوك الإنساني قد استعملهما سيبويه في وصف الأشكال اللغوية.</p>	<p>-القبيح يطلق على الجانب الشكلي للجملة وليس جانبها الدلالي وفي هذا الإطار يظهر التعارض بين حسن وقبيح .</p>
<p>- "على حين يشير مصطلحا (مستقيم) و(محال) إلى مدى قدرة المتكلم على التواصل ضمن تقاليد المجتمع".³</p> <p>- ويرتبط المصطلحان الآخران -كما يستعملهما سيبويه- بفكرة القدرة على الفهم عند المخاطب، فيكون أحسن ما يقابل</p>	<p>- القدرة على تبليغ كل الأغراض الممكنة في حالات خطابية معينة .</p>

1 - ميشال جورج كارتر: نحوي عربي من القرن الثامن، المرجع السابق، ص 29

2 - نفسه، ص 31

3 - نفسه، ص 29

<p>مصطلح مستقيم أن يكون (صحيحاً) ضمن (معنى ملائم أو مناسب أو صائب اجتماعياً) لكون اللفظة تعبر عن واجب المتكلم في أن يكون مفهوماً.¹</p>	
<p>- "يظهر من هذه الأمثلة وغيرها أن الألفاظ (المستقيمة) هي تلك التي يؤدي بها المتكلم دوره الاجتماعي في التواصل والتخاطب ونستطيع أن نضيف إلى ذلك ما يأتي: بالرغم من أننا نستطيع أن نوصل المعلومات بألفاظ قبيحة (غير صحيحة البنية) فإن من الواضح أن سيئويه كان يقصد أن يكون المعياران مترابطين بحيث تكون الجملة (المستقيمة) جملة (حسنة) كذلك والعكس بالعكس.²</p>	<p>- مستقيم حسن = سليم في القياس والاستعمال - مستقيم قبيح = غير لحن ولكنه خارج عن القياس، وقليل في الاستعمال.</p>
<p>- "ومثله مصطلح محال الذي يفضل له أن يؤخذ على أنه يعني (خطأ) لكونه يشير إلى ألفاظ لا يمكن أن تصلح للتواصل.³ أي أنها لا تؤدي معنى وتفتقر إلى السلامة المعنوية.</p>	<p>- محال = قد يكون سليماً في القياس والاستعمال، ولكنه غير سليم من حيث المعنى.</p>
<p>- "بذلك يكون الكلام (المحال) مختلفاً عن الكلام (غير المستقيم) فالأول منهما لا يمكن أن يكون له معنى في حين يكون للثاني بعض المعنى حتى لو كان مبهماً أو كان غير ما قصده المتكلم.⁴</p>	
<p>- "أما المعيار الآخر: محال فيكفي أن نقول أنه يعني الجمل</p>	

1 - ميشال جي كارتر: نحوي عربي من القرن الثامن، المرجع السابق، ص 31

2 - نفسه، ص 32

3- نفسه، ص 31

4- نفسه، ص 33

التي لا يمكن أن تعني شيئاً البتة بالنسبة للمخاطب... نرى في هذا المثال أن المتكلم يسيء إلى بنية اللغة وعرفها السائد بحيث ينأى بنفسه بعيداً خارج مجتمعه اللغوي ومما يلفت النظر أن المخاطب أيضاً يمكن أن يكون نفسه في الموقف نفسه.¹

- "أي استنتاجات أخرى (وقد كان منها الكثير) مبنية على الافتراض الخطأ بأن سيبويه لم يلتفت إلى جميع الترتيبات الممكنة لمصطلحاته إنما هي استنتاجات غير مشروعة."²

- "امتنع سيبويه في هذا الجزء من الخطاب من ربط المحال بفكرة الحسن لأن الجملة الخالية من المعنى لا يمكن أن تكون مقبولة على أي حال من الأحوال."

4.1. رأينا سابقاً أن مفهوم التوزيع الذي هو بمعنى تحليل الجمل إلى مكوناتها القريبة والنظر في مواضعها التي تحتلها في مدرج الكلام دون الاهتمام بوظائفها؛ حسب الحاج صالح يُطابق تماماً مفهوم الموضع عند النحاة العرب. والمستشرق (مايكل جي كارتر) الذي اعتنى بكتاب سيبويه بشكل مستفيض اكتشف في أطروحته: (مبادئ التحليل النحوي عند سيبويه) سنة 1968، أن سيبويه يُحلّل الكلام وفق نحو المكونات القريبة، وأنّ مفهوم الموضع هو ذاته مفهوم التوزيع. وقد تابعته في ذلك أولركة موزل في أطروحتها (المصطلح النحوي عند سيبويه) سنة 1974.³ وتلفت موزل إلى أن سيبويه لم يستخدم التوزيع مصطلحاً ولا ما يتصل به مما يسمى السياق أو المحيط

1- ميشال جي كارتر: نحوي عربي من القرن الثامن، المرجع السابق، ص 32 - 33

2- نفسه، ص 31

3- محمد بن حجر: المرجع السابق، ص 305

اللغوي ولكنه كان على وعي بما يدل عليه كل منهما.¹ ولقد اطلع كثير من الدارسين على نتائج (كارتر) القائلة بأن منهج سيبويه النحوي فيما يتعلق بالموضع هو من قبيل منهج التحليل إلى المؤلفات المباشرة ومنهم نهاد الموسى.²

ولقد استمر (كارتر) يُؤكّد على تلك النتائج والأفكار التي توصل إليها، وعمل على الترويج لها بنشر تحليلات متلاحقة لها في مقالاته، فقد نشر سنة 1973 مقالا بعنوان (نحوي عربي من القرن الثامن) أشار فيه إلى أن النحاة العرب عرفوا المنهج البنوي واعتمده في تحليل اللغة قبل الغرب في درسه الحديث الذي ازدهر في القرن العشرين، واستدل على ذلك بكتاب سيبويه باعتباره أول عمل منهجي علمي دقيق في النحو العربي.³ يقول: "إنه لا يتولى -سيبويه- تحليل الألفاظ إلى ثمانية أقسام للكلام على النمط الإغريقي بل يحللها إلى أكثر من سبعين صنفا وظيفيا، وينظر سيبويه إلى كل وظيفة لغوية على أنها تتحقق بوصفها وحدة ثنائية تحتوي عنصرا فاعلا (العامل) وعنصرا سالبا المعمول فيه من قبل العنصر الفاعل في الوحدة الثنائية. وأسلوب سيبويه هذا شبيه بطريقة تحليل المكونات المباشرة لأنه يتبع أسلوب تحليل كل لفظة إلى وحدات ثنائية constituent analysis immediate إلى درجة ملحوظة يشاركه طرقه العامة في التحليل.⁴ ويقول: "يستنتج من كل ذلك أن طريقة سيبويه هي بالأساس شكل من أشكال التحليل للمكونات المباشرة."⁵

ويعني كارتر بقوله السابق من أن سيبويه (لا يتولى تحليل الألفاظ إلى ثمانية أقسام للكلام على النمط الإغريقي بل يحللها إلى أكثر من سبعين صنفا وظيفيا) بأن سيبويه قد اعتمد مفهوم الموضع أو التوزيع أساسا في تقسيمه الثلاثي الفريد.

1- أحمد محمود نحلة: الاسم والصفة في النحو العربي والدراسات الأوروبية، دار المعرفة الجامعية، الاسكندرية، مصر، د ط، د ت، ص 14، 15.

2- نهاد الموسى: نظرية النحو العربي في ضوء مناهج النظر اللغوي الحديث، المرجع السابق، ص 31.

3- ميشال جي كارتر: نحوي عربي من القرن الثامن للميلاد؛ المرجع السابق، ص 29

4- نفسه، ص 29 - 30

5- نفسه، ص 36

وعلى ذلك يمكننا القول أن (الحاج صالح) قد استفاد من قراءة هذا المستشرق الدقيقة لكتاب سيوييه وتقاربت آراؤهما، فقد توافقت رؤاهما في ربط مفهوم الموضع بمفهوم التوزيع إذ الثابت من خلال ما سبق أن كارتر قد سبق إلى هذا الطرح القائل بالتقارب بين المفهومين وبين المنهجين.

كما تصاقبت آراؤهما في الكشف عن مفهوم آخر يُعد أداة من أدوات التحليل اللغوي التي اعتمدها سيوييه في الكتاب وهو مفهوم الاستبدال (Permutation أو Commutation) الذي ينبثق هو الآخر عن مفهوم الموضع في النحو العربي وعن مفهوم المكونات المباشرة عند اللسانيين الأمريكيين، حيث يقوم التحليل اللغوي عند اللساني الأمريكي على البحث عن المكونات الكبرى للجملة، ثم يبحث في كل مكون منها عن مكوناته وهكذا بالتدرج حتى يصل إلى المكونات الصغرى التي لا تقبل التحليل في مستوى العناصر الدالة (المورفيمات). والاستبدال هو المقياس الذي يُجزئ على أساسه هذه الأشياء إلى مكوناتها القريبة (Immediat Constituents) وهذا المقياس معروف عند جميع اللغويين من أقدم العصور إلى زماننا، وهو يتمثل في إمكانية إقامة وحدة لغوية بل وحدات مقام قطعة من الكلام لا يعرف هل هي وحدة أم لا وذلك كدليل على تكافؤهما، وبالتالي على أن الشيء المقام مقام الشيء بما أنه وحدة دالة فهما إذن من قبيل واحد تماما.¹ وهذا المفهوم مبدأ من مبادئ النحو الخليلي، حيث "كثيرا ما يجري سيوييه على الضروب من الكلام أنواعا من العمليات كالحذف أو استبدال شيء بشيء أو المقابلة بين العناصر التي هي من فئة واحدة للاختبار، فهو يريد أن يعرف - ويستدل في الوقت نفسه- عن السرّ في مجيء الرفع والنصب في عبارة واحدة أو السؤال عن زيادة النون في ضبعان مثلا، ويسمى هذا العمل الاختباري اعتبارا... سيوييه يتعرض في كل باب من أبواب كتابه إلى كل التراكيب التي تحتملها القسمة أو أكثرها وذلك في داخل إطار نحوي معين.² ويعتمد في ذلك على الاستبدال وإحلال عنصر لغوي محل آخر في مدرج الكلام، ويُعبّر عنه سيوييه بقوله (وقع موقع، جرى

1- عبد الرحمن الحاج صالح: بحوث ودراسات في اللسانيات، المرجع السابق، ج 2، ص 34 - 35

2- عبد الرحمن الحاج صالح: منطق العرب في علوم اللسان، المرجع السابق، ص 293

مجرى، في موضع...)، وهو عنده آلية من الآليات التحليلية الهامة التي يعتمدها سيبيويه. ومن خلاله توصل إلى التقسيم الثلاثي للكلم والأنواع التي تتدرج تحت كل قسم ووظائفها والعلاقات التوزيعية التي يمكن أن تكون بينها.¹ كما استعمله لمعرفة بنية التراكيب والأصل فيها. ولقد سبقنا الأستاذ (بن حجر) في أطروحته إلى القول بأسبقية (كارتر) على الأستاذ (عبد الرحمن الحاج صالح) في التنبيه إلى هذا المفهوم - الاستبدال - عند سيبيويه وأشار إلى قوله: "إن التكافؤ بين الألفاظ المركبة والمفردة يرتبط ارتباطاً وثيقاً مع مبدأ التعويض كما أن هذه الفكرة نفسها كانت معروفة لدى سيبيويه وإلى مدى أقل عند أستاذه الخليل أيضاً، لقد كان الخليل يدرك بالتأكيد أنه بالإمكان استبدال جزء من جملة بجزء آخر... وقد نتساءل مع ذلك فيما إذا كانت هذه الوسيلة في إعادة صيغة الكلام هي بنفس مستوى التجريد الواعي المشابه لمناقشة سيبيويه."² وهو ما نستدل به على تأثر (عبد الرحمن الحاج صالح) في آرائه بالمستشرق (ميشال جي كارتر)، واستفادته من فهمه العميق لكتاب سيبيويه خاصة والنظرية اللغوية العربية القديمة عامة.

2. تصاقب أفكار الحاج صالح وأفكار برنارد بوتيه (Bernard Potier):

لقد رأينا من خلال وصفنا لمبادئ النظرية الخليلية الحديثة وتحليلها أنه كان للحاج صالح آراء مُنصفة حول دقة وتكامل النظرية اللغوية العربية، وفهم عميق لجوهر النحو العربي والنظرية اللغوية العربية القديمة التي تعود أصولها إلى الخليل وسيبيويه ومن تابعهما؛ كما رأينا أنّ فهمه العميق هذا يتفق مع فهم بعض المستشرقين الذين كان لهم اهتمام بكتاب سيبيويه، ومنهم ميشال جورج كارتر، وفي ذات السياق تبرز لنا جهود المستشرق الفرنسي (برنارد بوتيه Bernard Potier). وهو واحد من أشهر أعلام اللسانيات الفرنسيين، ولد في 29-09-1924 بباريس، تحصل على شهادة البكالوريا سنة 1942، اهتم في مرحلته الجامعية بجامعة السوربون الفرنسية باللسانيات والفيلولوجيا، وتخرّج بها بشهادة الليسانس سنة 1944، كما تحصل على

1- محمد بن حجر، المرجع السابق، ص 328

2- ميشال جي كارتر: نحوي عربي من القرن الثامن، المرجع السابق، ص 36

ديبلوم معهد الصوتيات في ذات السنة عن دراسة بعنوان Remarques sur révolution du parler parisien ، ليحصل سنة 1945 على شهادة الدراسات العليا عن دراسة قدمها بعنوان: (Étude pour une grammaire historique de l'aragonais) قدم أطروحته للدكتوراه للمناقشة بجامعة السوربون في 14-05-1955 بعنوان: (Systématique des éléments de relation. Etude de syntaxe structurale romane) ، والتحق بجامعة بورجو للتدريس في ذات السنة، وقد درس في عديد الجامعات الفرنسية والأجنبية منها ستراسبورغ سنة 1985، وجامعة السوربون بدءا من سنة 1974، له اهتمامات وآراء خاصة حول اللسانيات والسيميائيات، استدعي لتقديم الدروس والمحاضرات في عدة جامعات عالمية في أوروبا (بلجيكا، اسبانيا، ألمانيا، بلغاريا، الدانمارك، إيطاليا)، وأمريكا (الولايات المتحدة الأمريكية، الأرجنتين، كندا، المكسيك، الشيلي، البرازيل، فنزويلا) وآسيا (الصين) وإفريقيا (الجزائر سنة 1966)، المغرب سنة 1979، مصر سنة 1973). بدأ نشر أول مقالاته منذ أوائل الأربعينيات، ومنها:

- 1 - 1948 : La naissance des semi-consonnes transitoires .
- 2 - 1948: Physiologie, psychologie et tendances linguistiques.
- 3 - 1949 : Sur la Confréquence relative des phonèmes .
- 4 - 1952 : Sur l'évolution sémantique .
- 5 - 1958 : Pensée structurée et sémiologie .
- 6 - 1964 : Vers une sémantique modern
- 1968 : G. Guillaume, N. Chomsky et les niveaux d'analyse .
- 1986 : La sémantique et son environnement .

نشر أول مؤلفاته منذ أوائل الستينات، ومنها:

- 1- 1962 : Systématique des éléments de relation. Etude de syntaxe structurale romane.
- 2- 1962 : Introduction à l'étude des structures grammaticales mentales.
- 3- 1963 : Recherches sur l'analyse sémantique en linguistique et entraduction mécanique .¹

وبعيدا عما قدّمه (برنار بوتيه) من الإنجازات الفكرية في حقل اللسانيات، فإن غايتنا من هذا السرد للمسيرة العلمية له والمسار اللساني له خاصة، هو أن نستخلص بعض القرائن والمؤشرات التي نبرر بها ملامح تقارب الأفكار بين الحاج صالح وبرنارد بوتيه والتي يمكن أن تكون متأثرا أكثر من كونها مجرد تصاقب، مع

1 - Michel Dessaint : Biographie de Bernard Pottier , Annexes des Cahiers de linguistique hispanique médiévale , volume 7 , 1988 , 13 – 44

الإشارة إلى أن برنارد بوتيه قد أشار إلى الحاج صالح¹؛ فلم لم يشر إليه الحاج صالح بدوره؟ وهذه القرائن على النحو الآتي:

- صلتته به التي لاشك فيها وذلك من خلال إشارتنا إلى أنه درّس بجامعة الجزائر سنة 1966، كما درّس بجامعة السوربون بدءاً من سنة 1974 واستمر إلى ما بعد سنة 1979 وهي السنة التي قدم فيها الأستاذ عبد الرحمن الحاج صالح رسالته.

- شروعه في البحث والكتابة والنشر والتأليف قبل (الحاج صالح) بكثير، حيث يعود ذلك إلى أوائل الأربعينيات بينما لم يبدأ (الحاج صالح) الكتابة إلا أوائل الستينات.

- اهتمامه بالجانب الدلالي حيث تعتبر الأبحاث التي قام بها برنار بوتيه في مطلع الستينات؛ في الفترة ما بين 1964-1965 تطورا حقيقيا لمنهج تحليل مكونات المعنى؛ التي ظهرت في الأبحاث التي قدّمها العالم الدانماركي لويس يلمسليف (Hjelmslev Louis) في عام 1953. وتطورا في الأبحاث التي قام² وهذا المستوى الدلالي هو الذي انشغل الأستاذ عبد الرحمن الحاج صالح بالتأسيس له إلى جانب المستوى التركيبي. إذ من المعروف عن النظرية الخليلية الحديثة أنها دافعت عن النظرية الدلالية العربية.

- اهتمامه بالتراث النحوي العربي ممثلا في كتاب سيبويه الذي استرعى اهتمامه، خاصة باب (الاستقامة والإحالة) وقد برع في قراءته وأبان عن دقة النظرية اللغوية العربية، ويمكننا الحديث عن أوجه التشابه البارزة في كتابات وتحليلات كل منهما. فهما يتفقان على أن:

1 - Bernard Potier: Sibawayhi et L'actualite Linguistique, Revue Al- Lisanyyat , centre de recherche scientifique et technique pour le Développement de la Langue Arabe, Alger , n 14 - 15 , 2008 - 2009 , P 5 -la marge-

2- ديرك جبرارتس: نظريات علم الدلالة المعجمي، تر: فاطمة الشهري وآخرون من فريق الترجمة بجامعة الأميرة نورة بنت عبد الرحمن، الأكاديمية الحديثة للكتاب الجامعي، القاهرة، مصر، ط1، 2012، ص113.

1- المستقيم الحسن هو ما يوافق القياس ويخضع لقواعد التركيب بحيث يُسميه الحاج صالح (سليم في القياس والاستعمال) ويسميه بوتيه (صحيح تركيبيا) كما يتفقان على أن المستقيم القبيح هو ما يخرج عن القياس وقواعد التركيب. فيُسميه الحاج صالح (خارج عن القياس)، ويسميه بوتيه (خاطئ تركيبيا)، وقول (بوتيه) (صحيح وخاطئ تركيبيا) و(نحوي) دلالة على أنهما لفظان يحصل تحديدهما وتفسيرهما على اللفظ نفسه دون أي اعتبار للمعنى فهو تحليل لفظي نحوي (grammatical) كما ذهب إلى ذلك الحاج صالح.

2- (المحال) هو (ما لا يؤدي دلالة) فيسميه الحاج صالح (غير سليم من حيث المعنى) ويسميه (بوتيه) (خاطئ دلاليا) فهما متفقان على أن وصف الكلام بالمحال كان نتيجة تفسير اللفظ باللجوء إلى اعتبارات تخص المعنى، فهو تحليل معنوي دلالي (Sémantique) بتعبير الحاج صالح، و(متناقض معنويا) anisosémique بتعبير بوتيه. كما أن الحاج صالح يُحدّد المحال بأنه قد يكون سليما في القياس، مما يعني أن المحال قد يحدد باعتبار اللفظ أيضا وكذلك نجد (بوتيه) لا يضع علامة (-) للمحال في خانة التركيبي كما وضعها للمستقيم القبيح. وهذا معناه أن كلا منهما يتفق على أن المحال عند سيويه يحدد باعتبار اللفظ أحيانا وباعتبار المعنى أحيانا وباعتبارهما معا أحيانا أخرى، وذلك أنه في المحال هناك تنافر تركيبى وتنافر معنوي، ففي قولنا:

المثال	تنافر معنوي	تنافر تركيبى
أتيتك غدا	العبرة لا تحمل دلالة	الفعل (أتى) ماضى نمرز له بالرمز (-) وغدا تدل على الاستقبال نمرز لها بالرمز (+)
سأتيتك أمس	العبرة لا تحمل دلالة	السين تدل على الاستقبال نمرز لها بالرمز (+) وأمس تدل على الماضي نمرز لها بالرمز (-)

ونوضح ذلك في الجدول الآتي:

برنارد بوتيري (Bernard Potier)	الحاج صالح																								
<p>"- كلام حسن هو تركيبيا صحيح إذن نحوي</p> <p>- كلام قبيح هو تركيبيا خاطئ إذن نحوي</p> <p>- كلام مستقيم هو دلاليا صحيح إذن دلالي (isosémique)</p> <p>- كلام محال هو دلاليا خاطئ إذن متناقض معنويا anisosémique</p> <p>- كلام كاذب هو براغماتيا غير صحيح إذن غير حقيقي.¹</p>	<p>- مستقيم حسن = سليم في القياس والاستعمال</p> <p>- مستقيم قبيح = غير لحن ولكنه خارج عن القياس، وقليل في الاستعمال-</p> <p>- محال = قد يكون سليما في القياس والاستعمال، ولكنه غير سليم من حيث المعنى.</p>																								
<table border="1"> <thead> <tr> <th data-bbox="188 1180 363 1272">براغماتيا</th> <th data-bbox="363 1180 496 1272">دلاليا</th> <th data-bbox="496 1180 628 1272">تركيبيا</th> <th data-bbox="628 1180 970 1272"></th> </tr> </thead> <tbody> <tr> <td data-bbox="188 1272 363 1361"></td> <td data-bbox="363 1272 496 1361">+</td> <td data-bbox="496 1272 628 1361">+</td> <td data-bbox="628 1272 970 1361">أ = مستقيم حسن</td> </tr> <tr> <td data-bbox="188 1361 363 1451"></td> <td data-bbox="363 1361 496 1451">-</td> <td data-bbox="496 1361 628 1451"></td> <td data-bbox="628 1361 970 1451">ب = محال</td> </tr> <tr> <td data-bbox="188 1451 363 1541">-</td> <td data-bbox="363 1451 496 1541">+</td> <td data-bbox="496 1451 628 1541"></td> <td data-bbox="628 1451 970 1541">ج = مستقيم كذب</td> </tr> <tr> <td data-bbox="188 1541 363 1630"></td> <td data-bbox="363 1541 496 1630">+</td> <td data-bbox="496 1541 628 1630">-</td> <td data-bbox="628 1541 970 1630">د = مستقيم قبيح</td> </tr> <tr> <td data-bbox="188 1630 363 1765"></td> <td data-bbox="363 1630 496 1765">-</td> <td data-bbox="496 1630 628 1765"></td> <td data-bbox="628 1630 970 1765">هـ = محال كذب</td> </tr> </tbody> </table>	براغماتيا	دلاليا	تركيبيا			+	+	أ = مستقيم حسن		-		ب = محال	-	+		ج = مستقيم كذب		+	-	د = مستقيم قبيح		-		هـ = محال كذب	
براغماتيا	دلاليا	تركيبيا																							
	+	+	أ = مستقيم حسن																						
	-		ب = محال																						
-	+		ج = مستقيم كذب																						
	+	-	د = مستقيم قبيح																						
	-		هـ = محال كذب																						
<p>2 "</p>																									

1 - Bernard Potier : Référence précédent, P 5

2 - Ibid, P 6

3 - يفسر (بوتيه) بعض أقسام الكلام من الناحية التداولية بالحديث عن الإفادة التي يتضمنها المستقيم الحسن والمستقيم القبيح والمحال ويخلو منها المستقيم الكذب، بحيث يُعبّر (بوتيه) لا يوجد اعتراض براغماتيا على (أ) المستقيم الحسن (ب) المحال و(د) المستقيم القبيح. وعكس (ج) المستقيم الكذب الذي وضع له علامة سالب (-) مما يدلُّ على أنَّه غير دال براغماتيا، ومثله (الحاج صالح) لم يُشر إلى دلالة (المستقيم الكذب) التداولية التي تتحقق في الاستعمال، فقد حدد الأضرب السليمة في الاستعمال بأنها (المستقيم الحسن) و(المستقيم القبيح) على قلته و(المحال)، دون أدنى إشارة إلى المستقيم الكذب -ويقصد (بوتيه) بالبراغماتية: اللغة في الاستعمال (التشابه مع الواقع الذي ليس له حدود)، فخلص إلى أن الألفاظ رغم تفاوتها في السلامة التركيبية تكون صالحة لاعتمادها اجتماعيا أي أنها صالحة للاستعمال، فهي ذات بعد تداولي.¹ وهذا الذي عبّر عنه الحاج صالح بالتمييز بين السلامة التي يقتضيها القياس والسلامة والاستحسان اللذين يفرضهما الاستعمال الحقيقي للناطقين، فهما متفقان على أن قوانين استعمال اللّغة هي قوانين اجتماعية في الأصل يُراعى فيها الجانب السياقي أو التّداولي. فاللفظ له بنية قائمة بذاتها ولها قوانينها الخاصّة، وهي غير قوانين استعماله في حالات خطابية معيّنة، فالمتكلم إنّما يختار لفظا معيّنا لتأدية غرضٍ معيّن في حال خطابية معيّنة، ودراسة هذا الجانب الاستعمالي للّغة هو ما يسمى بالبراغماتيك pragmatique أو التداولية. فالكلام يرتبط بالسياق ويُفهم من خلال جملة من القرائن والعوامل غير اللفظية التي ترافق الاستعمال والتي تشكل في اتحادها مع اللفظ ما يسمى بالخطاب، وهو ما امتاز به النحاة العرب الأوائل بحيث كانوا لا ينظرون في ما تدل عليه الألفاظ من المعاني إلا بالتتابع الواسع للاستعمال، فسيبويه عندما أقام هذه التصنيفات؛ إنّما يُقيم تمييزا صارما بين الكلام كبنية نحوية (الوضع)، يكون فيها التعبير سليما خاضعا للقياس والقواعد الضابطة، وبين الكلام كخطاب يجري على ألسنة المستعملين في أفعال خطابية معيّنة، ويؤدي به المتكلم ويبلّغ كل الأغراض المُمكنة في حالات خطابية معيّنة، وحدّد القوانين والضوابط اللغوية

1 - Bernard Potier : Référence précédent, P 6

والخطابية التي يختص بها كل نوع. وهو التمييز الذي سبق إليه النحاة العرب على نحو فريد لم يلتفت إليه الدرس الغربي الحديث إلا منذ عهد قريب.

وأكبر دليل على تمييز النحاة القدامى الصّارم بين ما يرجع إلى الوضع وما يرجع إلى الاستعمال عند الحاج صالح؛ هو تحديدهم لبنى الكلم وما تحمله من دلالة في الوضع، ثم تحديدهم للتغييرات التي تطرأ على هذه البنى أثناء الاستعمال بالحذف والقلب... ومن ثمّ التغييرات التي تطرأ على المعانى بسبب تصرّف الناطقين بسبب تلك التغييرات التي يحدثونها على مستوى البنى. ومن خلال الاستعمال تفسر أهم ميزة للغة وهي قدرة المتكلم على التصرف في بنى اللغة للتعبير عن أغراضه وقدرة المخاطب على الفهم، وهذا التفسير لربط الكلام بالاستعمال عند النحاة العرب الذي تحدث عنه الحاج صالح هو ما عبر عنه (بوتيه) بـ (البعد عن الحقيقة) أي المجاز، يقول: "البعد عن الحقيقة (الواقع) الحدتي هو تواصل يُمكن لكل متحدث (المتكلم) قراءته بالكيفية التي يريدها بفضل التعابير المجازية التي يُسيّرُها (يديرها) حسب قدرة الفهم عند المتحدث إليه (المخاطب)".¹ فهذا البعد عن أصل الوضع يهدف إلى التعبير عن أغراض إبلاغية تقتضيها ظروف خطابية معينة تحيط بالمتكلم، وفهمها يرتبط بقدرة المخاطب على تفسير الخطاب المعدول فيه عن الأصل و(بوتيه) يرى في هذا المعدول أو الانحراف عن الأصل دورا في التواصل وتبليغ الخطاب، يكمن في تبليغ المعنى وما وراءه، ويسمي ذلك (المفاجأة الدلالية) (aniso-semie) يقول: "أثر (المفاجأة الدلالية) (aniso-semie) يفترض عملية من طرف المتحدث؛ يمكن تسميتها ما وراء المعنى (métasémie)"² فقول القائل (شربت ماء البحر) أو (ولج الجمل في سمّ الخياط) الذي يُعبّر عنه بأنه مُحال، وبأنه لا يحمل دلالة ينطبق ذلك على الكلام العادي وعلى الظاهر، أما إذا أجريناه على المجاز فإنّه يَنمُّ عن طاقات إبداعية لا متناهية، ويحمل دلالات باطنية يرمي إليها المتكلم، ولا يقبض عليها المخاطب ولا يفهمها إلا من خلال السياق وقوانين الاستعمال واستجواب النص. وذلك لأنه "أصبح النص مع دريدا عبارة

1- Bernard Potier : Référence précédent, P 6

2 - Ibid, P 6 .

عن شبكة من الآثار التي تُحيل إلى علاقات لا نهائية من الاختلافات بين العلامات الخطية، حيث يبقى نشاط التفكير مرتبطاً أساساً بالقدرة على استجواب النصوص والغور في لعبة المعاني، أي العمل على تكملة المعنى من خلال تقويض سلطة المعنى الثابت، والعمل على فتح القراءة الحرة للدال بتفجير قدرة العلامة الخطية على أفق التأويل إذ انتقل مؤولو النص من البحث عن الحقيقة وعن المعنى القارّ الوحيد؛ إلى البحث المُحتمل والمُمكن وعن المعاني المتعددة، وبالتالي تجاوز مركزية وسلطة الكلمة الملفوظة، وتفكيك المفهوم. لأنّ كلاً من النص الأدبي والفلسفي لا يمكنهما الاستمرار إلا داخل اللغة المجازية ولغة الاستعارة مثلما أشار إلى ذلك ينتشه في نقده للإرث الفلسفي كمجموعة استعارات.¹ إلا أن هذا البعد التداولي لم يقف عنده الحاج صالح كثيراً عكس (بوتيه)، وتُمثّل لهذا بالمحال الكذب الذي قد يكون سليماً في البنية أو التركيب ويجري على القياس ولكنه غير سليم ويحمل تناقضاً من ناحية الدلالة، ولم يتكلم عنه الحاج صالح ولم يُشر إلى البعد التداولي فيه، أي أنه لا يراه من المُمكنات التي تجري في الواقع والاستعمال. ففي (شربت ماء البحر غداً) أو (سوف أشرب ماء البحر أمس) هو محال لأنّ فيه تناقضاً بين أول الكلام وآخره (الماضي/ المستقبل) أو (المستقبل/ الماضي) وكذب لأن ماء البحر مالح لا يشربه البشر.

ولكننا نرى أنه إنما يصدق هذا التحليل في المستوى العادي من الكلام، ولكن يتغير الوصف حين ننقل إلى المستوى الأدبي أو الشعري خاصّة، حيث يصبح الكذب والمحال واللدلالة دلالة، إلا أن الدلالة هنا تداولية يقتضيتها السياق. وهذا عبّر عنه (بوتيه) حين لم يضع في خانة المحال الكذب في المستوى البراغماتي علامة سالب (-) كما وضعها للمستقيم الكذب؛ مما يدل أنه يعتبر المحال الكذب ضرباً من أضرب الكلام الدالة براغماتياً، كما عبّر عنه بالحديث عن أهمية مفهوم الكذب والإحالة التي يسميها (لعبة دلالية) (jeu sémantique) أي أنها اللعب بالألفاظ والتصرف في تركيبها لتأدية معانٍ غير التي وضعت لها في الأصل أي تأدية غرض معين في

1- معرف مصطفى: النص ودلالة الغياب في تفكيكية جاك دريدا: مجلة نزوى، مؤسسة عمان للصحافة والنشر والإعلان، العدد 68، أكتوبر 2011، ص 50.

حال خطابية معينة. ويؤكد ذلك بوتيه حين يذهب إلى أن هذه اللعبة الدلالية يجب أن تفسر في المضمون والحالة -الحال الخطابية-، يقول: "مهمة مفاهيم الإحالة والكذب؛ الإحالة وضحت بالحدث الذي وقع في الماضي يمكن دمجها في حالة في المستقبل، يوجد عدم تناسق ذو طبيعة موضوعية. يجب القول إن تمّ النطق (التلفظ) بجملة كهذه يعني المتكلم يريد بها لعبة دلالية (jeu sémantique) يجب تفسيرها في المضمون والحالة. هذا هو عنوان فيلم (روني كلير: René clair) (حدث غدا: c'est arrivé demain) أين شخصية من الفيلم تقرأ جريدة اليوم التي تضم الأخبار التي ستحدث في الغد. فيما يخص الجانب البراغماتي ما هي الإقضية التشابه مع الواقع التي ليس لها حدود أحدهم الذي (شرب الحساء) مرتين في المسبح ألا يستطيع القول لصديقه (البارحة شربت كل ماء المسبح)؟"¹

وهذا الذي برع (بوتيه) في عرضه لم يقف عنده الحاج صالح كثيرا، فهو لم يلتفت كثيرا إلى الجانب البراغماتي لبعض أقسام الكلام. ومعلوم أن أهم خصائص اللغة هي قدرتها الخلاقة كما أوجزها فيلهم همبولدت في مقولته الشهيرة (اللغة هي استخدام لا محدود لوسائل محدودة)... فاللغة هي وسيلة اقتصادية لزيادة فاعلية التواصل ما بين أفراد الجماعة، ويهدف التنظير اللغوي إلى التوصل إلى تلك الوسائل المحدودة وذلك بغية توصيف هذا اللامحدود اللغوي، والسؤال الذي يفرض نفسه هنا هو: كيف يدين اللامحدود اللغوي للسيطرة النظرية؟² وياله من سؤال! (كيف يدين اللامحدود اللغوي للسيطرة النظرية؟) فالدلالات غير محدودة فكيف نقصرها على التركيب السليم؟ ونقصي المحال والكذب. ويدعمنا في ذلك قول (ابن جني) في تعريف اللغة بأنها: "أصوات يُعبّر بها كل قوم عن أغراضهم."³ فالأغراض هي الدلالات وهي غير محدودة وغير متناهية، تخضع للاستعمال ولقدرة المتكلم على الإبداع، وهذه الدلالات التي تتولد نتيجة الاستعمالات المختلفة والسياقات المختلفة هي التي تُجسّد

1 - Bernard Potier : Référence précédent, P 6

2- نبيل علي: اللغة العربية والحاسوب، تقديم: أسامة الخولي، دار تعريب، شركة العربية، د ط ، 1988، ص 44

3 - أبو الفتح عثمان بن جني: المصدر السابق، ج 1 ، ص 33

(قدرة اللغة الخلاقة) أي مرونتها وقدرتها على التعبير المناسب لكل موقف وظرف، وهو ما يزيد فاعلية التواصل كما عبر (نبيل علي) في القول السابق، وهذا واضح في تعريف (ابن جني) إذ إنه يُصرُّ على الجانب الاجتماعي وبالتالي الاستعمالي للغة من خلال قوله (يعبر بها كل قوم).

وعليه فإن اللغة "توفّر لنا العديد من الطرائق والأساليب والتكتيكات التعبيرية، وهي تحيل المحدود العددي لأبجديتها ومفرداتها وصيغها ومقولاتها إلى عدد لا نهائي من المنطوقات اللغوية، وعلى الرغم من لا تناهيتها يظل المتلقي قادرا على التحقق من صحتها ومعقوليتها على ضوء عدد قليل نسبيا من القواعد والمبادئ.¹ فاللغة بمرونتها وخضوعها للاستعمال تُقدّم العديد من الإمكانيات التعبيرية للمتكلم عن حاجاته المختلفة، أي عدد غير محدودٍ ولا متناهٍ من التراكيب والدلالات. وما المحال والكذب إلا دليل من دلائل على قدرة اللغة على خضوعها للاستعمال ومرونتها اللامحدودة، وتلبيتها لحاجات المتكلم حسب مقتضيات الخطاب وهنا تبتدئ التداولية.

وتمثّل اهتمام كل من الحاج صالح وبرنارد بوتيه ببعض مستويات تحليل

الكلام على النحو الآتي:

مستويات تحليل الكلام	تعريفه	الحاج صالح	بوتيه
المستوى التركيبي	دراسة علاقة الوحدات اللغوية ببعضها البعض.	+	+
المستوى الدلالي	دراسة المعاني التي تحملها الوحدات اللغوية.	+	+
المستوى التداولي	دراسة علاقة الوحدات اللغوية بمستعملها.	- / +	+

نستخلص من الجدول السابق أن الأستاذ (عبد الرحمن الحاج صالح) اهتم

بالمستويين التركيبي والدلالي، وهما المستويان اللذين كان يُؤسّس لهما طوال مسيرة

1 - نبيل علي: المرجع السابق، ص 50

بحثه، ولم يلتفت إلى ما فوقهما. ولذلك فإن النحو الذي أسست له النظرية الخيلية هو نحو الجملة ولم تتعدّه إلى نحو النص. مع أن نحو الخليل شامل لكل مستويات اللغة ولا يتوقف عند مستوى الجملة، وأن كتاب سيبويه ليس "كتاباً في الإعراب بالمعنى التقليدي، وإنما هو كتاب في تحليل الخطاب ولسانيات النص درس فيه اللغة كوضع أو نظام بنوي، ودرس فيه ظواهر الاستعمال ممّا تؤكد الدراسات اللسانية المعاصرة في إطار الطابع التداولي العملي".¹ بدليل "ربط سيبويه بين المقال والمقام أو ما يمكن أن يُطلق عليه الآن بعض الدارسين في اللسانيات النصية بالإحالة النصية والإحالة المقامية..."²

3. تصاقب أفكار الحاج صالح وأفكار جيرار تروبو Gérard Troupeau:

لقد تعرض النحو العربي إلى هجمات شديدة من قبل بعض المستشرقين الذين نفوا عنه طابع الأصالة والإبداع، وساد الاعتقاد لدى الكثير الدارسين أن النحاة العرب استندوا في المناهج التي وضعوها لتحليل اللغة على الثقافة اليونانية، فكانوا مجرد عالة عليها وورثة لمنقطها. وسعى هؤلاء إلى إثبات ذلك ببعض الأبحاث التي قدّموها، نفوا فيها قيمة الدراسات التي أنجزها العرب والمناهج التي وضعوها في درسم اللغوي، وأنكروا أن يكون للخليل وسيبويه ومن تابعهما؛ القدرة والعبقرية على ابتكار وابتداع مثل تلك المناهج في ذلك التاريخ المبكر من حياة العرب لعجزهم، أو عجز البيئة الاجتماعية العربية على الإتيان بمثل هذا الصنع المبتدع.³

وقد كانت هذه القضية من أولى وأهم القضايا التي شغلت الأستاذ (عبد الرحمن الحاج صالح)، فقد تصدرت هذه المسألة كتاباته اللسانية بمقاله الذي نشره سنة 1964 بمجلة كلية الآداب بجامعة الجزائر والذي تصدى فيه لدحض مزاعم القائلين بتأثر النحو العربي في مرحلته الأولى؛ على عهد الخليل وسيبويه بمنطق أرسطو،

1 - بشير إبرير: آليات تحليل الخطاب في كتاب سيبويه، المرجع السابق، ص 29

2 - نفسه، ص 29

3 - عبد الرحمن الحاج صالح: بحوث ودراسات في اللسانيات، المرجع السابق، ج 1، ص 44

وظلت هذه الفكرة تسيطر على توجُّهه اللساني الذي يُشيد بالقيمة العلمية للجهود اللسانية العربية. وقد أفاض في شرحها من خلال كتابه (منطق العرب في علوم اللسان) الذي صدر سنة 2012. كما كانت هذه القضية محل اهتمام من طرف المستشرق (جيرار تروبو)، وقد وقفنا من خلال القراءة المتأنية والنظر الفاحص إلى ماكتبه كل منهما على تشابه كبير في وجهات النظر بينهما. وقد أجمنا ذلك في النقاط الآتية:

1.3. يرى الأستاذ (عبد الرحمن الحاج صالح) أن أشهر من أثار القضية وبحث فيها وتوغّل في التعليل لها والتدليل على صحتها، وتبنّى الموقف الزاعم بوجود تأثير يوناني في النحو العربي في بدء نشأته، وعمل على ترسيخ ذلك في عقول الدارسين المستشرق (أدالبير مركس) (A.Merx)، الذي بنى زعمه على المقارنة بين المصطلحات النحوية التي تواضع عليها العرب من ناحية واليونان من ناحية أخرى، ورأوا في تقسيم العرب للكلام تقسيما أرسطو طاليسيا محضا. حتى عمد الكثير إلى اتّباعه في الرأي وموافقته دون تحفظ أو اعتراض أو نقد يقول: "و لم نر أحدا توغّل في هذا البحث مثل ما فعل هذا المستشرق... وقد صار كل من يأتي بعده -إذا ما عالج الموضوع- يرتاح إلى ما قاله هذا الرجل مُطمئنّ البال لما يظهر له أنّه (إحكام استدلال وحسن تعليل) غير ناقد ولا ناوبا تماما نقض مايتفق مع أهوائه.¹ ونفس المذهب ذهبه المستشرق(جيرار تروبو) الذي أشار إلى أن "المستشرق الألماني merx الذي نشر في منتهى القرن التاسع عشر كتابا عنوانه (تاريخ صناعة النحو عند السريان) هو الذي زعم لأول مرة أن المنطق اليوناني أثر في النحو العربي، لأن الثاني قد اقتبس من الأول بضعة من المفاهيم والمصطلحات، ثم نرى معظم المستشرقين قد اتخذوا هذا الرأي بدون تحفُّظ...² فإذا ما نظرنا إلى القولين السابقين فإننا نقف على ما يدل بأن أحدهما اطلع على فكر الآخر. فإن كان اتفاهما في المعلومة بأن مركس هو أشهر من أثار هذه القضية معقولا، إلا أنه لا يعقل أن يحصل نفس الاتفاق في الفكرة التالية (صار معظم من جاء

1 - عبد الرحمن الحاج صالح: بحوث ودراسات في اللسانيات، المرجع السابق، ج 1، ص 44

2 - جيرار تروبو: المرجع السابق، ص 125

بعد ذلك من الدارسين يتبنى رأي ماركس دون تحفظ أو نقد (...)، إلا إن كان هناك اطلاع أحدهما على فكر الآخر، لاسيما وأن هناك اتفاقا حتى في اللفظ والتعبير، وهو ما يجعل فكرة التأثير واردة.

2.3. حين تجرّد (الحاج صالح) للرد على أولئك الذين اتبعوا ماركس في مذهبه، توصل إلى قناعة مطلقة بأن النحو العربي الأول لغوي محض وعربي خالص وأنه مُتفرد ويّتم بالأصالة والإبداع وبعيد كل البعد في كنهه وجوهره عن المنطق اليوناني، وأثبت أن النحاة العرب الأوائل الذين بذلوا جهودا جبارة لبناء صرح النحو العربي كانت جهودهم قائمة على اجتهاداتهم الخاصة ونظرتهم العميقة للظاهرة اللغوية، وقد هداهم جهدهم واجتهادهم ذلك إلى ابتكار مناهج تحليلية أصيلة لا تدين بالولاء لأي ثقافة أجنبية؛ يدلّ على ذلك قوله: "النحو العربي لم يتأثر في ابتداء نشأته بمنطق أرسطو لا في مناهج بحثه ولا في مضمونه التحليلي فإنه لا يدين بشيء أصلا فيما ابتناه أول أمره للثقافة اليونانية... وأنّ المنطق الأرسطو طاليسي لم يجد مرتعا مربيا إلا بعد نشوء النحو واكتهاله أي بعد إغلاق باب الاجتهاد.¹ وكذلك الشأن بالنسبة لـ(جيرار تروبو)، فقد خلص هو الآخر من خلال استقرائه لكتاب سيبيويه باعتباره نموذجا للنحو العربي في مرحلة النشأة إلى قناعة راسخة بأن النحو العربي أصيل في نشأته يقول: "أنا اعتقد أن علم النحو أعرب العلوم الإسلامية، وأبعدها عن التأثير الأجنبي في طوره الأول"² فكلاهما يميز بين نحو المتقدمين ونحو المتأخرين وكلاهما يثبت أصالة الدرس النحوي عند المتقدمين ويبرّئه من زعم تأثره بالمنطق الأرسطي.

3.3. بنى الأستاذ (عبد الرحمن الحاج صالح) دفاعه على الرد على أهم ادعاءات ماركس بأن النحاة العرب اقتبسوا جملة من المصطلحات والمفاهيم عن المنطق اليوناني، أهمّها: التقسيم الثلاثي للكلام، مفهوم الصّرف والتصريف، مفهوم الإعراب، الحركات وألقاب الأحكام الإعرابية من رفع ونصب وجر. وفي هذا الصدد يقول: "إن أهم ما حاول ماركس أن يبرهن أنه من أصل يوناني ينحصر فيما يلي: تقسيم الكلام

1 - عبد الرحمن الحاج صالح: بحوث ودراسات في اللسانيات، المرجع السابق، ج 1، ص 63

2 - جيرار تروبو: المرجع السابق، ص 138

إلى ثلاثة أقسام، مفهوم الأحداث، مفهوم الخبر وعدم وجود مفهوم ما يسمى *Sujet* عند العرب لعدم وجوده عند أرسطو، معنى الجنس لأن هذه الكلمة من أصل يوناني، ألقاب الأحكام الإعرابية من رفع ونصب وجر، معنى الظرف، معنى الإعراب مقابلاً لمعنى السليقة، معنى الحال، التمييز بين الأزمنة الثلاثة.¹ ولننظر إلى قول (تروبو): "إن المستشرقين ليبيّنوا التأثير اليوناني في النحو العربي، يحتجّون على العموم بأن النحاة العرب القدامى قد اقتبسوا من المنطق اليوناني تقسيم الكلام الثلاثي، ومصطلحات أربعة هي: الإعراب والصرف والتصريف والحركة.² ولننظر من خلال ذلك إلى مدى التوافق بينهما في الحجج التي بنى عليها كل منهما دفاعه، و قد انحصرت عند كليهما في: التقسيم الثلاثي للكلام، الإعراب والصرف والتصريف والحركة.

4.3. بالنسبة لأقسام الكلام يرى مركس أن أرسطو ميّز اللغة ثمانية أقسام: الأسقطس *stoikeion* (الحرف) أو (الهجاء)، المقطع (المجموع أو الاقتضاب) *syllabe*، الرباط *syndesmos*، الاسم *onoma*، الكلمة *rhema*، الفاصلة *arthron*، التصريف: *ptosis*، القول *logos*. وهذا التقسيم نقله العرب عن اليونان وعنه وضعوا تقسيمهم.³ وفي هذا الشأن يرى (الحاج صالح) أن العرب قسّموا الكلام إلى ثلاثة أقسام معروفة وهي الاسم والفعل والحرف الذي يأتي لمعنى، وهو ما يختلف عن تقسيم أرسطو الذي "لا ينظر إلى الكلام نظرة نحوي وهذا قد أجمع عليه، فالمقولة عنده هي التعبير عموماً وتلك هي أقسامها رغم اختلاف مراتبها، وإذا ما استثنينا ما لا يدخل في مرتبة الاسم والكلمة بقي منها الرباط والفاصلة فهذه أقسام أربعة لا ثلاثة."⁴ ومثله يرى (تروبو) أن سيبويه لم يميّز اللغة إلا ثلاثة أقسام وهي: الاسم والفعل والحرف.⁵ فهما ينطلقان من قول سيبويه: "الكلم اسم وفعل وحرف جاء لمعنى وليس باسم ولا فعل."⁶ ليستدلّا من

1 - عبد الرحمن الحاج صالح: بحوث ودراسات في اللسانيات، المرجع السابق، ج 1، ص 52-53

2 - جيرار تروبو: المرجع السابق، ص 126

3 - نفسه، ص 126. و: عبد الرحمن الحاج صالح: بحوث ودراسات في اللسانيات، المرجع السابق ج 1، ص 53.

4 - عبد الرحمن الحاج صالح: بحوث ودراسات في اللسانيات، المرجع السابق، ج 1 ص 53 - 54

5 - جيرار تروبو: المرجع السابق، ص 126

6 - أبو بشر عمرو بن قنبر سيبويه: المصدر السابق، ج 1، ص 12

خلاله على أنّ تقسيم الكلام عند العرب أصيل لا أثر فيه للملامح اليونانية، لأن سيبويه تحدّث عن ثلاثة أقسام فقط في حين تجاوز أرسطو هذا العدد في تحديده لأقسام الكلام.

5.3. بالنسبة للحرف: يجعل أرسطو حروف الهجاء قسماً مستقلاً في تقسيمه وفي هذا يرى (مركس) أن سيبويه متأثر بالنحو اليوناني لأنّه جعل من أقسام الكلام قسماً يسمى الحرف، وقد دحض (تروبو) هذا الزعم ببيانه أن الحرف عند اليونان غير الحرف عند العرب، إذ إن أرسطو يقصد بالحروف حروف الهجاء وهذا لا مقابل في التقسيم العربي، لأنّ سيبويه لم يجعل حروف الهجاء قسماً مستقلاً في تقسيمه.¹ ويرى الحاج صالح في هذا الشأن أن (مركس) زعم (أن تحديد سيبويه للحرف ينفي أن يكون للحرف معنى بذاته) وهو في هذا يُحمّل سيبويه ما لم يقله لأنه يحدد الحرف بأنه: ما جاء لمعنى وليس باسم ولا فعل، ويقصد بذلك أنه يأتي لمعنى في ذاته لا في غيره فلم يقل سيبويه بأن الحرف ما دلّ على معنى في غيره كما فهم (مركس) وإنما قال بهذا المتأخرون ممّن لم يدركوا المدلول الحقيقي الذي كان يقصده سيبويه. فالحاج صالح يرى أن مركس بنى زعمه على أقوال الذين تلووا سيبويه لا على قول سيبويه نفسه، وهو ما أوقعه في الغلط والاعتقاد بأن قسم حروف الهجاء عند اليونان هي مقابل الحرف عند سيبويه.² فقد اتفق (الحاج صالح) مع (تروبو) على أنّ التقسيم الأرسطي يُشير إلى حروف المباني (الهجاء) التي تدلّ على معنى في غيرها، في حين يشير تقسيم سيبويه إلى حروف المعاني التي تدلّ على معنى في نفسها، وشتان بين الاثنين.

6.3. بالنسبة للإعراب: زعم مركس أن مصطلح (الإعراب) الذي يستعمله العرب مأخوذ عن الكلمة اليونانية Hellénisme، والتي تعني الوجه الصحيح في التكلّم الذي يُحافظ فيه المتكلم على قواعد النحو، كما زعم أيضاً أن الإعراب عند العرب يقابل السليقة. وإذا كان الإعراب هو التزام المتكلم بقواعد النحو والحفاظ عليها فإن السليقة هي إهمال تلك القواعد وإغفالها من طرف المتكلم، أي إن الإعراب يعني الفصاحة

1 - جيران تروبو: المرجع السابق، ص 127

2 - عبد الرحمن الحاج صالح: بحوث ودراسات في اللسانيات العربية، المرجع السابق، ج 1، ص 55 - 56

والسليقة تعني اللحن، كما زعم أن لفظة سليقة نفسها من أصل يوناني.¹ وقد عدّ الحاج صالح مذهب مركس في المقابلة بين الإعراب والسليقة دليلاً قوياً على تعسّفه في الحكم بتأثر النحو العربي بالمنطق اليوناني، وجهله لأسرار النحو العربي وخصائص اللغة العربية، ذلك أن السليقة عند العرب هي تكلم العربية بوجهها الصحيح دون لحن ودون إغفال قواعد النحو عن طبع وفطرة، أي دون تعلّم، كما كان شأن العرب قبل وضع قواعد النحو حيث كانوا فصحاء بالسليقة، بل إن قواعد اللغة والنحو كلها وضعت من استقراء كلام العرب الأقحاح السليقيين.² وكذلك يرى تروبو أنّ مركس بزعمه ذاك بعيد عن فهم جوهر النحو العربي؛ إذ إن لفظة الإعراب عند سيبويه تستعمل للدلالة على التغيّرات التي تحدّث في آخر الاسم المتمكن، والفعل المضارع لاسم الفاعل؛ وأنها عنده وعند نحاة العربية تختصّ ببعض الكلمات فقط في الكلام لأنّ بعضها الآخر يكون مبنياً فهي لفظة تُقابل البناء لا السليقة؛ لأن الإعراب مصطلح نحوي بينما السليقة مصطلح خطابي. بينما لفظة Hellénisme التي وردت في قول أرسطو في كتابه "في الخطابة" والتي زعم مركس أن العرب أخذوا عنها لفظة الإعراب؛ فهي كلمة عامة تختصّ بالكلام برمّته فهي اصطلاح خطابي وليس نحويًا.³

7.3. بالنسبة للتصريف والتّصريف: وقف كل من (الحاج صالح) و(تروبو) عند مسألة تحوّل الكلم أفراداً التي أثارها مركس، واعتبرها دليلاً آخر على زعمه بتأثر النحو العربي بالمنطق الأرسطي. فقد زعم مركس "أن العرب يُطلقون اسم الصرف على التحول الإعرابي Déclinaison؛ أي ما يعترى أواخر الكلم من التّغيير وعلى التحول الصّرفي Conjugaison وهو خاص في اصطلاحهم بتصريف الأفعال. فالعرب على رأيه مدينون لأرسطو لمفهوم التّصريف، إذ يراه مركس صالحاً للأسماء والأفعال ويزيد الطّين بلة قوله: (إن العرب كانوا يجهلون المعنى الحقيقي لكلمة تصريف التي تدل

1 - جبرار تروبو: المرجع السابق، ص 129. وعبد الرحمن الحاج صالح: بحوث ودراسات في اللسانيات العربية،

المرجع السابق، ج 1، ص 59 - 60

2 - عبد الرحمن الحاج صالح: بحوث ودراسات في اللسانيات العربية، المرجع السابق، ج 1، ص 60

3 - جبرار تروبو: المرجع السابق، ص 128، 129

على الميل وفي اليونانية هي Klisis¹ حيث كان النحاة اليونان يعتبرون الاسم بالنسبة إلى حالته الأصلية التي هي حالة التسمية onomasticos، له ميل klisis إلى حالات أخرى، كما أنّ الفعل بالنسبة إلى حالته الأصلية التي هي حالة الحاضر enestos، له ميل إلى حالات أخرى؛ وكان النحاة اليونان يسمّون كل واحدة من هذه الحالات المتغيرة وقعة: ptosis.²

وقد دحض (الحاج صالح) هذه الحُجّة أيضاً، وكان دفاعه ببيان مدلول كلمة الصّرف عند العرب الذي يختلف عن مدلولها عند اليونان، بحيث لا تدل كلمة صرف عند سيبويه "على تحويل صيغ الأفعال أبداً، إنما هي صفة للاسم المتمكن الأمكن؛ أي الاسم الذي يعرب بالحركات الثلاث ويدخله التتوين، ثم إن علم الصرف تسمية مُحدثة قابلوا بها علم النحو (بمعناه الخاص: علم التراكيب) ولم يكن هذان العلمان منفصلين في أول الأمر ولا يدخل في هذا العلم - الصّرف - إلا التحول الإفرادي Variations Lexicales فلا يحدث أصلاً عن أحوال الكلم تركيباً وإعراباً وليس خاصاً بالأفعال.³ أما عن لفظ التصريف فقد ذهب (الحاج صالح) إلى أنّه جرى في القديم على مسائل التّمرين، واستدل على ذلك بمذهب الرضي الاسترادي في شرح الشافية القائل بأنّ التصريف هو أن يبني المتكلم من الكلمة بناء لم تبنيه العرب على وزن ما تبنيه ثم يعمل في البناء الذي بناه ما يقتضي قياس كلامهم.⁴

وبنفس المعنى كان دفاع (تروبو) حيث ذهب إلى أن كلمة الصرف في كتاب سيبويه خاصة بالأسماء دون الأفعال وتدّل على إلحاق حرف النون للاسم فقط على أنه علامة التمكن (استقرار الكلمة في قسم الاسم) أي أنها صفة للاسم المتمكن الأمكن وليست تحويلاً لصيغ الأفعال. وأما كلمة التصريف فهي تدل على التغيّرات

1 - عبد الرحمن الحاج صالح: بحوث ودراسات في اللسانيات العربية، المرجع السابق، ج 1، ص 57

2 - جيرار تروبو: المرجع السابق، ص 129 - 130

3 - عبد الرحمن الحاج صالح: بحوث ودراسات في اللسانيات العربية، المرجع السابق، ج 1، ص 58.

4 - نفسه، ج 1، ص 58

التي تَحُدُّثُ في داخل الكلمة لا في آخرها، مما يعني أن مفهوم الميل غير موجود في النظام العربي، كما أن مفهوم التمكن ليس موجودا في النظام اليوناني.¹

8.3. بالنسبة للحركة: يُقسَّمُ أرسطو الحروف إلى مصوِّتة ونصف مصوِّتة وغير مصوِّتة. ويوجد في النحو اليوناني مفهوم يسمى الوقعة، وهي تحدد عند بعض النحاة بأنها حركة تَحُدُّثُ في آخر الاسم.² وقد عمد مركس إلى الربط "بين معنى الرفع في وضع اللغة ومعنى Orthe (الحكم الإعرابي - الواقف) وبين معنى الجرّ الذي يراه منحصرًا في الإضافة، وبين Genike اليونانية وبين النصب الذي يريد هو أن فقط يدل على الغاية وبين معنى aitaatikos".³ وقد ذهب (جيرارد تروبو) إلى التمييز بين النحو العربي والنحو اليوناني في مجال الصوِّتات، فرأى أنّ سيبيويه والنحاة العرب يُقسِّمون الحروف إلى متحركة وساكنة، وهم في هذا لا يختلفون عن أرسطو؛ الذي يُقسِّمها مصوِّتة ونصف مصوِّتة وغير مصوِّتة، ولكنه رأى جوهر الاختلاف بينهم يكمن في أنّ الحركة عند سيبيويه كلمة عامة؛ تدلّ على آخر الاسم المُعرب والمبني، وتحدث في صدر الكلمة ووسطها وآخرها، وتدلّ على حركات الشِّفة أو اللسان عند إخراج الصوت.⁴

وقد وافقه في ذلك (الحاج صالح) إذ رأى أنّ تصوُّر العرب في تقسيمهم لأصناف الحروف إلى سواكن ومتحركات؛ يلتقون مع اليونانيين في تصوُّرهم لتقسيم الأصوات عندهم إلى صوامت وصوائت، ويُعلّل ذلك بأنّه ممّا تفرضه المعرفة المبنية على المشاهدة والتجربة، أي إنه يُعلّل هذا التوافق في التقسيم على أنه تقسيم موجود في كل اللغات، وظاهرة عامة الوجود تتجم عند تقطيع الأصوات الطبيعية في المخارج لدى كل الأمم، لذلك لم يكن غريبا أن يتوصل إليها عباقرة النحو العربي كالخليل وأمثاله. ولكنه يرى بين التصورين العربي واليوناني فارقا جوهريا من زاوية أخرى وهي أن العرب قسموا الأصوات اللغوية إلى حروف صحاح وحروف لين، ثم قسموا هذه

1 - جيرارد تروبو: المرجع السابق، ص 130 - 131

2 - نفسه، ص 130 - 131

3 - عبد الرحمن الحاج صالح: بحوث ودراسات في اللسانيات العربية، المرجع السابق، ج 1، ص 59.

4 - جيرارد تروبو: المرجع السابق، ص 130 - 131

الأخيرة إلى حروف توام وهي حروف المدّ وحروف ناقصة وهي الحركات، وفي هذه الأخيرة يختلفون عن اليونان، بحيث فرق العرب بين الحركة وهي صوت عندهم ومَدَّتْهَا، فاعتبروا هذه المدّة حرفاً قائماً بذاته، بل وحرفاً تاماً (حرف المد) دون الحركة التي هي ابتداءؤها. ولم يجعلوها حرفاً واحداً كما جعله اليونان حرفاً واحداً وهو المَصَوِّت الطويل.¹

وخلاصة ذلك أن تقسيم الأصوات عند العرب يتميز عن تقسيم اليونان حسب الحاج صالح على النحو الآتي:

عند اليونان	عند العرب
<p>الأصوات</p> <pre> / \ / \ / \ / \ / \ / \ / \ / \ / \ / \ / \ صوائت صوامت (قصيرة وطويلة) </pre>	<p>الأصوات</p> <pre> / \ / \ / \ / \ / \ / \ / \ / \ / \ / \ / \ حروف لين حروف صحاح / \ / \ / \ / \ / \ / \ / \ / \ / \ / \ / \ / \ / \ / \ / \ / \ / \ / \ / \ / \ / \ حروف ناقصة حروف توام (الحركات) (حروف المد) (مدّات الأصوات) (أصوات الحركات) </pre>

وعليه فمفهوم الحركات والأحكام الإعرابية التي يستدل عليها بالحركة التي تظهر على آخر الاسم المُعرب والمبني من المفاهيم العربية الأصيلة، التي وضعها النحاة العرب ولم يأخذوها عن النحو اليوناني، والقول بتأثر العرب باليونان في هذه المفاهيم فيه تعسف كبير، وكما عبّر (تروبو) بأن الحركة عند النحاة العرب هي حركات الشفة أو اللسان عند النطق، فقد عبّر الحاج صالح بأن الحركات عند النحويين

1 - عبد الرحمن الحاج صالح: الحركة والسكون عند الصوتيين العرب وتكنولوجيا اللغة الحديثة، مجلة مجمع اللغة العربية بالقاهرة، العدد 88، 2000، ص 24، 25

والصوتيين العرب هي حركات الأعضاء اللافظة، وهذا في قوله: "كم كان من السهل عليه -مركس- أن ينظر إلى ما يقوله سيبويه ومن تلاه عن هذه الألقاب، فأسماء الأحكام الإعرابية مأخوذة من أسماء علاماتها وهي الحركات¹ فقد سمى النحاة هذه الأصوات الناقصة (على حد تعبيرهم) حركات بالمجاز فهي في الحقيقة حركات الأعضاء اللافظة... قال السهيلي: "المتحرك في الحقيقة هو العضو من الشفتين واللسان أو الحنك الذي يخرج منه الحرف."² 3

9.3. يتفقان على أنه قد نشأت العلوم الإسلامية كلها في بيئة واحدة وجو واحد، يأخذ أحدها عن الآخر ويتأثر بعضها ببعض. وأن علماء اللغة وعلماء الدين كانوا متزامنين في الفترة ومتجاورين في المكان، وكانت تضمهم مجامع ومجالس علمية واحدة، بل كان الواحد منهم محدثًا وفقهيا ولغويا نحويا، أو حضر مجلسا في علم غير العلم الذي تخصص وبرز فيه لاحقا. مما جعل العلوم الإسلامية كلها بما فيها علم النحو تتفاعل فيما بينها ويستعير واحدها منهج الآخر بعيدا عن التأثيرات الأجنبية.

يقول تروبو: "ويمكننا القول إن النحو منذ بدايته كان مرتبطا بالحديث والفقه، إذ إن كتب أخبار النحويين تروي لنا عن نصر بن عاصم الليثي وهو أول من وضع العربية بعد أبي الأسود، أنه كان فقيها عالما بالعربية والحديث، كما أنها تروي لنا عن يحيى بن يعمر وهو أول من نقط المصاحف، أنه كان أيضا فقيها عالما بالعربية والحديث. فكان العلماء في غالب الأحيان يتلقون جميع العلوم الإسلامية قبل أن يتخصصوا في واحد منها. فنعلم مثلا أن النحوي المشهور الخليل بن أحمد وهو واحد من أساتذة سيبويه تعلم الحديث والفقه عن أيوب السخيتاني... وكذلك نعلم أن سيبويه قدم البصرة ليكتب الحديث... فتدلنا هذه الرواية على العلاقات الوثيقة التي كانت تربط الحديث بالنحو."⁴

1 - أبو بشر عمرو بن قنبر سيبويه: المصدر السابق، ج1، ص 13

2 - نقلا عن: جلال الدين السيوطي: الأشباه والنظائر، المصدر السابق، ص 191

3 - عبد الرحمن الحاج صالح: بحوث ودراسات في اللسانيات العربية، المرجع السابق، ج1، ص59.

4- جيرار تروبو: المرجع السابق، ص 137، 138.

ويقول عبد الرحمن الحاج صالح: "فعلوم العربية نشأت وترعرعت مع القراءات وتدوين أصول اللغة الأولى وكل ما انبثق من دراسة القرآن كالتفسير والفقه وما ترتب على اتخاذ السنة النبوية كأصل من أصول الشريعة من التحقيق للرواية. فسرعة اكتهال العلوم اللغوية كسرعة تكوّن العلوم الشرعية وجميع العلوم الإسلامية الأخرى."¹

10.3. إنّ هذا التوافق في الآراء والمضامين الفكرية؛ الذي ذكرناه سابقا يوحي لنا بفكرة تأثر الحاج صالح بجيرار تروبو وأخذه عنه، وقد وقفنا على ملاحظة هامة تزيد من قوة احتمالية فكرة التأثر التي نقول بها، وهي تتمثل في استعمال الحاج صالح عبارة "ويمكننا الآن أن نسأل بدورنا التاريخ."² التي تردت كثيرا في مقال جيرار تروبو. الذي بناه على جملة من التساؤلات اللسانية واللغوية والتاريخية والمنهجية، فكان ينتقل من فكرة إلى أخرى بقوله: " فينبغي لنا أولا أن نتساءل هل كان من الممكن من الناحية اللسانية...؟ ... ثم يجب علينا أن نتساءل هل كان من الممكن من الناحية اللغوية...؟ ... يجب علينا الآن أن نتساءل هل كان من الممكن من الناحية التاريخية...؟ ... ينبغي علينا أخيرا أن نتساءل هل كان من الضروري من الناحية المنهجية...؟"³ فمن خلال مساءلتنا للنصين يتبين لنا جليا أن هذا الاقتباس والتقليد في الأسلوب دليل تأثر بالغ. خاصة وأنّ جيرار تروبو كان واضحا من حيث المنهجية؛ فهو حدّد أنه سيقوم بفحص الآراء المتناقضة في نشأة النحو العربي؛ بالإجابة عن سلسلة من التساؤلات المترابطة: لسانية، لغوية، تاريخية، منهجية؛ وهو الذي فعله حقيقة. أما الحاج صالح فلم يدرج إلا تساؤلا واحدا خاصا بالناحية التاريخية. وأجمل باقي النواحي تحت مسمى (المقارنة) دون تحديد حيث قال: "هذا مانقوله من الوجهة التاريخية؛ أما وجهة المقارنة..."⁴

1- عبد الرحمن الحاج صالح: منطق العرب في علوم اللسان، المرجع السابق، ص 43

2- عبد الرحمن الحاج صالح: بحوث ودراسات في اللسانيات العربية، المرجع السابق، ج 1، ص 60.

3- جيرار تروبو: المرجع السابق، ص 126، 128، 131، 135 على التوالي.

4- عبد الرحمن الحاج صالح: بحوث ودراسات في اللسانيات العربية، المرجع السابق، ج 1، ص 54.

وإحكام المنهجية ودقَّتْها وتسلسل المضامين عند تروبو أزاح عنَّا لبس التاريخ- تاريخ مقال الحاج صالح 1964، وتاريخ مقال تروبو (1982 في المجلة العربية)- وجعلنا نعتقد أن الحاج صالح متأثر بهذا المستشرق، وذلك لأنَّه بصفة المتأثر لم يكن بوسعُه أن يُورد كل التساؤلات فيكون تحليله مطابقا لتحليل قرينه ويُصبح التأثير بيِّنا؛ إذ إن قوله نسأل الآن التاريخ يجعلنا نتساءل ماذا سألت قبل الآن؟ والواضح أن الإجابة وزوال الغموض يأتي من عند تروبو الذي يخبرنا في كل مرحلة بوضوح ماذا سأل قبل التاريخ وبعده.

ثم لننظر إلى الخاتمة التي انتهى إليها كل منهما:

- عبد الرحمن الحاج صالح: "ونختم مقالنا مقتنعين أن النحو العربي لم يتأثر في ابتداء نشأته بمنطق أرسطو."¹

- جيرار تروبو: "وفي الختام فأنا أعتقد أن علم النحو أعرب العلوم الإسلامية، وأبعدها عن التأثير الأجنبي في طوره الأول."²

فهل كان صدفة أن يختم كلاهما بنفس العبارة تقريبا؟ وهل كان صدفة أن تكون الخاتمة عندهما إجمالا لما تمّ تفصيله في مقال كل منهما؟ لاشكَّ أن المسألة ليست من قبيل الصدفة؛ بل هي قضية تأثير وتأثر واضحة.

4. تصاقب أفكار الحاج صالح وأفكار جان باتريك جيوم (Jean-Patrick Guillaume):

لقد رأينا في المبحث السابق أنه قد اتجه كثير من الدارسين إلى إنكار أصالة الدراسات اللغوية العربية، واستبعدوا أن تكون تلك الدراسات المبدعة وليدة البيئة الإسلامية، وشكَّوا في الروايات العربية التي تُعدُّ نشأة النحو عربية خالصة، واستخفوا بالآراء التي تؤرخ لظهور النحو العربي بأبي الأسود الدؤلي، وأنكروا أن يكون النحاة العرب أخرجوا شيئا جديدا لعجزهم أو عجز البيئة الاجتماعية العربية على الإتيان بمثل

1- عبد الرحمن الحاج صالح: بحوث ودراسات في اللسانيات العربية، المرجع السابق، ج 1، ص 63

2- جيرار تروبو: المرجع السابق، ص 138

ذلك الدرس اللغوي المُتكامِل. وزعموا أن الأصول الحقيقية له هي أصول أجنبية، وأنه وليد تأثيرات يونانية أو هندية أو سريانية أو عبرية أو فارسية أو رومانية؛ وبالأخص يونانية أرسطية.¹ وقد تبنى هذا الاتجاه الذي ينفى كل طرفة عن المناهج العربية في النحو العديد من المستشرقين، وتابعهم في ذلك بعض الدارسين العرب، ودثروا آراءهم بلباس البحث النزيه فراحوا يقارنون بين مصطلحات النحاة العرب وما تواضع عليه اليونان من قبلهم في علومهم.

وقد وقف الحاج صالح في هذه القضية على الطرف التقيض، وكشف غلط أصحاب تلك الآراء وشططهم، وأثبت بالأدلة العقلية والتاريخية حقيقة أن النحو العربي في جوهره لغوي محض، وأن علوم العربية نشأت وتطورت واكتهلت عربية خالصة، ولم يقع تأثرها بالمنطق الأرسطي والأخذ عن الفلسفة اليونانية إلا في حدود القرن الثالث الهجري، وهو يعدُّ ذلك حدثاً طارئاً خطيراً، كانت له آثار مهولة ووخيمة على الثقافة العربية الإسلامية الأصيلة حيث تغير مسار الدراسات الإسلامية التي تركز على عبقرية عربية وصارت تستند على فلسفات دخيلة.² وتحول معها النحو العربي من نحو علمي أصيل إلى نحو تعليمي يغلب عليه المنطق، حيث كان يُقصد بالنحو عند الأولين "انتحاء سمت كلام العرب في تصرفه من إعراب وغيره، كالتثنية والجمع والتحقير والتكبير والإضافة والنسب والتركيب وغير ذلك، ليلحق من ليس من أهل اللغة العربية بأهلها في الفصاحة فينطق بها وإن لم يكن منهم، وإن شدد بعضهم عنها رُدَّ به إليها."³ أي إن النحو عند هؤلاء المتقدمين لا تقتصر غايته على تتبع الإعراب وتغير أواخر الكلم لتغير العوامل الداخلة عليها كما اشتهر عند المتأخرين، بل غايته هي تمكين المتكلم عربياً كان أو غير عربي من بناء تراكيب سليمة موافقة لسنن وضوابط العربية، وتمكينه من اكتساب القدرة على التصرف في بنى اللغة بما تقتضيه أحوال الخطاب. ولذلك فسّر الحاج صالح قول ابن جني (انتحاء سمت كلام العرب)

1- إسماعيل أحمد عمارة: المستشرقون ونظرياتهم في نشأة الدراسات العربية، دار حنين للنشر والتوزيع، الأردن، 2019، ص 42.

2 - عبد الرحمن الحاج صالح: بحوث ودراسات في اللسانيات العربية، المرجع السابق، ج 1، ص 42، 43

3 - أبو الفتح عثمان بن جني: الخصائص، المصدر السابق، ج 1، ص 34

بأنّ "الانتحاء ليس مجرد محاكاة ساذجة لجمل أو أنواع من الجمل التي سبق اكتسابها من قبل، بل هو عبارة عن تكييف المثل أو الحدود التي سبق اكتسابها، وتمثّل مثل جديدة بعمليتي بناء وتركيب مُثل جديدة. فالنحو هو توجيهٌ لعملية الكلام باحتذاء أمثلة أو حدود إجرائية.¹"

وهذا الطرح الذي يميز بين نحو المتقدمين ونحو المتأخرين، وبيّثت الأصالة لنحو الخليل وتلامذته إلى أواخر القرن الثالث الهجري، ويصف نحو المتأخرين بالنحو التعليمي-هذا الطرح- نجده عند جيوم؛ فقد تتبع تطور الدراسات اللغوية عند العرب، وحدد النحاة الذين سرى المنطق الأرسطي إلى مؤلفاتهم، حيث نفى هذا التأثير عن سيبويه وتلميذه الأخفش، وفي هذا يقول: "من جهة الأخفش الأوسط تلميذ سيبويه المتوفى في (215 - 830) أو (221 - 835) فإنّ الأخفش يُمثّل بشكل عفوي التطور الذي سوف يأخذ الشكل التقليدي في القرن 4، ولنفس الأسباب يبدو صعبا التعريف أو الاعتراف بتأثير الأرسطوية (أرسطو)."² بينما أقر بوجود بوادر هذا مع ابن السراج والمبرد. ويستدل على ذلك بأن كتاب ابن السراج كتاب تعليمي، ويظهر ذلك في الصفحة الأولى من كتابه (الأصول) التي يبين فيها أن الهدف من القواعد هو تدريس اللغة العربية بطريقة سليمة.³ كما يظهر في الجزء الخاص بأجزاء الكلام في ذات الكتاب حيث يأتي بتعاريف تُعبّر عن نفس المعنى، وهي منظومة (نظام خاص) بالمبتدئين، يعني تسهيل الوصول إلى المعلومة للمبتدئ débutant (المتعلم) كما وضّح ابن السراج أن الاسم يكون مسبوqa بحروف التعريف.⁴

وهكذا فقد تحدّث جيوم عن فكرتين في ذات الموضوع؛ وهما فكرتان نجد

لهما حضورهما البارز في فكر الحاج صالح:

1 - Abderrahmane Hadj Salah: Linguistique Arabe et Linguistique générale, Référence précédent, Volume 2 , p 5

2- Jean-Patrick Guillaume : Le discours tout entier est nom, verbe et particule , Elaboration et constitution de la théorie des parties du discours dans la tradition grammaticale arabe. In: Langages, 23e année, n°92, 1988. Les parties du discours. p 30

3- Ibid, p 30 -le marge-

4 -Ibid, p 31

-الأولى: تتعلق بالتمييز بين النحو العلمي والنحو التعليمي: فالحاج صالح يميّز بين النحو العلمي والنحو التعليمي؛ ويؤكد على أهميّة هذه المسألة خاصة بسبب الجدل الكبير الذي ثار في العصر الحديث حول قضية النحو العربي وضرورة تيسيره من قبل بعض الدارسين الذين حصل عندهم اللبس بين هذين المفهومين، إذ نادوا بتبسيط النحو وهو مجموعة من القواعد والقوانين التي يقوم عليها لسان ما، وهو ممّا لا يمكن تبسيطه دون تحريف له؛ لأن الأصل في قواعد وقوانين وسنن أي لغة أن تكون ثابتة؛ وإنما يمكن تبسيط أساليب تعليمه. يقول: "وقد أدت ببعض دارسينا إلى الطعن فيما تركه لنا العلماء العرب حتى الأولون الفطاحل منهم... كما حاولوا أيضا (تبسيط النحو)، وهذا دليل واضح على التباس المفهومين المذكورين عليه؛ إذ كيف يُبسّط النحو وهو القانون الذي بُني عليه اللسان! ولا شك أنهم أرادوا تبسيط الصورة التي تُعرض فيها القواعد على المتعلم. فعلى هذا ينحصر التبسيط في كيفية تعليم النحو لا في النحو نفسه، لأنه علم محض، وهل يُعقل أن يُحفّ العلم بحذف بعض قوانينه وعلله؟... ومهما يكن من أمر فإن الخطأ قائم؛ إذ لا يميّز هؤلاء المصلحون بين ما هو علم -وينبغي أن يكون مجردا عميقا وتلك من طبيعته- وبين ما هو تطبيق له، وينبغي أن تكون من ثمراته سهلة المنال أو على الأقل أن تُناسب طبيعة القطاع من النشاط الإنساني الذي يجري فيه التطبيق.¹ أي إنه ينظر إلى النحو العلمي والنحو التعليمي على أنهما نوعين متمايزين من المعرفة الخاصة بعلم اللغة، على اعتبار أنّ النوع الأول منها يخصّ "المتكلم كمتكلم والمخاطب كمخاطب، ومعنى ذلك أنها راجعة إلى الملكة اللغوية التي يكتسبها الإنسان فتمكّنه من الاتصال مع غيره بالخطاب على الوضع... والنوع الآخر يخصّ اللساني وحده؛ أي العلم بأسرار اللسان، فإنّ معرفته لظاهرة اللسان هي معرفة علمية محضّة، وهي غير ملكته اللغوية التي اكتسبها."² أي إنه يميّز بين القواعد التي

1- عبد الرحمن الحاج صالح: بحوث ودراسات في علوم اللسان، المرجع السابق، ص 178- الهامش-

2- عبد الرحمن الحاج صالح: مدخل إلى علم اللسان الحديث؛ أثر اللسانيات في النهوض بمدرسي اللغة العربية، المرجع السابق، ص 21

هي جوهر اللغة ولبّها وأساسها؛ إذ ليست إلاّ عبارة عن نظامها البنوي؛ وبين ضبط العالم بالنحو لمحتواها وأسرارها وعللها.

وقبل بسط صور تصاقب الأفكار بين الحاج صالح وجان باتريك جيوم في مجال التمييز بين النحو العلمي والتعليمي، لا بد من إزالة اللبس عن هذين المفهومين بدقّة؛ وقد ارتأيت أن أتوسع في النقل عن الباحث (نصر الدين بوحسايين) - وهو واحد من تلامذة الحاج صالح- وأسهب في عرض أفكاره من خلال إيراد نص له على طوله لما فيه من تحديد بالغ الدقة للفرق بين النحو العلمي والنحو التعليمي والعلاقة بينهما والضوابط التي تربطهما؛ على نحو يُزيل كل غموض عن المفهومين الذين نحن بصدد الحديث عنهما؛ حيث:

- حدّد النحو العلمي أو علم النّحو بأنّه: "جملة الأدوات المنهجية المُتخذة قصد الكشف عن القواعد المخزّنة في ذاكرات المتكلمين الفصحاء، بمحاولة وصفها وتصنيف مكوّناتها ومركّباتها و/أو تفسيرها ببيان مداخلها ومخارجها والميكانيزمات الرّابطة بينها مع ما يعتريها من نسبية، حيث إنّ ما يتوصل فيها من أحكام ونتائج لا تعني إطلاقاً مطابقتها لما يجري فعلاً في أذهان المتكلمين الأصليين، بل تبقى دوماً مُثلاً ونماذج افتراضية مقترحة قابلة للتعديل والإثراء وحتى إعادة النّظر فيها من أساسها.¹ أو "هو جملة المحاولات لاستنتاج القواعد الضّابطة للنظام اللغوي المخزّن في أدمغة المتكلمين الفصحاء بمطردها وكثيرها وقليلها ونادرها وشاذّها."²

- وحدّد النّحو: بأنه "مجموع القواعد الضابطة لنظام اللسان في مختلف مستوياته والمستودعة في ذاكرات مستعمليه الأصليين المكتسبة بالسليقة."³

1- نصر الدين بوحسايين: تعليم اللغة العربية واقع وآفاق، مجلة العربية، المدرسة العليا للأساتذة، بوزريعة، العدد

3، 2011، ص 29

2- نفسه، ص 30

3- نفسه، ص 29

-وحدد النحو التّعليمي: بأنه "مجموع القواعد النحوية المنتقاة مما توصل إليه في علم النحو(النحو العلمي)، هذا ما يعني أن ليس كل ما تم استنباطه من قوانين وماتم بناؤه من نماذج في مجال الدراسات اللسانية الصّرفة يصلح للتّعلم والتّعليم."¹ أو هو: "مدونة متدرّجة من القواعد التي استنبطها اللسانيون تدخّل فيها متخصصون في تعليمية اللغات أو اللسانيات التّطبيقية بالاصطفاء وفقا لاحتياجات المتعلمين-أو ما يعتقد هؤلاء أنّه يلائم احتياجاتهم على الأقلّ- من جهة، وما يتوفر فيه شرط التّردّد وكثرة الدّوران في أساليب اللغة المتداولة المبتذلة- أو مايسمّيه البعض بالعربية النمطية من جهة أخرى.²

فهذه الفكرة والتي راج على أنها من بنات أفكار الحاج صالح واستوعبها تلامذته على أنها من أنبه ما دافع به الحاج صالح عن النحو العربي في وجه دعاة التيسير؛ تبين لنا أنها لم تكن أصيلة للحاج صالح، وأن جان باتريك جيوم قد سبق إليها.

-الثانية: تتعلق بموضوع نشأة النحو العربي وما يطرحه من قضايا جدلية حول أصالته ومشكلة التقليد والاقْتباس عن الفلسفة اليونانية، وقد فصل القول حول تأسيس نظرية قواعد اللغة العربية (TGA)، وخلص من عرض تسلسل الأحداث إلى التمييز بين مرحلتين؛ الأولى هي مرحلة التكوين؛ تمتدّ من القرن 2^{هـ} / 8^م إلى القرن 4^{هـ} / 10^م، وفيها اكتملت نظرية النحاة العرب أصيلة بديعة على يد سيبويه وتلامذته، والثانية هي مرحلة طغيان الفلسفة الأفلاطونية والأرسطية. وهو من خلال هذا التصنيف يثبت طابع الأصالة للنحو العربي إلى القرن الرابع هجري وينفي عنه شبهة التأثير بالمنطق اليوناني التي وسمها به مركس (A.Merx) (1889) في نظريته التي أعطى فيها للفيلسوف أرسطو أو لنظرياته كل الفضل في نشأة التفكير النحوي العربي وخصوصا الأفكار

1- نصر الدين بوحساين: تعليم اللغة العربية واقع وآفاق، المرجع السابق، ص 29

2- نفسه، ص 30

القاعدية. فقد صرّح جيوم أنه لا يقبل هذه الآراء لمركس والتي تبناها العديد من الدارسين والمؤرخين إلا بتحفظات، ويستدل على ذلك بالدليل التاريخي، حيث إن الفكر الأرسطي-حسب تسلسل الأحداث- لم يكن مسموحا دخوله إلى العربية إلا بعد ظهور تقاليد قواعد اللغة العربية (TGA) الأولى واكتمالها كنظرية شاملة في علوم اللغة. وهو يُؤكّد على ذلك وبطريقة لا تسمح للنقاش أن تأثير تقليد قواعد الإغريق عند علماء القواعد العرب لم يكن إلا انطلاقا من الزمن الذي ذكرناه سابقا وهو بداية من نصف القرن (4-10م).¹

وهذه الفكرة القائلة بأصالة النواة الابستمولوجية لنشوء النحو العربي نجدها عند الحاج صالح، فهو مقتنع مطلق الاقتناع أنّ "النحو العربي لم يتأثر في ابتداء نشأته بمنطق أرسطو لا في مناهج بحثه ولا في مضمونه التحليلي، فإنّه لا يدين بشيء أصلا فيما ابتناه أول أمره للثقافة اليونانية... وأنّ المنطق الأرسطو طاليسي لم يجد مرتعا مريئا إلا بعد نشوء النحو واكتماله، أي بعد إغلاق باب الاجتهاد."² وهو أيضا يستدل بالوقائع التاريخية حيث قدم ثبوتا تاريخيا بشأن الفترة التي دخلت فيها النصوص اليونانية إلى الثقافة العربية، فهو هنا على الرغم من أنه لم يزد على جيوم إلا أن عرض تسلسل الأحداث التي ذكرها جيوم وسكت عن تحديدها. إلا أنّ هذا لا يُنقص من قيمته العلمية شيئا، بل يرفعها وذلك لأن هذا التفصيل يدلنا على أن الحاج صالح -رحمه الله- كان بحاثة حصيفا ومُنقّبا جادا في حقول المعرفة، حيث تُثريه الأفكار وتدفعه إلى الغوص في البحث، ولا يقبل الآراء كما هي ولا يقف عند حد من حدودها، بل يُطورها ويستثمرها على نحو خاص، وهذا هو جوهر نجاح كل فكرة وكل نظرية؛ تنمو بالتراكم، وتتطور بالتأثير والتأثر- وتتحقق أهدافها باستمرار البحث والتتقيح والنقد والتمحيص والتهذيب والتشذيب. وهذا الذي ينقص النظرية الخليلية الحديثة، ينقصها باحثون من طينة الحاج صالح

1 - Jean-Patrick Guillaume: Référence précédent, P 28

2 - عبد الرحمن الحاج صالح: بحوث ودراسات في اللسانيات العربية، المرجع السابق، ج 1، ص 63

يعاقرون المعرفة، ولا يكفون عن الغوص في أعماق الفكر، كي يكملوا مسيرة الأستاذ -رحمه الله- ويقطفوا الثمرة الطيبة للبذرة الطيبة التي زرعها الأستاذ عبد الرحمن الحاج صالح، لأن ثمار النظرية الخيلية لم تُقطف بعد.

وقد برزت في هذه القضية عدّة محاور منها:

1.4. قضية التقسيم الثلاثي للكلام: التي مَثَلت جوهر طرح العرب والمستشرقين القائل بتأثير النحو اليوناني على النحو العربي، وحبّتهم التي ما فتئوا يؤكدون عليها ويحاولون إثباتها، حيث يرون أن تقسيم الكلام إلى اسم وفعل وحرف عند العرب منقول عن اليونان. وقد تجرّد كثير من الدارسين عرب وغرب للرد على هذه الشبهة وأثبتوا بالدلائل القاطعة على أنها محض ادعاء وافتراء لا أساس له من الصحة. ومن هؤلاء جان باتريك جيوم الذي ذهب إلى القول بأن الآراء التي تُروّج لفكرة وجود أخذ عن النحو اليوناني إلى النحو العربي من منطلق التأثير والتأثر خاصة فيما يتعلق بنظام أقسام الكلام آراء باطلة يعوزها الدليل، ولا تستند إلا إلى بعض التشابهات البسيطة التي لا ترقى إلى مستوى الحجة التي تؤدي إلى اليقين، كون تلك التشابهات ترجع إلى بعض الأقسام تعتبر ظاهرة عامة تشترك فيها جميع اللغات. يقول: "تلاحظ وجود بعض الجزئيات لكنها مستقلة لم تؤثر على تقنيات قواعد اللغة العربية ولا على توازنها الداخلي. نخلص في كل الحالات وحول نظام أقسام الكلام لا يوجد دليل واحد لا داخلي ولا خارجي يُؤكّد وجود أخذ من اللغات الأخرى." ¹ فقد بيّن جيوم أنه ينبغي أن تستند المقارنة كمنهج علمي إلى تشابهات عميقة ولا تكفي بالتشابهات الجزئية البسيطة لأنها تبقى تشابهات سطحية لا تثبت التأثير ولا يُعتدّ بها. وهو المبدأ نفسه الذي صرّح به الحاج صالح في قوله: "مشابهة الأصول النحوية العربية لأصول علمية أو فلسفية أجنبية، وهذا ما حاول مركس أن يثبته بالمقارنة بين أصول المنطق الأرسطو طاليسي وأصول النحو العربي. إلا أننا يمكننا أن نقول من الآن أنه لا بد من مشابهة عميقة عريقة بين المنهاجين حتى تثبت القرابة إذ قد تكون المشابهة السطحية

1 - Jean-Patrick Guillaume: Référence précédent, p 27

أو التي تظهر كأنها أصيلة من محض الاتفاق، فكثيرا ما تتوارد الأفكار إذا كانت المعاني مما تشترك فيها جميع العقول.¹ وهذا الذي يعبر عنه الحاج صالح بأنه كثيرا ما تتوارد الأفكار إذا كانت المعاني مما تشترك فيها جميع العقول في معرض حديثه عن مشابهة الأصول النحوية العربية للأصول الفلسفية اليونانية التي استند إليها مركس، نجد مثله عند جيوم حين ذهب إلى أن تقسيم الكلام إلى (الاسم، الفعل، الحرف) نظرية عالمية تخص كل اللغات ولا تخصّ العربية وحدها لأن الكلام كله عبارة اسم، فعل، حرف عربي كان أو غير عربي لا يخرج عن هذا التقطيع.² مما يعني أنه مما يمكن أن يتوصل إليه العرب ولا يحتاجون فيه إلى الأخذ عن اليونان.

فقد انطلق الحاج صالح من المبدأ نفسه الذي انطلق منه جيوم وتوصلا إلى النتيجة نفسها، وهي أنه لا أثر للمنطق اليوناني في النحو العربي على عهد سيبويه ومن تابعه من النحاة. فقد نص جان باتريك جيوم على أن نظرية أقسام الكلام في تقاليد قواعد اللغة العربية تضم في نظامها التقليدي ثلاثة أقسام: الاسم، الفعل، الحرف³ وهو التقسيم الذي لا يوجد في التراث اليوناني، حيث "لا يوجد في كتاب أرسطو أي تقسيم ثلاثي للكلام مطلقا، فأما كتاب العبارة (باري أرمنياس) فقد حدّد فيه أرسطو ما يُسمّى بالأقاويل فاقصر منها على أجزاء الحكم Jugement وهما: Onoma و Rhema ويقابلهما في ترجمة حنين بن اسحاق الاسم والكلمة"⁴ وإن نحن نظرنا في كتاب (الشعر) كما قال رأيناها يقسم ما يسميه Lexie وهو المقولة في الترجمة العربية إلى ثمانية أقسام: الأسقطس (الهجاء)، المقطع (الاقتضاب في ترجمة متّى)، الرباط، الاسم، الكلمة، الفاصلة، التصريف، القول. وهذا التوزيع لعناصر الكلام لا يراعي مراتب التقسيم فأرسطو لا ينظر إلى الكلام نظرة نحوي وهذا قد اجمع عليه فالمقولة عنده هي التعبير عموما وتلك هي أقسامها رغم اختلاف مراتبها، وإذا ما استثنينا ما لا

1 - عبد الرحمن الحاج صالح: بحوث ودراسات في اللسانيات العربية، المرجع السابق، ج 1، ص 52

2 - Jean-Patrick Guillaume: Référence précédent, P 30

3 - Jean-Patrick Guillaume: Référence précédent, P 25

4 - عبد الرحمن الحاج صالح: بحوث ودراسات في اللسانيات العربية، المرجع السابق، ج 1، ص 53

يدخل في مرتبة الاسم والكلمة بقي منها الرباط والفاصلة فهذه أقسام أربعة لا ثلاثة.¹ وهو ما يعني أن تقسيم الكلام عند سيبويه مختلف كل الاختلاف عن تقسيم أرسطو، وقد رأينا سابقاً أن كلا من الحاج صالح وجيوم يعلل تلك المشابهة التي تبدو على التقسيمين العربي واليوناني أنها من قبيل التشابهات السطحية التي ترجع إلى جوهر كل كلام.

ونلخص في هذه النقطة العناصر التي تدل على تصاقب الأفكار بين

الحاج صالح وجيوم:

- التقسيم الثلاثي للكلام ذو أصول عربية لا يونانية.

- تقسيم الكلام إلى اسم وفعل وحرف ظاهرة عامة في الكلام وليست دليلاً على أخذ النحو العربي عن المنطق اليوناني.

- لا يصح أن يعتمد المقارن على بعض التشابهات الجزئية كما فعل مركس.

2.4. قضية الحرف: انطلاقاً من الباب المخصص لأقسام الكلام في كتاب سيبويه (ت77هـ - 793م) الذي يُمثّل أقدم دراسة لقواعد اللغة العربية الذي وصلنا. يمكننا الوقوف على عنصر هام يثبت أصالة النحو العربي وبعده عن التأثير بالنحو والمنطق اليونانيين وهو ما يتعلق بالحروف، فالحروف التي عدّها أرسطو قسماً من أقسام الكلام هي حروف الهجاء (البناء) وهذا التصور بعيد كل البعد عن التصور السيبويهي لأنّ سيبويه لم يجعل حروف الهجاء قسماً مستقلاً في تقسيمه وإنما الحروف التي قصدها وجعلها قسماً من أقسام الكلام هي حروف المعاني. وقد استدل جيوم في هذا الباب بطريقة سيبويه في تعريف الحرف بأنه ما جاء لمعنى وليس بفعل ولا اسم على عكس أرسطو الذي يُعرّفه من خلال وصفه في المقطع 20 كلمة Sundesmos ونطق Arthron بأنه (صوت بلا معنى).² أي إنه قد تنبّه إلى أن مركس قد جانب الصواب في فهم حدّ سيبويه للحرف الذي يبتعد فيه كل البعد عن حدّ أرسطو. إذ إن الأول يتحدث عما له

1 - عبد الرحمن الحاج صالح: بحوث ودراسات في اللسانيات العربية، المرجع السابق، ج 1، ص 53 - 54
2 - Jean-Patrick Guillaume: Référence précédent, P 28

معنى بينما يتحدث الثاني عن العكس النقيض تماما وهو ما ليس له معنى. وهذا الذي ذهب إليه الحاج صالح في قوله: "والعجيب أنه يحتمل -مركس- سيبويه ما لم يقله إذ يزعم (أن تحديد سيبويه للحرف ينفي أن يكون للحرف معنى بذاته) فمتى يا ترى قاله سيبويه؟ وقد جاءت في كتابه هذه الحدود (الكلم اسم وفعل وحرف جاء لمعنى وليس باسم ولا فعل)."¹

كما يعلل الحاج صالح غلط مركس وجهله الفرق في حد الحرف بين سيبويه وأرسطو باعتماده على أقوال المتأخرين الذين لم يدركوا المدلول الحقيقي الذي كان يقصده سيبويه بنصه (وحرف جاء لمعنى) بقوله: "لا شك أن مركس اطلع على أقوال الذين تلو سيبويه ولاشك أنهم سبب وقوعه في هذا الغلط فقد قالوا (الحرف ما دل على معنى في غيره)"² ومن هؤلاء المتأخرين السيرافي الذي تعسف "عندما فسر تحديد سيبويه بقوله: "وإن سأل سائل فقال: لم قال: وحرف جاء لمعنى وقد علمنا أن الأسماء والأفعال جئن لمعان؟ قيل له: إنما أراد: وحرف جاء لمعنى في الاسم والفعل فهذا مغاير لما أراده سيبويه، وقد تفتن ابن النحاس النحوي وأصلحه في التعليقة، وتبعه أبو حيان."³ ونستطيع القول هنا أن الحاج صالح يسير على هدي جيوم وقد تصاقب رأيهما. لما يبدو بينهما من توافق في الأفكار؛ فقد ألفينا جيوم يعلل غلط مركس بذات العلة حيث يرى أن سبب الغلط هو ترادف المعنى (الحرف لا يحمل معنى في ذاته لكن يحمل معنى في غيره) الذي قال به المتأخرون بعد القرن الرابع هجري. كالزجاجي الذي يظهر عنده تحديد الحرف في إيضاحه بأنه الذي يعرف دائما بـ(ما سيأتي لـ...) أو (بما يؤدي إلى...) لا معنى له في ذاته وإنما له معنى في غيره. وهكذا يبدو أن النحو العربي الذي وضعه الخليل وسيبويه وعلماء القرون الأولى من جهة والتقليد الاغريقي من جهة أخرى اتبعا منهاجين لتطور جذري انطلقا من نظرة معاكسة

1 - عبد الرحمن الحاج صالح: بحوث ودراسات في اللسانيات العربية، المرجع السابق، ج 1، ص 55

2 - نفسه، ج 1، ص 56

3 - نفسه ج 1، ص 56.

(الكلمة تأتي لمعنى) عند سيبويه وليس لها معنى عند أرسطو، وهذا ليس مجرد اختلاف وإنما تعاكس واضح ينفي كل احتمال للتقليد.¹

فهنا فكرة جليلة تحدث عنها الحاج صالح كثيرا، وقد بينت لنا هذه النصوص أن فيها جانبا من فكر المستشرقين وبالتحديد من فكر جان باتريك جيوم، وملاحم التأثير فيها جليّة بيّنة. نقصد بذلك الفكرة القائلة بأن الالتباس حدث بسبب محافظة المتأخرين على المصطلحات والألفاظ دون محافظتهم على المفهوم والمحتوى، ولا ينطبق هذا الكلام على الحرف فقط وإنما له أمثلة كثيرة في التراث النحوي العربي منها: "المسند والمسند إليه" "اللفظة" "الكلمة" "القياس" "الباب" "الحدّ"، "المثال" و"البناء" و"الأصل" و"الكلام" و"اللغة"... إلخ. هناك فرق بين دراسة النسخة الأصلية، ودراسة نسخة شارحة أو مُصوِّرة أو مُحرّفة. فكلها مفاهيم لغوية ورثها النحاة المتأخرون عن الخليل وسيبويه والأخفش الأوسط وأبي علي الفارسي وابن جني، ولكنهم ورثوها كمفاهيم وتصورات علمية دقيقة وعميقة؛ وحرّفوها من خلال شروحهم وتحليلاتهم فحملوا تلك الألفاظ غير ما حملها الأولون وحرّفوا مدلولها، وحوّلوا المفاهيم الأصلية إلى تصورات أخرى.² والحقيقة أن بيان كل واحد من المفاهيم السابقة في نظر المتقدمين وفي نظر المتأخرين يمكن الاستغراق فيه أشواطا كبيرة، وتَقصّي الفروق بينهما يحتاج إلى بحث كامل أو بحوث متعددة، وقد بحث عبد الرحمن الحاج صالح الكثير منها. ونحن لن نسترسل في عرض حدود تلك المفاهيم لأن مقام البحث لا يتسع ولكننا نشير إليها فقط على أنها أمثلة تَدعم فكرتنا بتصاقب الأفكار بين الحاج صالح وجان باتريك جيوم.

3.4. قضية الحدث: من المفاهيم الهامة التي تطرّق لها الحاج صالح واهتم بالحديث عنها مفهوم الحدث والظرف وأشار إلى أنهما من المفاهيم الهامة التي عدّها مركس من أصل يوناني، وحاول من خلالها أن يبرهن أن النحو العربي في نشأته متأثر

1 - Jean-Patrick Guillaume: Référence précédent, P 28

2 - عبد الرحمن الحاج صالح: بحوث ودراسات في علوم اللسان، المرجع السابق، ص 182، 183.

بالفكر اليوناني.¹ وقد ناقش الحاج صالح هذه القضية في بحوثه وعمل على بيان الالتباس الذي حدث في ما يتعلق بالحدث بالقول: "أما مفهوم الحدث فيدعي مركس أن ما يقوله سيبويه عن الأحداث وهو ما يجعل معناها مطابقاً لمعنى Accidents فنقول عن أرسطو على مثل ما يراه هو نفسه"² وقد عدَّ الحاج صالح هذا الغلط من أعظم الغلطات التي ارتكبتها مركس، وعلل ذلك بأن مركس اعتمد في تفسيره لمفهوم الحدث عند أرسطو على المعنى الوضعي في حين المبدأ الذي يبنى عليه كل تفسير لغوي هو الاعتماد على المعنى المستخرج بالقرائن بالقرائن Sens contextuel لا المعنى الوضعي Sens lexical.³ و يشرح ذلك بقوله: "فإذا نحن نظرنا إلى المفهوم الذي قصده أرسطو من كلمة Sumbebekos رأيناه ينحصر في معنيين:

- ما يقابل المادة وهو لا يوجد إلا في غيره كاللون والصورة وهما يزولان بزوال المادة ولا تزول هي بزوالهما.

- ما يقابل الجوهر وهو ما ليس من ماهية الشيء أو جوهره كالجلوس والافتراش، إذ إن هذين الفعلين غير لازمين لجوهر الجالس والمفترش، ولا تكاد تدل كلمة (حدث) على ما يفهم من كلمة Accidents إلا في الوصف المشتق منه على صيغة اسم الفاعل- الحادث- الذي يجري استعماله عند فلاسفة العرب وهم أتباع الفلسفة اليونانية غير أن مرادهم بالحدوث في هذا الوصف ما يعاقب القدم أي ما يحدثه الله وهو القديم الأزلي من المخلوقات، وهو ينظر إلى معنى cotngent وقد ترجم حنين بن اسحاق Sumbebekos بكلمة (عرض) تارة وبعبارة (الأشياء اللاحقة) تارة أخرى، وها هي ذي ترجمته "وما كل ما سواهما فبالعرض يقال ذلك فيها". أما في اصطلاح النحاة العرب فهو المعنى الذي يدل عليه الفعل والمصدر أي معنى الوقوع وصدور أمر سواء كان ذلك بالتجدد (بالحركة كالجلوس والمشي والأكل...) أو بالثبوت (بالدلالة على

1 - عبد الرحمن الحاج صالح: بحوث ودراسات في اللسانيات العربية، المرجع السابق، ج 1، ص 52، 53.

2- نفسه، ج 1، ص 56.

3 - نفسه، ج 1، ص 56.

حالة أو حلية أو غريزة كالنوم والحمرة والكرم). وقد وضع النحاة العرب كلمة كانت تنقصهم تؤدي المعنى تماما وهي Procès من اللاتينية Processus = ما يحدث.¹

ويُعدّ هذا المفهوم-الحدث- من المفاهيم التي وقف عندها جيوم في إطار معالجته لقضية أصالة النحوي العربي في عهد النشأة. وقد عدّها من أهم النقاط التي غلط فيها (ماركس) (1889) وكان غلظه في الخلط عند ترجمة الظرف إلى مصدر. وقد وضّح جيوم هذا الغلط، وعدّ ذلك أساسا للدفاع عن أصالة النحو العربي. يقول: "ومن خلال التصحيح بدا أن هذه الترجمة ليست بالصحيحة ولكنها تتحرف قليلا، حيث أن مصدر (Adverbe) في المفهوم الغربي تعني طبقة تصنيفية، أما في النحو العربي (TGA) فهي تعني مكمل فعلي (للفعل) مبينا الظروف المكانية والزمانية للفعل، وعليه فإن كل اسم ممكن أن يقوم بهذا الدور (الظرف)."² ما يجعلنا نطمئن إلى القول مرة أخرى أن هناك تشابها في الآراء بين الحاج صالح وجان باتريك جيوم؛ ونعني بذلك رأيهما القائل بأنّ الغلط في مفهوم الحدث من أهم النقاط التي غلط فيها ماركس. ونشير في هذا الصدد إلى التعاقب الزمني؛ حيث جاءت دراسات الحاج صالح تالية لدراسة جيوم، ولسنا ننظر هنا إلى تاريخ هذا المقال الذي استندنا إلى معطياته وحده، بل ننظر إلى تاريخ الكتابة عند جيوم في حقل الدراسات اللغوية بصفة عامة، وخاصة منها تلك التي خصصها لمعالجة قضايا الدرس اللغوي العربي.

4.4. قضية الفعل: نقطة أخرى رأى جيوم أن سيبويه يبتعد من خلالها عن التقليد الإغريقي تتمحور حول **الفعل**، إذ إن هذا القسم من أقسام الكلم الثلاث يُحدد في التراث اليوناني بأنه مجموعة نماذج (أجزاء) مأخوذة من الأحداث الواقعة للأسماء والمبنية للتعريف بالأحداث التي وقعت أو ستقع (تدل على ما مضى وما يحدث أو سيحدث)؛ أي إن التحديد الإغريقي للفعل يقوم على الخصائص الزمنية: (الماضي/ الحاضر/ المستقبل). أما في التراث النحوي العربي فنجد سيبويه يذهب بعيدا فيحدد الأفعال بأنها مشتقة من الأحداث (مثلا الضرب (Frappier) أو الحمد (Louanger) أو فعل القتل

1 - عبد الرحمن الحاج صالح: بحوث ودراسات في اللسانيات العربية، المرجع السابق، ج 1، ص 56 - 57
2 - Jean-Patrick Guillaume: Référence précédent, P 26

(Tuer) أي ما يسمى في المصطلحات العربية المصادر. حيث بالنظرة الأولى نجد المكونين الاثنين لتعريف الفعل مأخوذة عن الاغريق ونقلت إلى اللغة العربية وتقنياتها فيما بعد: حدث وزمن. إلا إن سيبويه ركز على الشكل بدل الزمن، وهنا يوجد اختلاف مع علماء القواعد السابقين-اليونان- الذين ركزوا على الحاضر والماضي والمستقبل، وقراءة هذا المقطع بالذات توضح أن سيبويه كان أكثر عمقاً، وأن مُكوني الفعل لم يوضعا من طرفه هو على نفس المنوال الذي وضعه اليونان.¹

وعليه فالحدث أو الإشكال الذي يدخل في تكوين الفعل ليس هو فعل لكنه اسم- المصدر- وانطلاقاً منه يبدو دون شك أن الفعل هو علاقة اشتقاق شكلي (الشكل) وعليه فإنّ ضربتُ وتضرب مشتقتان من الضرب. بينما هذا المصدر بغض النظر عن شكله أنه اسم يبقى بشكل غريب (فعل) والمكون أساساً من الأجزاء أو الجزيئات وكل واحد منهم يوضح جلياً الحدث الظرفي وعلاقته بالمعنى. الفعل من هنا ليس واحداً مثل الاسم ولكنه متعدد من مجموعة أمثلة ولا يمكن تقديم مثال على آخر في هذا المغزى وعليه فإن التمثيل الوحيد للفعل ليس إلا اسماً في الأصل وهو المصدر (Adverbe) مشتق من الاسم.²

وهنا نجد جان باتريك جيوم قد تفوق على الحاج صالح في شرح مفهوم الفعل في التراث النحوي العربي الأصيل، وفهم جيداً وأفاض في شرح التعاريف التي قدمها النحاة العرب المتقدمون من سيبويه الذي عرفه بقوله: "فأما الفعل فأمثلة أخذت من لفظ أحداث الأسماء."³ والمبرد الذي عرفه بأنه: "كلمة تدل على حدث وزمان."⁴ والزمخشري الذي عرفه بأنه: "ما دلّ على اقتران حدث بزمان"⁵ عكس الحاج صالح الذي لم نعثر في بحوثه عن مثل هذا التفصيل المهم لمفهوم الأفعال ولفكرة اشتقاقها

1 - Jean-Patrick Guillaume: Référence précédent, P 28 ,29

2 - Jean-Patrick Guillaume: Référence précédent, P 29

3 - أبو بشر عمرو بن قنبر سيبويه: المصدر السابق، ج 1 ص 12

4 - أبو العباس المبرد: المقتضب، تح: محمد عبد الخالق عظيمة، عالم الكتب بيروت، د ت، ج 4 ص 50

5 - أبو القاسم محمود بن عمر الزمخشري: المفصل في علم العربية دار الجيل بيروت د ت، ص 243

من أحداث الأسماء التي يعني بها المصادر، وهي الفكرة التي تساهم في درء شبهة تأثر النحو العربي بالمنطق اليوناني التي ألحقها به بعض المستشرقين؛ ممن لم يفقهوا جوهر نحو العرب المتقدمين فلم يَعُوا أصالة النحو العربي ولم يُدركوا قيمة الدراسات اللغوية التي قدمها الخليل وسيبويه ومن تابعهما. وغاية ما وجدناه عنده- في حدود بحثنا المتواضع- أن "لفظ الفعل يحل عموديا إلى مادة هي علامة الحدث وصيغة هي علامة أحوال الحدث الذي يحدد زمانه بفضل الزوائد بالدخول على الفعل".¹ فهو يحدد الفعل بمكونيه الأساسيين وهما: الحدث والزمن، وهو التحديد الذي يبدو جليا أنه أخذه عن النحو الأصيل للخليل وسيبويه.

ومن القرائن التي تثبت استناد الحاج صالح في فكره ونظريته اللغوية التي وسمها بالخليلة الجديدة على فكر المستشرقين ومن بينهم جان باتريك جيوم هو حديثه عن مُثَل الفعل الثلاث (مثال الماضي، مثال المضارع، مثال الأمر) دون ذلك الشرح والتفصيل الذي تحدثنا قبل قليل عن نقصه في بحثه. ونستطيع أن نذهب مع شبه يقين أن الحاج صالح في حديثه عن مُثَل الفعل قد استفاد من نتيجة جان باتريك جيوم التي توصل إليها بعد عرضه لمفهوم الفعل عند العرب حيث خلُص إلى القول: "الفعل من هنا ليس واحدا مثل الاسم ولكنه متعدد".² أي إن الفعل عنده ليس على مثال واحد كالاسم وإنما له ثلاثة مُثَل. وقريب من قريب ما توصل إليه الحاج صالح من أن للفظة الفعلية في العربية ثلاثة حدود أو مُثَل: حدّ الفعل الماضي الدال على حدث منقطع، وحدّ الفعل المضارع الدال على حدث غير منقطع، وحدّ فعل الأمر، والفعل يحدد بما يقتزن به من العناصر اللغوية يمينا وشمالا وهذه القرائن تعتبر جزءا من حدّ الفعل.³

1 - Abd Rahman Hadj Salah: Linguistique Arabe et linguistique Generale, Référence précédent, vlume2, p 631

2 - Jean-Patrick Guillaume: Référence précédent, P 29

3 - Abd El Rahman Hadj Salah : Linguistique Arabe et linguistique Generale, Référence précédent, vlume2, 692

5. تصاقب أفكار الحاج صالح وأفكار جان كانتينو:

يُعدّ علم الأصوات فرعاً هاماً من فروع علوم اللسان؛ يهتم بدراسة أصوات اللغة دراسة علمية، وهو يتفرع إلى قسمين: (الفونيتيك والفونولوجيا)، أما الفونيتيك فيهتم بدراسة الصوت منفرداً دراسة فيزيائية فيزيولوجية من غير تركيب، فيهتم بوصف جهازي النطق والسمع، ومخارج الأصوات وصفاتها. أما الفونولوجيا (الصوتيات الوظيفية) فتهتم بوظيفة الصوت في مدرج الكلام. لقد برع العرب في هذا المجال -علم الصوت- وأسهموا فيه إسهاماً وافراً ولا يُنكر أحد براعتهم في هذا المبحث، وهو مبحث ارتبط في نشأته وتطوره عندهم بعلم القرآن مُمثلةً في علم التجويد وأحكام القراءة كما هو الشأن في نشأة وتطور كل العلوم اللغوية عند العرب. ولقد أولى الأستاذ (عبد الرحمن الحاج صالح) اهتمامه بهذا العلم، واعتنى بهذا المستوى من مستويات التحليل اللساني وهو المستوى الصوتي. وقد تجسد ذلك من خلال دراسة الأصوات دراسة فونيتيكية ودراسة فونولوجية. أما دراسته الفونيتيكية فقد شملت (دراسة مخارج الأصوات) دراسة فيزيولوجية (ودراسة صفات الأصوات) دراسة فيزيائية (أما الدراسة الفونولوجية فتمثلت في بعض المفاهيم الهامة كالحركة والسكون والحرف والمقطع.... وبذلك تكون دراسته شاملة ومتكاملة لأن هذين الجانبين في علم الصوت هما جانبان متكاملان لا يُفصل ولا يستغني أحدهما عن الآخر في تفسير حدوث الظاهرة الصوتية اللغوية.

وقد كان البحث الصوتي عند (الحاج صالح) مُدخلاً هاماً من مداخل الدفاع عن أصالة النحو العربي الذي تبلور على يد الخليل ومن تابعه من النحاة المتقدمين، إذ يرى أن الدراسات الصوتية العربية والتصور العربي للمستوى الصوتي "بُني على رؤية حركية لفظية طبيعية، تخالف النظرة اليونانية من زوايا متعددة".¹، ولا تلتقي معها إلا فيما هو راجع إلى الحس المبني على المشاهدة والتجربة. وقد أسفر اهتمامه بالمبحث الصوتي عند العرب عن عدة بحوث قيمة تعكس؛ أهمها:

1 - محمد صاري: من أزمة فهم اللسانيات إلى أزمة فهم التراث، ص 68

- ¹ "La notion de syllabe et la théorie cinetico-impulsionnelle des phonéticiens arabes"
- ² "Linguistique et phonctique arabe"
- "Nouvelle coutribution de la connaissance physiologique de l'opposition sourde/sonore"³
- "الحركة والسكون عند الصوّتيين العرب وتكنولوجيا اللغة الحديثة" وهو بحث أقي في الجلسة العاشرة لمؤتمر مجمع اللغة المصري في دورته الرابعة والستين، (1998).⁴ وما يميز بحثه الصوتي هو أنه يستند إلى التكنولوجيا الحديثة ويتحرى الدقة والموضوعية. يدل على ذلك قوله: "وقد استعملنا في مخبرنا في معهد العلوم اللسانية بجامعة الجزائر آلة لقياس تمدد الأغشية المخاطية عند نطقنا بالحروف المهموسة والمجهورة."⁵

ولاشك أن الحديث عن جهود اللغويين وعلماء القراءات فيما يتعلق بالبحث الصوتي لا يفي به بحث كامل بل يحتاج إلى عدة بحوث، ونفس الشيء يقال عن جهود الحاج صالح في هذا الجانب؛ فهي جهود ثمينة وواسعة تستحق أن يُفرد لها بحث خاص وبحوث متعددة، ولذلك فإننا سنقتصر على بعض الجوانب خاصة تلك الجوانب التي تعتبر إضافة حقيقة من عنده والتي خالف فيها العلماء الأوائل؛ سواء بسبب الوسائل التكنولوجية التي توفرت له ولم تكن متوفرة لهم، أو بسبب مبررات أخرى وعلى رأسها ما افترضناه سابقا ومازلنا نسعى إلى إثباته وهو تصاقب أفكاره بأفكار بعض الدارسين الغربيين. إذ لا شك أن الكثير من الدراسات الاستشراقية المنصفة قد مدّت الباحثين العرب بزاد ثمين لفهم نصوص التراث العربي وإعادة الاعتبار لها، ولا شك أن الحاج صالح لم يكن استثناء في ذلك، ونحن نقول هذا إنصافا في حق الرجل لما اتصف به من إقبال على العلم والتتقيب عن كل مفيد منه سواء في الثقافة العربية أو

1 -Abd El Rahman Hadj Salah La notion de syllabe et la théorie cinetico-impulsionnelle des phonéticiens arabes

2 - عبد الرحمن الحاج صالح: بحوث ودراسات في علوم اللسان، المرجع السابق، القسم الأجنبي، ص 65

3 - نفسه، ص 27

4 - الحاج صالح عبد الرحمن: الحركة والسكون عند الصوتيين العرب وتكنولوجيا اللغة الحديثة، مجلة مجمع اللغة العربية، القاهرة، مصر، العدد88، 2000، ص52، 21.

5- عبد الرحمن الحاج صالح: بحوث ودراسات في اللسانيات العربية، المرجع السابق، ج 1، ص 277

الغربية اللتين أثبتت سعة اطلاع في كليهما، وكذا نبوغه وحدة ذكائه اللذين يفندان كل احتمال يذهب إلى أنه من الباحثن الذين يفوتهم الاستفاداة من جهود الدارسين الغربيين، وهو الذي يعرف عنه انفتاحه على الثقافات وعدم انغلاقه على التراث، وانتصاره للمعرفة الموضوعية أيا كان مصدره.

ومما يزيد من تأكيد فرضيتنا هذه المرة أن الباحث الذي سنتعقب ملامح التصاقب معه هو المستشرق الفرنسي (جان كانتينو) (Jean Cantineau) صاحب كتاب (دروس في صوتيات العربية)¹ (Cours de phonétique arabe) الصادر بباريس سنة 1960؛ الذي يصفه (صالح القرمادي) بأنه "من المراجع الفرنسية الأساسية التي لا غنى لطلبة علم الأصوات العربي والباحثين في ميدان معالجة المشاكل الصوتية الخاصة بالعربية معالجة عصرية؛ تعتمد الطرق والمناهج الحديثة التي وضعها علماء الأصوات المعاصرون من الرجوع إليها."² خاصة إذا نظرنا إلى السنة التي صدر فيها هذا الكتاب وهي سنة 1960، حيث دلت سيرة حياته-الحاج صالح- أنه قضى سنوات 1959، 1960، 1961 بفرنسا، حيث نال في السنة الأولى شهادة الليسانس في اللغة العربية وآدابها من جامعة بوردو الفرنسية، وفي السنة الموالية دبلوم الدراسات العليا في فقه اللغة الفرنسية واللسانيات من نفس الجامعة، وفي السنة التي تلتها نال شهادة التبريز في اللغة العربية وآدابها من جامعة باريس.³ فهل يعقل أن ينفي عاقل احتمال اطلاع الحاج صالح المعروف بنهمه في القراءة على هذا الكتاب الذي ذاع صيته. وكل قول عكس هذا يُعدّ طعنا في قيمة الرجل العلمية وتنافيا مع حقيقة العلم التي لا يُمكن أن ننفي عنها سمة التأثير والتأثر كظاهرة طبيعية. خاصة وأنه صرّح في بداية رسالته بأن الكثير من الدارسين الغربيين قد سبقوه في كشف قيمة الدراسات

1 - Jean Cantineau : Cours de phonétique arabe , édition originale réimprimée, Librairie C. Klincksieck, Paris, 1960 .

2 - جان كانتينو: دروس في علم أصوات العربية، ترجمة: لقرمادي صالح، مركز الدراسات والبحوث الاقتصادية والاجتماعية، تونس، د.ط، 1966، ص 7 -تصدير-

3 - عبد الرحمن الحاج صالح: الخليل وسيبويه سبقا عصرنا في دراسة الصوتيات، المرجع السابق، ص 53

اللغوية العربية وذكر منهم جان كانتينو. وقد ذكرنا قوله ذلك في مراحل سابقة من هذا البحث.

وأول ما يتفق عليه الرجلان هو:

- قولهما بأصالة نحو المتقدمين وردهما على منتقدي الدرس اللغوي العربي وتمييزهم بين نحو المتقدمين كالخليل وسيبويه والزمخشري ونحو المتأخرين، يقول كانتينو: "لقد كان قدماء النحاة العرب أول علماء الأصوات في لغتهم."¹ ويقول: "خلاصة القول أن الحجج التي قدمها المعترضون لا تؤدي إلى اليقين، وإنّ تقسيم الحروف إلى مجهورة وإلى مهموسة يوافق فيما يبدو تقسيمنا إياها إلى *sonores* وإلى *sourdes* موافقة تامة على الأقل عند سيبويه والزمخشري إذ ليس من الحكمة والتبصر الركون إلى نحاة عهد الانحطاط الذين يستشهد بهم برافمان."² أي إنه يُميّز بين نحو الخليل وسيبويه الأصيل وينفي عنه ملامح تأثره بالنحو اليوناني في الدرس الصوتي، ونحو المتأخرين الذي طُبِعَ بطابع المنطق والنقل والجمود. وهذا هو أساس النظرية الخيلية الحديثة التي يسعى إلى تكريسها الحاج صالح وأساس ما تزيد البرهنة عليه هو أصالة النحو العربي والمقصود به هو ذلك "النحو الذي طوّره وأنضجه الخليل بن أحمد مع بعض زملائه وأتباعه وخاصة سيبويه، وأكثره مبني على مفاهيم منطقيّة رياضيّة."³ أصيلة بعيدة عن المنطق اليوناني ومنطقاته وتصوّراته وإجراءاته، التي طغت على الفكر العربي وطالت النحو العربي بعد القرن الرابع ليصير أقلّ قيمة بكثير مما كان عليه عند الأوائل؛ "الذين لم يحصل في زمانهم قطّ التأثير بالمنطق اليوناني خلافاً لما يعتقد البعض ممن استغلق عليهم فهم نحو الأوائل وممن لا يميزون بين ما يقوله الخليل وسيبويه وما يقوله من جاء بعده بأربعة قرون وأكثر، وممن لا يفقهون الفرق الكبير الذي يميّز المنظور العلميّ الدقيق لسيبويه وشيوخه وتلاميذه للغة، وكيفية تحليلهم لها بناء على هذا المنظور من النزعة التعليميّة للنحو التي استولت

1 - جان كانتينو: المرجع السابق، ص 11

2 - نفسه، ص 34 ، 35

3 - عبد الرحمن الحاج صالح، بحوث ودراسات في اللسانيات العربية، المرجع السابق، ج1، ص241،

على الممارسين للنحو بعد القرنين الخامس والسادس، وابتعدت كلّ البعد عن الرّوح العلميّة والنظريّات العميقة للأوائل التي قد تفوق قيمة النظريّات الحديثة.¹

وإن كان الأستاذ الحاج صالح قد أشار إلى أنه سبق بعض المستشرقين ومنهم كارتر وتروبو بإثباته أصالة النحو العربي بنشره مقالا سنة 1964² يُبرهن فيه على أن النحو العربي لم يتأثر في نشأته ولا عند اكتهاله في زمان الخليل وسيبويه بمنطق أرسطو إطلاقا، وتأسّف لأن المُستشرقين كارتر (carter) وتروبو (G. troupeau) قد أقرّ بذلك بعد سنين دون أن يشيرا إلى ما قدّمه من كلام في هذا الموضوع.³ فإننا نجد أنه هو نفسه لم يشر إلى (كانتينو) في قوله بأصالة النحو العربي وتمييز نحو المتقدمين عن نحو المتأخرين؛ باستثناء تلك الإشارة العرضية والمقتضبة في بداية أطروحته التي ذكرناها دون أي تفصيل آخر منه، وإن كان هذا الأخير لم يتجرّد لإثبات أصالة النحو العربي ولم يُقدّم الأدلة على ذلك ولكنّه قدّم حكما عاما مفاده أصالة الدرس الصوتي - كفرع للدرس النحوي - للخليل وسيبويه.

- إشاراتهما بالصوتيات الخليلية ودقتها وعمق تصورهما يقول الحاج صالح:
"للعرب أيضا وخاصة الخليل نظرة أصيلة فيما يخص الأصوات والنظام الصوتي، فلم من المفاهيم في ذلك ما لا يوجد إطلاقا في الصوتيات التقليدية الغربية، وذلك مثل مفهومي الحركة والسكون ومفهوم حرف المدّ، فهذه أشياء لم تُعرف قيمتها إلا عندما اختبرت المفاهيم اليونانية التقليدية."⁴ وقد سبقه في ذلك (جان كانتينو) بقوله: "نحن نجد في كتاب سيبويه ترتيبا صحيحا للحروف حسب مخارجها وملاحظات هامة حول صفات الحروف وبحثا غزير المادة في إدغام الحروف ومعلومات صحيحة تتعلق

1 - عبد الرحمن الحاج صالح، بحوث ودراسات في اللسانيات العربية، المرجع السابق، ج1، ص241-242، وص290.

2- المقال نشر بمجلة كلية الآداب بجامعة الجزائر، المجلد الأول، ص 67 ، 86

3 - عبد الرحمن الحاج صالح: منطق العرب في علوم اللسان، المرجع السابق، ص 44

4 - عبد الرحمن الحاج صالح: بحوث ودراسات في اللسانيات العربية، المرجع السابق، ج1، ص 225، 226

بمدى الحركات وباعتلال جروسها وإشارات إلى مختلف الألسن الدارجة وخصائصها الصوتية.

وقد كانت هذه الدراسات الصوتية عند النحاة العرب دراسات وصفية صرفا مثلها في ذلك مثل الدراسات الصوتية التي قام بها نحائنا في القرن السابع عشر، فقد أغفلوا فيها تطور اللغة التاريخي واكتفوا بالقول بأن بعض كيفيات النطق صحيحة مستحسنة وأن بعضها الآخر قبيح مستهجن بدون تعمق في الموضوع ولا سبر لأغواره، وليس معنى هذا أن دراساتهم الصوتية لا قيمة لها بل هي دراسات نفيسة ولو رجع إليها الباحثون العصريون أكثر مما فعلوا لتمكّنوا من اجتناب كثير من الهفوات التي وقعوا فيها.¹ ويقول: "لقد عرف هؤلاء النحاة (النفس) ودرسوا دراسة تفصيلية النطق الفموي بجميع صفاته كما وصفوه وصفا دقيقا جدا، ولم يغب عنهم دور (المدوي الخيشومي) في إحداث بعض الأصوات وعلى العكس من ذلك فإنه يبدو أن الأوتار الصوتية ودورها الأساسي في إحداث الأصوات قد ظلا مجهولين لديهم جهلا تاما.²" ويقول: "ونظرية مخارج الحروف عند النحاة العرب نظرية أحكموا ضبطها بعناية، فهم يقسمون مخارج الحروف إلى 16 مخرجا هي: ... وترتيب المخارج هكذا ترتيب صحيح بصفة جليلة ملحوظة وموافق تقريبا لترتيبنا نحن."³

فلا يخفى وجه التقارب بين الحاج صالح وكانتينو في هذه النتيجة التي توصلا إليها بعد أن أمعنا النظر في تراث الخليل وسيبويه وغيرهما من النحاة الأوائل حيث خلاصا إلى أنه تراث يحوي نظرية لغوية دقيقة وتقوم على منهج علمي متماسك، وتبين لهما أن المفاهيم التي يتضمنها هذا التراث تكوّن في الحقيقة نظرية دقيقة لم يعثر على مثلها في أي نظرية لغوية أخرى سواء كانت قديمة أم حديثة، وأيقنا أن هذه المفاهيم جديرة جدا بأن يُكشف عنها وعن حقيقتها.

1 - جان كانتينو: المرجع السابق، ص 11

2 - نفسه، ص 20

3- نفسه، ص 31 ، 32

وقد شمل البحث الصوتي عند الحاج صالح جانبين:

1.5. الجانب الفونيتيكي (الصوتي):

1.1.5. صفات الأصوات: ويُقصد بها "مجموع الخواص الصوتية التي تُمكن من تحديد العنصر اللغوي".¹ ويُحددها الحاج صالح بأنها "الكيفيات التي تتميز بها الحروف في داخل كل مخرج".² وقد اهتم العرب بدراسة الصفات بصفة خاصة لأنها أهم ما يميز الأصوات بعضها عن بعض إذ "كل حرف شارك غيره في المخرج فإنه لا يمتاز عنه إلا بالصفات".³ لأن: "معرفة المخرج بمنزلة الوزن والمقدار ومعرفة الصفة بمنزلة المحك والمعيار".⁴ كما اهتم بهذا الجانب الحاج صالح وكان له إسهام قيم في إبراز قيمة الدراسات الصوتية العربية من جانب، ومن جانب آخر كان له دور هام في إثرائه لا سيما من خلال الأجهزة التكنولوجية المتطورة التي زُوِّد بها معهد العلوم اللسانية والدراسات الصوتية؛ كالمجوف والمطيف اللذين تحدث عن دورهما في كشف كيفية حدوث الأصوات بقوله: "يظهر للعيان عند استعمالنا لآلة خاصة تسمى بالمجوف الحلقى (تمكننا من مشاهدة ما يحصل في باطن الحلق عند النطق ودليل آخر يرجع إلى التحليل الفيزيائي لصوت العين) ونحصل عليه بآلة تحلل الصوت إلى عناصره الأولية تسمى المطيف) وهو شديد الشبه بالمطيف الخاص بأصوات المدات وأبعاضها أصوات الحركات..."⁵ وقوله: "وقد استعملنا في مخبرنا في معهد العلوم اللسانية بجامعة الجزائر آلة لقياس تمدد الأغشياء المخاطية عند نطقنا بالحروف المهموسة والمجهورة".⁶

1 _ claud germain et leblanc (remond) : introduction à la linguistique générale (la phonétique) , les presses de luniversité de montréal p.u.m , québec , canada , 1981 , T 2 , P 53

2- عبد الرحمن الحاج صالح: بحوث ودراسات في اللسانيات العربية، المرجع السابق، ج 2 ، ص 265.

3- أبو الخير الحافظ محمد بن الجزري: النشر في القراءات العشر، إشراف: علي محمد الضياع، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، د ط، د ت، ج 1، ص 265.

4- صبحي الصالح: دراسات في فقه اللغة، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، ط 14، 2000، ص 277.

5 - عبد الرحمن الحاج صالح: بحوث ودراسات في اللسانيات، المرجع السابق، ج 1 ، ص 361

6 - نفسه، ج 1 ، ص 277

وكما أسلفنا الذّكر فإننا سنقتصر على ذكر بعض العناصر فقط، وسنركز على المَواطن التي خالف فيها العلماء العرب المتقدمين، والمَواطن التي تُثبِتُ تصاقب الأفكار بينه وبين بعض الدارسين الغربيين؛ ونقصد على وجه التحديد (جان كانتينو) لتبيّن هذه الفروق بينه وبين القدماء فيما يتعلّق بصفات الأصوات العربية ندرج الأنموذجين الآتيين:

أ- النظام الصوتي العربي (في زمان سيوييه) بحسب ما جاء عند الخليل وسيوييه من الأوصاف والتصنيف للحروف العربية.¹

1 - عبد الرحمن الحاج صالح: السماع اللغوي العلمي عند العرب ومفهوم الفصاحة، المرجع السابق، ص 232

حلقى	أقصاه	أوسطه	أدنى الحلق	لهوي	من مؤخر الحنك	شجري	نطعي		لثوي	شفوي	المخارج
							صفيري	ذولقي أو أسلي			
(1)	ألف التفخيم والمالة	ع				أ إ ي ض	ل ر ن (+الخفية)		ر و م	أصوات الحركات (المصوتات) (1) مداتها اللين المنحرف المكرر الأغن الناصر	
هـ	ح	خ	غ(4)	ق(3)		ص (+التي كالزاي)	ز س		ظ ذ ث	مجهور مهموس	الرخوة مع تفخيم من غير تفخيم
ع					ك	ج (+التي كالجم)	ط(3) د ت		ب	مجهور مهموس	الشديد مع تفخيم من غير تفخيم

وقد تبين لنا من خلال المقارنة ما يأتي:

1.1.1.5. الحروف المهموسة عند الحاج صالح ثلاثة عشر وهي: (السين، الشين، التاء، الثاء، الفاء، الكاف، الحاء، الخاء، الهاء، الصاد، الطاء، القاف، الهمزة) وما عداها مجهور. أما عند العلماء العرب القدامى فالحروف المهموسة عشرة وهي: (السين، الشين، التاء، الثاء، الفاء، الكاف، الحاء، الخاء، الهاء، الصاد) وما عداها مجهور. وعليه فهو يخالف العرب الأوائل في وصف ثلاثة حروف وهي (الطاء والقاف والهمزة) حيث وصفها سيبويه بالجهر بينما وصفها الحاج صالح بالهمس. وهو يُعلّل هذا الاختلاف بأن الحروف المذكورة أصابها تطور عبر الزمن غير من صفاتها حيث نجده يقول: "كانت الطاء مجهورة (دال مفخمة) وصارت مهموسة (تاء مفخمة) وكذلك القاف (الآن بتفخيم + همس)."¹ ولا شك أن كشف هذا الفرق يرجع إلى دور الآلات التكنولوجية الحديثة التي اعتمدها في دراسة الأصوات وصفاتها وخاصة صفتا الجهر والهمس بدليل قوله: "وقد استعملنا في مخبرنا في معهد العلوم اللسانية بجامعة الجزائر آلة لقياس تمدد الأغشية المخاطية عند نطقنا بالحروف المهموسة والمجهورة."² إلا أنه يطالعنا نص لـ (جان كانتينو) (Jean Cantineau) يقول فيه: "لقد قام نقاش في معنى عبارتي مجهورة ومهموسة ومن الباحثين من يشك في صحة ترجمتهما بكلمتي (sonore) و (sourde)... و يبلغ النقاش أعلى درجات الحدة فيما يتعلق بقائمة الحروف المجهورة والمهموسة على النحو الذي ذكرها عليه سيبويه والزمخشري وابن يعيش فالحروف المجهورة حسب النحاة هي: الهمزة والألف والعين والغين والقاف والجيم والياء والضاد واللام والنون والراء والطاء والدال والزاي والطاء والذال والباء والميم والواو. بينما الحروف المهموسة عندهم هي: الهاء والحاء والحاء والكاف والشين والسين والتاء والصاد والثاء والفاء. وقد لاحظ الباحثون من حين عرف هذا النص وتناقشوا فيه أن الهمزة (وهي حرف مهموس (sourd) بطبيعته إن القاف والطاء (وهما حرفان مهموسان (sourds) حسب القراءة التقليدية التي وصلت إلينا محشورة في تلك القائمة في زمرة

1- عبد الرحمن الحاج صالح: السماع اللغوي عند العرب ومفهوم الفصاحة، المرجع السابق، ص 232 - الهامش -

2- عبد الرحمن الحاج صالح: بحوث ودراسات في اللسانيات العربية، المرجع السابق، ج 1، ص 277

الحروف المجهورة... فسرى فيما بعد أن القاف والطاء ربما كانا في الأول حرفين مجهورين (sonores) في قسم من أقسام العربية القديمة على الأقل، وأما الهمزة فمن الممكن أن يكون اتصالها المتواتر بالألف قد جعلهم يعتبرونها خطأً مجهورة. وخلاصة القول أن الحجج التي قدمها المعترضون لا تؤدي إلى اليقين، وإن تقسيم الحروف إلى مجهورة وإلى مهموسة يُوافق فيما يبدو تقسيمنا إياها إلى *sonoes* وإلى *sourdes* موافقة تامة على الأقل عند سيبويه والزمخشري، إذ ليس من الحكمة والتبصّر الركون إلى نحاة عهد الانحطاط الذين يستشهد بهم برفمان.¹ وقد أوردنا النص على طوله كي يتضح المقال.

ونُلخّص دليل تصاقب الأفكار بين الحاج صالح وكانتينيو في الجدول

الآتي:

التعليل		الحروف المهموسة		
كانتينيو 1960	الحاج صالح	كانتينيو	الحاج صالح	العرب
أن القاف والطاء ربما كانا في الأول حرفين مجهورين (sonores) في قسم من أقسام العربية القديمة على الأقل، وأما الهمزة فمن الممكن أن يكون اتصالها المتواتر بالألف قد جعلهم يعتبرونها خطأً مجهورة.	كانت الطاء مجهورة (دال مفخمة) وصارت مهموسة (تاء مفخمة) وكذلك القاف (الآن بتفخيم + همس)	(س، ك، ت، ف، ح، ث، هـ، ش، خ، ص، ط، ق، ص، ط، ق، ع)	(س، ك، ت، ف، ح، ث، هـ، ش، خ، ص، ط، ق، ع)	(س، ك، ت، ف، ح، ث، هـ، ش، خ، ص)

2.1.1.5. الحروف الشديدة والرخوة: هذه الصّفة هي من المواضع التي انتصر فيها الحاج صالح لتصنيف العرب، وخالف فيها وجهة (كانتينيو) وأثبت صحة مذهب

1- جان كانتينيو: المرجع السابق، ص 34، 35

الصوتيين العرب بالأجهزة التكنولوجية المختلفة. ويتعلق الأمر بصفة العين فقد عدها العرب من الحروف البينية التي تتوسط بين الشدة والرخاوة.¹ بينما اعترض كانتينو على ذلك واعتبرها من الحروف الشديدة، مع أنه يُشيد بمطابقة تصنيف العرب لتصنيف لنظرية الصوتيين الغربيين الحديثة، يقول: "وأما الحروف الباقية أي الألف والعين والياء واللام والنون والراء والميم والواو فيعتبرونها بين الشدة والرخاوة. وفعلا فإن النون والميم خيشوميان واللام والراء يمتازان بكيفية خاصة في النطق والألف والواو والياء هي حروف المد... فلا يبقى مجال للشك في صحة هذا الترتيب إلا في ما يتعلق بحرف العين وما عدا ذلك فإن الترتيب مُطابق لترتيب علماء الأصوات العصريين."² وقد أجاب عن ذلك الحاج صالح بقوله: "وهذا ما لا يُمكن أن يشك فيه إذ يظهر للعيان عند استعمالنا لآلة خاصة تسمى بالمجوف الحلقي (تمكُّنا من مشاهدة ما يحصل في باطن الحلق عند النطق، ودليل آخر يرجع إلى التحليل الفيزيائي لصوت العين) ونحصل عليه بآلة تُحلل الصوت إلى عناصره الأولية تسمى المطياف، هو شديد الشبه بالمطياف الخاص بأصوات المدّات وأبعاضها أصوات الحركات. ونحن نعلم أن مصدر هذه الأصوات هو اهتزاز للأوتار الصوتية (وتسمى في اللغة بالشوارب) وأن اهتزازها هو عبارة عن انقباض وانبساط سريعين جدا لهذه العضلات الحنجرية. فلهذه الأسباب كلها ندرك اليوم وبفضل التجارب والمشاهدة المخبرية صحة ما ذهبوا إليه من أن العين ليس حرفا شديدا محضا ولا حرفا رخوا محضا.³ ويكفي أن ننظر إلى عبارة كانتينو (لا يبقى مجال للشك في صحة هذا الترتيب إلا فيما يتعلق بحرف العين...) وعبارة الحاج صالح (وهذا ما لا يمكن أن يشك فيك...) لندرك أن الحاج صالح لم يكن بعيدا عن الاطلاع عن فكر هذا المستشرق الفرنسي سواء بموافقته وحتى بمخالفته.

1- أبو بشر عمرو بن قنبر سيبويه: المصدر السابق، ج 2 ، ص 406

2- جان كانتينو: المرجع السابق، ص 36

3- عبد الرحمن الحاج صالح: بحوث ودراسات في اللسانيات العربية، المرجع السابق، ج 1، ص 361، 362

3.1.1.5. الإطباق والتفخيم والاستعلاء: انطلق الحاج صالح من حديث سيبويه حول الحروف المطبقة "هذه الحروف الأربعة إذا وضعت لسانك في مواضعهن انطبق لسانك من مواضعهن إلى ما حاذى الحنك الأعلى من اللسان؛ ترفعه إلى الحنك فإذا وضعت لسانك فالصوت محصور بين اللسان والحنك إلى موضع الحروف".¹ فقال بعد أن أمعن النظر في هذا القول وفي أقوال العلماء التالين لسبويه: "لم يدرك المتأخرون من النحاة والقراء معنى الإطباق، فسبويه لا يريد بذلك انطباق اللسان على الحنك بدليل قوله "انطبق من... إلى... ترفعه إلى الحنك... فالصوت محصور فيما بين اللسان والحنك" فهناك إذن فضاء بين اللسان والحنك يحصل بالإطباق، وتبين ذلك بالتكنولوجيا الحديثة، فالسينما المجوفية (بالأشعة) تُبين أن أقصى اللسان يذهب نحو مؤخر الفم (وهذا معنى الارتفاع/مقابل الانخفاض والاستفال) ونحو الحلق (وهو سبب التفخيم) مع بقاء طرف اللسان في موضع الحرف غير المفخم (س+ تفخيم مثلا = ص) وهذا يُسبب انطباق اللسان أي شيئاً مثل التنثي، وقد لا حظ ذلك بن سينا إذ قال: "ويحدث في اللسان كالتعير وذلك في حرف الصاد".²

ونلاحظ من خلال قوله هذا أنه يتحدث عن صفتي الإطباق والاستعلاء

والتفخيم، حيث:

- يحصل الإطباق بحصر الصوت في الفضاء بين اللسان والحنك.
- يحصل الاستعلاء أو الارتفاع نتيجة اتجاه أقصى اللسان نحو مؤخر الفم.
- يحصل التفخيم نتيجة اتجاه أقصى اللسان نحو الحلق. وكل هذا ممّا ثبت له باستخدام التكنولوجيا الحديثة (السينما المجوفية).

وهذا يعني أنه يتحدّث عن صفة "الإطباق" باعتبارها مُرادفة ومطابقة

لصفتي "الاستعلاء" و"التفخيم" ويستعمل هذه المصطلحات الثلاث (الاستعلاء، الإطباق والتفخيم) على أنها صفة واحدة، وقد تأكّد لنا ذلك عندما نظرنا إلى جدول الكتابة

1- أبو بشر عمرو بن قنبر سيبويه: المصدر السابق، ج 2، ص 206.

2- عبد الرحمن الحاج صالح: بحوث ودراسات في اللسانيات العربية، المرجع السابق، ج 1، ص 286.

الصوتية وجدناه يصف الأصوات المُطبقة وهي أربعة (الصاد والضاد والطاء والظاء) بالمطبقة وبالمفخمة emphatiques حيث سمى الطاء مثلاً تاء مفخمة، والضاد دال مفخمة. وتتبعنا أكثر فوجدناه لا يقصر صفة التفخيم على الحروف المطبقة بل ألحقها أيضاً بـ (بالقاف مثلاً حيث قال فهي إذن مُفخّمة) ما يعني أنه يجعل التفخيم أعم من الإطباق لأنه يشمل أصواتاً أكثر من الحروف المُطبقة أي أنه لا يجعل (الإطباق) مُرادفاً (للتفخيم) دائماً.¹ وبحثنا عن سبب جعله هاتين الصفتين (الإطباق والتفخيم) مترادفتين فوجدنا كانتينو يذهب إلى أنّه "ليس يخلو الاستعلاء من بعض الاتصال بالإطباق".² وأنه: "لا يمكن التفريق بين التفخيم وبين الإطباق والاستعلاء وإن كان التفخيم لا يُذكر عادة في قائمة صفات الحروف. ويُسمّى التفخيم أيضاً تغليظاً أو تسميناً ويُقابلة الترقيق. ومن الرّاجح فيما يبدو أن لفظ التفخيم يُطلق على بعض الحروف التي لها وقع خاص على السّمع؛ أي وقع فخم أو غليظ أو سمين على الأذن. وهذه الحروف هي الأربعة المُطبقة ثم القاف والخاء والغين ثم الراء واللام في بعض حالاتهما الخاصة".³ وكما جعل الحاج صالح التفخيم أعمّ من الإطباق وجدنا كانتينو يتحدث أنه لاحظ عن النحاة العرب في تصنيفهم الحروف المُطبقة لم يُثبتوا في قائمتها لا حرف القاف، ولا بعض الحالات الخاصة في نطق الراء واللام التي تسمى في الصوتيات الغربية راء مفخمة ولأما مُفخّمة، وقد علّل ذلك بأن النحاة العرب يعتبرون هذه الحروف حروفاً مفخمة.⁴ فقد اتضح لنا جلياً أنّ كليهما يجعل الإطباق والاستعلاء والتفخيم مصطلحات مترادفة، بل إنّ كليهما يجعل التفخيم أعمّ من الإطباق؛ في أنه يشمل الأصوات المُطبقة الأربعة وأصواتاً أخرى كالقاف والخاء والغين... وهذا يُثبت توافق الحاج صالح و (كانتينو) واللسانيات الغربية الحديثة، وذلك لأنه وافق مذهب هذا المستشرق وخالف مذهب العرب الذين ثبت أنهم: يفرقون بين

1 - عبد الرحمن الحاج صالح: بحوث ودراسات في اللسانيات العربية، المرجع السابق، ج 1، ص 427، 428

2 - جان كانتينو: المرجع السابق، ص 36

3 - نفسه، ص 37

4- نفسه، ص 36

الحروف المُطبقة والحروف المُفخّمة بينما يجمعها علماء الأصوات الغربيون العصريون في لفظ emphatiques¹.

ويزيد من تأكيد ذلك أنه كما يجعل الاستعلاء مرادفاً للتفخيم يجعل الصفات النقيضة مترادفة أيضاً فهو يجعل الاستفال مرادفاً للترقيق والدليل قوله: "الناء العربية الفصيحة: لثوية مهموسة غير مفخّمة = مستقلة."² ومنه يمكننا القول أنه يجعل الانفتاح والترقيق والاستفال مصطلحات مترادفة لنفس الصفة. وهذا نجده أيضاً في قول كانتينو: "الإطباق ويقابله الانفتاح: وتشمل هاتان الصفتان جزءاً من مفهومي التفخيم وانعدام التفخيم عندنا."³ فقد ربط الإطباق بالتفخيم وفي المقابل ربط الانفتاح بالترقيق وعدم التفخيم.

2.1.5. مخارج الأصوات: "فترتيب المخارج عندهم هو ترتيب لأجناس من الأصوات على المحور الأفقي وكل جنس (في داخل عمود) يتفرع عن الآخر بزيادة صوت الحركة ثم حرف المد (+ مد) ثم اللين (شيء من الجمود) ثم الرخو (جمود أكثر) ثم (بين رخاوة + مد) ثم الشديد (جمود مطلق)"⁴

العرب ⁵	الحاج صالح ⁶	كانتينو ⁷
<p>لحروف العربية ستة عشر مُخرجا:</p> <p>1-أقصى الحلق: الهمزة، الهاء، الألف.</p> <p>2-أوسط الحلق: العين، الحاء.</p>	<p>1-المُخرج الشفوي:</p> <p>الواو، الميم، الفاء، الباء.</p> <p>2-المُخرج الشفوي</p>	<p>1-المُخرج الشفوي:</p> <p>الواو، الميم، الباء.</p> <p>2-المُخرج الشفوي</p>

1- جان كانتينو: المرجع السابق، ص 36 -الهامش-

2- عبد الرحمن الحاج صالح: بحوث ودراسات في اللسانيات العربية، المرجع السابق، ج 1، ص 426

3- جان كانتينو: المرجع السابق، ص 36

4- عبد الرحمن الحاج صالح: بحوث ودراسات في اللسانيات العربية، المرجع السابق، ج 1، ص 226

5 - أبو بشر عمرو بن قنبر سيبويه: المصدر السابق، ج 4 ص 433 ، 434

6 - عبد الرحمن الحاج صالح: السماع اللغوي العلمي عند العرب ومفهوم الفصاحة، المرجع السابق، ص 232

7 - جان كانتينو، المرجع السابق، ص 30 ، 31

<p>3-أدنى الحلق: الغين، الخاء. 4-أقصى الحلق وما فوقه من الحنك الأعلى: القاف. 5-من أسفل موضع القاف من اللسان قليلا ومما يليه من الحنك الأعلى: الكاف 6-وسط اللسان بينه وبين وسط الحنك الأعلى: الجيم، الشين، الياء. 7-أول حافة اللسان وما يليها من الأضراس: الضاد.</p>	<p>2-المُخرج اللّثوي: الأسنان: الفاء. الطاء، الذال، الثاء. 3-المُخرج النطعي: أسناني: الثاء، الذال، الطاء. -ذولقي أو أسلي: اللام، الراء، النون، الطاء، الدال، التاء. _ صفيري: الصاد، الزاي، السين. السين، الزاي، الصاد.</p>	<p>3-أدنى الحلق: الغين، الخاء. 4-أقصى الحلق وما فوقه من الحنك الأعلى: القاف. 5-من أسفل موضع القاف من اللسان قليلا ومما يليه من الحنك الأعلى: الكاف 6-وسط اللسان بينه وبين وسط الحنك الأعلى: الجيم، الشين، الياء. 7-أول حافة اللسان وما يليها من الأضراس: الضاد.</p>
<p>5-المُخرج الأدنى حنكي: الجيم، الشين، الياء، الراء، اللام، الضاد.</p>	<p>4-المُخرج الشجري: الجيم، الشين، الياء، الضاد.</p>	<p>8-جميع أول حافة اللسان وأول الحنك الأعلى والأضراس الصغرى والأنياب والثنايا: اللام.</p>
<p>6-المُخرج الأقصى حنكي: الكاف</p>	<p>5-المُخرج الأقصى حنكي: الكاف.</p>	<p>9-حافة اللسان من أدناها إلى منتهى طرف اللسان ما بينها وبين ما يليها من الحنك الأعلى وما فوق الثنايا: النون</p>
<p>7-المُخرج اللهوي: القاف، الغين، الخاء.</p>	<p>6-المُخرج اللهوي: القاف.</p>	<p>10-من مخرج النون غير أنه أدخل في ظهر اللسان قليلا لانحرافه إلى اللام: الراء.</p>
<p>8-المخرج الأدنى حلقى: العين، الحاء</p>	<p>7-المخرج الحلقى: -أدنى الحلق: الغين، الخاء.</p>	<p>11-ما بين طرف اللسان وأصول الثنايا: الطاء، الدال، التاء.</p>
<p>9-المخرج الأقصى حلقى: الهمزة،</p>	<p>_أوسط الحلق: العين الحاء</p>	<p>12-طرف اللسان وأعلى باطن الثنايا وهو مخرج الزاي والسين والصاد.</p>

<p>الهاء. _ أقصى الحلق: الهاء، الهمزة ، الألف.</p>	<p>13- مما بين طرف اللسان وأطراف الثنايا: الطاء، الذال، الثاء. 14- من باطن الشفة السفلى وأطراف الثنايا العلى: الفاء. 15- ما بين الشفتين: الباء، الميم، الواو. 16- من الخياشيم : النون.</p>
--	--

إضافة إلى هذا الجدول الذي يوضح مخارج الحروف كما حددها كل من (العرب، الحاج صالح، كانتينو) الذي سنكشف من خلال قراءته على العديد من جوانب تصاقب الأفكار بين الحاج صالح وكانتينو، فإنه من المهم أن نُشير إلى أن كانتينو كما وضع ترتيباً لمخارج الحروف وجعلها ثمانية كما وضحناها في الجدول السابق، فإنه استقرأ أيضاً الترتيب الذي وضعه العرب للمخارج وقدم تعقيبات مهمة عليه، وتبين لنا أن الحاج صالح قد استفاد من هذه التعقيبات بشكل كبير، بل إن تعقيبات كانتينو كانت هي الموجه لترتيب المخارج التي وضعها الحاج صالح. ومن ملامح تصاقب أفكار الحاج صالح وأفكار (جان كانتينو) في باب المخارج:

- رتبَّ العرب المخارج ترتيباً تصاعدياً من أقصى الحلق إلى الشفتين، في حين رتبها الحاج صالح على طريقة كانتينو ترتيباً تنازلياً من الشفتين إلى أقصى الحلق.

- تحدّث الصوّتيون العرب عن ستة عشر مُخرجا 16 مُخرجا، بينما جعلها الحاج صالح سبعة مخارج (7) وبتفريع مُخرجين هما المخرج النطعي إلى أسلي وصفيري وتفرّيع المخرج الحلقى إلى أدناه وأوسطه وأقصاه يصبح عددها عشرة 10، ليكون الفارق بينه وبين العرب ستة مخارج. في حين اقترب كثيرا من ترتيب كانتينو الذي جعلها تسعة مخارج. فلم يكن الفارق بينهما إلا مُخرجا واحداً، ويمكن تحديد المخرج الذي شكل الفارق بين ترتيب كانتينو وترتيب الحاج صالح بأنه مخرج (أوسط الحلق) الذي لم يُدرجه كانتينو.

مع أن مقارنة ترتيب المخارج بين العرب والحاج صالح وكانتينو تُفضي بنا إلى القول بأن الحاج صالح يوافق جان كانتينو في تصنيفه ولا شك. إلا أن الدليل الأهم تجلى لنا من خلال أن متابعة تعقيب كانتينو على ترتيب العرب للمخارج في قوله: "ونظرية مخارج الحروف عند النحاة العرب نظرية أحكموا ضبطها بعناية، فهم يقسمون مخارج الحروف إلى 16 مخرجا هي:

- أقصى الحلق وهو مخرج الهمزة والهاء والألف.

- وسط الحلق وهو مخرج العين والحاء.

- أدنى الحلق وهو مخرج الغين والحاء.

وتسمى هذه المجموعات الثلاث (حروفا حلقية).

- أقصى اللسان وما فوقه من الحنك الأعلى وهو مخرج القاف.

- ما هو أسفل بقليل من مخرج القاف بين اللسان والحنك الأعلى وهو مخرج الكاف. ويسمى هذان الحرفان (أي القاف والكاف) لهويين.

- أول حافة اللسان والأضراس وهو مخرج الضاد.

- جميع أول حافة اللسان وأول الحنك الأعلى والأضراس الصغرى والأنياب والثنايا وهو مخرج اللام.

- طرف اللسان والثنايا وهو مخرج النون.

- نفس المخرج السابق إلا أنه أدخل في ظهر اللسان بقليل وقريب من مخرج اللام وهو مخرج الراء.

وتسمى اللام والنون والراء حروفا ذلقية أو ذولقية أي حروفا تقرع بذولق اللسان وهو طرفه.

- طرف اللسان وأصول الثنايا وهو مخرج الطاء والذال و التاء، و تسمى هذه الحروف

حروفا نطعية أي أدنى حنكية.

- طرف اللسان وأعلى باطن الثنايا وهو مخرج الزاي والسين والصاد، ونسعى هذه الحروف حروفا أسلية أي حروفا تقرع بأسلة اللسان وهو طرفه إذا استدقّ.
- طرف اللسان وأطراف الثنايا وهو مخرج الظاء والذال والثاء وتسمى هذه الحروف حروف لثوية.

- الشفة السفلى والثنايا وهو مخرج الفاء.

- الشفتان وهو مخرج الباء والميم والواو.

وتسمى الفاء والباء والميم والواو حروفا شفوية أو شفوية.

- الخيشوم وهو مخرج النون الخفيفة (ذات النطق الخيشومي).

... وترتيب المخارج هكذا ترتيب صحيح بصفة جلية ملحوظة وموافق تقريبا لترتيبنا نحن¹ حيث وجدناه مطابقا تقريبا لترتيب الحاج صالح. ونوضح ذلك من خلال الجداول الآتية:

جدول رقم 1:

كانتينو	الحاج صالح
العرب جعلوا:	
- أقصى الحلق وهو مخرج الهمزة والهاء والألف	المخرج الحلقى
- وسط الحلق وهو مخرج العين والحاء	
- أدنى الحلق وهو مخرج الغين والحاء	أدنى الحلق
وتسمى هذه المجموعات الثلاث (حروفا حلقيه)	أقصى الحلق
	العين
	الغين
	الحاء
	الألف

1- جان كانتينو: المرجع السابق، ص 31 ، 32 -

نلاحظ أن طريقة كانتينو بذكر أقصى الحلق ووسطه وأدناه كما ذكرته العرب ثم التعقيب بقوله أن هذه المجموعات الثلاث تسمى كلها حروفاً حلقية؛ هي الموجه الذي اعتمد عليه الحاج صالح في الترتيب الذي وضعه حيث ذكر المخرج بأنه حلقي ثم جعل له فروعاً ثلاثة الأقصى والأوسط والأدنى.

جدول رقم 2:

كانتينو	الحاج صالح
وسط اللسان ووسط الحنك الأعلى وهو مخرج الجيم والشين والياء. وتسمى هذه الحروف شجرية أي حروف منفتح الفم.	المخرج الشجري: الجيم والشين والياء والضاد

نلاحظ أن العرب سمّت المخرج (وسط اللسان ووسط الحنك الأعلى) وسماه الحاج صالح المخرج الشجري، ويبدو جلياً أنه استفاد من تعقيب كانتينو الذي وصف من خلاله الحروف التي تخرج من وسط اللسان ووسط الحنك الأعلى بأنها حروف شجرية. ولم يختلف عنه في شيء من ذلك إلا في عدد حروف هذا المخرج حيث زاد عليه الحاج صالح حرف الضاد. فاعتبره شجريا أيضاً كذلك ولا شك أن تعليل ذلك يرجع إلى ما سبق ذكره من أن الحاج صالح يرى أن حرف الضاد اليوم لا يُنطق بنفس صفات الضاد التي كان يتكلمها العرب الأوائل، وقد سبق وأشرنا أن هذا التعليل هو الآخر من ملامح تصاقب أفكار الحاج صالح وأفكار كانتينو.

جدول رقم 3:

كانتينو	الحاج صالح
- أقصى اللسان وما فوقه من الحنك الأعلى وهو مخرج القاف.	المخرج الأقصى حنكي: وهو مخرج الكاف.
- ما هو أسفل بقليل من مخرج القاف بين اللسان والحنك الأعلى وهو مخرج الكاف. ويسمى هذان الحرفان (أي القاف	المخرج اللهوي: وهو

مخرج القاف.	والكاف) لهويين.
-------------	-----------------

ومن خلال هذا الجدول نلاحظ أنه يتفق الحاج صالح مع كانتينو في تسمية المخرج اللهوي، ويتفق معه في تصنيف حرف القاف على أنه حرف لهوي، ولكنه يخالفه في حرف الكاف حيث يعتبره كانتينو حرفا لهويا أيضا بينما لا يعتبره الحاج صالح كذلك. فأيهما أقرب للصواب؟

جدول رقم 4:

كانتينو	الحاج صالح
<p>- جميع أول حافة اللسان وأول الحنك الأعلى والأضراس الصغرى والأنياب والثنايا وهو مخرج اللام.</p> <p>- طرف اللسان والثنايا وهو مخرج النون.</p> <p>- نفس المخرج السابق إلا أنه أدخل في ظهر اللسان بقليل وقريب من مخرج اللام وهو مخرج الراء.</p> <p>وتسمى اللام والنون والراء حروفا ذلقية أو ذلقية أي حروفا تقرع بذولق اللسان وهو طرفه.</p> <p>- طرف اللسان وأصول الثنايا وهو مخرج الطاء والداد والتاء، وتسمى هذه الحروف حروفا نطعية أي أدنى حنكية.</p> <p>- طرف اللسان وأعلى باطن الثنايا وهو مخرج الزاي والسين والصاد. وتسمى هذه الحروف حروفا أسلية أي حروفا تُقرع بأسلة اللسان وهو طرفه إذا استدقّ.</p>	<p>المخرج النطعي:</p> <p>- ذولقي أو أسلي: ل ر ن ط د ت.</p> <p>- صفيري: ص ز س</p> <p>(حسب النموذج 1: النظام الصوتي (في زمان سيبويه)</p> <p>المخرج النطعي:</p> <p>ذولقي: ل ر ن</p> <p>أسلي: ص ز س</p> <p>نطح الغار الأعلى: ط ظ د ت</p> <p>حسب النموذج 2: مصفوفة الحروف</p>

من خلال هذا الجدول نلاحظ مخالفة الحاج صالح لكانتينو، وهذا الاختلاف هو على النحو الآتي:

- ماجعلته العرب ثلاثة مخارج أجمله الحاج صالح في مخرج واحد سماه المخرج النطعي واعتبره مخرجا عاما يتفرع عنه مخرجان آخران هما المخرج الذولقي والصفيري. في حين جعل كانتينو المخرج النطعي فرعا فقط يشمل ثلاثة حروف هي: ط، د، ت، وهي الحروف التي اعتبرها الحاج صالح ذولقية أو أسلية.

- الحاج صالح يجعل المخرج الذولقي هو نفسه المخرج الأسلي وحروفه هي: ل ر ن ط د ت، بينما كانتينو يُفرِّق بين الذولقي والأسلي، ويختلف مع الحاج صالح في حروف كل مخرج، فالحروف الذولقية هي: ل ن ر، والحروف الأسلية هي ز س ص.
- الحروف التي سماها كانتينو حروفا أسلية وهي: س ز ص؛ سماها الحاج صالح صفيرية.

هذا بالنظر إلى نموذج (النظام الصوتي العربي (في زمان سيبيويه) أما بالنظر إلى نموذج مصفوفة الحروف نجد أن الحاج صالح يتطابق تماما مع (كانتينو) حيث:

تحدث كلاهما عن مخرج ناقي: ويشمل: ل، ر، ن / مخرج أسلة اللسان: ويشمل: ص، ز، س/ مخرج نطع الغار الأعلى: ويشمل: ط، د، ت.

جدول رقم 5:

كانتينو	الحاج صالح
_ طرف اللسان وأطراف الثنايا وهو مخرج الظاء والذال والثناء وتُسمى هذه الحروف حروفاً لثوية.	المُخرج اللثوي: وهو مخرج الظاء والذال والثناء.

نلاحظ أنه يُسمى الحروف التي حدّد العرب مُخرجها بأنّه (بين طرف اللسان وأطراف الثنايا) وحدّده كانتينو بأنّه (بين الأسنان) وهي (ظ ذ ث) بالحروف

الثوية، والحقيقة أن نطق هذه الحروف يعتمد على الأسنان بمساعدة طرف اللسان ونجده يؤكد ذلك ويُعلِّله بقوله: "والحرف الذي يخرج من بين الأسنان هو اللثوي لا محالة، وإن كانت التسمية تدل على غير ذلك في الأصل، إلا أن المقصود عند الصوتيين العرب هو Interdentale ويفسرون التسمية بالجوار.¹" واختياره لهذا المصطلح (لثوي) نابع من انتصاره للتراث وقناعاته بدقة وعلمية مصطلحاته، فقد ورد هذا المصطلح في (شرح المُفصَّل) حيث أن هذه الحروف الثلاثة-الطاء والذال والهاء- "من حيز واحد وهو ما بين طرف اللسان وأصول الثنايا وبعضها أرفع من بعض، وهي لثوية لأن مبدأها اللثة."² ولكن جعله هذا المصطلح (لثوي) مقابلا للمصطلح الأجنبي Interdentale وهو الذي يعني (ما بين الأسنان) يدل على اطلاعه على تعقيب كانتينو على مخرج طرف اللسان وأطراف الثنايا عند العرب بأن الحروف التي تخرج من هذا المحل وهي الطاء والذال والهاء تسمى حروفا لثوية. وقوله: "الحروف التي بين الأسنان أي التي تفرع بوضع طرف اللسان بين الأسنان العليا والسفلى منفرجة انفرجا قليلا، مثل الذال والهاء في الانجليزية، والذال والهاء والطاء في العربية."³

جدول رقم 6:

الحاج صالح	كانتينو
- المُخرج الشفوي: و، م، ف، ب.	- الشفة السفلى والثنايا وهو مُخرج الفاء. - الشفتان وهو مخرج الباء والميم والواو. وتسمى الفاء والباء والميم والواو حروفا شفوية أو شفوية.

نلاحظ أن الحاج صالح جعل للفاء والباء والميم والواو مُخرجا واحدا سماه المُخرج الشفوي مخالفا بذلك تصنيف العرب الذين جعلوا لهذه الحروف مُخرجين

1- عبد الرحمن الحاج صالح: بحوث ودراسات في اللسانيات العربية، المرجع السابق، ج 2، ص 114.

2 - أبو البقاء يعيش بن علي بن يعيش الموصلية: شرح المفصل للزمخشري، المرجع السابق، ج10، ص 125.

3 - جان كانتينو: المرجع السابق، ص 22

أحدهما للفاء والآخر للحروف الباقية. وفي مذهبه هذا دليل على تأثره الجليّ بجان كانتينو الذي وقف عند هذين المُخرجين عند العرب وهما الشفّة السّفلى والثّنايا وهو مخرج الفاء، الشفتان وهو مخرج الباء والميم والواو. وعقّب عليهما بأن هذه الحروف مُجمّعة تُسمّى: حروفا شفوية أو شفوية. أي إن كانتينو هو أول من جعل لهذه الحروف مُخرجا واحدا وسماه المخرج الشفوي.

2.5. الجانِب الفونولوجي: لقد عرف النحاة العرب جهاز النطق وتمكّنوا من وصفه وصفا دقيقا جدا، ودرسوا عملية النطق والتصويت وإحداث الأصوات دراسة تفصيلية، وكوّنوا نظرية علمية دقيقة حول صفات الحروف ومخارجها على نحو سبقوا به الدرس الصوتي الغربي الحديث. ومع أن المستشرق الفرنسي (جان كانتينو) ذهب إلى القول بأن "علم وظائف الأصوات- وهو فرع جديد في علم اللغات نشأ منذ عهد قريب- لم تُطبّق طُرقه قط على ميدان اللغة العربية."¹ إلا أن الأستاذ عبد الرحمن الحاج صالح أثبت أن نظرة النحاة العرب القدامى للمستوى الصوتي في جانبه الفونولوجي قد قامت على أساس مفاهيم دقيقة لا نظير لها في صوتيات أي حضارة أخرى، وأهم هذه المفاهيم هي الحركة والسكون والحرف والمقطع...

1.2.5. الحركة² والسكون: هما مفهومان فريدان يُميزان الصوتيات العربية ويُمثّلان جوهر نظرية النحاة العرب في علم الصوت، إلا أنّ فهمهما استعصى على كثير من الباحثين العرب والغربيين؛ الذين لم يتوصلوا بالضبط إلى ما كان يقصده الخليل وسيبويه بالسكان والمتحرك.³ ونظرا لأهمية هذين المفهومين في مُحيط الدراسات الصوتية الحديثة فقد اعتنى الأستاذ عبد الرحمن الحاج صالح بهما، ونظرا لعدم وجود مقابل لهما في اللسانيات الحديثة، فقد أطلق عليهما مصطلحي: (Akinesis /Kinesis)، كما أطلق مصطلح Kinem في مقابل الحركة، وهو مفهوم لم

1- جان كانتينو: المرجع السابق، ص 15

2- وتسمى الحروف الناقصة، أو أبعاض الحروف في اصطلاح القدماء، أو أصوات الحركات في اصطلاح الحاج صالح.

3- عبد الرحمن الحاج صالح: بحوث ودراسات في اللسانيات العربية، المرجع السابق، ج2، ص14.

يعرف في الصوتيات الغربية التقليدية¹ وأبدى إعجابه الشديد بالمفاهيم الصوتية العربية وأكد على ضرورة الرجوع إليها خاصة مايتعلق بالحركة والسكون والحرف المتحرك والحرف الساكن، وضرورة عرضها على الوسائل التكنولوجية الحديثة ومقارنتها بالمفاهيم الصوتية الغربية الحديثة. وقد جعل هذا المبحث أيضا-المبحث الصوتي- مدخلا من مداخل إثبات أصالة النحو العربي. وظل يؤكد على أن نظرة العرب إلى الصوت اللغوي تختلف عن نظرة اليونان؛ إذ إن نظرة اليونان تقوم على تقسيم الأصوات إلى صوامت ومصوتات، وهو التقسيم الذي حافظت عليه الصوتيات الغربية في العصر الحديث. بينما لم يطلع النحاة العرب الأوائل على هذا التقسيم ولا على غيره من المفاهيم الصوتية اليونانية إلا بعد ترجمة التراث اليوناني إلى العربية في زمن متأخر على زمن الخليل وسيبويه ومن تابعهما. لذلك فإن التصنيف العربي للحروف إلى سواكن ومتحركات يلتقي فيه النحاة العرب مع اليونانيين في تقسيمهم لأصواتهم إلى صوامت وصوائت، ولا يرجع ذلك إلى تقليد العرب لليونان وإنما مرجع ذلك أن هذا التقسيم ظاهرة عامة تشمل كل اللغات، فهو مما تفرضه المعرفة المبنية على المشاهدة والتجربة فالحركات والسواكن أو الصوامت والصوائت ظواهر تتجم عند تقطيع الأصوات الطبيعية في المخارج لدى كل الأمم، لذلك لم يكن غريبا أن يتوصل إليها عباقرة النحو العربي كالخليل وأمثاله. إلا أن العرب تميّزوا عن اليونان في التفريق بين الحركة (وهي صوت عندهم) والمدّ، حيث اعتبروا المدود حروفا تامة قائمة بذاتها، بينما لم يعتبروا الحركات كذلك بل اعتبروها أشباه حروف لا حروف؛ وهي ابتداء المدّ وأصله وهو فرع عنها. فلم يجعلوهما (الحركة والمدّ) حرفا واحدا كما جعله اليونان حرفا واحدا وهو المصوّت الطويل. أي إن العرب قسموا الأصوات اللغوية إلى حروف صحاح وحروف لين، ثم قسموا هذه الأخيرة إلى حروف توام هي حروف المدّ، وحروف ناقصة هي الحركات، في هذه الأخيرة يختلفون عن اليونان وهو ما لخصه على النحو الآتي: "عند اليونان: (صوامت/ مصوّتات (قصيرة- طويلة)، عند العرب: (حروف

1- محمد صاري: من أزمة فهم اللسانيات إلى أزمة فهم التراث، مجلة اللسانيات العربية، المملكة العربية السعودية، العدد 7، جويلية 2018، ص 86. وعبد الرحمن الحاج صالح: البنى النحوية العربية، المرجع السابق، ص 19.

صاحح (أو جوامد) / حروف لين (حروف ناقصة: أصوات الحركات، حروف توام: مدات لأصوات الحركات).¹

وقد سبق (كانتينيو) إلى الإشارة إلى أن العرب تعتبر الحركات الطويلة (المدات) حروفا بقوله: "إن الترتيب الأساسي الواجب في نظام الأصوات البسيطة المكونة للكلام البشري هو ترتيبها حروفا وحركات... أما النحاة العرب فقد أطلقوا اسم حرف ج حروف (وهو اسم يطلق في الأصل على عناصر الأبجدية) على كل صوت بسيط من الكلام سواء أكان حرفا (consonne) في المعنى الحقيقي للكلمة اليوم أم حركة طويلة كحروف المد واللين."²

ويكتسي نظام الحركات في الصوتيات العربية دورا عظيما كونه يُمكن من تحقق عملية إحداث الأصوات، باعتبار الحركة حركة عضوية هوائية تُمكن الناطق من إحداث الحروف وإخراجها أولا إذ لا يمكن النطق بالحرف دون أن تلحق به حركة معينة، كما أنها تُمكنه من الانتقال من حرف إلى حرف آخر، لأنها هي التي تُمكنه من الانتقال من مخرج حرف إلى مخرج حرف آخر في السلسلة الكلامية. وهذه الرؤية الحركية في مفهوم الحركة هي التي بُنيت عليها النظرية الصوتية العربية. وهذا البُعد الدقيق لم يفهمه كثير من الصوتيين العرب المتأخرين وكثير من المحدثين العرب والمستشرقين ومن تبعهم حسب الحاج صالح. ذلك أنهم لا يعرفون عن الحركة إلا المفهوم السائد الدال على المُصوت القصير. ويغفلون عن الحقيقة التي توصل إليها الخليل وسيبويه والزماني وغيرهم من الصوتيين العرب من أن الحركة كصوت غير الحركة التي تُمكن من إحداث الحرف ووصله بحرف آخر، فبالحركات ينبعث الصوت ويتأدى، ويتوصّل إلى النطق بالحرف في حين يتعدّر ذلك بالسكون، وأما الحرف (الصاحح) فلا يُمكن من إخراج الحرف. وهذا هو السرّ في تسميتهم الحركة حركة لأنها إطلاق والسكون حبس. وبهذا المفهوم تكون الحركة عملية عضوية هوائية

1- عبد الرحمن الحاج صالح: الحركة والسكون عند الصوتيين العرب وتكنولوجيا اللغة الحديثة، المرجع السابق، ص24

2- جان كانتينيو: المرجع السابق، ص 20

فيزيائية تُمكن من إخراج الحرف والانتقال منه إلى حرف آخر، فإذا تحرك الحرف اقتضى الخروج منه إلى الذي يليه. والحرف المُتحرك لا ينفرد كما لا ينفرد الساكن، بخلاف المقطع القصير فإنه يُمكن في النظرة اليونانية أن ينفصل، وهو ما يفترق فيه التصور العربي، في منظور الحاج صالح، عن التصور اليوناني.¹

ونستطيع أن نلاحظ مدى التوافق بين آراء الحاج صالح السابقة فيا يتعلق بالحركة وآراء كانتينو الآتية:

- يرى كانتينو أن خاصية الحركة هي "أن لا يقوم حاجز في جهاز التصويت فيجري النَّفْس حُرًا طليقا."² وهذا دليل بيّن على سبقه الحاج صالح في تحديد سرّ تسمية العرب للحركة بالحركة بأن فيها إطلاقا للنفس عكس السكون الذي يكون فيه حبس له.

- وكذلك الشأن في تحديد الحرف حيث يذهب كانتينو إلى أن خاصية هذا الأخير - الحرف - هي: "أن يقوم حاجز في جهاز التصويت ثم أن يجتاز النفس ذلك الحاجز."³ وبهذا التحديد أيضا سبق كانتينو الحاج صالح الذي سار على نفس منواله في تحديد الحرف بقوله: "أما تحديد الحرف من حيث هو صوت فاتفق الجميع على أنه ناتج عن تقطيع الصوت الحنجري (أو النفس) في جهات معينة من الجهاز الصوتي، أي باعتراض عضو على هذا الصوت جزئيا أو كليا في زمان وجيز فيكون له بذلك جرس خاص."⁴

- كما كان كانتينو موجها للحاج صالح في حديثه عن ارتباط الحركة بالحرف ودورها في تمكين المتكلم من إحداث الأصوات، والانتقال من صوت إلى آخر. من خلال قوله: "ويطلق هؤلاء النحاة على ما يسمى في الفرنسية *voyelle brève* اسم حركة،

1- عبد الرحمن الحاج صالح: الحركة والسكون عند الصوتيين العرب وتكنولوجيا، المرجع السابق، ص 25، 26.

و محمد صاري: من أزمة فهم السانبات إلى أزمة فهم التراث، المرجع السابق، ص 69

2 - جان كانتينو: المرجع السابق، ص 20

3 - نفسه، ص 20

4 - عبد الرحمن الحاج صالح: الحركة والسكون عند الصوتيين العرب وتكنولوجيا، المرجع السابق، ص 23

وتُجمع على حركات؛ ومعنى ذلك أنها حركة الحرف، ويدل هذا اللفظ دلالة واضحة على أنهم يعتبرون الحركة القصيرة مرتبطة ارتباطاً وثيقاً بالحرف السابق لها.¹

وعطفاً على ما سبق مما يتعلق بمفهوم الحركة والسكون والحرف نقف على نقطة جوهرية أشار إليها الحاج صالح، وهي نقطة أثارها قبله كانتينو، وهي تتعلق بمقابلة الحركة بالحرف ومقابلتها بالسكون. حيث كشف كانتينو أنه يوجد في النظام الصوتي العربي اسم الحركة وهو لفظ المصوتة، واسم الحرف وهو لفظ صامتة، وتتبعه إلى أن مقابلة الحركة بالحرف هي مقابلة خاطئة والمقابلة الصحيحة هي مقابلة الحركة بالسكون؛ بمعنى أن الحركة لا تقابل الحرف بل تقابل السكون، لأن السكون يعني انعدام الحركة وفي هذا يقول: "إن الترتيب الأساسي الواجب في نظام الأصوات البسيطة المكونة للكلام البشري هو ترتيبها حروفاً وحركات... أما النحاة العرب فقد أطلقوا اسم حرف ج حروف (وهو اسم يطلق في الأصل على عناصر الأبجدية) على كل صوت بسيط من الكلام سواء أكان حرفاً (consonne) في المعنى الحقيقي للكلمة اليوم أم حركة طويلة كحروف المد واللين، ويمكن في نظام الكتابة العربية أن تغفل الحركات القصيرة وإذا ما أثبتت كان ذلك بواسطة علامات صغيرة مساعدة تكتب فوق الحروف أو تحتها وتدعى حركات وهو جمع حركة، فلفظ حركة لا يقابل لفظ حرف بل لفظ سكون أي انعدام الحركة. وهكذا فبالرغم من وجود اسم للحركة وهو لفظ مصوتة واسم للحرف وهو لفظ صامتة فإنه يمكننا القول بأن نظام الكتابة العربية هذا قد طمس بعض الشيء عند النحاة العرب معالم المقابلة الأساسية بين الحروف والحركات طمساً جعلهم لا يعيرون هذه المقابلة الأهمية الرئيسية التي تكتسي بها في الحقيقة.² وهذا المعنى نجده عند الحاج صالح حيث يعيب على بعض الدارسين المحدثين مقابلتهم بين الحرف والحركة، وذلك في قوله: "بعض المحدثين يقيمون مقابلة؛ لا بين الحرف الجامد وحرف اللين؛ بل بين الحرف والحركة، فيتوهمون أن الحرف هو عند العرب

1 - جان كانتينو: المرجع السابق، ص 148

2 - نفسه، ص 20 ، 21

الصامت فقط وهذا غلط فاحش.¹ ويستدل على ذلك بالرّماني الذي يقابل الحركة بالسكون، ويُعلّل ذلك بأنّ الحركة تُمكّن من إخراج الحرف والسكون لا يُمكن من ذلك.²

2.2.5. الفونيم أو الحرف : الفونيم مفهوم لساني حديث يمثل "أصغر وحدة عن طريقها يمكن التفريق بين المعاني."³ وقد اختار له الحاج صالح مصطلحا عربيا تراثيا هو (الحرف) والحرف الصوتي بقوله: "التأكيد على أن الفونيم (أو الحرف الصوتي في الاصطلاح العربي القديم) غير أنواعه الأدائية."⁴ و(اسم الحرف) بقوله: "أما الفونيم في مقابل تنوعاته فهو اسم الحرف كحرف الجيم مثلا."⁵ و (الوحدة الصوتية) يقول: "فهو عندهم-أي الفونيم- أصغر وحدة صوتية ينتهي إليها التحليل"⁶ وقوله: "فالحرف عند الأولين هو العنصر أو الوحدة المؤلفة من قطعة صوتية وتطبق كعنصر على الوحدة الصوتية (الفونيم)."⁷ وفرّق بينه وبين الصوت على النحو الآتي:

الصّوت هو: "المنطوق به المسموع الناتج عن كيفية معيّنة في تأديّة وحدة صوتيّة في وقتٍ معيّن."⁸ أما الفونيم فهو ليس صوتا في ذاته بل هو كيان مجرد أي إنه: "جنس من الأصوات وليس صوتا محصلا معينا، فالجيم كعنصر لغوي له وظيفة وهي أن تتمايز معاني الكلم بوجوده أو عدمه، وهو عنصر صوري ويؤديه المتكلمون بكيفيات مختلفة، وكل كيفية تنتج صوتا واحدا معينا مغايرا إلى حد ما لأصوات الجيم التي تنتجها الكيفيات الأخرى."⁹

- 1 - عبد الرحمن الحاج صالح: بحوث ودراسات في اللسانيات العربية، المرجع السابق، ج2، ص179 -الهامش-
- 2 - عبد الرحمن الحاج صالح: بحوث ودراسات في اللسانيات العربية، المرجع السابق، ج 2 ، ص 179
- 3 - عمر أحمد مختار: دراسة الصوت اللغوي، عالم الكتب، القاهرة، ط 4 ، 2006، ص 179
- 4 - عبد الرحمن الحاج صالح ، بحوث ودراسات في اللسانيات العربية، المرجع السابق، ج 2، ص 243
- 5 - نفسه، ج 2 ، ص 264
- 6 - نفسه، ج 2 ، ص 244
- 7 - نفسه، ج1، ص 242
- 8 - نفسه، ج 2 ، ص 245
- 9 - عبد الرحمن الحاج صالح: مدخل إلى علم اللسان الحديث؛4 أثر اللسانيات في النهوض بمستوى مدرسي اللغة العربية، المرجع السابق، ص 39

ما يعني أنّ الصوت عنده عنصر لغوي محسوس محصل، والفونيم كيان مجرد غير محسوس له تأدييات مختلفة. فقد ميز الحاج صالح بين الحرف (الفونيم) وتأديياته على النحو الآتي:

- "الوحدة الصوتية قد تتحصل بكيفيتين دون أن يكون لذلك أثر في معنى الكلمة. ومثال ذلك حرف R في الفرنسية يؤدي بكيفيتين هما: غ ، ر ولا يؤثر ذلك في معنى الكلمة.

- الوحدة الصوتية قد تتحصل بكيفيتين، ويكون لهاتين الكيفيتين أثرهما في معنى الكلمة، ومثال ذلك الراء والغين في العربية حيث يؤدي استبدال أحدهما بالآخر إلى تغيير معنى الكلمة لأنهما فونيمان مختلفان. ومثال ذلك أيضا التاء والحاء في تاب وخاب.

- الوحدة الصوتية قد تختلف تأديياتها إذا جاوزت حروفا معينة، مثل الحركات في اللغة العربية تفخم إذا جاورت حرفا مفخما وترقق إذا جاورت حرفا مرققا.¹

ويُعدُّ حديثُ العرب عن الفونيم وتمييزهم بينه وبين تأديياته الذي كشف عنه الحاج صالح ملمحا بارزا من ملامح الدراسة الفونولوجية - وإن كان العرب لم يتطرقوا لمفهوم الفونيم مثل الغربيين في العصر الحديث، ولم يخرجوا بنظرية في ذلك كالوظيفيين - ومن التنوعات التي تحدث عنها العرب للحرف:²

1 - عبد الرحمن الحاج صالح : بحوث ودراسات في اللسانيات العربية، المرجع السابق، ج 2 ص 244 ، 245

2 - عبد الرحمن الحاج صالح: بحوث ودراسات في علوم اللسان ، ص 38 و عبد الرحمن الحاج صالح:

بحوث ودراسات في اللسانيات العربية، المرجع السابق، ج 2 ، ص 264

<p>التنوع التركيبي (البديل) variante combinatoire</p>	<p>التنوع الفردي (الثغرة) variante individuel</p>	<p>التنوع اللهجي (اللغة) variante Dialectal</p>
<p>يكون ناجما عن عوارض التركيب وتأثر الصوت بمجاورته لصوت آخر، وهو جماعي.</p>	<p>يكون ناجما عن عيب نطقي فهو خاص بشخص معين ولا يرتبط بالجماعة</p>	<p>يكون ناجما عن أداء محلي أو قبلي ويرتبط بالوضع والاستعمال</p>
<p>نحو: اضرب ← اضطرب حيث أبدلت التاء طاء لوقوعها بعد حرف مطبق في باب افتعل.</p>	<p>نحو : نطق السين ثاء فيقول نلم عوض سلم نطق الراء غين</p>	<p>نحو: نطق القاف همزة نطق الكاف شين نطق الجيم (ة)</p>

ويمثل الصوت المستوى (0) فهو أدنى مستوى من مستويات تحليل الكلام وهو مستوى الوحدات الصوتية، التي تنتج من تركيب الصفة (العلامة التي تميز كل صوت) مع المخرج (محل خروج الصوت في جهاز النطق) حيث يتحدد باتحادهما، أي إن المستوى الصفر يهتمّ بالجانب الصوتي المحض، من حيث مخارج الحروف وصفاتها.

مثال	حد الصوت
خ = استعلاء + أسفل الحلق	الحرف = الصفة + المخرج
ب = قلقلّة + الشفتان	

وتمثل الحروف مستوى (1) من مستويات التحليل اللساني، وعددها 28 حرفا جامدا و6 أصوات (حركات وحروف مد) وفي هذا المستوى يهتمّ اللساني بوظيفة الأصوات

وتأثرها ببعضها البعض، وما يطرأ عليها من تغييرات، فهذا المستوى هو المستوى الوظيفي أو ما يعرف بالفونولوجيا.

وفي هذا يقول الأستاذ عبد الرحمن الحاج صالح: "للحروف التي تتركب منها الكلم نظام خاص بها -وهي أصغر أجزاء الكلم- ووظيفة هذا النظام هو التمييز بينها، وبالتالي التمييز بين الكلم ومن ثم بين المعاني الإفرادية، وله إحداثيات (ككل نظام غايته التمييز) وهي مخارج الحروف وصفاتها (اللزامة لا العارضة وهذا قد تعرض له علماءنا باستفاضة، وينقسم الآن إلى قسمين: الصوتيات المادية والصورية أو الوظيفية أي الفونولوجية)¹ ونفهم من كلامه أن النحاة العرب قد اهتموا في تحليلهم للغة بدراسة صفات الوحدات الصوتية ومخارجها، فدرسوا الحروف في صورتها الجامدة التي لا تدل على معنى، أي حروف البناء أو الهجاء (بما فيها الحركات وحروف المد). ولم يقفوا عند هذا الحد؛ بل اهتموا أيضا بدراسة علاقة الأصوات ببعضها. وقد نجم عن دراستهم للأصوات مستويان هما: مستوى الأصوات (0)، مستوى الحروف (1). ونوعان من الدراسة هما: الدراسة الفونيتيكية والدراسة الفونولوجية.

3.2.5. المقطع: تقسم أصوات اللغة في التصور اليوناني إلى صوائت وصوامت، وذلك لأن بعض الأصوات لا تقوى على الانفصال بنفسها بل لا بد لها من صوئت أو جرس يرافقها وتتأدى به إلى السمع، أي لا يمكن أن يُنطق بها في الكلام العادي دون أن يرافقها صوت من جنس آخر فهذا النوع من الأصوات يسمى صامت (غير صائت) (symphona = aphony). في حين البعض الآخر من الأصوات يمكن أن ينطق به منفردا دون أن يرافقها صوت من جنس آخر وهذا النوع يسمى صائتا (phoneenta). وهذا التقسيم اليوناني ورثته الصوتيات الغربية وكان الأساس الذي بنيت عليه كل المفاهيم والتحليلات والنظريات الصوتية الحديثة بما فيها مفهوم المقطع syllabe.²

1 - عبد الرحمن الحاج صالح: مدخل إلى علم اللسان الحديث؛ 4 أثر اللسانيات في النهوض بمستوى مدرسي اللغة العربية، المرجع السابق، ص 34

2 - عبد الرحمن الحاج صالح، بحوث ودراسات في اللسانيات العربية، المرجع السابق، ج1، ص 175 - 177.

ويقصد بالمقطع عند اليونان أصغر قطعة من العناصر الصوتية (صوامت وصوائت) التي يمكن أن تتفصل عمّا قبلها وعمّا بعدها، وللمقطع ترتيبات مختلفة مثل: (صامت + صائت) (صائت + صامت) (صامت + صائت + صامت)؛ إلا أنه ومهما اختلفت الترتيبات لا يقوم المقطع دون صائت.¹ ويذهب (الحاج صالح) إلى أن العرب قد سمّت Syllabe مقطعا لأنه أقرب لفظ عربي إلى معنى المصطلح اليوناني. إلا أنه في الواقع لا يوجد المقطع كما بيّن عالم الأصوات الفرنسي "روسلو" إلا بين وقفيتين، وعليه أنكر كثير من الغربيين أن تكون في الكلام العادي مقاطع، فلا وجود له إلا بالقوة أي بشرط.² حيث تنبّه العلماء الغربيون إلى نقائص التراث اليوناني من خلال التجارب الصوتية التي عكفوا على إجرائها في مخابر الصوتيات، ومن ذلك تبيّن لهم أن التموجات الكلامية متصلة بعضها ببعض في تعاقبها بدون أي انقطاع. ولا يتمثل هذا التعاقب على شكل اقتران أجزاء بأخرى بل على شكل اهتزازي وانسيابي مستمر، حيث تكون الحركة سببا مركزيا في حدوثه، فالحركة هي المُحدثة للكلام وهي مدرجة في التلفظ في التصور العربي وليست كذلك في التصور اليوناني.³ لذلك لا يليق بالباحثين أن يبنوا النظريات الصوتية على أساس التصور اليوناني دون أي تحفظ مع أن الكثير من الدارسين انتقد التصور اليوناني القديم.⁴

وقد لخص الحاج صالح قواعد التلفظ في العربية وكثير من اللغات التي حددها النحاة العرب وأقاموا عليها تصورهم الدينامي للمقطع ولعمليات التلفظ على النحو الآتي:

-
- 1- عبد الرحمن الحاج صالح: بحوث ودراسات في اللسانيات العربية، المرجع السابق، ج 2، ص 189
 - 2- المرجع السابق، ج1، ص 20. و: محمد صاري: من أزمة فهم اللسانيات إلى أزمة فهم التراث، المرجع السابق، ص 69، 70.
 - 3- عبد الرحمن الحاج صالح، بحوث ودراسات في اللسانيات العربية، المرجع السابق، ج2، ص191.
 - 4- نفسه، ج2، ص 189 .

- وفقاً لعملية "الإدراج" التي تقتضي أن تنتهياً الأعضاء الالافظة في أثناء الحركة للنطق بحرف آخر، لا يمكن أن يُنطق بحرف متحرك وحده في الكلام كما لا يمكن الوقوف على المتحرك، بل يجب أن يعقبه حرف آخر متحرك أو ساكن.

- لا يمكن أن يُنطق بحرف ساكن وحده، كما لا يمكن الابتداء بالساكن، بل يجب أن يسبق بحرف متحرك لأن الحركة هي التي تُهيءُ العضو الالافظ للنطق بالساكن.

- لا يمكن أن يلتقي ساكنان لأن السواكن تحصل بحبس الهواء ويستحيل أن يتعاقب حبان.

- الحركة كحرف أي كصائت لا استقلال لها، فهي من الحروف التي لا يمكن أن ينطق بها في الابتداء ولا يوقف عليها، فهي حرف لا يمكن أن يحدث التلفظ به إلا بعد حرف جامد أو شبيه بالجامد كالواو والياء غير المديتين.¹

وهذا التصور للدينامية اللفظية الطبيعية القائم على مبدأ الإدراج؛ وهو التسلسل المتداخل للحروف الذي تُحدثه الحركة، أي إن الكلام الطبيعي مُتصلٌ بعضه ببعض؛ ولا انقطاع فيه يُثبت تفوق الرؤية العربية على الرؤية اليونانية القائمة على مبدأ التعاقب فقط، التي تجعل الكلام مجرد تعاقب للعناصر الصوتية تقترب بعضها ببعض دون أن يكون هناك إدراج للحركات المحدثه لها.²

خلاصة :

المبحث الصوتي عند الحاج صالح مبحث هام من مباحث نظريته الخيلية، وهو مبحث يبرز بشكل جلي تفوق النحاة العرب وسبقهم على نظرائهم الغرب المحدثين الذين تدعّم بحثهم بالآلات والوسائل التكنولوجية الحديثة. وقد أثبتت عناية الدارسين اللسانيين المحدثين أمثال جان كانتينو والحاج صالح بالمعطيات الصوتية العربية

1 - عبد الرحمن الحاج صالح، بحوث ودراسات في اللسانيات العربية، المرجع السابق، ج 2، ص 186

2 - نفسه، ج 2، ص 181 - 183

التراثية للخليل وسيبويه وغيرهما أن تلك المعطيات هي من أدق وأوعب الآراء اللغوية وأنها آراء تشكل نظرية صوتية أصيلة متكاملة لم تجانب الصواب ولم تعوزها الدقة.

وقد بذل الأستاذ عبد الرحمن الحاج صالح جهداً قيماً للنظر في النظرية الصوتية العربية، وأعمل الفكر في مختلف عناصرها ودقائقها، وأخضع نتائجهم للتجريب والتدقيق في المخابر الصوتية الحديثة المدعمة بآلات تكنولوجية حديثة وأثبت أن آراءهم تعتبر حقائق علمية صوتية دقيقة في كثير من جوانبها. وتمكّن إلى جانب ذلك من صياغة النظرية الصوتية العربية صياغة علمية حديثة تُبرز فضل سبق للعرب.

وانطلاقاً من مبدأ الحاج صالح في المقارنة وضوابطها العلمية القاضي بضرورة توافر "مشابهة عميقة عريقة بين المنهاجين حتى تثبت القرابة، إذ قد تكون المشابهة السطحية أو التي تظهر كأنها أصيلة من محض الاتفاق؛ فكثيراً ما تتوارد الأفكار إذا كانت المعاني مما تشترك فيها جميع العقول.¹ ومن خلال أوجه التشابه بين آراء الحاج صالح وكانتينو في المبحث الصوتي التي يخطئها الحصر والتي أشرنا إلى ملامحها الكثيرة، نستطيع القول أن أوجه الاتفاق كانت عميقة عريقة على نحو يثبت القرابة والتأثر، وليست مجرد تشابهات سطحية، ولا محض توارد أفكار أو مما تشترك فيه العقول.

نحن لم نستعرض من المبحث الصوتي عند الحاج صالح إلا النزر القليل، لأن هذا المجال يحتاج إلى أن تفرد له أبحاث ومؤلفات كاملة، ولا يفيد حقه مبحث صغير في ثنايا بحث أكاديمي، كما أن الحاج صالح أيضاً لم تعرض أبحاثه إلا النزر القليل من النظرية الصوتية العربية، وقد أشار في بعض المواضع إلى أنه يعتزم إصدار كتاب يجمع كل ما يتعلق بالقضايا الصوتية العربية.² ولعلّه السعي الذي حال دونه الأجل.

1 - عبد الرحمن الحاج صالح: بحوث ودراسات في اللسانيات العربية، المرجع السابق، ج 1 ص 52

2 - نفسه، ج 2 ص 266

6. تصاقب أفكار الحاج صالح وأفكار لوسيان تيزنيير:

في مقام حديث الحاج صالح عن العامل نجده يتحدث عن مفهوم التبعية، وهو المفهوم الذي برز عند الغرب أيضا على يد اللساني الفرنسي (لوسيان تيزنيير) (Lucien Tesniere) ونجده يشير بنوع من الإشادة إلى هذا اللساني على أنه أول من اهتم من الغربيين بهذا المفهوم (نمط التبعية) الذي تجاهله اللسانيون البنويون مما يفتح لنا بابا للكشف عن بعض ملامح تأثر الحاج صالح في تناوله لنظرية العمل بهذا اللساني، والبحث عن بعض الأصول المعرفية للنظرية الخليلية في النحو الاعتمادي من خلال فكر هذا اللساني. الذي أحيأ في بداية القرن العشرين الاعتماد المتبادل بين الكلمات حيث يذهب إلى أن الجملة هي مجموعة مُنظمة مكونة من كلمات، وكل كلمة من الجملة تكون معزولة تماما كما في القاموس، حتى يظهر بينها وبين ما يجاورها روح الترابط فتشكّل تلك الكلمات إطار الجملة، ولكي تكون تلك الجملة مفهومة ينبغي أن تكون تلك الترابطات خاضعة لقوانين عقلية، فجملة Alfred parle تقوم أركانها على ثلاثة عناصر؛ لا عنصرين كما يوحي بذلك ظاهرها، وتتلخص في المقولتين المعجميتين (Alfred) و (parle) ثم في رابطة معنوية تربطهما، ومن دون تلك الرابطة يعتبر العنصران السابقان المكونان للجملة مجرد عنصرين معزولين، ولا يمكن اعتبارهما جملة، والقول بأن الجملة من نوع ألفريد ينكلم لا تتكون إلا من عنصرين هي تحليل بطريقة سطحية صرفية محضة، وفيها إهمال للعنصر الأساسي المكون للجملة وهو الرابط النحوي. فهو يُصرُّ على أهمية الرابط في تركيب الجملة ويعتبر العنصر الأساسي والحيوي الذي يعطي للوحدات اللغوية طابع الجملة، وأنه أيضا العنصر الضروري لفهم أي جملة إذ إن تكوين جملة في نظره هو إنشاء ترابط بين الكلمات المكونة لها، وأن فهم الجملة مرتبط بإدخال مجموع الترابطات الموحدة لمختلف الكلمات.¹

1 - Lucien Tesnière , Éléments de syntaxe structurale, Éditions Klincksieck, PARIS ,1959,p11, 12

وقد أرسى لوسيان تيزنيير دعائم النحو العلاقي؛ وهي تقوم في المقام الأول على مفهوم التبعية والاعتماد؛ فهو القانون السيادي؛ حيث تؤسس العلاقات أو الروابط الهيكلية بين الكلمات علاقات التبعية، وهذا المبدأ يقتضي أن تكون لكل جملة رأس يرأس باقي العناصر، فالذي يرأس جملة (Alfred parle) هو الفعل parle، حيث أن الرأس هو متعلق باقي العناصر والعنصر الرأسي الذي لا يتعلق بشيء قبله يسمى جذرا root. والجملة على هذا النحو تشكل هرمًا أو تسلسلاً هرمياً؛ حيث يأتي في قمته العنصر الرأس وترتبط به باقي العناصر.

ونجمل الأسس والمسلمات التي يقوم عليها نحو تيزنيير الاعتمادي كما

فصلها وفصلها بعض اللسانيين على النحو الآتي:

- 1- يوجد عنصر واحد فقط ووحيد في الجملة مستقل بنفسه ولا يتبع لأي عنصر آخر وإنما يرأس باقي العناصر، ومثال ذلك الأفعال كالفعل parle في الجملة السابقة.
- 2- جميع العناصر داخل الجملة تابعة لعناصر أخرى، ويستثنى من ذلك الجذر وهو العنصر الرأسي الذي لا يتعلق بشيء قبله.
- 3- العنصر المرؤوس يتبع رأساً واحداً فقط، فلا يوجد عنصر يتبع مباشرة لأكثر من عنصر، وعلى العكس من ذلك العنصر الرأس (الحاكم) يتحكم في العديد من المرؤوسين، ومثال ذلك: (صديقي القديم يُغني هذه الأغنية) حيث الفعل (يغني) يرأس كل العناصر الباقية.
- 4- إذا كان العنصر أ يتبع مباشرة العنصر ب وتدخل عنصر ج بينهما في ترتيب الكلام، فإن ج إما أن يتبع لـ أ أو ب.
- 5 - يمكن أن تكون كلمة ما تابعة لكلمة أعلى (مرؤوسة) وحاكمة لكلمة أدنى كذلك (رأس)، كما في جملة (صديقي يتحدث)؛ حيث كلمة (صديق) مرة مرؤوسة من قبل الفعل (يتحدث) ومرة رئيسة لضمير المتكلم (المضاف إليه).

6 - يُشكّل العنصر الحاكم (الرأس) مع مرؤوسيه ما يسمى بـ (العقدة) Le noeud ، وهي تعرّف بأنها المجموعة التي يُشكّلها العنصر الرأس مع جميع المرؤوسين الذين يعتمدون عليه بشكل مباشر أو غير مباشر، حيث يُشكّلون حزمة واحدة.¹

رغم أهمية الأسس التي وضعها لوسيان تيزنيير لـ(النحو الاعتمادي) Dependency Grammar إلا أن اللسانيين البنويين الذين يسمي نحوهم بالنحو المكوناتي Constituency Grammar تجاهلوا توجهه في تحليل الجملة الذي يقوم على رصد العلاقات التركيبية بين أجزائها. مع إن نحوه طُوّر، ووضعت أسسه الرياضية والصورية من قبل هايس وهوفمان. إلا أن هذا النوع من النحو لم يحظ بنفس القدر من الاهتمام الذي حظي به النحو الذي يقوم على تحليل الكلام إلى مكونات مباشرة، ولم تستوف نظريته حظّها بعد من الدرس اللساني الحديث كما استوفته النظرية البنوية. ويرجع ذلك إلى ظهور النظرية التوليدية على يد تشومسكي الذي ساهم هو وتلامذته في إذاعة ونشر نحو الأجزاء المكوناتية التجزيئي على حساب الأجزاء العلاقة.²

وقد لمسنا من خلال بحثنا إشادة الحاج صالح بجهود لوسيان تيزنيير في إطار اشتغاله على مبدأ العامل، حيث أشار إلى أن نظرية العمل النحوي العربية تقترب كثيرا وتتداخل مع المبدأ اللساني المسمى نمط التبعية النحوية Dependency Grammar إذ إن مفاد كل منهما أن اللفظ في الكلام البشري إما تابع لما قبله ومحمول عليه وإما متبوع. وكذا في إطار اشتغاله في ميدان المعالجة الآلية للغة حيث أشار إلى أن فكرة التبعية استغلت في اللسانيات الحاسوبية على نطاق واسع، واحتفى بها المشتغلون باللسانيات الحاسوبية وكيفوها حسب ما تتطلبه البرمجة الحاسوبية للغة. فهو يؤكد على أن هذا المفهوم رائج جدا في النحو العربي وقريب من تمثيلهم ونظريتهم في العمل والحمل والبناء، ويستدل على ذلك بسببويه وشيخه الخليل وأصحابه الذين

1- Lucien Tesnière, Référence précédent, p 13.14 .et : Jane. J . Robinson, Dependency structures and transformation rules , Language ,Jun 1970 ,vol 46,N 02 ,part 01, P 260

2 - طارق المالكي: أنطولوجيا حاسوبية للنحو العربي، نحو توصيف منطقي ولساني حديث للغة العربية، دار

النابعة للنشر والتوزيع، طنطا، مصر، ط 1 ، 2015، ص 68

كثيرا ما يذكرون عبارة (مبني على) و(محمول على) وهم يريدون بذلك المفهوم الرياضي الذي نتحدث عنه وهو التبعية Dependency التي تتّصف بها بعض العناصر في بناء الكلام كالخبر بالنسبة للمبتدأ والمفعول بالنسبة إلى الفعل...¹

وقد عمد الحاج صالح إلى المقارنة بين نظرية العمل العربية ونمط التبعية الغربية، مبرزاً أوجه الشبه وأوجه الاختلاف بينهما على النحو الآتي:

1.6. أوجه الشبه: حيث بيّن أن نظرية العامل في النظرية الخليلية تقوم على مبدأ التبعية والتكافؤ وحمل الشيء على الشيء، وهو منهج علمي دقيق يمكن النحوي من إنشاء وتوليد كيانات لغوية جديدة موافقة لاستعمال العرب، على النحو الذي فصلناه سابقاً من أن التركيب يتضمن نواة واحدة تُمثّل الأصل خالية من الزيادة وينتزع عنها فروع بزيادة الزوائد أي بعمليات التحويل التي يجريها النحاة، حيث إنهم ينطلقون من جملة بسيطة تتكون من عنصرين مثل (زيدٌ منطلقٌ) ويحملون عليها جملة أخرى فيها زيادة فتتحول النواة بهذه الزوائد، وتلك الزوائد تؤثر لفظياً ومعنوياً على النواة فهي عوامل وما تدخل عليه معمولات، فيصبح التركيب مثلاً (كان زيدٌ منطلقٌ، إن زيداً منطلقٌ، لعل زيداً منطلقٌ...) مع ملاحظة هامة؛ وهي أن العامل والمعمول الأول عنصران لا تكاد تخلو منهما البنية اللفظية للجملة. وفي هذا رأى (الحاج صالح) أن نظرية العمل العربية تتفق ونظرية التبعية النحوية العربية Dependency Grammar لتيزنيير في كونها يعكسان العلاقات غير الاندراجية الموجودة بين الوحدات المعجمية ويقومان على بيانها. ويتجاوزان التحليل التقطعي البسيط الذي يعتمده البنويون من أصحاب نظرية المكونات الذين طغى عليهم مفهوم تفكيك بنية الجملة إلى أن يتم تحليلها إلى مكوناتها المباشرة Les constitutions immédiates المندرجة في بعضها وتحديد عناصرها الأولية القابلة للتحليل إلى مؤلفات أصغر. كما يتجاوزان تحليل البنويين الوظيفيين كمارتيني الذين يجعلون من المستوى التركيبي مجرد تركيب للمونيمات. ويقصد بالعلاقات غير الاندراجية التي يُعنى النحو الاعتمادي ببيانها هي

1- عبد الرحمن الحاج صالح: النظرية الخليلية الحديثة، كراسات المركز، المرجع السابق، ص 60 وما يليها

الروابط التي تربط بين الفعل والفاعل وبينهما وبين المفعول، ثم بين الاسم ولوازمه كالمضاف إليه والصفة وأداة التعريف وغير ذلك وهي روابط تابع لمتبوع، حيث يعد الفاعل والمفعول تابعان للفعل، والاسم هو المتبوع بالنسبة للوازمه. وهي ذات العلاقات التي يعنى النحو الخليلي ببيانها والتي تسمى علاقات الحمل (محمول ومحمول عليه).¹ فنظرية التبعية الغربية تشترك مع نظرية العامل العربية في دراسة العلاقات بين الوحدات اللغوية داخل التركيب من فاعلية ومفعولية وخبرية....

ومن خلال بيانه لأوجه الشبه هذه فقد أبرز قيمة فكرة العمل كمحور مهمّ في إدراك أبعاد مفهوم الجملة عند سيبويه، إذ إن العوامل في النحو الخليلي والسيبويهي هي التي تربط بين مكونات الجملة، وتجعل منها نسيجاً واحداً متلاحماً وبها تتمايز كل جملة عن الجمل التي تجاورها.² وجعل هذه الفكرة -العامل- مدخلاً مهماً تتمايز فيه النظرية العربية الأصيلة عن النظرية الغربية الحديثة في مقاربتها لبناء الجملة، وذلك أن النحو العربي يعالج الجملة بناءً على العلاقات التركيبية القائمة بين الكلمات، واللسانيات الغربية (البنوية) تُحلل الجملة إلى مكوناتها المباشرة. واستثنى من ذلك جهود اللساني الفرنسي (لوسيان تيزنيير) (L. Tesniere) الذي أشار إلى اهتمامه بالعلاقات التركيبية في كتابه النحو التركيبي فيما يسمى عنده بـ (نمط التبعية).

وقد رأينا من خلال عرضنا السابق للأسس التي حددها لنحوه الاعتمادي أنه يذهب مذهباً مختلفاً في تحليل الجملة، حيث يقيم نحوه على رصد العلاقات التركيبية بين أجزاء الجملة، فقد رأينا كيف تجاوز التحليل السطحي الذي يرى أن جملة Alfred parle تتكون من عنصرين فقط هما (Alfred) و (parle)، وذهب إلى أنها تتكون من ثلاثة عناصر، بإضافة الرابطة المعنوية التي تربط العنصرين السابقين، بل جعل تلك الرابطة الأساس الذي يقوم عليه إطار الجملة إذ من دونها يعتبر العنصران السابقان المكونان للجملة مجرد عنصرين معزولين، ولا يمكن اعتبارهما جملة، فهو

1 - عبد الرحمن الحاج صالح: بحوث ودراسات في اللسانيات العربية، المرجع السابق ج1، ص255، 256.

2- حسن عبد الغني جواد الأسدي: مفهوم الجملة عند سيبويه، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 2007، ص 155.

يُصِرُّ على أهمية الرابط في تركيب الجملة، ويعتبر العنصر الأساسي والحيوي الذي يعطي للوحدات اللغوية طابع الجملة، وأنه أيضا العنصر الضروري لفهم أي جملة إذ إنّ تكوين جملة في نظره هو إنشاء ترابط بين الكلمات المكونة لها، وأن فهم الجملة مرتبط بإدخال مجموع الترابطات الموحدة لمختلف الكلمات.

وعلى الرغم من إشادة الحاج صالح بجهود تيزنبيير في إحياء النحو الاعتمادي في العصر الحالي، إلا أنه يرى أن فكرة الاعتماد النحوي التي تقوم على نمط التبعية فكرة قديمة لها جذور في تاريخ التحليل اللغوي فهو يرجعها إلى أعمال النحاة العرب في نظرية العمل العريفة، فقد ذهب إلى أن هذا المفهوم الرياضي (التبعية) Dependency التي يتصف بها بعض العناصر في بناء الكلام كالخبر بالنسبة للمبتدأ والفاعل والمفعول بالنسبة إلى الفعل... رائج جدا في النحو العربي وقريب من تمثيلهم ونظريتهم في العمل والحمل والبناء، وهو ما يقصده سيبويه وشيخه الخليل وأصحابه بعبارة (مبني على) و(محمول على). ونحن نلمس في حديث (الحاج صالح) عن جذور هذا النحو القائم على رصد العلاقات التركيبية بين أجزاء الجملة؛ التي أرجعها إلى أعمال النحاة العرب تأكيدا على توجّهه التراثي الذي لا ننكره عليه بحال من الأحوال، إلا أنّ هذا التأكيد على توجّهه التراثي يشي بنوع من التكرّر لأثر لوسيان تيزنبيير في فهمه لنظرية العمل العربية، وفي توجّهه إلى التمسك بهذه النظرية والسعي إلى إحيائها وإبراز قيمتها، فنحن نرى أنه يوجد أثر للوسيان تيزنبيير في فكر الحاج صالح النحوي، وأن النحو الاعتمادي وفكرة التبعية من الأسس الاستمولوجية للنظرية الخليلية الحديثة، وأن اطلاعه على النحو الاعتمادي ومعرفة قيمته جعله يهتم بالفكرة القريبة منه وهي فكرة العامل. ونعني بذلك أن الدرس اللساني الغربي الحديث هو الآخر كان له دور في تكوين فكر الحاج صالح اللساني، إلى جانب المعطيات التراثية الأصيلة التي ينطلق منها ويسعى إلى إحيائها وإبراز قيمتها وبلورتها في حقل الدراسات اللسانية الحديثة.

2.6. أوجه الاختلاف:

إذا كان الحاج صالح توصل إلى أن نظرية العامل النحوية العربية القديمة تشبه نظرية التبعية النحوية، لأن كليهما يتجاوز في عملية التحليل تقطيع الكلام إلى مكوناته المباشرة، ويهتم بدل ذلك بإبراز العلاقات بين الكلمات، فإنه توصل أيضا إلى أن نظرية العرب تختلف عن نظيرتها الغربية بل تتفوق عليها في نقطتين:

-تكمّن الأولى: في كون النظرية العربية لا تكتفي بإبراز العلاقات بين الكلمات؛ بل تُبيّن نوع تلك التعالقات المسموحة بين الكلمات الظاهرة والمضمرة، وتذكر أصنافها وأنواعها من إضافة وفاعلية ومفعولية وخبرية وغيرها... لذا فهي أكثر دقة وعمقا وغنى في التحليل من النحو العلاقي الغربي في صيغته القديمة التي وضعها تيزنير قبل أن يطورها اللسانيون بعده ويستدركوا نقصها ذلك، حيث لم يكن تيزنير يعنى ببيان نوع العلاقات الكائنة بين الكلمات داخل الجملة بل كان يكتفي بالربط بينها.¹ عكس النحو العربي الذي يهتم ببيان أنواع العلاقات التركيبية ولا أدل على ذلك من قول (عبد القاهر الجرجاني) في حده للنظم: "واعلم أنك إذا رجعت إلى نفسك علمت علما لا يعترضه الشك أن لا نظم في الكلم ولا ترتيب، حتى يعلق بعضها ببعض ويبنى بعضها على بعض، وتجعل هذه بسبب من تلك، هذا ما لا يجهله عاقل ولا يخفى على أحد من الناس. وإذا كان فبنا أن ننظر إلى التعليق فيها والبناء وجعل الواحدة منها بسبب من صاحبها ما معناه وما محصولة، وإذا نظرنا في ذلك علمنا أن لا محصول لها غير أن تعمد إلى اسم فتجعله فاعلا لفعل أو مفعولا، أو تعمد إلى اسمين فتجعل أحدهما خبرا عن الآخر، أو تُتبع الاسم اسما على أن يكون الثاني صفة للأول، أو تأكيدا له أو بدلا منه، أو تجيء باسم بعد تمام كلامك على أن يكون صفة أو حالا أو تمييزا، أو تتوخى في كلام هو لإثبات معنى أن يصير نفيا أو استفهام أو تمنيا فتدخل عليه الحروف الموضوعة لذلك أو تريد في فعلين أن تجعل أحدهما شرطا للآخر فتجيء بهما بعد الحرف الموضوع لهذا المعنى، أو بعد اسم من الأسماء التي ضمنت

1- طارق المالكي: المرجع السابق، ص 65-66.

معنى ذلك الحرف، وعلى هذا القياس.¹ فالجرجاني يرى أن النظم هو تعليق وبناء الكلم بعضها ببعض وفقاً لمقتضيات القواعد التي وضعها النحاة، حيث يكون بعضها بسبب من بعض وبعضها مسنداً إلى بعض، وهذا الأمر من البديهيات المعلومة التي لا ينكرها أحد. وإنما الذي يسترعي الاهتمام هو نوع تلك العلاقات وقد عمد إلى حصرها من منطلق أنواع الكلم الثلاث: الاسم والفعل والحرف. حيث إن للتعلم بين هذه الوحدات اللغوية طرق معلومة ومحدودة، وتنشأ عنها أيضاً علاقات معلومة ومحدودة، وهي: تعلق اسم باسم في علاقة الخبر بالمبتدأ، والصفة بالموصوف والإضافة. تعلق اسم بفعل وتربطهما علاقة الفاعلية والمفعولية، وتعلق حرف بهما في علاقة الشرط والاستفهام والنفي...، وهذا كله يقوم على نظرية العامل.

وتكمن الثانية: في أن الغرب يختلفون عن العرب في التبعية يجعلهم إياها واحدة، سواء تلك التي تحصل بين عناصر التركيب تتمثل في تأثير العامل في معمولاته، أو التي تكون داخل اللفظة. بينما يميز النحاة بين تبعية البناء: كتبعية الخبر للمبتدأ والفعل للفاعل؛ حيث أحد هذه العناصر اللغوية مبني على الآخر. وتبعية الوصل الناتجة عن إجراء التحويل بالزيادة على النواة المفردة، كدخول أُل التعريف على الاسم على مستوى اللفظة. ودخول المخصصات كالحال والمفاعيل على مستوى التركيب.²

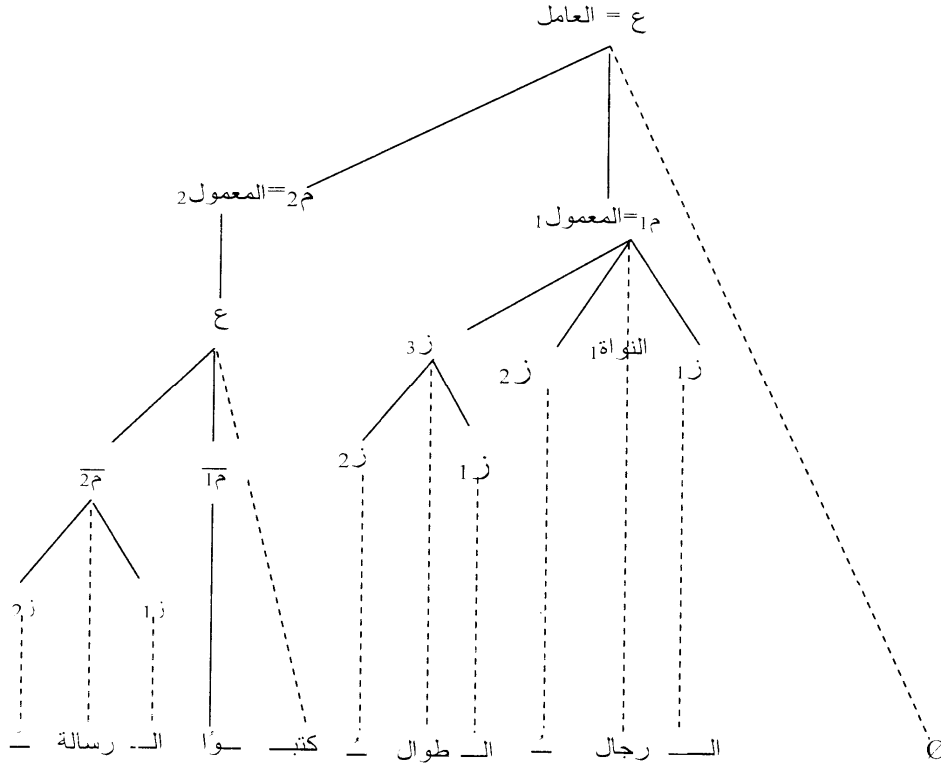
ومن منطلق المقارنة بين التصورين العربي والغربي لفكرة التبعية توصل الأستاذ (عبد الرحمن الحاج صالح) إلى صياغة مُشجَّر أو تمثيل شجري (Arborescent Graph) عاملي خليلي يُمَثَّل من خلاله كل الظواهر التي حصرها العرب في صيغة العمل؛ حيث كيف فيه بشكل عميق الصيغة التي يستعملها الغربيون، وأخضعه لما تقتضيه الصيغة العربية وأدمج فيه مزية الترتيب (المواضع) في مزية الاندراج الممثل في التفريع الشجري، وهذا الرسم الشجري الذي وضعه يظهر الفرق بين تبعية الوصل وتبعية البناء، والفرق بين حالات الترتيب الواجبة والجائزة ومن

1- عبد القاهر الجرجاني: دلائل الإعجاز، تح: محمود محمد شاكر، مطبعة المدني، القاهرة، مصر، دط، دت، ص55.

2- عبد الرحمن الحاج صالح: النظرية الخليلية الحديثة، كراسات المركز، المرجع السابق، ص 85

تَمَّ بين ما يكون زوجاً مُرتَّباً وبين ما لا يكون كذلك، أي بين ما يجب أن يتأخر فيه المعمول، وما يجوز أو يجب تقدمه. وقد بين ذلك من خلال تغيير الترتيب للمحتوى.¹

وهذا المشجر هو على النحو الآتي:²

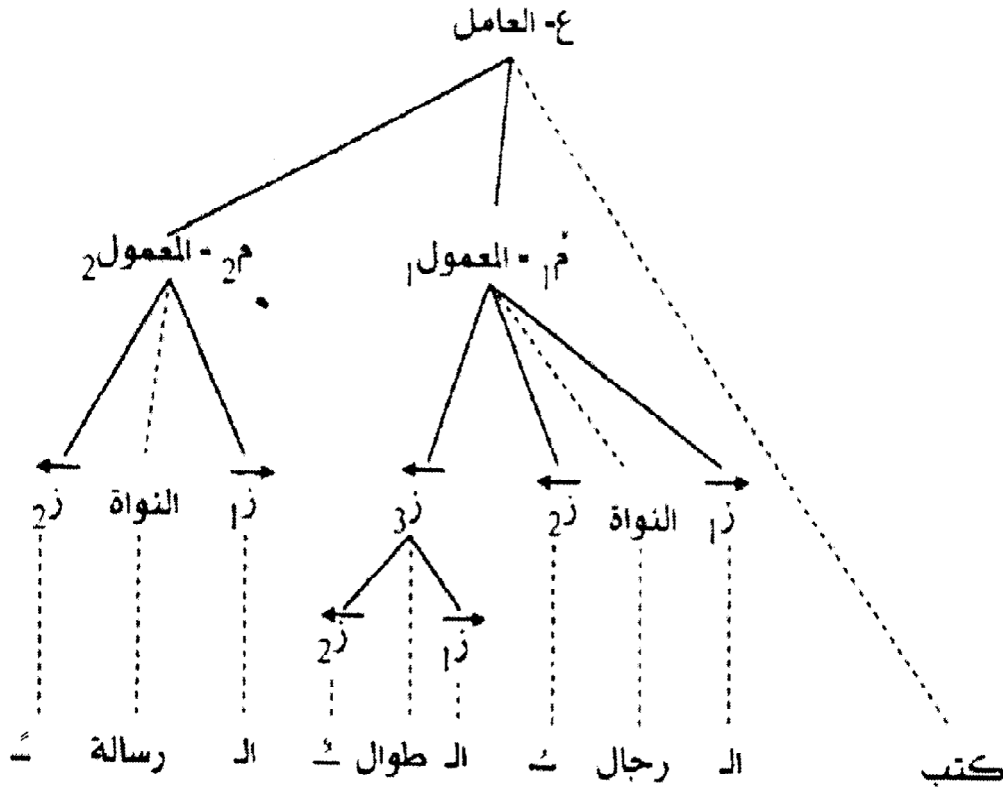


وقد توصل إلى هذا المشجر من خلال ملاحظته النقائص على المشجر الموافق للصيغة الغربية الذي لا يفرق بين الترتيب الواجب وغير الواجب، وهو على

1 - عبد الرحمن الحاج صالح: النظرية الخليلية الحديثة، كراسات المركز، المرجع السابق، ص 86 - 87

2 - نفسه، ص 86

النحو الآتي: ¹



حيث نلاحظ من خلال الرسم الشجري الأول والذي صاغه الحاج صالح موافقا للصيغة العربية بعد تكييف الصيغة الغربية أن المعمول الأول لا يتقدم على عامله أبدا، لأن في التركيب الأول (كتب الرجال الطوال الرسالة) ع = كتب، م₁ = الرجال، م₂ = الرسالة، بينما في التركيب الثاني (الرجال الطوال كتبوا الرسالة) ع = Ø، م₁ = الرجال، كتبوا الرسالة، حيث يلاحظ أنه عندما قدم الفاعل (الرجال) على فعله (كتب) حافظ التركيب على المعنى، أي إن الرجال هم من قاموا بفعل الكتابة، ولكن حدث تغيير في بنية التركيب؛ حيث لم يعد الرجال في موضع الفاعلية وإنما في موضع الابتداء. كما أن كلمة (الرجال) كانت معمولا للفعل (كتب) ولكنها صارت في المشجر الثاني معمولا للعامل المعنوي (الابتداء) وذلك لأن المعمول الأول لا يتقدم على عامله أبدا.

1 - عبد الرحمن الحاج صالح: بحوث ودراسات في اللسانيات العربية، المرجع السابق، ج1، ص 256، 258

ومن خلال هذه المقارنة نستشف أيضا ملامح استفادة الحاج صالح من آراء لوسيان تيزنيير، وقد يقول قائل إنه أثر غير مباشر إلا أنه أثر له قيمته، إذ إن اطلاعه على فكر لوسيان تيزنيير هو الذي مكّنه من تطوير فكره، ووجهه إلى التمسك بنظرية العامل وصياغتها صياغة علمية حديثة تقوم على المعادلات وتمثيلها في شكل مشجّرات. فقد صرّح هو نفسه بأنه قام بالنظر إلى "التغيير الذي يحصل في بنية التركيب بعد تغيير الترتيب للمحتوى، وذلك بتأخير "كتب" عن "الرجال" وتمثيله في مشجر ولكن بعد التكيف العميق للصيغة الغربية التي يستعملها الغربيون حسب ما تقتضيه الصيغة الخليلية".¹ ومن النتائج التي نخلص إليها هنا أن الحاج صالح لا يُنكر اطلاعه على الفكر اللساني الغربي الحديث، كما لا يُخفي اطلاعه على كتاب لوسيان تيزنيير المتعلق بدراسة التركيب وإعجابه وإشادته به، بل يعيب على الدارسين الغربيين أنهم لم يطوّروا منهجه في التحليل ويذيعوه كما أذيع غيره من مناهج التحليل اللساني كالبنوية والتوليدية، وأنهم بخسوه حقّه كلساني متميز كان له اتجاه متفرد في دراسة اللغة ينبع من اهتمامه بدراسة الروابط والعلاقات بين الوحدات اللغوية في التركيب. إلا أننا نرى أن الحاج صالح هو الآخر كان محجفا في حق هذا اللساني الفذّ، لأنه لم يُشر إلى استثماره لفكره في صياغة نظريته الخليلية الحديثة. وهو الذي سطرّ مذهباً قويمياً في البحث بسطنا فيه القول سابقا. فهو الذي نفى عن نفسه أن يكون محافظاً خالصاً أو حداثياً خالصاً، وأخبر أنه يبحث عن المفيد أُنّى كان، إلا أن هذا المفيد قد اكتشفه في القديم؛ في تراث النحاة العرب العظيم ولم يجده في الحديث، ولو اكتشفه في الحديث لأخذ به.² وهو الذي اختار منهجا حسيفاً يقوم على التّقيب والتّطلع إلى كل ما هو مفيد أُنّى كان؛ كي لا يفلت منه أي اتجاه وأي نظرة وأي نوع من التحليل، بل ولا يحكّم على أي منها إلا بعد النظر الممعن والتمحيص المتواصل. فهو إنما يبحث عن الجيد والمفيد الذي يخدم العلم عموماً والعربية خصوصاً، وينظر إلى العلماء العرب القدامى والغرب المحدثين على السواء وإلى علمهم وبيحث عن ما يحقق

1- عبد الرحمن الحاج صالح: النظرية الخليلية الحديثة، كراسات المركز، المرجع السابق، ص 86

2- محمد صاري: المفاهيم الأساسية للنظرية الحديثة، المرجع السابق، ص 9 - الهامش-

التقدم في علوم اللسان النظرية والتطبيقية وفي علم العربية خاصة، ودراسة اللسان العربي دراسة علمية دقيقة وفقا للمفاهيم اللسانية الحديثة، وإحياء التراث النحوي العربي الأول وإعادة قراءته قراءة جديدة تكون الغاية المنشودة فيها والهدف الرئيس المعقود على صرف الجهود فيها هو إعادة البريق للتراث وإعادة صياغته صياغة جديدة بلغة ومنطق العلم الحديث. وهذا المنهج الحضيف الذي سطره لنفسه وكان حريصا على أن يُعلّمه لطلّبه، والذين علّموه بدورهم لطلّبتهم -ومن بينهم مشرفي الأستاذ نصر الدين بوحساين- هو الذي يعطينا حق مساءلته -رحمه الله- : (ألم يكن في فكر لوسيان تيزنيير المفيد الذي تبحث عنه لخدمة اللغة العربية؟) الحقيقة أننا نرى أثر النحو الاعتمادي للوسيان تيزنيير واضحا وجليا في مبدأ العامل كما تحدّث عنه الحاج صالح في النظرية الخليفة الحديثة. إلا أننا نشير إلى أن إشادته به التي ذكرناها سابقا تعتبر تلميحاً منه إلى هذا التأثير، وهي وإن لم تكن تصريحاً إلا أنها إشارة لها قيمتها في بيان نوع من إنصاف الحاج صالح للوسيان تيزنيير واعترافه بأثره في فكره.

إضافة إلى ما سبق ذكره من ملامح استفادة الحاج صالح من فكر الفرنسي تيزنيير، يمكن أن نشير أيضا إلى بعض الملامح الأخرى، وهي من النقاط التي وقفنا من خلال عرضنا لنظرة العامل عند الحاج صالح وأسس النحو الاعتمادي للوسيان تيزنيير، حيث لاحظنا أن كليهما يذهب إلى أن: الفعل هو العامل وهو الرأس وهو عمدة الجملة أي كان نوعها، فهو عامل في مُتممه الإسمي أو الجملي المرتبط به ارتباط الفاعلية والمفعولية سواء كانت مباشرة أو غير مباشرة. ويتحكم العامل في معموله من حيث الوظيفة النحوية بتعبير الحاج صالح، ويرأس باقي عناصر التركيب، فالذي يرأس جملة (Alfred parle) هو الفعل parle بتعبير تيزنيير. في مفهوم العمل يتحدث الحاج صالح عن التعلق البنوي بين العامل ومعمولاته، وهو نفسه التعلق البنوي بين الكلمة الرأس ومتمماتها الذي يتحدث عنه تيزنيير. فالفعل عندهما هو الذي يرأس عناصر التركيب وهو الذي يُحمل عليه الاسم في البناء أو المركب الفعلي (الجملة الفعلية). إلا أن هناك بعض الفروق بين النظرية العربية ونظيرتها الغربية، إذ إن الفعل في النظرية الغربية حاكم ومتبوع فقط في حين أنه في العربية يمكن أن يكون عاملا

كما يمكن أن يكون معمولاً أيضاً، ومن العوامل التي تدخل عليه أدوات النصب والجزم. كما أنه -الفعل- في النظرية العربية يمكن أن يحذف ويبقى أثره؛ ومثال ذلك أسلوب النداء والاستغاثة والإغراء والتحذير، حيث تقدير الكلام في قولنا (يافتح الله): (يا أنادي فتح الله)، وتقديره في قولنا (العلم) (الجهل): (الزم العلم) (احذر الجهل) على التوالي.

كما لاحظنا أن كليهما تحدث عن التركيب دون أن يعزله عن مستوى الدلالة، فقد تحدث تيزنيير عن دور الرابط النحوي في فهم معاني الجملة، وكذلك وجدنا الحاج صالح يتحدث في نظرية العمل عن دور العامل في فهم معاني النحو؛ وعلاقة العامل بالمعنى ودور العوامل في تغيير المعاني، حيث يقوم النحو الخليلي على أن التغيير في صدارة التركيب يؤدي إلى تغيير في الدلالة مثل: (التلميذ مجتهد) (إن التلميذ مجتهد) (ليس التلميذ مجتهداً) حيث أدى تغيير العامل إلى تغيير المعنى من مجرد التقرير والإخبار في التركيب الأول، إلى التأكيد في التركيب الثاني، إلى النفي في التركيب الذي يليهما.

ولعلنا لا نبالغ إذا ذهبنا إلى القول أن قيمة فكرة التبعية في التحليل النحوي في حقل اللسانيات الحاسوبية، والتي ثبتت نجاعتها من خلال المحاولات العديدة التي قامت باستغلال الأسس الصورية للنحو الاعتمادي. قد كانت حافزاً للحاج ليبيان قيمة نظرية العمل العربية ذات الحقل وهو حقل اللسانيات الحاسوبية، ومحاولته استغلال الأسس الرياضية لنظرية العمل لمعالجة اللغة العربية آلياً. أي إننا نستطيع القول أن فكرة التبعية كانت مدخلة للاهتمام بالمعالجة الآلية للغة، أو إنها الزاوية التي فتحت له أفقا للبحث في هذا الحقل، أو على الأقل أوحى له بذلك.

خلاصة:

لقد رأينا أنه كان للأستاذ عبد الرحمن الحاج صالح حصيلة معرفية ثرة وثرية، تحققت له من خلال تكوينه العلمي؛ الذي أخذ فيه بنصيب وافر من العلوم والمعارف المتنوعة، لا سيما اللغوية منها التي نهلها من معينين ينبعان من ثقافتين مختلفتين؛ إحداهما عربية أصيلة، والأخرى غربية حديثة؛ كان له حظ في تحصيلها والتعرف على أصولها في وقت مبكر؛ من خلال دراسته في الجامعات العربية والغربية وتخرجه بها بشهادات عليا. وهذا الاطلاع الواسع والتبحر في الدرسين العربي والغربي على السواء مكنه من بلورة وجهته اللسانية التوافقية في قراءة التراث العربي. ومكنته من صياغة نظريته على النحو العلمي الذي تحدثنا عنه سابقا.

إلا أننا من خلال هذا الفصل وقفنا على جانب آخر من مصادر فكر عبد الرحمن الحاج صالح، وهو الاستشراق؛ حيث دللنا البحث في الخلفية المعرفية للنظرية الخليلية الحديثة أن الأسس الاستمولوجية لها ترجع في كثير من الأحيان إلى جهود المستشرقين الموضوعيين الذين كان لهم باع في دراستهم للتراث العربي الإسلامي. وكثيرا ما كانوا يمدون التراث العربي بزاد ثمين من خلال قراءاتهم العلمية الموضوعية، وتبين لنا أنه كان لهم إسهام كبير في بلورة فكر عبد الرحمن الحاج صالح؛ ونخص بالذكر: مايكل جورج كارتر M. G. Carter ، برنارد بوتيه Bernard Potier ، جيرار تروبو Gérard Troupeau ، جون باتريك جيوم Jean-Patrick Guillaume ، جان كانتينو Jean Cantineau ، لوسيان تينيير Lucien Tesniere

الفصل الثالث:

تطبيقات النظرية الخيلية الحديثة

1. تطبيق النظرية الخيلية الحديثة في ميدان تعليمات اللغة العربية.
2. تطبيق النظرية الخيلية الحديثة في ميدان المعالجة الآلية للغة.
3. تطبيق النظرية الخيلية الحديثة في ميدان معالجة أمراض الكلام.

تمهيد:

النظرية الخليلية الحديثة هي نظرية لسانية عربية حديثة تقوم من الناحية النظرية على مبادئ وأسس إجرائية ورياضية لها فعاليتها في وصف اللغة وتحليلها. وهي تتطرق في كثير من مفاهيمها من التراث اللغوي العربي مما جعلها تحمل خصوصيات توافق سمات اللغة العربية وخصوصياتها. كما تستند إلى معطيات الدرس اللساني الحديث، وهذا المزج بين التراثي والحداثي أهلها لأن تكون ذات كفاية علمية؛ دفعت الكثير من الباحثين إلى وضع دراسات يحاولون من خلالها تناول النظرية الخليلية بالتطبيق واستغلال ما تبنته من مفاهيم ومبادئ لسانية؛ علما أنها نظرية قابلة للتطبيق في مجالات متعددة مثل تعليم اللغة ومعالجتها آليا وعلاج أمراض الكلام.

ولقد اهتم الحاج صالح في نظريته وفي بحوثه وصرف جهوده للتنظير لتعليم اللغة والمعالجة الآلية للغة وعلاج أمراض الكلام، وكانت هذه المجالات من المجالات الحيوية التي استرعت اهتمامه والقضايا الكبرى التي شغلته وأخذت حيزا من بحوثه. ولم يكن -رحمه الله- في جهوده مُنظِّرا فحسب، بل كان الجانب التطبيقي والميداني من صلب اهتماماته انطلاقا من إيمانه الراسخ بأن: "العلم إذا قطع عن الواقع ولم تختبر نتائجه على محك التطبيق فستبقى مجرد فلسفة، كما أن التطبيقات إذا أبقيت على أوضاعها الأولى ولم يدخل على أسسها النظرية أي تجديد وأي تطوير فسيكون مآلها الجمود والروتين".¹

ولذلك سنعمل من خلال هذا الفصل على وصف وتحليل بعض النماذج التي تبنت مبادئ النظرية الخليلية الحديثة وتطبيقها في الميادين المختلفة، وسيقوم هذا الفصل على ثلاثة مباحث:

- 1- تطبيق النظرية الخليلية الحديثة في ميدان تعليمات اللغة العربية.
- 2- تطبيق النظرية الخليلية الحديثة في ميدان المعالجة الآلية للغة العربية.
- 3- تطبيق النظرية الخليلية الحديثة في ميدان معالجة أمراض الكلام.

1 - عبد الرحمان الحاج صالح: بحوث ودراسات في علوم اللسان ، المرجع السابق، ص 179

1 . تطبيق النظرية الخيلية الحديثة في ميدان تعليمات اللغة العربية:

تمهيد: يكتسي هذا الميدان أهمية بالغة في حياة كل الأمم، ويُعدّ التنظير له علما قائما بذاته له خصوصيته وأهميته؛ كونه يؤسس للأنظمة التربوية، وهو يلاقي اليوم عناية فائقة ويشهد تطورا مستمرا، وأصبح علما له أصوله ومرجعياته المعرفية وحقوله وإجراءاته التطبيقية، وعلما بات يوسم بأنه أهم الصروح العلمية التي تؤسس للأنظمة التربوية، وبات يحتل مكانة متقدمة بين العلوم الإنسانية، وهو حقل هام من حقول اللسانيات يسمى (الديداكتيك)، وهو العلم الذي يهتم فيه اللساني ب: "الدراسة العلمية لطرق التدريس وتقنياته وأشكال تنظيم مواقف التعليم التي يخضع لها التلميذ قصد بلوغ الأهداف المنشودة سواء على المستوى العقلي أو الوجداني أو الحسي الحركي".¹ فهو "عملية تنظيمية للإجراءات التي يقوم بها المعلم داخل غرفة الصف، وخاصة لدى عرضه للمادة الدراسية وتسلسله في شرحها".² فالتعليمات إذن تتمثل في العلم الذي يهتم بتفاعل المعلم والمتعلم في الحيز التعليمي؛ من خلال ما يقدمه الأول للثاني من معارف ومعلومات ومهارات وما يقوم به هذا الأخير لاكتساب وتطوير هذه المعارف والمعلومات والمهارات. وما دمنا في إطار الحديث عن جهود الحاج صالح في هذا الميدان فقد لفت انتباهنا تعريفه لهذا العلم بأنه صناعة وذلك في قوله: "وتعليم اللغات هو صناعة، فعندما تجري بحوث في كيفية استثمار ما يثبته علم اللسان تصبح هذه الصناعة علما تطبيقيا هو علم تعليم اللغات Didactique des langues أو Language Teaching³ فقد دلنا هذا التعريف، وخاصة عند اعتباره هذا العلم صناعة، على دقته في تخير المصطلح، واعتماده في ذلك على التراث العربي وإحياء مصطلحاته فقد درج ابن خلدون على تسمية العلم بالصناعة، واعتباره تعليم العلم من جملة الصنائع، وكذا

1- محمد الدريج: تحليل العملية التعليمية، مطبعة دار النجاح الجديدة، الدار البيضاء، المغرب، ط2، 1990، ص15.

2- أفنان نظير دروزه: النظرية في التدريس وترجمتها عمليا، دار الشروق، عمان، الأردن، ط2، 2000، ص44.

3- عبد الرحمان الحاج صالح. منطق العرب في علوم اللسان، المرجع السابق، ص 13

اعتباره تعليم النحو صناعة.¹ كما دلنا ذلك على عمق نظرتة ودقّة تصوراتة، فهو لا ينظر إلى تعليم اللغات على أنها علم نظري، بل يعتبرها علما تطبيقيا وفعلا يعتمد على الممارسة، لذا فهو أقرب إلى الصناعات من قربه إلى العلوم. أي إن استعماله لهذا المصطلح لم يكن من باب الارتجال بل كان اختيارا مبرّرا ومؤسّسا وموقّفا.

وقد بدأت أصول هذا العلم عند الغربيين أواسط القرن العشرين، وقد حازوا فيه قصب السبق مثله مثل سائر المجالات الفكرية والعلمية والحضارية، ولم يكن العرب في هذا سوى مستهلكين بدرجات تتفاوت من حيث الحذق والفهم لما يفرزه الدرس اللساني الغربي في مجال التعليمات، كما شهد أهم تحولاته عند الغربيين أيضا وآخرها وأهمها استقلال تعليمات اللغات بصورة تامة عن اللسانيات التطبيقية أواخر ثمانينات وأوائل تسعينات القرن العشرين.²

وأمام سيطرة الغربيين على هذا الميدان تبرز محاولة الأستاذ عبد الرحمن الحاج صالح في البلاد العربية كإسهام إجرائي لا يستهان به في حقل تعليمات اللغة العربية، وإضافة نوعية في هذا المجال الهام. وقد شهد له بهذا (عبد السلام المسدي) وإليه نسب "الفضل في لفت انتباه المؤسسة التربوية في الوطن العربي إلى أهمية اللسانيات وخطرها في بلورة رؤية تعليمية جديدة تُطور بها آليات تدريس اللغة العربية، وذلك منذ أن تحدث عن أثر اللسانيات في النهوض بمستوى مدرسي اللغة العربية."³ فقد عمل على استقراء الوضع التعليمي السائد في الجزائر ونقده وعرض الحلول المناسبة له انطلاقا من أسس النظرية الخليلية الحديثة. وأهم ما يُميّز تجربته في حقل التعليمية -وهو من السمات العامة في اقتراحاته ومشروعاته- هو إيمانه بالعمل الجماعي والمؤسّساتي ودعوته إلى تضافر الجهود والتعاون الفعال بين الباحثين من مختلف الاختصاصات، باعتبار التعليمية حقلا بينيا تتداخل فيه اختصاصات متعددة و"الجانب الواحد منها كتعليم اللغات مثلا يهم لا المتخصص في علم اللسان فقط، بل

1- عبد الرحمن بن خلدون: المصدر السابق ، ص451 وص 622.

2- نصر الدين بوحساين: مدخل إلى اللسانيات التطبيقية؛ تعليمات اللغات، دار الأمل للطباعة والنشر، تيزي وزو، الجزائر، 2012، ص193.

3- عبد السلام المسدي: مباحث تأسيسية في اللسانيات، دار الكتاب المتحدة، ط1، بيروت، 2010، ص 198.

الباحثين في علوم التربية وعلم النفس وحتى الأطباء المتخصصين في علم الأعصاب والتبليل (علاج أمراض التعبير)، وكذلك الاختصاصيون في علم الاجتماع وغيرهم.¹

وأهم ما اقترحه من أجل إصلاح المنظومة التربوية وإصلاح تدريس اللغة العربية وتنمية الملكة اللغوية للمتعلمين؛ هو إحداث تغيير تام في طريقة التدريس السائدة القائمة على التركيز على المادة اللغوية، والتحوّل عنها إلى طريقة أكثر فاعلية يكون قوامها التركيز على المتعلم بالتأكيد على قدرات الاستيعاب عنده والممارسة لإكسابه الملكة الأساسية والقدرة على التعبير السليم والتصرف العفوي في بنى اللغة في مرحلة أولى، ثم إكسابه مهارة التعبير الفعال بتوظيف البنى الإفرادية والتركيبية التي اكتسبها وفق مقتضيات الاستعمال وأحوال الخطاب.² فقد قاده حدسه وحدة ذكائه -كما يرى (نصر الدين بوحساين)- و"وجّهاه إلى جملة من المبادئ التي سبقت أوانها واستقرت عليها تعليمية اللغات الحديثة والمعاصرة، كالاكتناء بعلميتي الاكتساب والإنتاج اللغويتين، ومنه اعتبار المتعلم الأساس الذي تقوم عليه مناهج التعليم اللغوية في مرحلة تاريخية كان لا يعتدّ فيها إلا بالمقاربة بالأهداف؛ وهو أمر يجدر التنبيه إليه والإشادة به."³ فقد تفتّن (بوحساين نصر الدين) إلى سبق الأستاذ عبد الرحمن الحاج صالح في دعوته إلى المقاربة بالكفاءات بدل المقاربة القائمة آنذاك في النظام التربوي الجزائري؛ وهي المقاربة بالأهداف، وذلك من خلال دعوته إلى إيلاء الاهتمام اللازم بالمتعلم وجعله محور العملية التعليمية، وقد تجلّى ذلك في العديد من تنظيراته؛ التي يحثّ فيها المتعلم على المساهمة لا بالسمع والطاعة لما يتلقاه من معلمه بل بالمشاركة الفعلية التي تؤديه إلى تنمية هذه المعارف. وهو نفس ما تدعو إليه التعليمات اللغوية الحديثة من ضرورة إشراك المتعلم في العملية التعليمية وذلك بمساعدة المعلم؛ الذي

1 - عبد الرحمان الحاج صالح: بحوث ودراسات في علوم اللسان، المرجع السابق، ص 179

2 - شريف بوشحاذان: النظرية الخليلية الحديثة وسبل ترقية تعليم اللغة العربية فيما قبل الجامعة، مجلة التواصل في اللغات والثقافة والآداب، عدد 31، سبتمبر، 2012، ص 110

3 - نصر الدين بوحساين: ملخص مداخلة بعنوان (أعمال الأستاذ عبد الرحمن الحاج صالح في مجال تعليمية اللغات)، ملخصات مداخلات الملتقى الدولي حول الأعمال العلمية للأستاذ عبد الرحمن الحاج صالح والعلوم اللسانية الحديثة، 3-4 جوان 2008، الجزائر، ص 33

يعمل على توجيه المتعلمين وتنمية قدراتهم وإتاحة الفرص لهم للاكتشاف ومن ثم الخلق والإبداع من خلال المهارات المختلفة التي يكسبها إياها بعيدا عن طريقة التلقين، حيث تكون الغاية من التعليم في المقاربات الحديثة كما يعبر عنه الحاج صالح هي: إكساب المتعلم " لملكة معينة وهي مهارة التصرف في البنى اللغوية بما يقتضيه حال الخطاب وليس إكسابا لعلم النحو أو علم البلاغة.¹ لأن "التريخ ليس فقط محصورا على تحصيل المعطيات في حد ذاتها بل في خلق القدرة على التصرف فيها."² ولذلك يتعين على المعلم فسح المجال للمتعلم للقيام بعمليات الاستنباط والتحويل والتفريع المختلفة (الانتقال من صيغة إلى أخرى) (من الأصل إلى الفرع) على المثل والأنماط اللغوية المختلفة.

ومن خلال ماسبق نلاحظ أنه كانت تطبيقات قيمة للحاج صالح في حقل تعليمات اللغة العربية لا ينكرها إلا جاهل أو جاحد. فقد تكلم عن طرائق التدريس وتكلم عن المحتوى؛ حيث اشترط أن ينظر المتخصصون في ما يجب أن يعلموه من اللغة وكيف يجب أن يعلموه، أي ينظرون في محتوى اللغة التي تقدم للمتعلم، كما ينظرون في محتوى الطريقة أو الطرق التي تستعمل لتبليغ هذا المحتوى.³ كما تحدث عن التخطيط وبناء المناهج والوسائل وغيرها⁴، وإذا كنا نُشيد بسبقه في مجال طرائق التدريس الذي تحدثنا عنه، إلا أننا نلاحظ أنه اهتم بالطرائق Methods ولم يهتم باستراتيجيات التدريس Teaching Strategy. إذ لم نقف في مؤلفاته -في حدود بحثنا- على أثر لهذا المصطلح، مع أن ظهور هذا المصطلح في حقل تعليمات اللغة يعود إلى أوائل السبعينات وحتى نهاية القرن العشرين. ومع ما من فرق كبير بينهما حيث يقصد بالطريقة: Methode مجموعة الإجراءات والأساليب (المناقشات، وطرح

1- عبد الرحمن الحاج صالح: الأسس العلمية واللغوية لبناء مناهج اللغة العربية في التعليم ما قبل الجامعي،

مجلة ، ص 27

2- نفسه، ص 27

3- عبد الرحمن الحاج صالح: مدخل إلى علم اللسان الحديث 4؛ أثر اللسانيات في النهوض بمستوى مدرسي

اللغة العربية، المرجع السابق، ص 42

4- نفسه، ص 63

الأسئلة، أو حل المشكلات، أو المشاريع، أو الاكتشاف والاستقصاء...) التي يؤديها المعلم لمساعدة المتعلمين في الوصول إلى تحقيق أهداف محددة.

بينما يقصد بالاستراتيجية: خطة منظمة من أجل تحقيق الأهداف التعليمية وهي خطة تتضمن الطرائق والتقنيات والإجراءات التي يتخذها المعلم لتحقيق الأهداف المحددة.¹ وعليه فالاستراتيجية أشمل وأوسع من الطريقة، ذلك أن الإستراتيجية تتضمن كل مواقف العملية التعليمية من أهداف، وطرائق ووسائل وحتى التقويم، بينما الطريقة لا تتعدى كونها جزءاً ومركباً واحداً من مركبات الإستراتيجية، فهي تتضمن خطوات منسقة مترابطة تتصل بطبيعة المادة وتعليمها. كما أن الاستراتيجية قد تشمل عدداً من طرائق التدريس. والخلاصة أن الطريقة تندرج ضمن القاموس التقليدي للتربية والتعليم؛ أما المنظور المعاصر فيستخدم مصطلح ومفهوم الاستراتيجية. ذلك أن الطريقة هي المعنى الضيق للكيفية التربوية التي يتم بواسطتها تبليغ المعطيات اللغوية. أما عن مبادئ ومفاهيم النظرية الخليلية الحديثة التي يمكن اعتمادها في ميدان تعليمات اللغة فهي كثيرة، ومنها: (الأصل والفرع) و(المثال) و(الموضع) و(العامل) و(الوضع والاستعمال)... وقد شرح الحاج صالح كثيراً من ذلك في مقالاته ومنشوراته العلمية، وسنكتفي بالإشارة إلى بعض ذلك على سبيل التمثيل لا الحصر.

1 - الأصل و الفرع : يقول الحاج صالح: " وهناك مقياس آخر يخص العلاقة التي يجب أن تثبت بين التخطيط الذي يشمل الدراسة بأكملها (السنوية مثلاً) والترتيب الذي يحسن أن تكون عليه العناصر في الحلقة الواحدة من الدروس وهو هذا: نوزع الأنظمة البنوية (أي المثل) الجزئية من النظام الأصلي إلى النظام الفرعي - كما قلنا على المحور الذي تتسلسل فيه العمليات التعليمية داخل الدرس الواحد... ثم لا بد أن يرتبط هذا المقياس الترتيبي بالمبدأ البديهي القاضي بالانتقال من الساذج إلى المعقد (أي من الأقل إلى الأكثر صعوبة). ففي العمليات التعليمية الأولى تكون المصفوفة التي يستنبطها المتعلم والتي يفرضها الترتيب المذكور أعلاه تحتوي على العناصر غير

1- وجيه بن قاسم القاسم، محمد بن مفرح عسييري: المناهج الدراسية في ضوء المناخات العالمية المعاصرة، دار

روابط للنشر، 2016، القاهرة، مصر، ص100، 101

المزيد فيها ثم يليها تدريجيا المزيد فيها بحسب الزيادات.¹ وهو هنا يستند إلى مبدأ الأصل والفرع الذي يقوم عليه النحو الخليلي في تحقيق مبدأ التدرج في تقديم الدروس النحوية والتسلسل المنطقي في توزيع المواد اللغوية وعرض التعليمات على المتعلم، حتى يكون هناك تنظيم محكم لكيفية عرض هذه الظواهر، ولا يشعر المتعلم بالخلل في الانتقال من درس إلى درس ومن ظاهرة لغوية إلى أخرى. لذا فالنظرية الخليلية تقترح ضرورة أن تقتصر المراحل الأولى من تعليم اللغة وقواعدها على تقديم الأصول فقط للمتعلم كالمفرد مثلا، في حين يكون تقديم الفروع في مرحلة تالية كالمثنى والجمع مثلا، على نحو من الانتقال من البسيط إلى المركب ومن الأسهل إلى الأصعب، إلى أن يتم تحصيل الملكة اللغوية المرجوة، ذلك أن الأصول أبسط من فروعها لفظا ومعنى، لأن الفروع هي الأصول مع زيادة وهي شيء من التحويل. وهذه الطريقة مقتبسة من التراث النحوي الخليلي والسيبويه القائم على مبدأ الأصل والفرع.

2 - الوضع والاستعمال: يقول الحاج صالح: "العيان الأساسيان اللذان تتميز بهما النصوص المدرسية في كل مالميس علميا؛ وفي بعض الكتب العلمية أيضا هما كثرة المفردات التي لا يحتاج إليها الطفل وحتى الراشد- وفي الوقت نفسه غياب لأسماء المسميات الحديثة من الحياة العامة، فهناك حشو وخصاصة في الوقت نفسه، وهذا في نظرنا هو أحد الأسباب في صعوبة تكيف العربية الفصحى ومواكبتها للعصر، وما يترتب على ذلك من القصور -ويبدأ ذلك من المدرسة- بل وإقصائها من تعليم العلوم والتكنولوجيا في الجامعات وليس هو السبب الوحيد، وذلك لأن ما يتعلمه الأطفال في المدرسة من الألفاظ التي تدل على مفاهيم ضرورية للحياة هو شيء قليل، فيبحث الطفل عنها في لغة أخرى ويستتقص بذلك العربية الفصحى، بل وينفر منها لحشوها ويزدريها لنقائصها."² فهو يرى أن القائمين على وضع البرامج التعليمية والكتب

1 - عبد الرحمن الحاج صالح: مدخل إلى علم اللسان الحديث4؛ أثر اللسانيات في النهوض بمستوى مدرسي اللغة العربية، ص 64، 65

2 - عبد الرحمن الحاج صالح : الرصيد اللغوي للطفل العربي وأهمية الاهتمام بمدى استجابته لحاجاته في

العصر الحاضر، مجلة الممارسات اللغوية ، تيزي وزو ، المجلد 1 ، العدد 1 ، ص 14

المدرسية يُهملون مفهومي الوضع والاستعمال، ويخلطون بين وضع اللغة كنظام من الأدلة المتواضع عليها لغرض التبليغ، وبين الاستعمال كتأدية الناطقين لهذا الوضع في واقع الخطاب. ولذلك دعاهم إلى ضرورة اعتماد مبدأ الفصل بين الوضع والاستعمال والحرص على تعليم التلميذ المفردات والظواهر اللغوية المتداولة فعليا في عملياته التواصلية، والتي يحتاجها في حياته اليومية، وهو الذي جسده -رحمه الله- من خلال عمله على مشروع (الرصيد اللغوي المغاربي والعربي) الذي ضمّ فيه واضعوه المفردات التي يحتاجها التلميذ للتواصل مع محيطه، لاسيما الألفاظ التي تُعبّر عن المفاهيم المُستجدة بحيث يسدُّ الثغرات اللغوية الموجودة في لغة التعليم. لأن المؤلفين في وضعهم للكتب الدراسية كانوا يركزون اهتمامهم على المحافظة على العربية (أصل الوضع) ولم يلتفتوا إلى ما يحتاجه المتعلم في حياته اليومية المعاصرة وهو ما انجرَّ عنه اتهام العربية بالقصور وعدم ملاءمتها للعصر. فالاستعمال هو جزء فقط من النظام اللغوي وهو يخضع لمتطلبات الخطاب وهو الذي يجب أن يراعى أثناء وضع البرامج والمحتويات التعليمية والكتب المدرسية لأنّ "المتعلم لا يحتاج إلى كل المفردات الموجودة في الوضع للتعبير عن آرائه، بل تكفيه الألفاظ التي تدل على المفاهيم العادية وبعض المفاهيم العلمية والفنية أو الحضارية مما تقتضيه الحياة العصرية."¹ أما المفردات التي تنتمي إلى الوضع فإنها تترك للمتخصص في مرحلة الدراسات العليا كما يترك النحو العلمي لذات المرحلة، وبالتالي يقتضي تبني الاستعمال كمبدأ أساس في تعليم اللغة العربية من قبل القائمين على وضع البرامج والمقررات الدراسية لتعليم العربية. وقد أكد على ذلك بقوله: "وعلى هذا فالاستعمال الفعلي للغة في جميع الأحوال الخطابية التي تستلزمها الحياة اليومية... ينبغي أن يكون المقياس الأول والأساسي في بناء كل منهج تعليمي."² وهذا لا يعني أنه يقصي من اهتماماته اللغة الأدبية ونماذجها الفصيحة الراقية الموجودة في النصوص القرآنية والأدبية المختلفة؛ لأنه يُقر بأن "الطفل

1 - عبد الرحمن الحاج صالح : مدخل إلى علم اللسان الحديث؛ 4؛ أثر اللسانيات في النهوض بمدرسي اللغة

العربية، المرجع السابق، ص 44 .

2 - عبد الرحمن الحاج صالح: بحوث ودراسات في اللسانيات العربية، المرجع السابق، ج 1 ، ص 176 .

إن لم يطلع مبكرا على ما كتبه الأدباء والعلماء بشيء كثير من التقريب إلى ذهنه ومراعاة مداركه فتبقى لغته فقيرة ذات خصاصة مهولة، وبالتالي مستواه الثقافي أيضا. أما إن اكتفى بذلك في أثناء تعليمه فسيكون له لغة قاصرة من جهة أخرى إذ لا تستجيب لمقتضيات الحياة وتصير هكذا لغة أدبية محضة.¹ أي إنه لا ينبغي الاقتصار على مستوى واحد من مستويات التعبير في وضع المناهج التعليمية، بل يجب مراعاة المستوى الفصيح الإجلالي من جهة، ومن جهة أخرى المستوى الفصيح البسيط الذي يتوافق ومتطلبات الحياة اليومية لأن المتعلم يحتاج إليهما معا.

3 - الجمع بين النحو والبلاغة: يذهب الحاج صالح إلى أن الفصل بين الوضع والاستعمال والتمييز بينهما في حقل التعليمات؛ يترتب عنه نحو من الفصل والتمييز بين النحو العلمي الذي يراعى فيه الوضع والنحو التعليمي الذي يراعى فيه الاستعمال وأحوال الخطاب من جهة، وبين البلاغة كعلم ونظرية والبلاغة كتأدية من جهة أخرى. كما يترتب عنه عدم الفصل بين النحو والبلاغة وهو ما يقتضيه المنهج الصحيح في تعليم العربية، لأن النحو والبلاغة صنوان لا يمكن فصل أحدهما عن الآخر ولا تدريس أحدهما بمعزل عن الآخر، باعتبار البلاغة امتدادا للنحو وبها يتجسد الاستعمال فتتضح المقاصد وتبلغ الأغراض.² ولم يحصل هذا الفصل -في نظر الحاج صالح- بين النحو والبلاغة عند النحاة والبلاغيين العرب المتقدمين حتى القرن الرابع الهجري فهو يدعو إلى تبني الفكر اللساني العربي الأصيل الذي كان على يد الأوائل من الفطاحل لإكساب المتعلم ملكة وقدرة على استعمال اللغة بدل إكسابه معرفة بقواعدها، وفي ذلك يقول: "سبقنا ابن خلدون منذ زمان بعيد إلى القول بأن ملكة اللسان غير صناعة العربية؛ فالملكة عنده هي الصفة الراسخة أو المهارة المكتسبة في استعمال اللغة، فهي قدرة يكتسبها الإنسان يحكم بها أفعاله الكلامية وهي غير علم النحو."³

1 - عبد الرحمن الحاج صالح : تعليم اللغة العربية في التعليم الأساسي وإمكانية استفادته من البحوث العلمية الحديثة ، المرجع السابق، ص

2 - شريف بوشحاذان: النظرية الخليلية الحديثة وسبل ترقية تعليم اللغة العربية فيما قبل الجامعة، المرجع السابق، ص 111 .

3 - عبد الرحمن الحاج صالح: بحوث ودراسات في اللسانيات العربية، المرجع السابق، ج 1 ، ص 166

ولنقف هنا لنناقش هذا المبدأ، ولنقصر مناقشتنا في النظر إلى مدى صلاحية تطبيقه في ميدان تعليمات اللغة العربية في المدرسة. فنحن نوافق على أن النحو هو مجموعة القواعد التي تضبط الاستعمال، والبلاغة هي وصف لتصرف متكلم اللغة القائم على الحرية والإبداع بحسب تمكنه من اللغة. مما يدلنا على أن الباحثين منفصلان تماما من ناحية موضوع كل منهما. كما نوافق على أن الفصل بين النحو والبلاغة لم يحصل عند النحاة والبلاغيين العرب المتقدمين حتى القرن الرابع الهجري. ولكننا نرى أن استتاده إلى أن البلاغة والنحو لم ينفصلا عند العرب إلا في عصر الجمود، لا يُعدّ مبررا كافيا لضرورة الجمع بينهما في التعليم للأسباب الآتية:

- العلوم اللغوية العربية كلها نشأت وترعرعت بغية خدمة النص القرآني، وفي كنف علم النحو وقد كانت اللُّحمة قوية بين علوم اللغة كلها نحوا وصرفا وبلاغة وعروضا...، بل كانت العروة وثيقة لا تنفصم بين العلوم اللغوية والدينية، ولم تقم الحدود بين فروع العلم عند العرب. وقد كان العصر عصر الموسوعات، وعصرنا اليوم عصر التخصص الدقيق وتمييز وفصل العلوم عن بعضها وإن كانت متقاربة.. فهل نجعل اليوم كل العلوم اللغوية تدرس جنبا الى جنب مع النحو؟

- نحن نرى أن النحو والبلاغة لم ينفصلا في القرون الأولى لأنها كانت في فترة النشأة، وقد كانت نشأتها في كنف النحو أمرا طبيعيا، باعتباره المهد الأول والأصل الذي تفرعت عنه مختلف العلوم اللغوية، ثم ما لبثت أن انفصلت وأصبحت علما قائما بذاته.

- يوجد اليوم في المنظور اللساني الحديث نظريتان؛ نظرية الوحدة (All in one system) ونظرية الفروع (Polysystemic approach/Separated System) أما نظرية الوحدة في تعليم اللغة فالمراد بها أن ننظر إلى اللغة، "على أنها وحدة مترابطة متماسكة، وليست فروعاً مفرقة مختلفة".¹ والمقصود هنا، أنه في تعليم لغة ما نُقدّم المادة اللغوية بصورة كلية دون فصل بين فروعها وهذا الذي يريده الحاج صالح في الجمع بين النحو والبلاغة. في حين نظرية الفروع يراد بها أن تُقسّم "اللغة فروعاً لكل

1- إبراهيم عبد العليم: الموجّه الفني لمدّرسى اللغة العربيّة، دار المعارف، القاهرة، مصر، 1968، ص. 50.

فرع منهجه وكتبه وحصصه، مثل المطالعة والمحفوظات، والتعبير، والقواعد، والإملاء، والأدب، والبلاغة.¹ وهذا الذي نراه مناسباً لسن المتعلم ومستواه؛ الفصل بين فروع اللغة، إذ إن تقديم النحو والبلاغة معاً يكون مرهقاً للمتعلم ويحدّ من دافعية التعلم لديه.

- بات معروفاً في أدبيات تعليميات اللغة أنه يجب الاقتصار على صعوبة واحدة في التعلّم والتدرّج بالمتعلّمين من الأسهل إلى الأصعب. والحاج صالح لا ينكر ذلك، فهو يرى أنّ من عيوب التعليم الذي كان سائداً على عهده أنه يقدّم للطفل "كمية كبيرة جداً من العناصر اللغوية؛ لا يمكن بحال من الأحوال أن يأتي على جميعها، ولذلك يصيبه مانسميه بالتخمة اللغوية."² فكيف يكون في تعليم النحو والبلاغة مجتمعين صعوبة واحدة؟ الواضح أن الجمع بينهما يكون أمراً مرهقاً للمتعلم ويشكّل له عائقاً من عوائق التحصيل. علاوة على أنّ الكثير من الدراسات الحديثة اليوم تدعو لا إلى الفصل بين فروع اللغة فحسب بل تدعو أكثر من ذلك إلى تدريس القواعد بأسلوب تجزئة القاعدة النحوية، والتدرّج في عرضها، حيث لا تعطى القاعدة دفعة واحدة، وإنما تعطى على شكل جرعات أو أجزاء، لتسيير إدراكها من قبل التلاميذ، وإتاحة فرصة متابعة جيدة لها من قبله، لأن بعض القواعد تكون معقّدة متشعبة، وإعطائها دفعة واحدة يربك التلميذ، ويحدّ من قدرته على الاستيعاب.³

وقبل أن نمرّ إلى عرض النماذج التي تناولت النظرية الخيلية الحديثة بالتطبيق في ميدان تعليميات اللغة العربية نشير إلى أن الحاج صالح -رحمه الله- كان يصدر في كل تنظيراته في هذا الميدان، عن مبدأ النظرية الخيلية الحديثة العام والذي لم يحد عنه في كل أبحاثه؛ وهو توجهه التوفيقي بين الدرس اللغوي التراثي العربي الأصيل الذي ظل يدافع عن علميته وعمّا يتضمنه من آراء ومبادئ علمية دقيقة ورصينة جدية باعتمادها كنظرية حديثة للتعليمية، والدرس اللساني الغربي

1- إبراهيم عبد العليم: الموجّه الفنى لمدرّسى اللغة العربية، المرجع السابق، ص 51.

2- عبد الرحمن الحاج صالح: مدخل إلى علم اللسان الحديث؛ 4؛ أثر اللسانيات في النهوض، المرجع السابق، ص 64.

3- طه حسين الدليمي، كامل محمود نجم الدليمي: أساليب حديثة في تدريس قواعد اللغة العربية، دار الشروق

للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، 2004. ص 229

الحديث وبعض نظرياته التي تتوافق وطبيعة اللغة العربية. رغبة منه في الاستفادة من كل ما هو مفيد وناجع وفي هذا يقول: "وعلى هذا الأساس نعتقد أن القواعد التي ينبغي أن تدرج في المناهج في حاجة مسيسة إلى أن يعاد فيها النظر في ضوء ما أثبتته علماءنا الأولون وما تتطلبه العلوم اللسانية الحديثة في أرقى صورها من تلك التي تنفق إلى حد ما مع تصور أولئك العلماء."¹

وقد أنجزت العديد من الأبحاث الأكاديمية كرسائل الماجستير التي تبنى فيها أصحابها مبادئ هذه النظرية في مجال تعليم اللغة العربية للناطقين بها أو غيرها، وقد أشرف الأستاذ (عبد الرحمن الحاج صالح) بنفسه على جملة من هذه الرسائل، وظل يتولى الإشراف عليها حتى آخر أيام حياته -رحمه الله-² وبمساعدة الأستاذ (صالح بلعيد) ومحمد يحياتن وغيرهما من الأساتذة، ويمكن هنا أن نشير إلى بعض هذه الدراسات على سبيل الذكر لا الحصر، لأننا وقفنا على أنّ هذا الميدان قد استقطب دراسات كثيرة طبقت النظرية الخليلية الحديثة مقارنة بالميدانين الآخرين، وذلك لأن هذا الميدان يُعدّ قريبا من عمل اللسانيين ومن صميم اختصاصهم؛ على عكس الميدانين الآخرين اللذين يعدّان حقلان بينيان. ومن الأعمال التي نشير إليها:

1. عمل الباحثة حبيبة بودلعة: الذي عملت من خلاله على بيان كيفية استغلال النظرية الخليلية الحديثة في إكساب الملكتين النحوية والتبليغية، حيث اقترحت نموذجا لعملية عرض الدرس النحوي وبعض التمارين النحوية والتبليغية؛ بالاعتماد على عدد من مبادئ النظرية الخليلية الحديثة، ومنها مفهوم القياس ومفهوم المثال ومفهوم الأصل والفرع وعملية التحويل. ويشمل اقتراحها مستويين من مستويات اللغة وهما: مستوى اللفظة الاسمية ومستوى التركيب.³

1- عبد الرحمان الحاج صالح: بحوث ودراسات في اللسانيات العربية، المرجع السابق، ج 1، ص 204
2- آخر الأعمال الأكاديمية التي أشرف عليها هو: "حد اللفظة وخصائصها؛ دراسة في كتاب السنة الأولى متوسط - على ضوء النظرية الخليلية الحديثة-" تقدمت به الباحثة (آسيا قرين) لنيل درجة الماجستير سنة 2017، تخصص: لسانيات النص وتحليل الخطاب، بالمدرسة العليا للأساتذة ببوزريعة. وقد نوقش العمل أياما قبل وفاته.
3- حبيبة بودلعة: النظرية الخليلية الحديثة وكيفية توظيفها في تعليم اللغة العربية-التركيب الإسمي نموذجا- رسالة مقدّمة لنيل شهادة الماجستير، إشراف: عبد الرحمان الحاج صالح، بمساعدة: صالح بلعيد، المدرسة العليا للأساتذة ببوزريعة، ديسمبر 2002. ص 149

2. عمل الباحثة مكي صليحة: الذي عملت فيه على استثمار مبدأ الأصل والفرع ومفهوم المثال، في التحديد الإجرائي للوحدات اللغوية كأساس للطريقة التي تقترحها لتقديم الدرس النحوي.¹

3- عمل الباحثة (مهلول سميرة): الذي عملت من خلاله على إبراز الصعوبات النحوية التي تواجه تلاميذ السنة الخامسة في اكتساب الجملة الفعلية؛ وسبل علاجها على ضوء مبادئ النظرية الخيلية الحديثة.²

وقد رأينا أن نكتفي بأخذ ثلاثة نماذج فقط للدراسة عن كل مجال من مجالات تطبيق النظرية الخيلية (تعليمات اللغة العربية، المعالجة الآلية للغة، وعلاج أمراض الكلام)، على أن يتم التركيز على عرض تفاصيل مذكرة واحدة فقط من بين الثلاث، وذلك لأن مجال البحث لا يتسع لعرض كل الدراسات:

1.1. التداخل اللغوي بين العامية والفصحى لدى تلاميذ الطور الثالث من التعليم الأساسي: بحث قُدّم لنيل درجة الماجستير في علوم اللسان والتبليغ اللغوي، فرع اللسانيات التعليمية، المدرسة العليا للأساتذة في الآداب والعلوم الإنسانية، الجزائر، من طرف الباحثة (كريمة أوشيش)، بإشراف الأستاذ عبد الرحمان الحاج صالح، وبمساعدة الأستاذ صالح بلعيد، 2002.³ وقد توصلت من خلالها ومن خلال الدراسة الميدانية التي أجرتها على عيّنات من تلاميذ المرحلة المتوسطة، إلى أن الطريقة المعتمدة في

1- صليحة مكي: دراسة تحليلية تقييمية لطريقة تعليم الفعلية في السنة السابعة من التعليم الأساسي واقتراح البديل بالاعتماد على مبادئ المدرسة الخيلية الحديثة، بحث قدم لنيل درجة الماجستير في علوم اللسان والتبليغ اللغوي، فرع اللسانيات التعليمية، إشراف الأستاذ عبد الرحمان الحاج صالح بمساعدة الأستاذ صالح بلعيد، المدرسة العليا للأساتذة في الآداب والعلوم الإنسانية، الجزائر، 2002.

2- سميرة مهلول: الصعوبات النحوية التي تواجه تلاميذ الطور الثاني من التعليم الأساسي في اكتساب الجملة الفعلية -السنة الخامسة نموذجاً- دراسة تحليلية تقييمية على ضوء مبادئ النظرية الخيلية الحديثة: بحث مقدم لنيل شهادة الماجستير في علوم اللسان والتبليغ اللغوي، بالمدرسة العليا للأساتذة (بوزريعة)، إشراف: محمد يحياتن، 2003.

3- كريمة أوشيش: التداخل اللغوي بين العامية والفصحى لدى تلاميذ الطور الثالث من التعليم الأساسي، بحث قدم لنيل درجة الماجستير في علوم اللسان والتبليغ اللغوي، فرع اللسانيات التعليمية، المدرسة العليا للأساتذة في الآداب والعلوم الإنسانية، بوزريعة، الجزائر، إشراف: عبد الرحمان الحاج صالح بمساعدة الأستاذ صالح بلعيد، 2002.

تدريس اللغة العربية في مدارسنا هي "طريقة كلاسيكية؛ تعتمد على تلقين التلاميذ عشرات القواعد التحليلية بطريقة جافة لا تثير اهتمامهم ولا تسترعي انتباههم، فهي تُخصّص القسط الأوفر من الدّرس في شرح القاعدة والأمثلة المؤيدة لها، ولا تعطي للتلاميذ من فرص التدريب اللغوي إلا القليل، ولا تهتم كثيرا باستعمال اللغة كأداة تبليغ. وهذا يتعارض مع اللسانيات التعليمية؛ التي ترى أن اللغة التي يجب تعليمها هي لغة التعامل والتحاور، وبهذا تكون قد أهملت وظيفتها الأساسية؛ وهي مساعدة التلاميذ على التعبير بدقة ووضوح.¹ أي إنها لاحظت أن طريقة التدريس في المدرسة الجزائرية كانت تقليدية؛ ومن أهم سماتها أنها تُهمل التمرس اللغوي، والجانب الترسخي في تعليم اللغة العربية.

كما لاحظت سوء توزيع الدروس، وعرض الوحدات اللغوية، وبعدها عن النظرة اللسانية الحديثة؛ بحيث وجدت أن الطريقة المُتبَّعة في توزيع الدروس قائمة على النظرة التّصنيفية للوحدات، بعيدا عن النظرة البنوية التفريعية التي يقوم عليها النحو العربي الأصيل. فهي تفصل بين الدروس رغم الترابط المنطقي الموجود بينها.² وفي ذلك إهمال لمبدأ الأصل والفرع الفعّال في التدريس، ومن ذلك مثلا الفصل بين درس المفرد والمثنى والجمع، والفصل بين الجمع السالم وجمع التكسير، والفصل بين درس الجملة الاسمية، والجملة الاسمية التي تدخل عليها النواسخ والحروف المُشبّهة ...

وقد ذهب الباحثة من خلال الاستناد على توجيهات النظرية الخليلية الحديثة؛ إلى اقتراح توزيع الدروس وعرضها وفق منهج نظرية النحو العربي الأصيلة، وطريقة نُحاتها الأولين التي تقوم على تقديم الموضوعات بالاعتماد على مبدأ الأصل والفرع، والنظر إلى اللسان على أنه في جوهره نظام ذو بنية متكاملة ومنسجمة، ولا قيمة للوحدة اللغوية منعزلة عن غيرها من الوحدات اللغوية.³

1 - نفسه، ص 290

2 - نفسه، ص 291 - 293

3 - كريمة أوّشيش: التداخل اللغوي، المرجع السابق، ص 305

واقترحت شبكة من التدريبات تستند إلى مفاهيم النظرية الخيلية الحديثة؛ لاسيما مفهوم الأصل والفرع، والموضع والمثال، وحد اللفظة، للخروج من دائرة "التحفيظ إلى تدريب التلاميذ على ممارسة لغتهم في مختلف المواقف، والأحداث اليومية، وإحكام التصرف فيها".¹ ولا بد لهذه التمارين أن تكون بنوية (تمارين التصرف في العفوي في بنى اللغة) ومن أنواعها: تمارين الاستبدال والتحويل والقلب والإضافة، التي يتوصل المتعلم من خلال إجرائها إلى اكتشاف البنية اللغوية واستنباط مثالها الذي يجريه على غيرها من البنى اللغوية صوتية كانت أو صرفية أو نحوية، حتى يصير قادرا على صياغة وبناء عدد لا متناه من الجمل والتراكيب الجديدة، قياسا على المثل والأنماط التي استنبطها وحذقها واستعمالها استعمالا عفويا سليما. وهكذا لا تعطى القاعدة النحوية للمتعم من قبل المعلم؛ بل يقوده إلى استنباطها بمفرده من خلال التدريبات المتنوعة، ويُمكنه من ممارستها ممارسة فعلية على جميع البنى اللغوية الأساسية في المستويات الصوتية والصرفية والنحوية، حتى يتمكن من إحكام التصرف فيها، ويتحقق حصول الكفاءة اللغوية عنده، من خلال إدراكه لكون اللغة هي أصول وفروع تبنى على الأصول.²

2.1. دراسة تحليلية تقويمية لأنواع التمارين النحوية للسنة السادسة من التعليم

الأساسي واقتراح البديل بناء على مفاهيم النظرية الخيلية الحديثة: وهي الدراسة التي أنجزتها الباحثة فتيحة بن عمار سنة 2003 بالمدرسة العليا للأساتذة بوزريعة، وأشرف عليها الأستاذ عبد الرحمان الحاج صالح بمساعدة الأستاذ صالح بلعيد.³

وفيهما اقترحت نماذج من التدريبات وأنواع من التمارين النحوية لدروس القواعد؛ باستغلال مفاهيم النظرية الخيلية الحديثة التي تُمكن من تدريس القواعد كمثل

1 - نفسه ، ص 300

2 - نفسه، ص 302 - 304

³ - فتيحة بن عمار: دراسة تحليلية تقويمية لأنواع التمارين النحوية للسنة السادسة من التعليم الأساسي واقتراح البديل بناء على مفاهيم النظرية الخيلية الحديثة، رسالة لنيل شهادة الماجستير في علوم اللسان والتبليغ اللغوي، فرع اللسانيات التعليمية، إشراف الأستاذ عبد الرحمان الحاج صالح بمساعدة الأستاذ صالح بلعيد، المدرسة العليا للأساتذة في الآداب والعلوم الإنسانية، 2003.

وأنماط عملية تكتسب بالتدريب وكثرة الممارسة بتفريع الفروع من الأصول، على نحو يختلف عن الطريقة التقليدية - وتمارينها - السائدة في المدارس والتي تقوم على تلقين القواعد وحفظها واسترجاعها. ويمكننا أن نتحدث في عملية الوصف لتطبيقها لمبادئ النظرية الخيلية الحديثة في ميدان التعليمية عن ثلاث نقاط، وهي كالآتي:

1. المفاهيم الخيلية التي استغلتها لإعداد التمارين النحوية.
2. المقاييس التي راعتها لإعداد التمارين النحوية.
3. التمارين النحوية التي أعدتها.

مقاييس إعداد التمارين النحوية ²	المفاهيم الخيلية التي استغلتها لإعداد التمارين النحوية ¹
1. الانطلاق من نص القراءة الذي اطلع عليه المتعلم في حصة الإدراك واستخراج العنصر اللغوي المراد تدريسه، حتى لا يكون تدريسه على أشياء مجهولة لا يعرف لها معنى.	1. مفهوم الانفصال والابتداء ينطلق المعلم من مستوى اللفظة باعتبارها أصغر قطعة دالة، ويبدأ باللفظة الاسمية لأنها أكثر تمكنا من نظيرتها الفعلية.
2. الانطلاق من نموذج أساسي وتلقينه للطالب ليقاس عليه باقي التراكيب التي يستعملها بعمليات الزيادة والحذف.	2. مفهوم المثال: ينطلق المعلم في كل وقفة نحوية من ترتيب العناصر اللغوية على أساس تفريعي انطلاقا من الأصل ومقابلته بالفروع حتى يكتشف التلميذ المثال بطريقة ضمنية.
3. اقتصار التمرين على صعوبة واحدة للتدريب عليها حتى ترسخ في ذهن المتعلم.	3. مفهوم القياس: فهو يُمكن المتعلم من تفريع عبارات لغوية جديدة وتشكيل لفظات مكافئة للأصل باستعمال الآليات التي سبق له
4. التنوع في التمارين، كأن يتمرن التلميذ على التحويل من الأصل إلى الفرع بالزيادة مثل (جاء أستاذ/ جاء الأستاذ) والتحويل من الفرع إلى الأصل بالحذف مثل (جاء الأستاذ/	

1 - نفسه، ص 214 - 218

2 - نفسه، ص 219 - 225

<p>جاء أستاذ)، والتحويل بالزيادة والحذف، مثل (جاء أستاذ/ جاء الأستاذ/ جاء أستاذ العلوم).</p> <p>5. العمل على أن يتوصل التلاميذ بأنفسهم إلى استنباط الأحكام المتعلقة بالظواهر اللغوية المدروسة، وصياغتها في شكل رسوم وأنماط رياضية.</p> <p>6. التسلسل والتدرج في توزيع الوقفات النحوية والعمليات التعليمية في داخل الدرس الواحد أو أكثر اعتمادا على مفهومي الأصل والفرع، بحيث توزع الأنظمة البنوية (المثل) الجزئية من النظام الأصلي إلى النظام الفرعي. ويكون ذلك على النحو الآتي: (لفظة اسمية ثم لفظة فعلية (فعل ماض ثم فعل مضارع ثم فعل أمر) ثم التركيب (تركيب عامله معنوي ثم تركيب عامله لفظي)).</p>	<p>اكتسابها.</p> <p>4. مفهوم الأصل والفرع: ينطلق المعلم في كل تمرين بالتقابل بين الأصل والفرع ويطلب من التلاميذ تحويل الأصول إلى فروع بالزيادة أو الحذف.</p> <p>5. مفهوم التحويل والموضع والعلامة العدمية: يتمكن التلميذ من خلال عمليات التحويل التي يجريها على الأصول (الزيادة) والفروع (الحذف) من اكتشاف البنية اللغوية (النواة والزوائد)، وموضع كل منها داخل الحد الإجرائي .</p> <p>6. مفهوم الإطالة (التكرار والتنشئة): كالإطالة في مثال اللفظة الاسمية في موضع الصفة والإطالة الاندراجية التي تظهر في مثال التركيب في موضع اسم مبني.</p>
---	---

من خلال قراءتنا للجدول السابق الذي لخصنا فيه المفاهيم الخليلية التي استغلناها لإعداد التمارين النحوية، والمقاييس التي راعتها لإعداد التمارين النحوية نلاحظ:

- مبادئ النظرية الخليلية الحديثة التي أشرنا إليها على أنها الأساس الذي اعتمدت عليه الباحثة لإعداد التمارين والتدريبات اللغوية للمتعلمين كقيلة بتطوير طريقة تدريس قواعد اللغة العربية، لأنها مبادئ مستقاة من النظرية الخليلية القديمة الأصيلة؛ التي تقوم على مبادئ إجرائية دقيقة تساعد المتعلمين على التعرف على

المُثل بطريقة ضمنية، والتعرف على مواضع العناصر اللغوية ووظائفها داخل المثل الإجرائية واكتشاف العلاقة بين مختلف العناصر اللغوية في بنيتها التركيبية، ومن ثم تنمو عندهم القدرة على التصرف في البنى اللغوية؛ بإحداث التغييرات اللازمة عليها وتفريع عبارات لغوية جديدة، وتشكيل لفظات مكافئة للأصل باستعمال الآليات التي سبق له اكتسابها. وذلك لأن الحاج صالح في النظرية الخليلية الحديثة يدعو إلى التمييز بين نحو المتقدمين ونحو المتأخرين، ويُصر على ضرورة اعتماد النحو الخليلي الأصل لتدريس قواعد اللغة العربية، وتجنّب نحو العرب المتأخرين لأنهم يعتمدون في تدريس النحو على تدريس كل عنصر بمعزل عن الآخر، ويحصرّون الإعراب في اختلاف الحركات والسكنات، ويقدمون النحو على أنه قوانين ومصطلحات تُحفظ وتستظهر بعيداً عن الاستعمال والممارسة.

- المقاييس التي حددتها الباحثة كأسس تبنى عليها التدريبات والتمرينات اللغوية هي مقاييس علمية مواكبة للأسس والمقاييس التي تنص عليها أحدث النظريات اللسانية المهمة بحقل التعليمات، ومن ذلك الاقتصار على صعوبة واحدة في التمرين والتدرج بهم من الأسهل إلى الأصعب. وضرورة تنويع التمارين بين التمارين التحليلية التركيبية التي يطلب فيها من المتعلم الإعراب والاستخراج والتعيين والتركيب. والتمارين الاستبدالية والتحويلية والتبليغية.

التمارين النحوية التي أعدتها:¹ لقد أعدت تمارين خاصة بمستويين: مستوى اللفظة (الاسمية والفعلية) ومستوى البنية التركيبية التي عاملها لفظي والتي عاملها معنوي:

مستوى اللفظة		مستوى البنية التركيبية	
اللفظة الاسمية	اللفظة الفعلية	البنية التركيبية الأصل التي عاملها معنوي	البنية التركيبية التي عاملها لفظي
تمرين: انطلقاً	تمرين: انطلقاً من	مثل: يبني المعلم	مثل: يبني المعلم

1 - فتحة بن عمار: المرجع السابق، ص 226، 313

<p>تمرينا يمرن التلاميذ على زيادة النواسخ على يمين التركيب الأصلي مع تغيير الإعراب في موضع م 2 على النحو الآتي:</p> <p>المعلم: - Ø الفلاحون نشيطون في عملهم.</p> <p>- أصبح الفلاحون نشيطون في عملهم.</p> <p>المعلم: Ø الطقس معتدل اليوم.</p> <p>التلميذ: _____</p> <p>المعلم: Ø المريض محموم هذا الصباح.</p> <p>التلميذ: _____</p> <p>المعلم: Ø السائقان سريعان في السيارة.</p> <p>التلميذ: _____</p>	<p>تمرينا يرسخ في أذهان المتعلمين البنية التركيبية البسيطة (ع معنوي + م 1 + م 2) مثل: المعلم: ماذا يعمل عثمان؟</p> <p>التلميذ: عثمان لبان المعلم: ماذا يعمل عمر؟</p> <p>التلميذ: عمر مهندس</p> <p>المعلم: ماذا يعمل مصطفى؟</p> <p>التلميذ: مصطفى حداد</p> <p>المعلم: ماذا يعمل رضا؟</p> <p>التلميذ: رضا خباز</p> <p>المعلم: ماذا يعمل أحمد</p> <p>التلميذ: أحمد بقال</p>	<p>نص القراءة "الناس سواسية 2" يطرح المعلم أسئلة دقيقة الغرض منها اكتشاف التلاميذ اللفظة الفعلية (فعل + ضمير) كما يبنى تمارين على نفس المنوال ليلاحظوا عمليات الزيادة والحذف للضمير ويتمرنوا على استعمال اللفظة الفعلية. مثل :</p> <p>المعلم: ألم يذهب أيمن إلى المدرسة؟</p> <p>التلميذ: ذهب</p> <p>المعلم: ألم تهدي سناء سلة تين لعمها؟</p> <p>التلميذ: أهدت</p> <p>المعلم: ألم يسلم المسافرون حقائبهم للتفتيش؟</p> <p>التلميذ: سلموا</p> <p>المعلم: ألم يصل الرجلان إلى ورشة</p>	<p>من نص القراءة "الحمامة المطوقة" يطرح المعلم أسئلة دقيقة الغرض منها اكتشاف التلاميذ اللفظة الاسمية النكرة (الأصل) والمعرفة ب (ال) (الفرع) ليلاحظوا عمليات الزيادة والحذف لكل من (ال والتتوين) مثل:</p> <p>المعلم: ماهذه ؟ التلميذ: شبكة</p> <p>المعلم: ماذا نصب الصياد: الشبكة</p> <p>المعلم: من هذا؟ التلميذ: صياد</p> <p>المعلم: من نصب المصيدة؟</p>
---	--	--	--

المعلم: Ø الوردتان متقحتان طيلة الأسبوع. التلميذ: _____		البناء؟ التلميذ: وصلا	التلميذ: الصيادُ
---	--	--------------------------	------------------

من خلال قراءتنا لهذا الجدول الذي عرضنا فيه بعض نماذج التمارين التي اقترحتها الباحثة؛ بالاعتماد على مبادئ النظرية الخيلية الحديثة نُقدّم جملة من الملاحظات تدلّ في اعتبارنا على قيمة هذه النظرية التي لا ننكرها في حقل التعليمية، وقابليتها للتطبيق والاستثمار لتعليم أبواب النحو العربي من جهة. كما يدلّ بعضها على جملة العوائق التي تعترض تطبيقها في هذا الميدان. ومن ذلك:

- انطلقت الباحثة في إعدادها للتمارين من نص القراءة؛ حيث استندت في بناء الأمثلة والتدريبات اللغوية على النص الأدبي الذي سبق للتلميذ التعامل معه، وهذا يعني أنها قد عملت على تطبيق المقاربة النصية؛ التي تقوم على استثمار مادة النصوص الأدبية لتدريس النحو والبلاغة. لما لها من فاعلية في تمكين المتعلم من اكتساب الأنماط والمُثل اللغوية، واستعمالها في محيطه الخارجي، خاصة إذا كانت النصوص الأدبية المبرمجة على صلة بحياة المتعلم اليومية ومجالاتها المختلفة. وهذا المبدأ ليس أصيلاً للنظرية الخيلية الحديثة، بل هو من أدبيات تعليمات اللغة الحديثة عامة.

- التمارين المقترحة من قبل الباحثة تُمكن المتعلمين من تنمية مهاراتهم وقدراتهم اللغوية، كونها تكسبهم أنماط ومثل اللغة العربية السليمة. وذلك لاستنادها إلى مبادئ النظرية الخيلية الحديثة؛ كالأصل والفرع والعامل والموضع والعلامة العدمية والتحويل... من جهة، ومن جهة أخرى استنادها إلى المقاييس العلمية الحديثة المعتمدة في تدريس اللغات، ومن ذلك الاقتصار على صعوبة واحدة في التمرين والتدرج بهم من الأسهل إلى الأصعب .

- التزام الباحثة بتنويع التمارين وتركيزها على النوعين التحويلي والتبليغي، لأنهما يُمكنان من ترسيخ أنماط ومثل اللغة عند المتعلم ويكسبانه الملكة اللغوية السليمة، ويُمكنانه من استعمال اللغة للتعبير عن أغراضه. و تُخلِّصان التعليم من مشكلة حفظ التلاميذ للقاعدة النحوية وعجزهم عن استعمالها في تراكيبهم. وقد جسدت النوع الأول من خلال تدريبات التحويل من البنية البسيطة إلى البنية المركبة، في حين جسدت النوع الثاني من خلال تدريبات الأسئلة والأجوبة.

- اعتماد الباحثة على التدريبات لتمكين التلاميذ من استتباط القواعد النحوية بأنفسهم، بدل تقديمها وتلقينها لهم مباشرة من قبل المعلم، وهذا يتوافق والتوجهات التدريسية الحديثة؛ التي تُصر على جعل المتعلم محور العملية التعليمية التعليمية من جهة. ومن جهة أخرى يُمكن المتعلم من تحصيل ملكة لغوية لا مجرد حفظ للقواعد.

- اعتمدت الباحثة على مفهوم اللفظة وأعدت تمارين خاصة بهذا المستوى اللفظة (الاسمية والفعلية) ولكن الحقيقة أن هذا المستوى يُشكّل عائقا حقيقيا أمام تطبيق النظرية الخليلية الحديثة في مجال التعليمية، إذ إنّ مفهوم اللفظة من المفاهيم التي يستعصي فهمها على المتعلمين في كل مراحل التعليم، ناهيك عن تلميذ السنة السادسة من التعليم الأساسي. فهو يفهم الحرف والكلمة والجملة، ولكن من الصعوبة بمكان أن يفهم مفهوم اللفظة.

3.1. الأخطاء الشائعة في النحو لدى تلاميذ السنة الثالثة ثانوي: دراسة وصفية

تحليلية في ظل مبادئ النظرية الخليلية الحديثة: وهو بحث مقدم لنيل درجة الماجستير في علوم اللسان والتبليغ اللغوي، تخصص اللسانيات التعليمية بالمدرسة العليا للأساتذة في الآداب والعلوم الإنسانية، سنة 2007، من طرف الباحثة: عاشور جميلة، إشراف: (صالح بلعيد). وفيه استندت الباحثة إلى دراسة ميدانية قامت بها عبر عدد من المؤسسات الدراسية بالجزائر العاصمة، رصدت من خلالها جملة من الأخطاء النحوية التي يرتكبها التلاميذ، وقد تركز اهتمامها على الأخطاء النحوية باعتبارها من أهم المشكلات التي يعانها المتعلمون في مراحل التعليم المختلفة، وقد اختارت عينة

من تلاميذ السنة الثالثة من التعليم الثانوي باعتبارها آخر نقطة في رحلة تعلم التلاميذ وتلقيهم للقواعد النحوية في التعليم العام قبل انتقالهم إلى التعليم العالي. وقد وقفت على جملة من أسباب ضعف مستوى التلاميذ في اللغة العربية عموماً وقصورهم على تطبيق قواعدها النحوية التي تلقوها عبر مراحلهم العمرية والتعليمية المختلفة خصوصاً. ومن خلال عمليات الإحصاء الوصف والتحليل والتصنيف اقترحت حلولاً وعلاجات بالاعتماد على استثمار مبادئ ومفاهيم النظرية الخيلية الحديثة.¹

1. المنهجية التي اعتمدها: بحثها هو واحد من الأعمال الميدانية سعت من خلاله إلى الاطلاع على كيفية سير الدروس، والكشف عن مستوى المحصول النحوي للتلاميذ في مستوى معين، وتشخيص الصعوبات التي يلاقونها أثناء تعلمهم. وقد اعتمدت فيه على:

- ملاحظة العملية التعليمية التعلمية داخل الأقسام لدى عينة من تلاميذ الثالثة ثانوي شعبة الآداب والعلوم الإنسانية للسنة الدراسية 2006/2005، بلغ عددهم 141 تلميذاً وتلميذة؛ ينتمون إلى أربع ثانويات من الجزائر العاصمة. وقد تركزت ملاحظاتها على محورين هما: المحتوى اللغوي الذي يقدم للتلميذ والطريقة أو الطرائق التي تستخدم لتبليغ هذا المحتوى، وهما السؤالان الجوهريان في الأبحاث التي تقوم حول صعوبات تعليم اللغات (ماذا يُعَلَّم التلميذ؟ وكيف يُعَلَّم؟)²

- تحليل مدونة مكتوبة تشمل التمارين والنصوص الإنشائية (التعابير) تحصلت عليها من اختبارات الفصل الثالث للتلاميذ. وهي المدونة التي جمعتها لاستغلالها في إحصاء الأخطاء النحوية لدى التلاميذ، والكشف عن مدى قدرتهم على توظيف ما درسوه من موضوعات نحوية. وقد قامت بتحليلها بالاعتماد على مستويات التحليل التي تعتمدها النظرية الخيلية الحديثة. بعد أن قامت بجمع الأخطاء وإحصائها

1 - جميلة عاشور: الأخطاء الشائعة في النحو لدى تلاميذ السنة الثالثة ثانوي: دراسة وصفية تحليلية في ظل مبادئ النظرية الخيلية الحديثة، بحث مقدم لنيل درجة الماجستير في علوم اللسان والتبليغ اللغوي، تخصص اللسانيات التعليمية، إشراف: صالح بلعيد، المدرسة العليا للأساتذة في الآداب والعلوم الإنسانية، سنة 2007، ص 10، 11

2 - جميلة عاشور: المرجع السابق، ص 107 - 108

وتصنيفها واستخراج النسب المئوية لكل خطأ وترتيب تواترها وتعليلها، وقد شمل تحليلها للمدونة لمستويات اللغة المختلفة (الكلمة، اللفظة، التركيب).¹

2. النقائص التي رصدتها :

- المرجع الأساس لكثير من الأخطاء التي يقع فيها التلاميذ هو طريقة التدريس التي تعتمد على نحو العرب المتأخرين الذين يعتمدون على المعنى في تحديداتهم، ويقدمون النحو على أنه قوانين ومصطلحات تحفظ وتستظهر بعيدا عن الاستعمال والممارسة، ويحصرّون الإعراب في اختلاف الحركات، ويركزون على التحديدات الفلسفية للظواهر اللغوية، ويعتمدون على النظرة التصنيفية للوحدات اللغوية حسب أجناسها النحوية؛ فصار تدريس النحو تبعا لهم يقوم على تدريس كل عنصر منعزلا عن العناصر الأخرى وإهمال مبدأ الأصل والفرع الذي يقوم عليه النحو العربي الأصيل. ويهملون الجوانب البنوية والصورية الإجرائية للغة. مما جعل القواعد المقدمة في الدروس النحوية غامضة بالنسبة للتلاميذ، مما جعلهم عاجزين عن التعرف على مواضع العناصر اللغوية داخل المثل الإجرائية؛ وعاجزين عن اكتشاف العلاقة بين مختلف العناصر اللغوية في بنيتها التركيبية، وعاجزين عن التصرف في البنى اللغوية أو إحداث التغييرات اللازمة عليها، وعاجزين عن توظيفها في كتاباتهم ومشافهاتهم.²

- قلة وسوء نوعية التدريبات النحوية التي تمكن التلاميذ من اكتساب الأنماط والمثل؛ التي تساعدهم على معرفة المواضع الوظيفية المختلفة لكل عنصر لغوي داخل البنية التركيبية، وافتقاد التمارين إلى المقاييس العلمية بحيث يتناول التمرين الواحد أكثر من صعوبة، وينعدم فيه التدرج من السهل إلى الصعب ومن البسيط إلى المركب... زيادة على التركيز على التمارين الكتابية وإهمال التمارين الشفاهية، وعدم ملاءمة التمارين لمستوى التلاميذ وواقعهم اليومي، وعدم تنوع التمارين وانحصارها في النوع التحليلي التركيبي كالإعراب والاستخراج والتعيين والتركيب...، الذي لا يسمح

1 - نفسه، ص 112 - 113

2 - جميلة عاشور: المرجع السابق، ص 116 - 117

للتلاميذ بالتدرب على البنية مما أدى إلى عدم استفادة التلاميذ منها وتكرارهم لنفس الأخطاء. علاوة على عدم التزام الأساتذة بتصحيح التطبيقات التي يكلف بها التلاميذ.¹

3. الحلول التي اقترحتها:

1.3. ضرورة الابتعاد عن طريقة التدريس المعتمدة حالياً في المدارس؛ والتي تعتمد على نظرية النحاة العرب المتأخرين، وضرورة مراجعة كل المفاهيم والتحديدات التي جاءت في كتب المتأخرين في ضوء المدرسة الخليلية؛ التي هي أقرب إلى ما تتطلبه العلوم اللسانية الحديثة. واقترحت بدل ذلك أن يعتمد واضعوا البرنامج في بناء العملية التعليمية التعليمية على النحو الأصيل للنحاة العرب الأولين؛ من أمثال الخليل وسيبويه والذي لا يُقدّم القواعد النحوية كقوانين محررة تُلقّن وتحفظ، بل نحو صوري إجرائي يقدم القواعد النحوية كأنماط ومثل إجرائية؛ تسمح لهم بالتصرف في بنى اللغة بكيفية سليمة. وهي مثل يمكن تمثيلها برسوم بيانية كالتركيب المشجر والجداول والرموز الرياضية لأنها تساعد التلاميذ على الاستيعاب والتذكر. ويحدد العناصر اللغوية بحسب موضعها داخل الحد الإجرائي، وبحسب علاقتها البنوية مع بقية العناصر التركيبية داخل الخطاب. وهو ما يُمكن التلاميذ من اكتساب القواعد النحوية وتوظيفها في مختلف أحوال الخطاب، وإدراك جمال اللغة، والوقوف على الإحياءات البلاغية. ذلك أن النحو الخليلي معناه انتحاء أساليب كلام العرب؛ حتى يلتحق من ليس من أهلها بأهلها، فهو غير مقتصر على الإعراب فقط، وإنما يشمل جميع مكونات الجملة العربية الصوتية منها والصرفية والتركيبية والدلالية. وهو نحو يقوم على نظرية بنوية تفرعية، يساهم استثمارها في عمليات التعليم والتعلم للدروس النحوية في استيعاب التلاميذ لها.² فلو اكتسب التلاميذ مثلاً دروس الاسم والفعل والحرف بكيفية صورية؛ تعتمد على تحديد كل عنصر بما يدخل عليه يمينا وشمالاً في الحد الإجرائي، لما وجدوا صعوبة في التفريق بين الاسم والحرف.³ ولو روعي في تدريس باب لا النافية للجنس وباب لا العاملة عمل ليس مبدأ الأصل والفرع الخليلي، والربط والمقابلة بين

1 - نفسه ص 119 - 120

2 - جميلة عاشور: المرجع السابق، ص 138

3 - نفسه، ص 137

البنى التي يقوم عليها النحو العربي الأصيل لما استعصى على التلاميذ التفريق بينهما، ولاستوعبا أحكامهما وضوابطهما الإعرابية بسهولة تامة.¹

ولكننا نرى أنّ دعوتها إلى اعتماد نظرية النحاة الأوائل فيه خلط بين النحو العلمي والنحو التعليمي؛ الذي دعا الحاج صالح نفسه إلى ضرورة التمييز بينهما، ومعلوم أن النحو الخليلي هو نحو علمي يفوق مستوى تلاميذ المدارس، ويوافق مستوى التعليم العالي ومراحل التخصص العلمي. وعليه فإنّ النحو الذي يناسب المدارس هو نحو العرب المتأخرين لأنّه نحو تعليمي، وقد سبق أن فصلنا القول في الفرق بين النحو العلمي والنحو التعليمي في مراحل سابقة من البحث.

2.3. ضرورة الحرص على معالجة الصعوبات التي يعاني منها التلاميذ، والوقوف على أخطائهم بالشرح والمناقشة والتصحيح حتى لا تترسّخ الأخطاء في أذهانهم ويتجنّبون الوقوع فيها لاحقاً، وإعطاء أهمية للمرحلة الترسّخية التي تُمكن التلميذ من استيعاب القواعد والتصرف فيها بعفوية، وذلك بتكثيف التدريبات التي تساهم في ترسيخ القواعد النحوية في أذهانهم؛ وخاصة التمارين الاستبدالية والتحويلية التي تُمكن التلاميذ من التصرف السليم في مختلف بنى اللغة؛ بتفريع الفروع من الأصول حسب ما يقتضيه الوضع اللغوي وإجراء التغييرات اللازمة التي يتطلبها دخول العوامل حسب ما تستلزمه عملية التخاطب. وعدم الاقتصار على التمارين التحليلية والتركيبية لأنه نوع من التمارين يفيد في تقييم مدى استيعاب التلاميذ للدرس فيتعين أن يأتي في مرحلة أخيرة بعد تمارين الاستبدال والتحويل.² كما اقترحت ضرورة التركيز على تدريب المتعلمين على استعمال القواعد النحوية في إطار الكلام الطبيعي من خلال تدريبهم على التعبير بنوعيه الشفاهي والكتابي، لتدريبهم على استعمالها في حالات الاتصال وتبليغ الأغراض، باعتبار أن اكتساب اللغة هو قبل كل شيء اكتساب لمهارة التبليغ،

1 - نفسه، ص 151

2 - جميلة عاشور: المرجع السابق، ص 120، 121، 125

وإذا تحقق هذا للمتعلم تقلصت عنده الفجوة الواسعة الموجودة بين المعرفة النظرية للقواعد النحوية وبين كيفية استخدامها في الواقع اللغوي الحي.¹

4. أنواع الأخطاء التي رصدتها: نلخص جملة الأخطاء التي وقفت عليها من خلال

سلوك المتعلمين كما صنفناها حسب مستويات الكلام في الجدول الآتي:

مستويات الكلام	أنواع الأخطاء
مستوى الكلم. ²	<p>1. كتابة همزة القطع عوض الوصل</p> <p>2. كتابة همزة الوصل عوض القطع</p> <p>3. كيفية كتابة الهمزة</p> <p>4. حذف المد</p> <p>5. زيادة المد</p> <p>6. الخلط بين الأصوات</p> <p>7. الخطأ في مستوى الصيغ والأوزان (صيغ الأفعال والمشتقات والجمع)</p>
مستوى اللفظة الاسمية والفعلية. ³	<p>1. التأنيث والتذكير والعدد (أسماء الإشارة) اللفظة الاسمية.</p> <p>2. التأنيث والتذكير والعدد (الأسماء الموصولة) اللفظة الاسمية</p> <p>3. عدم التوافق في التذكير والتأنيث (اللفظة الفعلية)</p> <p>4. عدم التوافق في علامة العدد (اللفظة الفعلية)</p> <p>5. التقديم والتأخير + الفصل</p> <p>6. الحال</p> <p>7. الجار والمجرور</p> <p>8. الصفة والموصوف</p>

1- نفسه، ص 133

2 - نفسه، ص 153 - 164

3 - جميلة عاشور، المرجع السابق، ص 164، 196

<p>9. الإضافة</p> <p>10. التعريف والتكثير (حذف ال - زيادة ال)</p>	
<p>1. الاختيارات الخاطئة (كلمات)</p> <p>2. الثغرات (كلمات، حروف)</p> <p>3. الزيادات والإضافات (حروف، كلمات)</p> <p>4. أخطاء في استعمال حروف المعاني</p> <p>5. الإعراب (المفعول به، الأفعال (عدم حذف حرف العلة، عدم حذف النون عند نصب، حذف حرف العلة في المضارع)، م1، م2 في اللفظة الاسمية)</p> <p>6. عدم الالتزام بأزمنة الأفعال</p> <p>7. العطف بين أجزاء التركيب والتراكيب (عدم كتابة الروابط)</p>	<p>بنية التركيب.¹</p>
<p>1. استعمال العامية.</p> <p>2. الجمل المستقيمة القبيحة.</p> <p>3. الجمل المستقيمة الكاذبة.</p> <p>4. الجمل القبيحة.</p> <p>5. الجمل المحالة الكاذبة.</p> <p>6. الجمل الناقصة.</p>	<p>المستوى النحوي الدالي.²</p>

ونلاحظ من خلال الجدول السابق أن الباحثة وقعت في الخلط بين مستويات تحليل الكلام، وصنفت بعض مباحث النحو في المستوى غير المناسب لها، ومن ذلك:

1 - نفسه، ص 196، 221

2 - جميلة عاشور، المرجع السابق، ص 222 - 225

- تصنيفها أخطاء حذف المدّ وزيادته والخلط بين الأصوات في مستوى الكلم، والصواب أنها تصنّف في المستوى الصّوتي، لأنّ هذا النوع من الأخطاء متعلق بالأصوات وليس الحروف التي لها معنى، ولاشك أن الباحثة هنا لم تميز بين حروف المعاني التي هي القسم الثالث من الكلم (اسم، فعل، حرف جاء لمعنى) وبين حروف المباني (الهجاء) وهي أصوات جامدة خالية من كل دلالة في ذاتها.

- تصنيفها التقديم والتأخير، والحال، والجار والمجرور في مستوى اللفظة، والصواب أنها مباحث خاصة بمستوى التركيب، خاصة وأننا لاحظنا خلال معالجتها لهذه الأخطاء اعتمادها على المعادلة الخاصة بالعوامل والمعمولات والمخصّصات: (ع+م1+م2_مخ) وتقديم عنصر منها على الآخر في الموضع الذي لا يوافق سنن العربية.

- تصنيفها الأخطاء في استعمال حروف المعاني في المستوى التركيبي، والصواب أن يصنّف في المستوى الدلالي. لأنها عندما تعالج استعمال عن بدل على مثلا، فإنها لا تعالجها تركيبيا؛ رتبة الكلمة وموضعها ووظيفتها النحوية وإنما تعالج دلالتها وسلامة التركيب من حيث المعنى.

5. النماذج التطبيقية التي صاغتها لتدريس النحو العربي وفق مبادئ النظرية الخيلية الحديثة:

1.5. مثال المستوى الصّوتي: مع أنها جعلته في مستوى الكلم، ومعلوم أن الكلم في اللغة العربية (اسم وفعل وحرف جاء لمعنى)، بمعنى أن الحروف التي تعتبر كلما هي حروف المعاني، أما حروف المباني التي تحدّثت عنها فإنها تمثّل المستوى الأدنى من مستوى الكلم وهو المستوى الصوتي. إلا أنّ اهتمامها بهذا المستوى له قيمة كبيرة إذ يُلاحظ غياب الاهتمام به لدى تلاميذ هذه السنة، والسنوات السابقة لها. ومن أمثلته:

1.1.5. الخلط بين الأصوات: مثل: كتابة الضاد عوض الظاء (ألفاضها/ ألفاظها)، كتابة الظاء عوض الضاد (ليظفي/ ليضفي)، كتابة الضاد عوض الذال (إنقاض/ إنقاذ)، كتابة الدال عوض الذال (خذلت/ خذلت)... ونلاحظ هنا أنّ هذا الجزء غير مرتبط بمبادئ النظرية الخيلية الحديثة، حيث إن عجز التلاميذ على التفريق بين

الأصوات اللغوية يرجع لعدم إدراكهم المخارج والصفات المميزة لكل صوت كما حددها النحاة العرب. ولعلاجها نُعمل مبادئ النظرية الخليلية القديمة لا غير. إلا أننا نسجّل اعتمادها على توجهات الحاج صالح في ميدان التعليمات حيث ذهبت إلى أن سبب هذا النوع من الأخطاء لدى التلاميذ هو سماعهم الأصوات اللغوية في صورتها المُحرّفة من محيطهم منذ الطفولة؛ مما يُكوّن عندهم عادات لغوية خاطئة قبل دخول المدرسة، وتستمر هذه العادات في الترسخ في مراحل التعليم المختلفة بسبب استمرار تأثير المحيط الاجتماعي وبسبب العملية التعليمية التعلمية أيضاً؛ حيث يهمل أغلب الأساتذة النطق السليم للأصوات كما يهتمون بتصويب أخطاء التلاميذ، خاصة مع خلو البرنامج من الدروس والتدريبات الصوتية.¹

وحتى هذه التوجهات التي نسبتها إلى الحاج صالح لنا فيها ما يُقال إذ إنها عموميات في حقل تعليمات اللغات وليست ممّا انفرد به الحاج صالح.

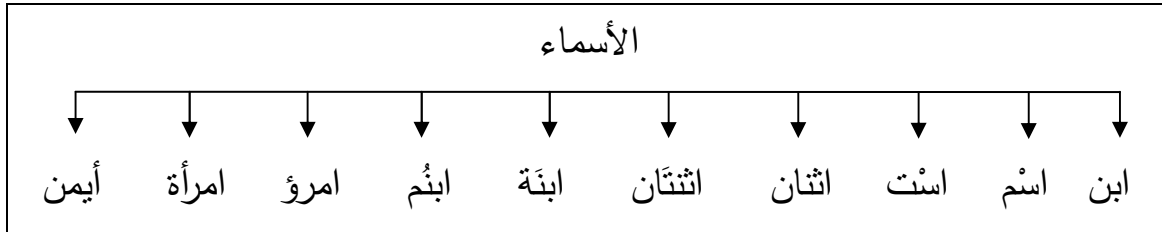
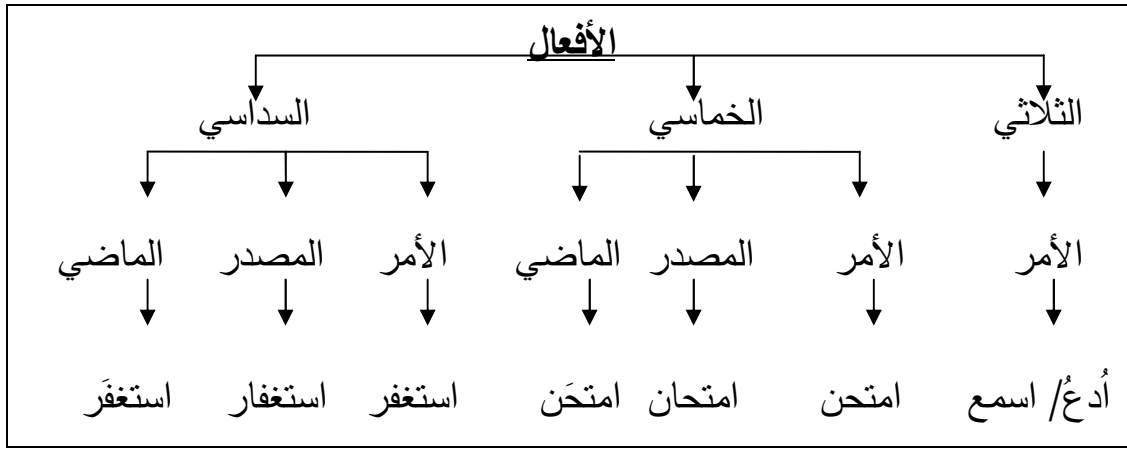
2.5. مستوى الكلم: درس كتابة همزة الوصل والقطع: من أهم الملاحظات التي يعنّ لنا أن نشير إليها، والتي تدل على قيمة النظرية الخليلية الحديثة في ميدان التعليمات هو اعتماد الباحثة بشكل كبير على طريقة المخططات في تقديم دروس قواعد اللغة العربية بالاعتماد على مبادئ النظرية الخليلية الحديثة، وهي الطريقة التي لا تخفى إيجابياتها في مجال التعليم، إذ إنّ الرسوم والمخططات وسيلة تعليمية بسيطة لكنها مؤثرة تجذب اهتمام التلاميذ، ومفيدة تساعد على الفهم وحسن الاستيعاب كما تساعد على ترسيخ المعلومة وتثبيتها مدة أطول في الذاكرة، ويؤكد حسن عبد الباري بأنّ الرسوم البيانية قد استخدمت في تدريس اللغة العربية في المراحل الأولى من التعليم خاصة، لتساعد التلاميذ على فهم الكلمات، لما في ذلك من دلالات حسية تناسب طبيعة التعلم في هذه المرحلة.² فتدريس القواعد باستعمال المخططات كما قدمته الباحثة بالاعتماد على مبادئ النظرية الخليلية الحديثة يجلب السرور للتلاميذ ويجدد نشاطهم ونشاط معلمهم ويبعد عنهم الملل ويعطي درس قواعد اللغة حياة ومشاركة

1 - جميلة عاشور: المرجع السابق، ص 160 - 162

2- حسن عبد الباري عصر: الاتجاهات الحديثة لتدريس اللغة العربية، المكتب العربي الحديث، الاسكندرية، مصر، 1992، ص 88.

وإعمال الفكر والقدرة على الاستنتاج، ثم القدرة على الاحتفاظ بالقواعد في أذهان التلاميذ. وهذا ما يدلّ على فائدة استثمار جهود الحاج صالح التّظهيرية لإصلاح عملية تعليم وتعلّم اللغة العربية في المدرسة الجزائرية. ولنأخذ مثالا على ذلك درس كتابة همزة الوصل والقطع في الأفعال والأفعال بطريق المخططات على النحو الآتي:¹

همزة الوصل:



ومن خلال النموذجين المقترحين من قبل الباحثة لتقديم درس كتابة همزة الوصل والقطع في الأفعال والأفعال نلاحظ أنه ليس هناك أي جديد يمكن اعتباره أصيلا للنظرية الخليلية الحديثة، فهي نفس الطريقة التي يُعرض بها هذا الدرس في الكتب المدرسية. وهي الطريقة المتداولة من قبل الأساتذة؛ وذلك لأنها لم تزد على عرض القاعدة النحوية في هذا الباب على النحو الذي ألفناه إلا ذلك المخطّط.

¹ - جميلة عاشور، المرجع السابق، ص 156 - 157

باستخراج الاسم المفرد (الأصل) الذي وردت فيه الظاهرة النحوية التي يهدف إلى تعليمها من نص القراءة المأخوذ من كتاب السنة الثالثة الثانوي تحت عنوان (أم) مثالا وردت فيه الظاهرة النحوية التي يهدف إلى تعليمها لهم، على الشكل الآتي:

- الأستاذ: لماذا كان الطفل يضرب الهواء بيديه ورجليه؟

- التلميذ: لأنه يريد أن يثبت لهذه العجوز أنه مخلوق عظيم.

ج - مراعاة التكتيف والتتويج في التمارين التحويلية (تحويل من الأصل إلى الفرع والعكس) حتى يتمكن التلاميذ من استنباط الحد الإجرائي بطريقة ضمنية. وقد اقترحت من النماذج القيمة مثل:

• **التمرين الأول:** تمرين تحويلي من الأصل المفرد (المذكر) إلى الفرع المفرد

(المؤنث) والعكس كما يأتي:

- | | |
|-------------------------------|------------|
| - ذا منسق التظاهرات الثقافية؟ | - ذي |
| - ذا منشط الحصص الثقافية؟ | - ذه |
| - ذا منفذ الألعاب البهلوانية؟ | - تي |
| - ذا مخرج المسرحية؟ | - ته |

التمرين الثاني والثالث والرابع: تمارين تحويلية من المثنى المذكر (ذان) إلى المثنى المؤنث (تان) من المثنى المؤنث إلى المثنى المذكر، ومن الجمع المذكر (أولاء) إلى جمع المؤنث (أولاء) بنفس طريقة التمرينين السابقين.¹

ونلاحظ أن هذه التمارين قائمة على مبادئ النظرية الخليلية الحديثة من أصل وفرع وتحويل واستبدال. كما أنها لم تهمل التمارين التبليغية، حيث اقترحت أن يطلب الأستاذ من التلاميذ كتابة قصة صغيرة أو خلق حوار بين المتعلمين.²

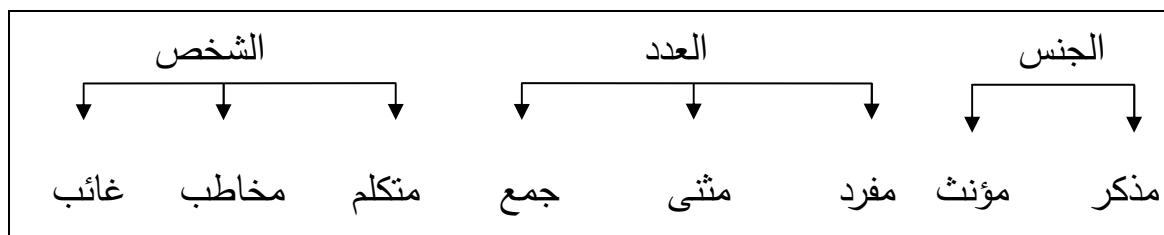
2.3.5. اللفظة الفعلية: التوافق في التذكير والتأنيث:

أ- أنموذج الدرس: اقترحت أن يتم تناول تصريف الأفعال من حيث

الجنس والعدد والشخص وفق المخطط الآتي:¹

1 - جميلة عاشور: المرجع السابق، ص 167، 168، 169

2 - نفسه، ص 170



ليحصل المتعلم على تصريفات الفعل الماضي والمضارع والأمر، وقد صاغت تلك التصريفات في جداول خاصة بكل فعل، ونكتفي بالتمثيل بالفعل الماضي الذي صاغته على النحو الآتي:²

1- الفعل الماضي:

العدد						الشخص الجنس
علامته	الجمع	علامته	المثنى	علامته	المفرد	
و	ظهر	ا	ظهَرَ	∅	ظهَرَ	الغائب
ن	ظهَرُ	تا	ظهَرَ	∅	ظهَرت	الغائبة
ثم	ظهَرُ	ثما	ظهَرَ	تَ	ظهَرُ	المخاطب
تنَّ	ظهَرُ	ثما	ظهَرَ	تِ	ظهَرُ	المخاطبة
نا	ظهَرُ	X		تُ	ظهَرُ	المتكلم

وبنفس الطريقة صاغت تصريفات الفعل المضارع والأمر وخلصت من

خلال ذلك إلى أن:³

فعل الأمر	الفعل المضارع	الفعل الماضي
له ستة أمثلة فقط،	له أربعة عشر مثالا، ولكل مثال علاماته الخاصة؛ ثلاث للغائب،	له أربعة عشر مثالا ولكل مثال علامات خاصة (زيادات تلحق

1- نفسه، ص 174

2 - جميلة عاشور: المرجع السابق، ص 175، 174

3 - نفسه، ص 175

ثلاثة للمخاطب وثلاثة للمخاطبة، فتصريفه بسيط	ثلاث للمخاطب، ثلاث للمخاطبة، وعلاماته مزدوجة منها ما تظهر في أول صيغة الفعل وهي حروف المضارعة (أنيت) ومنها ما تظهر في آخره هي العلامة العدمية (Ø) والعلامات الخاصة بالعدد .	صيغة الفعل) عند تصريفه مع الضمائر، وهي كما يلي: ثلاث للغائب، ثلاث للغائبة، ثلاث للمخاطب، ثلاث للمخاطبة، والعلامة العدمية (Ø) للغائب المفرد المذكر.
--	--	---

ونلاحظ أنّ الطريقة التي اعتمدها بصياغة تصريفات كل فعل في جدول هي طريقة تقليدية تلقينية، ولا تَمْتُ للنظرية الخليلية الحديثة بأيّة صلة، وكان الأجدر أن تعتمد على حدّ الفعل الذي صاغه الحاج صالح -رحمه الله- لأنه حدّ صوري إجرائي يمكن المتعلمين من استيعاب مثال كل فعل بطريقة ضمنية.

ب- نماذج التدريبات: للقضاء على تلك الأخطاء المتعلقة بتصريف

الأفعال اقترحت عددا من التمارين تخص الأفعال من حيث الشخص والجنس والعدد لترسيخ المعلومات الخاصة بالتصريف في أذهان التلاميذ، ومنها:

تمرين 1: حوّل الفعل حسب المثال الآتي:

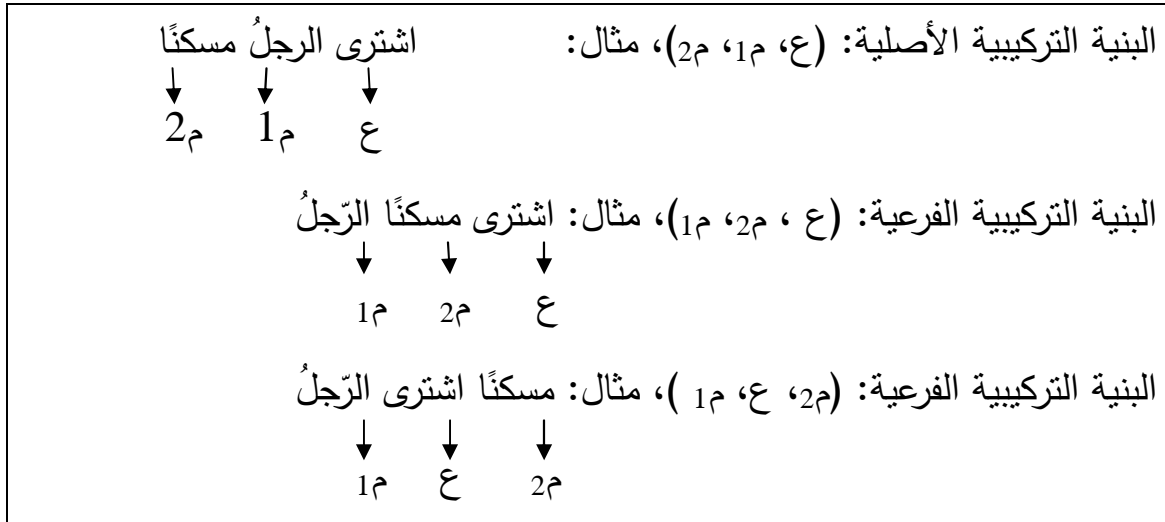
- س: أحبط الشرطي العملية. ← أحببت الشرطية العملية.
س: قرأ المذيع النشرة. ← المذيعه
س: يطوف الحاج بالكعبة. ← الحاجة
س: يحلّل الخبير المعطيات المدونة. ← الخبيرة
س: يحلّل الخبران المعطيات المدونة. ← الخبرتان
س: حلّل الخبراء المعطيات المدونة. ← الخبرات

ويمكن أن يضيف الأستاذ تمارين تحويلية من الفرع إلى الأصل (أي من المثني إلى المفرد أو من الجمع إلى المفرد) حتى يستوعب التلاميذ جميع الحالات

التي تتطلب تذكير الفعل أو تأنيثه، زيادة على هذا يجب أن يبرمج الأستاذ تمارين تبايغية مثل: تلخيص نص، التعبير (الكتابي والشفهي) وهذا حتى يتدرب التلاميذ على استعمال هذه الأفعال في مختلف أحوال الخطاب.¹

4.5. مستوى التركيب:

1.4.5. التقديم والتأخير: من خلال عينة من أخطاء المتعلمين كقول أحدهم: (الكسل والخمول على أبناء هذا القوم يحيط بهم.) لاحظت الباحثة أن المتعلم قد يقدم المعمول الأول على عامله، جهلا منه بالقاعدة القائلة بامتناع تقديم المعمول الأول على عامله مهما كان لأنهما يكونان زوجا مرتبا. وقد أرجعت هذا النوع من الأخطاء إلى جهل التلاميذ بالعلاقات البنوية التي تربط بين عناصر البنية التركيبية؛ بسبب اعتماد العملية التعليمية على نحو المتأخرين وقلّة التمارين.² واقترحت أن يعتمد على النحو العربي الأصيل وأن يُقدّم الأستاذ تمارين حتى يتمكن التلاميذ من التّحكّم في التصرف في مختلف البنى بتقديم وتأخير العناصر وفق ما يقتضيه القياس. كما اقترحت أن يُقدّم في الأخير استنتاج عام يَخُصُّ مختلف مواضع العناصر داخل البنية التركيبية بواسطة الرموز الرياضية على النحو الآتي:³



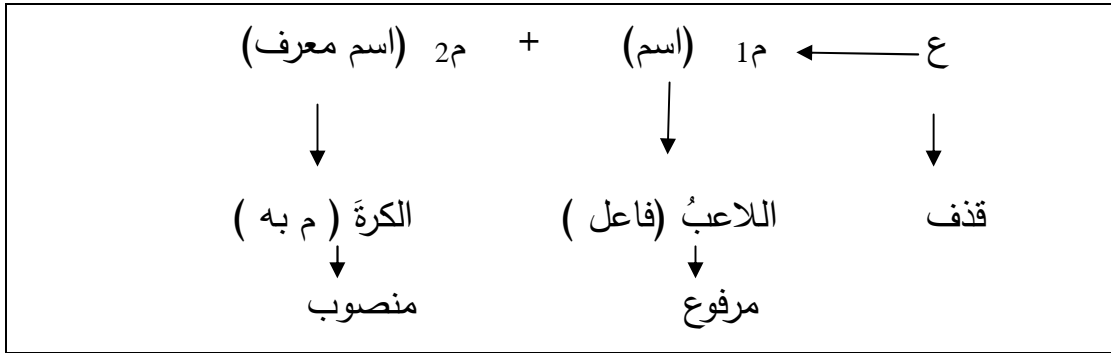
1 - جميلة عاشور: المرجع السابق، ص 175 - 176

2 - نفسه، ص 178

3 - نفسه، ص 180

2.4.5. الإعراب:

1.2.4.5. المفعول به: من خلال ملاحظة الباحثة لعينة من أخطاء المتعلمين؛ مثل: (نجد أفكار عميقة، يتناول موضوع واحد، استعمل ألفاظً فصيحة) اقترحت تقديم الدرس بمراعاة الأصل والفرع، وتدرّيس البنية التركيبية الفعلية وفق التصور البنوي التفريعي؛ بالانطلاق من البنية التركيبية الأصل والمتكونة من العامل (الفعل) والمعمول الأول (الفاعل) والمعمول الثاني على الشكل الآتي¹:



ولكننا نلاحظ أنّ ما اقترحتّه يمكّن التلاميذ من أن يستوعبوا الدرس الخاص بإعراب المفعول به، ويدركوا أن التركيب الفعلي الذي عامله فعل متعدّد يجب أن يتكون من عنصرين هما: المعمول الأول (الفاعل) ويكون مرفوعاً دائماً، والمعمول الثاني (المفعول به) ويكون منصوباً دائماً. إلا أنّ ذلك يبقى نظرياً؛ ذلك أنّ حفظ القاعدة النحوية وفهمها واستظهارها لا يجعل التلاميذ قادرين على التصرّف في البنى اللغوية وإحداث التغييرات اللازمة عليها. فالأمر يتطلّب التغيير في نوعية التمارين والابتعاد عن التمارين (التحليلية التركيبية) التي يعرف عنها أنها تفيد في تقييم مدى استيعاب التلميذ للدرس ولا تسمح له بالتصرف في مختلف البنى بتفريع الفروع من الأصول وإجراء التغييرات اللازمة التي يتطلبها دخول العوامل اللفظية مثل التمارين الاستبدالية والتحويلية. وقد أشارت الباحثة إلى ذلك ولكن هذه الفكرة (أنواع التمارين) ليست أصيلة للحاج صالح؛ بل هي من مفرزات الدرس اللساني الغربي الحديث.

1 - جميلة عاشور: المرجع السابق، ص 207

5.5. مستوى الدلالة: الأخطاء النحوية الدلالية: قامت الباحثة بإحصاء الكثير من الأخطاء ذات الصلة بالجانب اللغوي والدلالي في تراكيبيهم، حيث يكون معنى التركيب غامضا وغير مستحسن في الاستعمال ولا يوافق قياس اللغة العربية، وقد وجدت الباحثة آليات وصف هذه الأنواع من الأخطاء من خلال مبدأ الاستقامة والإحالة للنظرية الخليلية الحديثة، ومن خلاله صنفت تراكيب التلاميذ الخاطئة إلى: جمل مستقيمة محالة، جمل مستقيمة كاذبة، جمل قبيحة، جمل محالة كاذبة.

ومن نماذج هذه الأخطاء:¹

<p>الجمل المستقيمة المحالة</p> <p>- ذكرنا سنوات الاستعمار بما اقترفه من فضائح عديمة الحياء. - استهلها الكاتب بكشفه لحقيقة الناس لدنياه الفانية واكثرائه بالزهو واللهو.</p>
<p>الجمل المستقيمة الكاذبة</p> <p>- فرنسا التي تدعي السيادة باللص السارق. - توحى بنهوض فرنسا للقيامة.</p>
<p>الجمل القبيحة</p> <p>- أن لابد أن ترجع الأرض لأصحابها ولا لضيف أن يحكم ببلد له أناس هم الأحق عليه. - تحية الشاعر لوطنه الذي أعطى قيمة للأدب وكتابة رسالة والشعر في سجن بربروس.</p>
<p>الجمل المحالة الكاذبة</p> <p>- معاتبة العين والقلب لما ساد من عمل. - هي التي تؤلم وتوجع الألم في كبدنا.</p>

وقد علّلت الباحثة ارتكاب التلاميذ هذه الأخطاء وفق توجه النظرية الخليلية الحديثة، حيث أرجعت السبب إلى عدم تمكن التلاميذ من نظام اللغة العربية الفصيحة، بسبب تداخل الفصحى والعامية في المحيط الاجتماعي والمدرسي للتلاميذ من جهة.

1 - جميلة عاشور: المرجع السابق، ص 222 ، 224

وانحصار الفصحى التي تصل إلى مسامع المتعلمين في المستوى الإجلالي المتكلف البعيد عن المستوى الاسترسالي الذي يمتاز بالخفة والاقتصاد ومواءمة الحياة اليومية للمتعلمين.¹

ومن خلال قراءتنا لعمل الباحثة الذي سعت من خلاله إلى تطبيق النظرية الخليلية الحديثة واستثمار مبادئها الرئيسية في صفوف تعليم اللغة العربية بالمدرسة الجزائرية وغيرها، خلّصنا إلى أنه عمل قيمّ وجادّ يثبت قيمة وأهمية النظرية الخليلية الحديثة في هذا الميدان، ونستدل على ذلك من جملة النتائج التي سجلناها من خلال عرضنا وتحليلنا لنماذج الدروس وبناء القواعد والتمرينات والتدريبات التي قدّمها في بحثها. ومن جملة هذه النتائج سجّلنا:

- اعتماد الباحثة على مبادئ النظرية الخليلية الحديثة لتدريس مختلف مستويات اللغة بما فيها المستوى الصوتي؛ الذي يلاحظ غيابه في مناهج تعليم اللغة العربية في المدرسة الجزائرية، وهو الغياب الذي ينجم عنه عجز التلاميذ عن التفريق بين الأصوات اللغوية لعدم إدراكهم المخارج والصفات المميزة لكل صوت كما حددها النحاة العرب. إلا أننا لاحظنا أن مانسبته الباحثة للنظرية الخليلية الحديثة إنّما هو في حقيقته ينسب للنظرية الخليلية القديمة، وقد ناقشناه في موضعه. وقد اعتمدت الباحثة على توجيهات الحاج صالح في ميدان تعليميات اللغة لتعليل وعلاج تلك الأخطاء؛ حيث ذهبت إلى أنّ هذا النوع من الأخطاء هو عبارة عن عادات لغوية خاطئة تتكون لدى المتعلمين قبل دخول المدرسة، بسبب النطق غير السليم المتكرّر بمحيطهم منذ الطفولة ويزداد ترسخها بسبب استعمالها في المحيط المدرسي من قبل المعلمين؛ الذين يهملون النطق السليم للأصوات كما يهملون تصويبها في استعمال المتعلمين.

- مراعاة الباحثة طريقة النحو العربي الأصيل من جهة وذلك باعتمادها على مبدأ الأصل والفرع، سواء في ترتيب الدروس وإعدادها أو في إعداد التمارين التي تنوعت عندها بين التمارين التحويلية والاستبدالية والتبليغية واعتمادها على المقاربة النصية التي تؤكد عليها أهم النظريات اللسانية الحديثة في تعليم اللغات من جهة أخرى. حيث

1 - جميلة عاشور: المرجع السابق، ص 225

عملت الباحثة على استثمار مادة النصوص الأدبية لدراسة القواعد النحوية من خلال اختيار الأمثلة والتدريبات اللغوية، وأكدت على ضرورة أن تكون هذه النصوص الأدبية التي تُقدّم للمتعلم متصلة بحياته اليومية وملائمة لمستواه وترضي ميولاته واهتماماته. وقد لاحظنا هنا أنّ المبادئ الرئيسة التي اعتمدت عليها لم تكن النظرية الخليلية الحديثة مرجعا لها بقدر ما كان إطارها المرجعي من صميم الدرس اللساني الغربي الحديث.

- اعتماد الباحثة بشكل كبير على طريقة المخططات والرموز الرياضية في تقديم دروس قواعد اللغة العربية بالاعتماد على مبادئ النظرية الخليلية الحديثة، وهي الطريقة التي لا تخفى إيجابياتها في مجال التعليم، وهذا ما يدل على فائدة استثمار جهود الحاج صالح التّظهيرية -التي لا ننكرها- لإصلاح عملية تعليم وتعلّم اللغة العربية في المدرسة الجزائرية.

خلاصة:

من خلال تطبيق النظرية الخليلية الحديثة في النماذج التي قمنا بدراستها

نستنتج:

- من الناحية النظرية: لقد اهتم الحاج صالح في تظهيره لحقل تعليمات اللغة العربية بالمعلم والمتعلم والمحتويات والمناهج (الاستعمال الفعلي للغة في جميع الأحوال الخطابية التي تستلزمها الحياة اليومية) والطرائق والتخطيط (الترتيب من الأصل للفرع).

- من الناحية التطبيقية: النماذج التي رأيناها تثبت نجاعة النظرية الخليلية الحديثة في ميدان تعليمات اللغة العربية إلى حدّ ما، وقابلية استثمار بعض مبادئها في هذا الميدان ممكنة ولكنها تحتاج إلى جهود أكبر، لأنّ النماذج التي درسناها رأينا أنّها يعثرها الكثير من النقائص.

2. تطبيق النظرية الخيلية الحديثة في ميدان المعالجة الآلية للغة:

تمهيد: يشهد العالم اليوم تطورا تكنولوجيا مدهلا، يسرّ للإنسان سبل المعرفة وسبل الوصول إليها، ويرجع ذلك إلى الحاسوب الذي ثملاً ذاكرته الصناعية بالمعارف المختلفة ليقوم بمعالجتها بذكائه الاصطناعي. ولقد أُدخلت اللغات والدراسات اللسانية إلى الحاسوب ومن خلاله أُدخل إلى مجال المعلوماتية، واعتنى الباحثون بمعالجة اللغة الطبيعية معالجة آلية. لينبثق عن ذلك علم بيني حديث يسمى: Linguistique Computationnelle علم اللغة الآلي¹ أو اللسانيات الحاسوبية² أو اللسانيات الرتّابية³، كما يسميها الحاج صالح؛ فقد وقفنا على أنه استخدم مصطلح اللسانيات الرتّابية نسبة إلى الرتّاب، ثم عاد واستعمل مصطلح الحاسوبية كما يستعمله المشاركة نسبة إلى الحاسوب، ونحن نُعلل ذلك بأنّ المشاركة متأثرين باللغة الانجليزية فأخذوا المصطلح عن المقابل الانجليزي computer. أما الحاج صالح له صلة أكبر باللغة الفرنسية فأخذ المصطلح رتّاب عن المقابل الفرنسي ordinator الذي فعله رتّب ordonner، إلا أنه عاد إلى الأول لشيوعه وانتشاره.

وهذه الأخيرة هي فرع معرفي وحقل من حقول الدراسة التكنولوجية للغة تستند إلى استغلال اللغويين واللسانيين للوسائل التكنولوجية الحديثة؛ ممثلة في الحواسيب لدراسة الظواهر اللغوية ووصفها وتوصيفها، ففيها يكون الحاسوب باعتباره أحدث مفرزات التطور التكنولوجي الحاصل في العصر الحديث المرتكز الأساس. وبه تكون اللسانيات الحاسوبية من أحدث اهتمامات وتوجهات الدرس اللساني المعاصر وأهم فروعها، وقد باتت ضرورة ملحة يفرضها تعاظم دور الآلة وأهمية استعمال الحواسيب التي لم يعد بالإمكان الاستغناء عنها في أي مجال من مجالات الحياة. فاللسانيات الحاسوبية تهدف إلى وضع "برامج حاسوبية لسانية تمكن من خلق الحوار

1 - محمد علي الخولي: معجم علم اللغة التطبيقي، (إنكليزي . عربي)، مكتبة لبنان، ط1، 1986، ص. 21.

2 - سمير شريف استيتية: اللسانيات المجال والوظيفة والمنهج، عالم الكتب الحديث، ط1، 2005، ص. 527.

و: عبد الرحمن الحاج صالح: بحوث ودراسات في اللسانيات العربية، المرجع السابق، ج1، ص. 231

3 - عبد الرحمن الحاج صالح: بحوث ودراسات في اللسانيات العربية، المرجع السابق، ج1، المرجع السابق،

بين الإنسان والحاسوب باللغة الطبيعية وذلك بنمذجة Simulation الدماغ البشري.¹ ويُحدّد الدّارسون هذا العلم على أنه "فرع بيني ينتسب بعضه إلى اللسانيات وموضوعها اللغة، ونصفه الآخر حاسوبي وموضوعه ترجمة اللغة إلى رموز رياضية يفهمها الحاسوب، أو تهيئه اللغة الطبيعية لتكون لغة تخاطب وتجاوز مع الحاسوب بما يفضي إلى أن يؤدي الحاسوب كثيرا من الأنشطة اللغوية التي يؤديها الإنسان مع إقامة الفرق في الوقت والكلفة."² أي أنها نمذجة اللغة وهندستها وصياغة معطياتها على شكل رموز وبيانات ومعادلات رياضية يقبلها الحاسوب، ولاشك أن ذلك أمرا ممكنا لما للغة الإنسانيّة من خصائص وسمات وظواهر رياضية غير محدودة، وذلك لأن اللغة والرياضيات يشتركان في الطابع العقلي الرمزي التجريدي الذهني، وباستغلال هذا الجانب الرياضي في اللغة تصاغ هذه الأخيرة في شكل رموز ومصفوفات يتلقاها الحاسوب ليصبح بمثابة دماغ الإنسان، وينتظر منه أن يقوم بالعمليات التي يقوم بها الإنسان من إنتاج للغة واستقبال وحتى إدراكها ومعالجتها آليا على نحو مماثل معالجة التي يقوم بها العقل البشري. فهي: "دراسة اللغة باستعمال التقنيات والمفاهيم الخاصة بالحاسوبيات، وبخاصة من خلال الإحالة على المشكلات المطروحة في حقل الترجمة الآلية، واسترجاع المعلومات، والذكاء الاصطناعي."³ وهذه الأخيرة هي أهم فروع وميادين اللسانيات الحاسوبية وأهم المجالات التي يشتغل عليها اللساني باستعمال الحاسوب، وغيرها كثير؛ إذ إن "ميادين التطبيق لهذه المعالجة كثيرة ومشهورة، كالتوثيق الآلي والترجمة الآلية وتعليم اللغة بالرتاب، والتركيب الآلي للكلام، والتعرف الآلي على الكلام... الخ."⁴ وعليه فإن اللسانيات الحاسوبية (Linguistique Computationnelle) هي واحدة من أهم فروع اللسانيات التطبيقية، وهي تقوم على

1 - محمد الحناش: مقدمة العدد الخاص بندوق استخدام اللغة العربية في تقنية المعلومات، مجلة التواصل اللساني، المجلد الأول، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، المغرب، ط 1، 1993 ص 11

2 - وليد أحمد العناتي: اللسانيات الحاسوبية العربية؛ المفهوم، التطبيقات، الجدوى، مجلة الزرقاء للبحوث

والدراسات، عمان، الأردن، المجلد السابع، العدد 02، 2005، ص 62

3 - David Crystal, The Cambridge Encyclopedia of Language, Cambridge university Press, 2nd edition, 1997, (sixth printing 2005), p. 418.

4 - عبد الرحمن الحاج صالح، بحوث ودراسات في اللسانيات العربية، المرجع السابق، ج1، ص. 85.

الإفادة من معطيات الحواسيب الإلكترونية وما يتعلق بها من علوم دقيقة كالرياضيات، وتوظيفها في دراسة اللغة وقضاياها اللسانية المتعددة مثل: رصد الظواهر اللغوية وفقا لمستوياتها، الصّوتية، الصرفية النحوية، البلاغية، والعروضية، وإجراء العمليات الإحصائية، وصناعة المعاجم والترجمة الآلية، وتعليم اللغات...¹

ولذلك يكتسي هذا الحقل أهمية بالغة عند الدارسين، ويشهد اهتماما معتبرا في العالم وتتسابق الدول والحكومات والهيئات والمؤسسات المختلفة لتحقيق أي تطور فيه. وتُخصّص لذلك المراكز المزودة بأحدث الأجهزة ويَعقد المتخصّصون الدورات والمؤتمرات والملتقيات لبحث السُّبل الكفيلة بتطوير النظريات المتعلقة بحوسبة اللغة وتحقيق وتفعيل تلك النظريات في برامج وتطبيقات للمعالجة الآلية والتقنية للغة.

وإذا كانت الدراسات اللسانية الغربية الحديثة ممثلة في البنوية قد مهدت السبيل لظهور اللسانيات الحاسوبية وفتحت المجال لاستغلال الحاسوب في الدراسات اللغوية منذ خمسينيات هذا القرن، خاصة مع جهود (نعوم شوسكي) وظهور النظرية التوليدية التحويلية التي امتاز نحوها باستناده على أسس رياضية دقيقة في وضع قواعد لغوية محددة وغاية في الدقة. فقد قصرت هذه النظرية اهتمامها في أول الأمر على العناصر النحوية دون الدلالية، ثم اهتمت بالجانب الدلالي للغة بالموازاة مع الجانب النحوي فيما يسمى بالنظرية المعيار، لتميل في مرحلة ثالثة نحو الاهتمام أكثر بالعناصر الدلالية. وبذلك يعد اهتمام تشومسكي بصياغة اللغة على نحو رياضي حسابي مبرمج هو النواة التي انبثقت عنها اللسانيات الحاسوبية.² وإذا كان الغرب (أوريون وأمريكيون) قد قطعوا شوطا معتبرا في مجال المعالجة الآلية للغة، وإليهم يعزى إليهم الفضل في بلورة الكثير من مبادئ اللسانيات الحاسوبية. إذ إن العمل في اللسانيات الحاسوبية بأمریکا بدأ بجامعة جورج تاون عام 1954، وبأوروبا بدأ سنة 1961 بجامعة قوتبرغ (Goteborg) السويدية³، ليكون وضع الدعائم الفعلية لاستعمال الحاسوب في دراسة

1 - عبد القادر عبد الجليل: علم اللسانيات الحديثة ، ط1، دار الصفاء، الأردن، 2002، ص 181.

2 - صلاح الدين حسنين: الفعل العربي وطرق معالجته بالحاسوب (الأسس اللغوية)، مجلة التواصل اللساني، المجلد الأول، المرجع السابق، ص40. (عدد خاص بندوة استخدم اللغة العربية في تقنية المعلومات)

3 - أحمد عمر مختار: صناعة المعجم الحديث ، ط 1 عالم الكتب ، القاهرة ، 1998 ، ص 168 -الهامش-

اللغة سنة 1962 بمركز التحليل الآلي للغة بمدينة (قالارات Gallarate) الإيطالية.¹ فإن الجهود العربية في ذات المجال تبقى محتشمة وحضورها ضعيف والأبحاث فيها مقتضبة ويُعوزها التنظيم والابتكار والشيوع رغم الانتشار الواسع لجهاز الحاسوب في البلاد العربية واتساع مجالات استخدامه، كما أن جل الدراسات يغلب عليها الجانب النظري، وقصورها عن مواكبة المستجدات المعرفية في عالم اللغة وعالم التقنية الحديثة وعالم اللسانيات الحاسوبية نفسه؛ مع أننا لا ننكر قيمة هذه الدراسات والجهود. ككتاب (نبيل علي) (اللغة العربية والحاسوب)² وكتاب (نهاد الموسى) (العربية- نحو توصيف جديد في ضوء اللسانيات الحاسوبية).³

جهود الحاج صالح في ميدان الحاسوبية:

بناء على ما سبق فإننا نعدُّ جهود الأستاذ (عبد الرحمن الحاج) في هذا المجال المعرفي الجديد جهوداً معتبرة وإسهاماً له قيمته، خاصة وأنه ينطلق من التراث اللغوي العربي القديم ويبرز قيمته وسعة مفاهيمه وأسس التحليلية وقابليتها للاستثمار في أحدث التوجهات اللسانية (اللسانيات الحاسوبية)، فهو لا يحيد عن التوجه اللساني الذي اختاره للنهوض بحقل اللسانيات في البلاد العربية وهو توجه التوفيق بين الدرس اللساني التراثي والمعطيات الحداثية على اختلاف أنواعها لسانية وتقنية، وهو وإن كان شديد الإلحاح على التمسك بالتراث والرجوع إليه للاستفادة من الرُّكام المعرفي الذي يخرزونه، إلا أنه شديد الحرص على الانفتاح على المعطيات الحداثية والتطورات الحاصلة في العصر الحديث سواء في مجال اللسانيات أو غيرها من المجالات التي تتقاطع معها، ولم تكن الدعوتان لتتعارضاً، وذلك بسبب المبادئ الرياضية المبنوثة في التراث اللغوي العربي والمنبثقة أساساً عن عقلية الخليل الفذة والعبقرية التي يغلب عليها التفكير الرياضي الذي يعتبر المهد الأول للحاسوبية. فقد كانت نظريته الخليلية الحديثة ثمرة عظيمة من ثمار عمق نظره الذي أطال إعماله في تراث الخليل وسيبويه ومن

2 - نبيل علي: اللغة العربية والحاسوب، المرجع السابق.

3 - نهاد الموسى: العربية - نحو توصيف جديد في ضوء اللسانيات الحاسوبية - المؤسسة العربية للنشر،

بيروت، ط1، 2000.

تابعهما (النظرية الخليلية القديمة)، كما كان مشروع الذخيرة اللغوية المقترح للمعالجة الآلية للغة ثمرة جلييلة من ثمار تطبيق مبادئ النظرية الخليلية الحديثة. ولقد كان الأستاذ -رحمه الله- في هذا الإطار من السابقين إلى الوعي بضرورة التلاقح بين الحقول المعرفية المختلفة، والحث على ضرورة الاستفادة من التطور التكنولوجي الحاصل في العصر الحديث واستغلاله في ميدان اللغة، ودعوته إلى المعالجة الآلية للغة وتحديث طرق التعامل مع الظاهرة اللغوية من بين المشتغلين بحقل اللسانيات إيماناً منه بالنفع الكبير الذي تعود به على اللغة العربية. فقد كان رياضياً ومكثته قدراته الرياضية من الوقوف على صفة الانتظام في بنية اللغة التي تجعلها قابلة للصياغة الرياضية والمعالجة الآلية. ولقد جسّد دعوته تلك إلى الحوسبة في مشروع نظري متكامل سماه مشروع الذخيرة اللغوية أو الانترنت العربي، وهو يُمكن الباحث من العثور على معلومات شتى ومدونة من واقع استعمال اللغة العربية قديماً وحديثاً بكيفية آلية، وفي وقت وجيز. وذلك لأنّه عبارة عن: "بنك آلي من النصوص؛ وليست مجرد مدونة أدخلت في ذاكرة الحاسوب، وهي ليست CDROM كما يقولون، بل مجموعة من النصوص أدمجت على الطريقة الحاسوبية، حتى يتمكن الحاسوب من مسحها كاملة أو جزئياً، ولها عدد من البرامج الحاسوبية وُضعت خصيصاً لإلقاء أنواع خاصة وكثيرة من الأسئلة على الذخيرة."¹ وقد قام بعرضه على مؤتمر عمان للتعريب سنة 1986م، كما عرضه على المجلس التنفيذي للمنظمة العربية والثقافة والعلوم بالجزائر في ديسمبر 1988م. وخرجت هذه الندوة بتوصيات وقرارات هامة.² وميزة هذا المشروع الحضاري أنه يقوم أساساً على مبادئ ومفاهيم نظريته الخليلية الحديثة باعتبارها مفاهيم -كما سبق ورأينا- وأدوات إجرائية يزخر بها التراث النحوي العربي الخليلي الأصيل، وهي المفاهيم التي أثبتت البحث مدى تجرّدها وقابليتها للصياغة الرياضية المناسبة لنظام عمل الحاسوب. فالذخيرة اللغوية كما يقترحها الأستاذ عبد الرحمن الحاج صالح "تتأسس على معطيات لسانية خليلية في الوصف والتحليل والبحث؛ من مثل الأصل

1 - عبد الرحمن الحاج صالح: مشروع الذخيرة العربية، مجلة المجمع الجزائري للغة العربية، العدد الثاني، ديسمبر 2005م، ص 287.

2 - عبد الرحمن حاج صالح، بحوث ودراسات في اللسانيات العربية، المرجع السابق، ج 1، ص 395 - 396.

والفرع والباب والمثال والوضع والاستعمال والقياس واللفظة والعلامة العدمية...¹ إلا أن السؤال الذي ينبغي أن يُطرح في هذا المقام هو: هل تمكّن الحاج صالح حقيقة من تحويل تلك الأسس والمعطيات إلى علاقات منطقية قابلة للتطبيق الميداني، أو خوارزميات صالحة لاستثمارها في المعالجة الآلية للغة العربية؟. وهذا ما سنرى جوابه من خلال النماذج التي تناولت النظرية الخليلية الحديثة بالتطبيق في المراحل اللاحقة من هذا البحث.

وبما أن حقل اللسانيات الحاسوبية يقوم على دمج المعارف اللسانية بنظيرتها الحاسوبية يدعو الأستاذ عبد الرحمن الحاج صالح إلى أن لا تقتصر معرفة اللساني على المعرفة اللسانية ويتجرد من كل معرفة سواها، ويحثُّه على أن يتخصّص في حقله ويقرن ذلك بتحصيل قدر معتبر من المعارف في مجالات أخرى كالحاسوبية مما يعينه على معالجة الظاهرة اللغوية على نحو متكامل، لأن الظاهرة اللغوية لا تخلو من البعد النفسي والاجتماعي والرياضي والحاسوبي، ولذلك على اللساني أن يكون له مدخل في كل ذلك. وفي هذا يقول: "فمن لم يُلمّ بالرياضيات الحديثة والمنطق الرياضي كيف يمكن أن ينظر ويبحث في قسمة التراكيب الخاصة باللغة (Combinatoire)؟ و من لم يدخل قط في مخبر صوتي فكيف يجوز له أن يقول شيئاً عن أقوال الخليل؟ بل كيف يمكن لأيِّ باحث في اللغة أن يكشف عن أسرار اللغات من حيث بنيتها ومجاريها، وقد يجهل الكثير من النظريات الحديثة في أحدث صورها؟ (مثل اللسانيات الحاسوبية وهندسة اللغة وغيرها) وقد يحتاج اللساني أياً كان إلى الإلمام بالكثير جداً من الميادين التي تشارك اللسانيات في علاجها اللغة في جانب من جوانبها."² لأن المعالجة الآلية للغة الحقّة لا تقوم على أكتاف اللسانيين بما يحملونه من معارف حاسوبية، وإنما هي حقل معرفي يستدعي تضافر جهود اللغويين والحاسوبيين؛ لأنه لا يمكن للساني وحده أن يشتغل على الحوسبة دون الاستعانة بمتخصص في الحاسوبيات، كما لا يمكن للحاسوبي أن يشتغل على اللغة دون لساني متخصص، كما لا يمكن لباحث واحد أن

1 - بشير ابرير: الذخيرة العربية مشروع علمي حضاري، مجلة المجمع الجزائري للغة العربية، العدد الرابع، ديسمبر 2006م، ص 37-46.

2 - حافظ إسماعيلي علوي، وليد أحمد العناتي: أسئلة اللغة أسئلة اللسانيات، المرجع السابق، ص 85.

يتخصص في اللسانيات والحاسوبية في آن واحد معا، ولذلك فلا مناص من تضافر الجهود وهو ما دعا إليه (الحاج صالح) بقوله: "فالمطلوب ههنا ليس أن يكون للفرد الواحد عدة تخصصات، فهذا شيء نادر ولا يُطالب الباحث بأن يكون في الوقت نفسه دكتورا في الحاسوبيات ودكتورا في اللسانيات، ثم إنَّ الإمام السطحي بما هو ضروري جدًا لإجراء العمل الجماعي يُعتبر أيضا غير مفيد.¹

وعليه فحوسبة اللغة ومعالجتها آليا تقتضي عملا جماعيا مشتركا تُمدُّ فيه جسور التواصل الحقيقي والحوار العلمي بين اللسانيين والحاسوبيين. وهذا الجسر هو الحلقة المفقودة في الميدان وفقدانه هو الحائل دون تطور اللسانيات الحاسوبية في بلادنا وفي غيرها من البلدان العربية. وهذا الذي رصده الأستاذ -رحمه الله- ووقف عليه في الميدان وصرَّح به في أكثر من موقف فقد قال: "فالذي لاحظناه هو أنَّ الحوار بين المهندسين وبين اللغويين صعب جدًا بل قد يتعذر أحيانا. وربما أدى ذلك إلى أن يشتغل المهندس وحده مع ضآلة المعلومات العلمية التي لديه عن الظواهر اللغوية والعكس أيضا حاصل.² وقال: "وعدم فهم هؤلاء للغة أولئك كنتُ لمستته بالفعل عندما دعاني معهد الرياضيات، ثمَّ معهد علم الحواسيب في جامعة العلوم والتكنولوجيا بالجزائر للمشاركة في مناقشة رسائل بعض المهندسين في هذا العلم (مُطبَّقا على العلاج اللغوي). فقد كان الطلبة المعنيون يعتمدون بذلك على النحو المدرسي الساذج، وعلى مفاهيم سطحية من اللسانيات وكان عملهم طبعًا غير مناسب وغير ناجح.³ وقال أيضا: "رأينا العدد الكبير من المهندسين في الرتَّابيات (أو المعلومات) وكذلك في الإلكترونيات يخوضون هذا الميدان معتمدين فيما يخص التحليل اللغوي على معلومات سطحية وذلك لعدم وجود ما يسدُّ ثغراتهم في المعاهد التكنولوجية التي تلقوا فيها دراساتهم، ومن ثمَّ عدم وجود من يرشدهم إلى أهمية الأنماط التحليلية للغة.⁴

1 - عبد الرحمن الحاج صالح: بحوث ودراسات في اللسانيات العربية ، المرجع السابق، ج1، ص231.

2 - نفسه، ج1، ص84 .

3 - نفسه، ج1، ص210.

4 - عبد الرحمن الحاج صالح: بحوث ودراسات في اللسانيات العربية ، المرجع السابق، ج1، ص103.

ولم يقف الحاج صالح عند حد الرصد والملاحظة والتشخيص؛ بل سطرّ الخطط العلمية الجادة، واقترح الحلول الفعلية التي تُمكن من إعداد وتكوين وتأهيل الباحثين والمتخصصين والمهتمين بهذا العلم؛ والتي يمكنها صنع لسانيين قادرين على اقتحام حقل اللسانيات الحاسوبية بمعناها الصحيح، كما لم يقف عند حد اقتراح الحلول في شكل نظري وإنما سعى إلى تفعيلها وإيجاد القنوات التي تستقطبها يقول: "لقد اقترحنا على مسؤولي التعليم العالي في الجزائر أن ينشأ ماجستير متعدد التخصصات في اللسانيات، وأحد الاختيارات الثمانية التي اقترحناها (وؤوفق عليها) هو العلاج الآلي للغة؛ وهو مفتوح للرياضيين والمهندسين في المعلومات وحاملي الليسانس في اللغة العربية وغيرهم، وكلهم يتلقون دروسا في الجذع المشترك (السداسيات الثلاثة الأولى) دروسا مكثفة في اللسانيات والنظر الشامل في نظرياتها زيادة على النظر في اللسانيات العربية، كما يتلقى غير الحاسوبيين دروسا علمية في الرياضيات التطبيقية والحاسوبيات (خصوصا اكتساب المهارة في استعمال الحاسوب وتحرير البرامج). وبعد سنتين يكتسب الجميع لغة فنية مشتركة لطول الاجتماع والمحاورة بعضهم لبعض ومع أساتذتهم في القسم والمختبر."¹

فقد عمل على "أن تُنشأ شهادات عليا في هذا العلم -اللسانيات الحاسوبية- تُلقى فيها دروس في نفس الوقت للمهندسين والرياضيين واللسانيين حتى تتكوّن لهم ثقافة علمية مشتركة بين اللسانيات وهندسة الحواسيب والرياضيات التطبيقية."² وهو المشروع الذي تجسد واقعا ولاقى نجاحا من خلال نشاطه وإشرافه حيث "قُدمت في هذا المجال بالذات رسائل ماجستير في معهد العلوم اللسانية والصوتية بالجزائر، وهناك فريق من المهندسين في الإعلاميات يتعاونون مع اللسانيين لإنجاز عدد من المشاريع من هذا القبيل."³

كما عمل على تيسير عمل الحاسوبيين في مجال اللغة من خلال صياغة نظريته الخليلية التي يصفها بأنها "مشاركة ومساهمة للبحث اللساني في أحدث صوره

1 - عبد الرحمن الحاج صالح: النظرية الخليلية الحديثة، كراسات المركز، المرجع السابق، ص 52.

2 - الحاج صالح عبد الرحمن: بحوث ودراسات في اللسانيات العربية، المرجع السابق، ص 102.

3 - الحاج صالح عبد الرحمن: النظرية الخليلية الحديثة، كراسات المركز، المرجع السابق، ص 42.

وخاصة البحث المتعلق بتكنولوجيا اللغة.¹ لما تُقدّمه من عديد المفاهيم التي يُمكن استغلالها في المعالجة الآلية للغة كمفهوم المثال والباب والعامل والزمرة وقسمة التركيب... إيماناً منه بأن صوغ المعطيات اللغوية في نظرية تقبل الحوسبة من الأهمية بمكان في مجال اللسانيات الحاسوبية، وأنها الخطوة الأولى والأرضية التي يؤسس عليها الحاسوبي عمله، لأنّ العلاج الآلي للغات هو علم دقيق جداً ويعتمد على آلة دقيقة جداً؛ هي أحدث ما أنتجته التكنولوجيا الحديثة (الحاسوب)، وهذه الآلة مُصمّمة للعمل على منوال العقل البشري فنقوم بعمليات غاية في الدقة، لذا لا يمكن أن يستغل فيها إلا المعطيات المحددة بدقة والتي تستند إلى منطق دقيق جداً، ذلك لأنّه "مالم يُحدّد بدقة لا يمكن صوغه صياغة رياضية، وكل ما لا يمكن أن يصاغ هذه الصياغة فلا سبيل إلى استغلاله بالنسبة إلى الآلة."² لذا فإن ضبط النظرية اللغوية وصياغتها صياغة رياضية دقيقة وضبط لغتها ومفاهيمها ضرورة لا مندوحة عنها لعمل اللسانيين الحاسوبيين والمعالجين الآليين للغة، لأنّ "اللغة كما هو معروف لا تصاغ بل النظريات اللغوية هي التي تقصد بالصياغة، لأن اللغة الطبيعية هي مجموعة من الظواهر وتحليل الظواهر ثم الافتراضات التفسيرية لها هي التي يحاول الباحث المؤهل لذلك أن يصوغها الصياغة المنطقية الرياضية المناسبة. وليست كل النظريات قابلة للصياغة، فمنها التي تحتوي على تصورات ومفاهيم غير محددة التحديد الدقيق (وتكون فيها أكثر من مصطلح لدلالة على مفهوم واحد) ومنها التي تكون مدلولات ألفاظها زيادة على ذلك يصيبها الدور: لفظة أ تحدد لفظة ب وبالعكس، فمثل هذا لا يمكن أن يكون قابلاً للصياغة، فيجب إذن أن يحدد كل مفهوم بمفاهيم مستقلة عنه حتى نصل إلى عدد قليل جداً من المفاهيم التي لا تحدد وهذا لتفادي التسلسل وتسمى بالمفاهيم الأولية. وكذلك هي القضايا الأولية كالمبادئ أو الأوليات (Axioms) والمصادرات والفرضيات."³

1 - نفسه، ص 17.

2 - نفسه، ص 54.

3 - عبد الرحمن الحاج صالح: أنماط الصياغة اللغوية الحاسوبية والنظرية الخليلية الحديثة، مجلة المجمع الجزائري للغة العربية، العدد 6، 1 ديسمبر، 2007، الجزائر، ص 11، 12.

فهو يرى أنّ الصياغة النظرية تكون هي وحدها مُشكلاً مهولاً، وتحتاج بتحقيقها إلى نظرية لغوية متطورة وأنماط رياضية ناجعة مناسبة وأدوات حاسوبية على مثلها من المناسبة والنجوع. فالنظرية اللغوية الناجعة التي تتبني عليها هذه الأنماط توفّر على المهندس واللغوي المتعاطين للسانيات الحاسوبية جهوداً باهظة في البحث عن هذه الأدوات الحاسوبية.¹ وهو يرى أنّ مثل هذه النظرية موجودة أصولها ومفاهيمها في النحو العربي الأصيل؛ الذي أقامه أصحابه -الخليل وسيبويه وأمثالهما- على منطق رياضي دقيق. والذي ينتظر إعادة قراءته القراءة العلمية الدقيقة على ضوء النظريات اللسانية الحديثة و"دراسة ابستمولوجية دقيقة لمفاهيمهم وتصوراتهم وطرق تحليلهم وبدون إسقاط أي تصور آخر كتصور النحاة العرب المتأخرين أو تصور الغربيين عليها."² ذلك أن القراءات التي استند أصحابها على إسقاط تصورات اللسانيات الغربية الحديثة كانت جلها قراءات مجحفة في حق التراث؛ ولم تتوصل إلى استخراج عمق تصورات النحاة العرب ودقة مناهجهم التحليلية، وكذا القراءات التي لم تفصل بين نحو المتقدمين الأصيل الذي يتزعمه الخليل بن أحمد الفراهيدي ونحو المتأخرين الذي صار عندهم لصيقاً بالفلسفة والمنطق، وغلب عليه التكرار والاجترار والذي أضيف إليه أبواب لا فائدة منها، وحُمّلت مصطلحاته الدقيقة معاني غير المعاني الأصلية التي أرادها الأوائل. لم تميز بين النحو العلمي والنحو التعليمي والنحو المبني على أساس المنطق الرياضي الدقيق وغيره القائم على المنطق اليوناني لم تسلم من الشطط، ورمت النحو كله بالمعيارية وعدم الجدوى، وغفلت عن أصوله ومناهجه ومسائله الدقيقة ونسيجه المحكم، ومفاهيمه التجريدية التي تفوقت على أحدث النظريات والتصورات اللسانية الغربية. لذلك فهو يرى نظريته الخليلية مثالا للنظريات الناجعة التي تعين الحاسوبي في تعاطيه للظاهرة اللغوية لأنها -حسبه- علاوة على أنها تجمع بين أصالة المحتوى وحدائثة الوسيلة؛ فهي أطوع النظريات للصياغة

1 - عبد الرحمن الحاج صالح: بحوث ودراسات في اللسانيات العربية، المرجع السابق، ج 1، ص 85.
2 - عبد الرحمن الحاج صالح: منطق النحو العربي والعلاج الحاسوبي للغات، مجلة التواصل اللساني، (عدد خاص بندوة استخدام اللغة العربية في تقنية المعلومات)، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، المغرب، ط1، 1993 المجلد الأول، ص 30.

الرياضية والحاسوبية يقول: "أما استغلالها أو بالأصح إمكانية استغلالها الآن فحاصل بالفعل... -بسبب- اختبارنا لها عند صوغنا لها الصياغة الرياضية، وهي أطوع نظرية في اعتقادنا لهذا النوع من الصياغة، ومن ثم تشكيلها بالشكل الخوارزمي (algorithmique) حتى يمكن استعمالها على الرّتاب (الحاسب الإلكتروني)، ومن جهة أخرى استغلالها في الاكتشاف الآلي لصيغ العربية الإفرادية والتركيبية؛ فجل مفاهيمها تستند إلى مفاهيم ونظريات رياضية كالمجموعة والزمرة والعلاقات... مناسبة للصياغة الحاسوبية باعتبار قابلية النظرية اللغوية للصياغة الرياضية الخطوة التمهيدية للصياغة الحاسوبية."¹

وخلاصة القول في هذا المجال أجملهُ بقوله: "نحن مقتنعون بأن الدراسة المتعمقة لهذه النظرية العربية الأصيلة مع النظر في مكتسبات اللسانيات الغربية الخاصة بالعلاج الآلي للغات سيؤدينا إلى تغيير الوسائل الحاسوبية التي هي مستعملة الآن في هذا الميدان."² مما يعكس إيمانه الراسخ بالمنطق الرياضي والعمق النظري لتحليل الخليلي لنظام اللّغة، وقدرته على تفسير أكبر عدد من الظواهر اللغوية؛ إذ إنّ تحليل النحاة العرب الأولين يمثل أعمق وأشمل وأدق تحليل لغوي يخص اللغة العربية. ولقد اهتم عدد من الباحثين بصرف الجهود لتطبيق النظرية الخليلية لتحليل اللغة بالاعتماد على الحاسوب، وتبنّوا المبادئ والأسس الخليلية وخاصةً منهجها الرياضي، بغية تفعيل استغلالها في المعالجة الآلية للغة. ومن الدّراسات التي وقفنا عليها:

2.1. Contribution A L'étude du Traitement Automatique Des Erreurs Dans Un Texte Ecrit En Arabe – Detection et correction des Erreurs aux niveau lexical et intralexical-:

للباحثة (نصيرة طايبى)³ وتشرح الباحثة عملها من خلال مقال نشرته بمجلة اللسانيات على أنّه: "وصف نظام تحليلي صرفي نحوي يصحح الأخطاء المستعملة لغرض تصميم واجهة استفهامية لقاعدة معطيات، ويستمدّ هذا التحليل صيغته الصورية من

1 - الحاج صالح عبد الرحمن: النظرية الخليلية الحديثة، كراسات المركز، المرجع السابق، ص 42

2 - نفسه، ص 95

³ - Nacéra Taïbi: Contribution A L'étude du Traitement Automatique Des Erreurs Dans Un Texte Ecrit En Arabe – Detection et correction des Erreurs aux niveau lexical et intralexical- , mémoire de magister en sciences du langage et de la communication linguistique, Ecole Normale supérieure des Sciences Humaines, Alger, Decembre 1997.

المفاهيم النظرية للنموذج اللساني للنظرية الخليلية الحديثة التي تسمح بوضع نظام تحليل صرفي تفريعي وآخر تركيبى، ويرتكز على ما يسمى بالحدود الإجرائية. وهذا النظام مزود بمصححين للأخطاء: المصحح الأول خاص بالأخطاء اللفظية، ويرتكز على طريقة تعتمد على التراكيب الفونولوجية غير المقبولة في اللغة العربية، بالإضافة إلى إحدى المتغيرات الخاصة بتقنيات القلب. أما المصحح الثاني فيستعمل في أخطاء الربط التي يتم تحليلها بواسطة شبكات ATN¹ التي تسمح بالبرمجة الآلية للصيغة الصورية المستعملة في مستوى التراكيب.² فهي ترتكز على الحدود الإجرائية لوضع مُصححين أحدهما خاص بالأخطاء التي توجد على مستوى المفردة وتعتمد فيه على نظام تحليلي صرفي تفريعي، والآخر خاص بأخطاء الربط التي تكون على مستوى التركيب وتعتمد فيه نظاماً تركيبياً.

1.1. مثال المصحح في المستوى الصرفي: وقد اقترحت الباحثة تصحيح خطأ واحد في الوحدة بالاقصار على الأخطاء الإملائية أو الكتابية؛ وهما نوعان لا يمكن فصلهما، حيث يمكن أن تكون هذه الأخطاء بسبب إنقاص أو زيادة حرف، أو تغيير حرف بآخر أو تبديل حرفين متتابعين. والمصحح الذي اقترحتة يقوم على خطوتين: الأولى الكشف عن الخطأ والثانية تصحيح الخطأ وعلاجه.

1.1.1. للكشف عن هذه الأخطاء اللفظية وضعت استراتيجية تصحيح أساسها تقنية تعتمد على مراعاة القواعد الخاصة بالمستوى الصوتي، مثلاً كتابياً (عأكل) للتصحيح طبق صنف القواعد الذي يسمح بإيجاد لا توافق بين صوتين في هذه اللفظة، القاعدة المناسبة كالاتي :

: si A = {ع ع ء} alors $\forall x \in A$, le successeur de x $\notin A$.

1 - ATN= Algorithme Traitement Nominal = خوارزمية معالجة الأسماء

² -Nacéra Taibi : Vers un système d'analyse morpho-syntaxique de la langue arabe tolérant des fautes , Revue « Al-Lisaniyyat » , Centre de Recherche scientifique et Technique pour le Développement de la Langue arabe, Alger , n 08 , 2004 , p 35

بمعنى أنّه: إذا كانت $A = \{ع غ\}$ فإنّ مهما X ينتمي إلى A ، فإنّ

الموالي X لا ينتمي إلى A

هكذا فإنّ الخطأ تم إيجاده في (عأ) ، حيث إنّ أحد هذين الحرفين زائد أو

ينقص حرف بين الحرفين.

2.1.1. تقنية التصحيح: هذه التقنية تعتمد على قلب الخطأ (Pollock 84)

(Pollock 87) وترتكز على فكرة أن السلسلة الخاطئة يمكن أن تتحول إلى كلمة من

المعجم وذلك بقلب عملية النشر. (إضافة، نسيان، نيابة، كتابة) إذ هذه الكلمة هي

تصحيح ممكن لهذه السلسلة. وعلاجها للخطأ يرتكز على:

_ تعميم جميع السلاسل المجاورة للخطأ بعد كشفه وتحديدته بالخطوة السابقة، وإيجاد

خطأ قريب (نسيان أو تبديل، حرف ناقص أو خاطئ).

_ إيجاد فيما بعد بين السلاسل هذه المجموعة التي توجد في اللفظة والتي تكون مرشحة

أنها الحل

مثال: (عأكل) تُطبّق أولاً طريقة البحث عن الكتابة الخاطئة، ثم:

- في حال تم تحديد الخطأ وإيجاده تنشر الكتابات المجاورة على إيجاد خطأ قريب من

هذه الوضعية (عأكل) يقتصر التصحيح على إدخال (أكل، عكل+ع+كل) (نسيان)

تبديل (ع+كل = أكل) أو كتابة خاطئة (عأكل)

-في حال عدم تحديد الخطأ تُدخل إلى كتابة خاطئة مجموع السلاسل المجاورة للتقرب

من كتابة مجاورة أو قريبة (ثم تبحث عن الحلول الممكنة بمقارنة هذه السلاسل

التصحيحية الممكنة مع مداخل المعجم (المفردة). تهتمّ أولاً بمسارد الكلام غير المنحرفة

وتراجع اشتقاقها، تحصل على الحلول المقترحة الآتية: (أكل، يأكل، تأكل، نأكل) لـ

(عأكل).

-وعندما لا تجد أي حل أو أن المستعمل لا يتذكّر أي كلمة من الحل فإنّ الخطأ

يصبح معمّماً ويصبح موقعه متعدداً حسب مستوى الكلام. وعليه فإنّ هذه الطريقة

تعمل على عزل المقطع الخاطئ وتصحيحه مما يسمح بتسهيل وتقدير أسلوب التصحيح المناسب. حيث (أأكل) عندما تبحث عن الخطأ تجد الحلول المقترحة (فأكل، بأكل، لأكل، أأكل).

وهذه التقنية مهمة جدا -حسب الباحثة- لأنها تسمح لنا بالدخول السهل إلى مسارد الكلام، ومن ميزاتنا كذلك تصحيح الكلمات الطويلة والقصيرة.¹

2. مثال المُصَحِّح في المستوى التركيبي: ارتكزت على المثال اللغوي الخليلي الحديث الذي يقدم وصفا عاما ومترابطا للغة العربية، يُمكن من إنجاز أنظمة علاج آلي للغات. وذلك بالاعتماد على استعمال شبكات ATN في المجال الوظيفي الكفيل بتعريف العلاقة الموجودة بين العناصر الحاملة للمعنى، حيث يؤدي اشتراك كل كتابة بعنصر ذا معنى إلى حفظ عدة معلومات إضافية (النوع، العدد، الموضوع أو الهدف) على شكل سجلّ مكون من سمات وقيم هذه الأخيرة تُحَيَّن بفضل الكلمات التي تشترك في قوس كتابة مشترك ودورها تركيب وتمثيل النص المُعالج.

مثال: خطأ الربط: اهتمت بحالات الربط في تركيب نحوي مثل:

- الربط في النوع والعدد بين الفعل (ع) والفاعل (م) وبين الاسم وصفته.

- العلاقات بين مختلف الوحدات المكونة للتركيب.

لمراقبة الربط بالنوع والعدد بين الاسم وصفته، يجب أن نراقب إجبارية الربط وذلك بجمع كتابتين من كلمات الاسمية تكون على حساب التعريف (النوع والعدد) قواعد الربط مكتوبة على شكل شروط وأفعال مربوطة ومعرفة الاسم والصفة. (الكتاب مفيدة) خطأ في الربط في النوع بين النواة ونعتها، النواة وهي اسم مذكر بينما النعت جاء مؤنثا، وعليه فإن النظام يتطلب تغيير (المفيدة) بنعت آخر يكون مذكرا

1 - Nacéra Taibi : Vers un système d'analyse morpho-syntaxique de la langue arabe tolérant des fautes, Référence précédent, p 41, 42, 43.

لأنه يأخذ الاحتمال الأول وهو أن الاسم النواة المهيمن هو مذكر مفرد. وإذا لم يرض المستعمل بذلك التصحيح فإننا نقترح أن الخطأ موجود على مستوى الاسم.¹

ونلاحظ على هذه الدراسة أنها تسعى إلى تطبيق مبادئ النظرية الخليلية الحديثة، إلا أنها اعتمدت في الحقيقة على تقنية التصحيح الغربية (Pollock 84) (Pollock 87) ، فلا يمكن اعتبار هذا العمل دليلاً على نجاعة النظرية الخليلية الحديثة في مجال المعالجة الآلية للغة.

2.2.Vers Une Compréhension Automatique De L'Arabe Basee Sur GPSG Et Modele Linguistique Neo-Khalilien² :

أنجزتها الباحثة: (حفيظة طنجاوي مرابطي) وفيها تقوم باستغلال مفاهيم النظرية الخليلية الحديثة لوضع نظام فعال للعلاج الآلي للغة، وذلك من خلال تطبيق نظام GPSG (القواعد البنوية المعممة) لإعطاء شكل صوري للبنى التركيبية للغة العربية، وهو ما تشرحه بقولها: "يمنح نظام GPSG (القواعد البنوية المعممة) الصوري - المرتكز على عملية توحيد للبنى ذات التراكيب المعقدة- آليات قوية كفيلة بشرح بعض الظواهر اللغوية الخاصة كإدخال الصفات ذات القيمة التصنيفية لعلاج بعض التراكيب التي تحوي مثلاً الضمير العائد، والشكل ID/ LP لعلاج اللغات التي تتميز بترتيب متغير للكلمات، وبما أن اللغة العربية تتسم بهذه الميزة."³

يقصد بالـ (G. P. S. G) (Generalized Phrase Structure Gram) النحو البنائي المعمم، وأصحابه هم G. Gazdar و E. Klein و G. Pullum و I. Sag⁴ إلا أننا نشير إلى أن هذا النظام هو نظام قديم يعود إلى سنوات السبعينات من القرن الماضي؛ حيث اشتغل عليه أصحابه وطوّروه إلى HPSG (Head Phrase Structure Gram). بمعنى: نظام

1 - Nacéra Taibi : Contribution A L'étude du Traitement Automatique Des Erreurs Dans Un Texte Ecrit En Arabe - Détection et correction des Erreurs aux niveaux lexical et intralexical-, Référence précédent, p 105,106

2 - Haféda Tandjaoui : Vers Une Compréhension Automatique De L'Arabe Basee Sur GPSG Et Modele Linguistique Neo-Khalilien, mémoire de magister en sciences du langage et de la communication linguistique, Ecole Normale supérieure des Sciences Humaines, Alger, Juin 1999.

3 - Haféda Tandjaoui : Une grammaire de l'arabe dans le formalisme GPSG , Revue « Al-Lisaniyyat » , Centre de Recherche scientifique et Technique pour le Développement de la Langue Arabe, 2003, N° 8. P51 .

4- عبد الرحمن الحاج صالح: أنماط الصياغة اللغوية الحاسوبية والنظرية الخليلية الحديثة، المرجع السابق، ص19

رأس البنية النحوية للجملة وعليه فقد اعتمدت الباحثة على النظام القديم في دراستها إلا أنّ ذلك يرجع إلى التاريخ المتقدّم الذي أنجزت فيه دراستها (1999) أي قبل تطوير هذا النظام وقبل انتشار النظام المُطوّر.

إن المقاربة المتبناة من الـGPSG تعمل على أن الفئات الموجودة في الشجرة المحلية يمكن أن تكون امتداداً لفئات لقواعد الهيمنة الفورية (ID) والمسؤولة عن إحداث هذه الشجرة، إذ إن هذا يعني أن السمات التي تظهر في الشجرة المحلية ليست محددة بالضرورة بقواعد الهيمنة الفورية. حيث أن هذه الإضافة من السمة هي إنشاء السمات. إن السمات المضافة بهذه الطريقة تسمى المنشأة بحرية، أما اللواتي يتطلب وجودها قواعد الهيمنة الفورية فتسمى الموروثة.

بالإضافة إلى ذلك، يقدم GPSG عددًا معينًا من المبادئ العامة التي تحكم توزيع السمات النحوية في هيكل معين.¹

1.2.2. مثال لبعض التراكيب اللغوية للعربية في نظام (خوارزمية) الـGPSG:

1.1.2.2. اللفظة الاسمية:

يتم بناء اللفظة الاسمية من النواة الاسمية والإضافات إلى يمين ويسار هذه النواة. يشمل هذا التعريف عبارة الاسم وعبارة حروف الجر.

حيث إن تركيبها يُمثَّل بالتخطيط الآتي:

النعته	إضافة اتتوين	إعراب	النواة	أداة تعريف	حرف جر
--------	--------------	-------	--------	------------	--------

حيث إن: حرف الجر {من، إلى، على...}، أداة التعريف {أل}، النواة: الاسم، الإعراب {الضمّة، الفتحة، الكسرة}، النعته: يمكن أن تكون صفة أو جملة. إضافة اتتوين: يمكنه أن يكون تتوين أو لفظة اسمية أو جملة.

مثال: ولد، الولد، الولد الصغير، نافذة الغرفة، نافذة غرفة المنزل، ابن الذي اصطاد السمكة،...

1 - Haféda Tandjaoui : Une grammaire de l'arabe dans le formalisme GPSG , Référence précédent, P55.

- مميزات اللفظة الاسمية:

- إن اللفظة الاسمية لها بنية متكررة (مترددة)؛ حيث تظهر هذه التكرارية في مواضع الملحق الإضافي للاسم والنعته.

- في اللغة العربية، يجب التمييز بين اللفظة الاسمية المعرّفة وبين اللفظ الاسمية النكرة لأن هذا الاختلاف كبير عند التعرف على بعض التراكيب. وللقيام بذلك، نستخدم السمة DEF $\{+, -\}$

- بالإضافة إلى الميزة DEF، فإن اللفظة الاسمية لها خصائص أخرى من الميزات المعنوية؛ مثل: {اسمي، منصوب، مجرور} ومؤنث/ مذكر والعدد التي تعد من سمات القمة.

بعض عناصر اللفظة هي حصرية بشكل متبادل، مثلا:

- لا يمكن أن يحتوي الاسم المعرّف بعلامة التعريف (آل) على ملحق إضافي.

- لا يمكن تعريف الاسم الذي يحتوي على تنوين ولا أن يحتوي على مضاف.

- لا يمكن لأداة التعريف أن تسبق الاسم المعرّف.

لمراعاة هذه الظواهر، نحتاج إلى التمييز بين أصناف مختلفة من الأسماء التي وصفتها مجموعة من السمات. على سبيل المثال، يتطابق الاسم العلم والاسم الصحيح مع الإدخالات المعجمية (a. 1) و (b. 1) على التوالي:

(1) a- $\{[+N],[-V],[[BAR O],[-Cad],[-P],[-A],[-DEF]\}$

b- $\{[+N],[-V],[[BAR O],[+Cad],[-P],[-A],[+DEF]\}$

مع:

$Cad \in \{+, -\}$ ويدل على ما إذا كان الاسم يقبل المضاف أم لا.

$P \in \{+, -\}$ ويدل على ما إذا كان ضميرا أم لا.

$A \in \{+,-\}$ ويبدل على ما إذا كان ضميرا لاحقا أم لا.

$DEF \in \{+,-\}$ ويبدل على ما إذا كان اسما معرفا أم لا.

- بنية اللفظة الاسمية:

تعتبر اللفظة الاسمية غير المجرورة من الفئة $\{+N\}$ ، $[-V]$ ، $[BAR 2]$ ، والمختصرة بـ $N2$ ، مما يعني أنه عنصر اسمي غير فعلي ذو المستوى عمود 2. حيث قدمنا أعلاه مجموعة من القواعد بتنسيق الهيمنة الفورية/الأسبقية الخطية، والتي تغطي مجموعة فرعية من اللفظ الإسمي.

$$a - N2 \rightarrow N1, (A2) \quad (2)$$

$$b - N1 \rightarrow N0, [-Cad], N1 [Gen]$$

$$c - N1 \rightarrow N2[+P, -A]$$

$$d - N1 \rightarrow N0[+Cad], (A2)$$

$$e - N1[+DEF] \rightarrow ART, N0, (-Cad), (A2)$$

$$c - ART < N0$$

$$b - N0 < N1$$

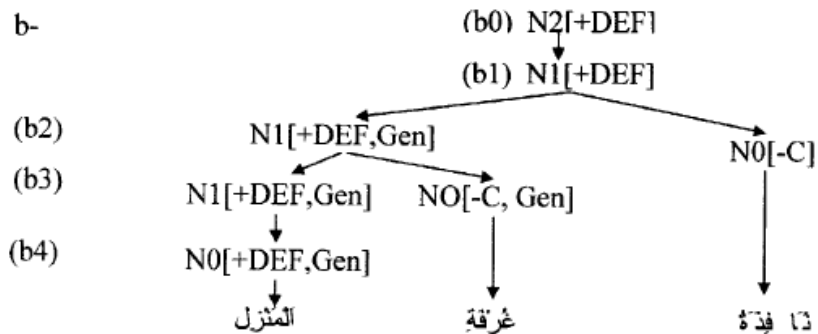
$$(3) a - N2 < A2$$

مثال: وليكن المقطع (a.5)

(a.5) نَافِذَةٌ غُرْفَةِ الْمَنْزِلِ

الشجرة (b.5) تتطابق مع بنية (a.5) والتي تم إنشاؤها من قواعد الهيمنة الفورية

لـ (a.2)، (b.2) و (e.2)



خط DEF هو خط القمة والقدم، و FFP و HFC هم المسؤولون عن انتقال السمة DEF في الأشجار المحلية (bl) و (b2) و (b3).

في التفريع المشجر (bl) يتم إنشاء DEF على المكون الرئيسي N1 من خلال تطبيق HFC، في الشجرة المحلية (b2) و (b3) لا يمكن تطبيق HCE وبالتالي لن يتم إنشاء DEF على N0 والذي هو رئيس N1 وذلك بسبب FCR (4)، ولكن بما أن DEF هي سمة القاعدة، فسيتم إنشاءها في N1 تحت FFP.

¹. (4) FCR: [-C ad]⊃[-DEF]

2.1.2.2. مستوى التراكيب (التركيب الفعلي):

في اللغة العربية لا ينطبق التمييز التقليدي بين 'SN' العبارة الاسمية و 'SV' العبارة الفعلية على التركيب الفعلي وذلك بسبب الترتيب الحر نسبياً للعناصر المكوّنة. لا يوجد سوى قيد واحد: لا يمكن وضع العنصر الاسمي قبل الفعل. لذلك نقترح جملة مثل (1) البنية المعطاة حسب القاعدة ID (الهيمنة الفورية) (2).

(1) السمكة الولد اصطاد (1)

(2) V3 > V2 [-SUJ], N2 [Nom], N2 [Acc]

تسمح هذه القاعدة بستة تبادلات محتملة منها ثلاثة فقط مقبولة في اللغة العربية:

الأولاد السمكة اصطاد-c اصطاد الأولاد السمكة-b اصطاد الأولاد السمكة-a (3)

واعتباراً من هذه الحالة نقوم بإدراج قاعدة الأسبقية الخطية LP (4)

(4) V2 < N2 [Nom]

1- Haféda Tandjaoui : Une grammaire de l'arabe dans le formalisme GPSG, Référence précédent, P57, 58, 59. Et Haféda Tandjaoui : Vers Une Compréhension Automatique De L'Arabe Basee Sur GPSG Et Modele Linguistique Neo-Khalilien, Référence précédent, P54a 66 .

تجدر الإشارة إلى أنه وعلى الرغم من انعدام قواعد في ترتيب العناصر المكوّنة للبناء اللغوي للفعل، إلا أنه وفي بعض الحالات يكون هذا الترتيب ثابتاً، وهذا في الحالة التي يكون فيها المسند إليه الفعل ضمائر وبالتالي يجب على الضمير اتباع الفعل على الفور. وبالتالي فإن المقطع (5) غير مقبول.

(5) اصطاد الولد ها *

وبأخذ هذه الحقيقة، يمكننا استخدام سمة PRO للتعبير عن مختلف قواعد LP التي يجب أن تتحقق منها الجملة الفعلية. هذه LP هي:

(6) a- V2 < N2 [Ace, +PRO]

b- N2 [+P, Acc] < N2 [-PRO, Nom]

في هذا النوع من البنى نرى بوضوح جدوى استعمال قياس "الهيمنة الفورية/الأسبقية الخطية" LP\ID¹.

وفي هذه الدراسة أيضاً نلاحظ أن الباحثة تسعى إلى تطبيق مبادئ النظرية الخيلية الحديثة، إلا أنها اعتمدت في الحقيقة على نظام (خوارزمية) الGPSG الغربي، فلا يمكن اعتبار عذا العمل دليلاً على نجاعة النظرية الخيلية الحديثة في مجال المعالجة الآلية للغة.

2.3 . Une approche connexionniste pour le traitement automatique des structures syntaxiques de la langue arabe basees sur le formalisme Neo-Khalilien² :

بمعنى: تناول ترابطي للعلاج الآلي للبنى التركيبية للغة العربية استناداً إلى النظرية الخيلية الحديثة؛ من إنجاز الباحثة: (حاجة فايزة خلاف حاند) (Hadja Faiza Khellaf-) (Haned)

1- Haféda Tandjaoui : Une grammaire de l'arabe dans le formalisme GPSG, Référence précédent, P 59, 60. Et Haféda Tandjaoui : Vers Une Comprehention Automatique De L'Arabe Basee Sur GPSG Et Modele Linguistique Neo-Khalilien,P54a 6 8,69 .

2 - Hadja Faiza Khellaf-Haned : Une approche connexionniste pour le traitement automatique des structures syntaxiques de la langue arabe basees sur le formalisme Neo-Khalilien, mémoire de magister en sciences du langage et de la communication linguistique, Ecole Normale upérieure des Lettres et Sciences Humaines, Alger, Juin 2000.

وهي دراسة رياضية حاسوبية تدخل في إطار تطوير نظام مبني على شبكة الجهاز العصبي الاصطناعي (الترابطية) الذي تستعمله التقنيات الحديثة بتقليد هيكل الجهاز العصبي لاستخلاص المزايا المتعلقة أساسا بقدرات التعلم والتعميم (الذكاء الاصطناعي)، وتهدف من خلالها الباحثة إلى تحليل البنى التركيبية المعقدة التي لها صفة الطول أو التعقيد بناء على مبادئ النظرية الخيلية الحديثة؛ القائمة على التمثيل الرياضي والعلاج الصوري التجريدي للغة الطبيعية خاصة مفهوم (المثال). ليتم إدخال الجملة كلمة كلمة على شكل صفات تركيبية. حيث اقترحت نظاما ترابطيا مبنيا على شبكة الخلايا العصبية الاصطناعية من أجل التحليل التركيبي لهياكل اللغة العربية استناداً إلى الشكلية اللغوية التي طورها قدماء النحاة العرب، أي الشكلية الخيلية الجديدة.¹ أي إنها اقترحت نظاما ترابطيا مبنيا على شبكة الخلايا العصبية الاصطناعية، لتكريسه لمختلف مهام المعالجة التلقائية للغة الطبيعية، وتحديدًا لتحليل البنى النحوية للغة العربية؛ أسمته الشبكة العصبية الارتباطية الخيلية Neurokhal. وهو تجميع لشبكة الخلايا العصبية المتراجعة إلى الوراء (بالتراجع) بطريقة بسيطة من المان Elman، وال RAAM والتصور السببي من الشكلية اللغوية الخيلية الحديثة.²

إن النظام المصمّم يعالج الجمل المشكّلة، وبالتالي فإنّ الباحثة اقترحت أن تربط كل كلمة من المسرد، بغض النظر عن سلسلة إدماجها، بسلسلة من علامات التشكيل. مما يسمح بإزالة بعض الغموض المعجمي. حيث تعتمد الشبكة العصبية الارتباطية الخيلية Neurokhal على توزيع نصفي؛ حيث تُمثّل كل خلية معنى نحويًا مفردًا (سمة نحوية). وبذلك تُمثّل كل كلمة بمجموعة من السمات، هي عبارة عن خلايا عصبية رغم صعوبة التمثيل العملي نتيجة تعقيد اللغة الطبيعية وتنوعها.

انطلقت الباحثة من كون الشرط الضروري الذي يجب أن يفي به أي نظام ترابطي مبني على شبكة الخلايا العصبية الاصطناعية للمعالجة التلقائية للغة الطبيعية

1 - Hadja Faiza Khellaf-Haned et MohamedTayeb Laskri : Une approche connexionniste pour le traitement automatique des structures syntaxiques de la langue arabe basees sur le formalisme Neo-Khalilien , Revue « Al-Lisaniyyat » , Centre de Recherche scientifique et Technique pour le Développement de la Langue Arabe , N 09 ,2004, p 69.

2 - Hadja Faiza Khellaf-Haned : Une approche connexionniste pour le traitement automatique des structures syntaxiques de la langue arabe basees sur le formalisme Neo-Khalilien, mémoire de magister, Référence précédent, p113.

هو أن يكون قادرًا على معالجة جمل مُعقّدة. فهي ترى أنّ نظام عصب الخليل Neurokhalل، وبفضل تجانس قالب تمثيل البنية وبفضل آلية الـRAAM، قادر على معالجة أي بنىة للغة العربية بغض النظر عن مستوى التكرار ونوع التضمين؛ إذ لا وجود لقيود مسبقّة.

وهي تؤكّد على أنّ نظام عصب الخليل Neurokhalل قادر على تمثيل البنية النحوية للجملة على شكل تصور نسبي معدل دون أن يتم تزويده بوصف القواعد النحوية المستخدمة، وبالتالي يتم اكتساب القواعد النحوية من خلال جملة التعلم. وهكذا يتكون النظام من شبكة الخلايا العصبية المتراجعة إلى الوراء بطريقة بسيطة وذاكرة الـRAAM (ذاكرة تلقائية متكررة) وقوالب معدلة. يتم تجميع شبكة الخلايا العصبية المتراجعة على الوراء بطريقة بسيطة، والـRAAM، والقالب المعدل للبنية النحوية للغة العربية من أجل توفير نظام ليس له حد مسبق لطول الجملة أو عمق التراكيب أو الترصيع¹.

1.3.2. المستويات التي طبقت عليها الباحثة النظرية الخليلية الحديثة: قد قامت الباحثة في هذا الصدد بتطبيق النظرية الخليلية الحديثة في مستوى اللفظة وفي مستوى البنية التركيبية:

1.1.3.2. مستوى اللفظة:

في حالة نظام عصب الخليل Neurokhalل فإن كل لفظة يتم تعريفها بمجموعة من السّمات المميزة بحيث أن كل منهما تمثل خاصية نحوية أو دلالية. وكل بند منها مؤشر بخاصية إيجابي (يمثله [+ علامة]) أو خاصية سلبي (يمثلها [- علامة]) حيث أن الصنف سيكون إما فئوي أو منطقي.

إذا كانت الخاصية ذات قيمة منطقية، فإنها تقوم بتخصيص خلية عصبية لتمثيلها؛ وتكون لها قيمة 0 أو 1 حسب غياب أو وجود الخاصية. أما في الحالة التي يكون فيها للخاصية قيم رقمية، فإنها تقوم بتخصيص العدد اللازم من الخلايا العصبية

1- Hadja Faiza Khellaf-Haned : Une approche connexionniste pour le traitement automatique des structures syntaxiques de la langue arabe basees sur le formalisme Neo-Khalilien, mémoire de magister, Référence précédent, p 112, 113.

لتمثيل مجموع القيم. وبالتالي فإن الكلمة من المعجم في صيغة التمثيل الترابطي المبني على شبكة الخلايا العصبية الاصطناعية هي مجموعة من الخلايا العصبية التي تكون قيمها إما في 1 (في حالة وجود الخاصية) أو عند 0 (في حالة غياب الخاصية). حيث يتوافق عدد الخلايا العصبية مع إجمالي عدد السمات التي تؤخذ بعين الاعتبار في النظام. إذ يمكن تبسيط الكلمة من المعجم باعتبارها ناقلاً ثنائياً ذو "ن" "ن" مربعات (ن يساوي عدد الخصائص). وتعد الخصائص ذات صنف نحوي ودلالي. إذ إن الخاصية الأصلية هي السمة التي تسمح بتمييز نوع الكلمة *kalim* في اللغة العربية: الحرف، الاسم والفعل¹.

فالباحثة تُقرّ بأن اللفظة من المكونات الرئيسية للتحليل.

2.1.3.2. مستوى البنية التركيبية:

تري الباحثة أنّ المثال (ع، م1، م2) المقترح في النظرية الخيلية الجديدة هو نموذج يغطي جميع البنى النحوية للغة العربية. حيث إن العنصر الرئيسي لهذا القالب أو الصيغة ممثلة بواسطة (العامل/*amil*). علماً أنّ العامل يلعب دوراً سيادياً للبنية بأكملها. إذ إنه لا يمثل موضعاً في القالب فحسب، بل يجمع أيضاً دور الوظيفة لأنه يحدد ويقيد أيضاً الشروط التي تحكم (م) من خلال تحديد عددهم ودور كل منهم. كما ترى أنّ استخدام المثال (ع، م1، م2) لتمثيل تعقيد وتنوع بنى اللغة العربية يعدّ مثمراً جداً لأنه يوفر وصفاً اقتصادياً متمثلاً في الدور النحوي للبنى المختلفة إضافة إلى وظائف كل عنصر من البنية في حالة الجمل البسيطة، فإن كل موضع من القالب تشغله مادة واحدة أو كلمة. أما في حالة الجمل المركبة، فإن مواضع المثال تشغله مواد بسيطة أو مواد مركبة مكونة من الألفاظ الفعلية في حالة العامل (ع) أو عن طريق الألفاظ الإسمية في حالة الشروط التي تحكم (م).²

1 -Hadja Faiza Khellaf-Haned : Une approche connexionniste pour le traitement automatique des structures syntaxiques de la langue arabe basees sur le formalisme Neo-Khalilien, mémoire de magister , Référence précédent, p 113 , 115.

2 --Hadja Faiza Khellaf-Haned: Une approche connexionniste pour le traitement automatique des structures syntaxiques de la langue arabe basees sur le formalisme Neo-Khalilien, mémoire de magister, Référence précédent, p122.

ترى الباحثة أن نموذج النظرية الخليلية الحديثة اللغوي يربط بصفة تآزرية بين خمسة مُثُل إنتاجية، ولكي نتمكن من التعامل مع مختلف أنواع التراكيب التي قد نقابلها في الجمل المعقدة، فقد شرعت في توحيدها، ودمجها، حيث إن الفكرة الأساسية هي تطوير مثال أو مخطط عام يراعي التراكيب الممكنة والمختلفة للبنى التركيبية التي قد يقابلها المرء في اللغة العربية وذلك مع احترام القواعد العامة لكل قالب بالإضافة إلى المبادئ الأساسية للنظرية الخليلية الجديدة¹.

2.3.2. بنية الشبكة العصبية الارتباطية الخليلية Neurokhal

بعد دراسة مفصلة حول مختلف الأنظمة الترابطية للمعالجة الآلية للغة الطبيعية، يتبين أن النموذج الأكثر ملائمة هو الشبكة البسيطة التكرار (SRN) لإلمان Elman. حيث أن هذه الشبكة تتكون من ثلاث طبقات: طبقة الإدراج والتي تستقبل البيانات من النظام، طبقة مخفية وطبقة الإخراج إذ يعد تنشيط وحداتها بمثابة استجابة للشبكة. إن مجموع الخلايا العصبية في الطبقة المخفية ليس لها أي اتصال مع المستخدم وتعمل بواسطة الخلايا العصبية الأخرى. غالباً ما تكون الشبكة ذات الخلايا العصبية المخفية أقوى من الشبكة الخالية.

يتم نسخ الطبقة المخفية في اللحظة (t-1) كطبقة السياق حيث يتم تقديمها مع وحدات طبقة الإدراج في اللحظة t، مما يوفر للشبكة سياقاً أو نظرة إلى الوراء. هذه الميزة الخاصة أساسية لأنظمة TALN لأنه يجب المحافظة على الطبيعة التسلسلية للتحليل. ومع ذلك فإن هذه البنية الأساسية ليست كافية للتعامل مع الجمل المعقدة أو المكررة والتي يجب الاحتفاظ لها بالمعلومة لفترة طويلة. علاوة على ذلك فإنّ النقد الواسع للشبكات الترابطية من حيث التمثيل هو المشكلة التركيبية. لمعالجة على هذا العائق، نقترح دمج الـ RAAM في البنية الأساسية للنظام حتى نتمكن من معالجة الجمل المعقدة بطريقة حيوية، بغض النظر عن مستوى التراكيب.

لهذه المجموعة (SRN + RAAM) نقوم بربطها بمثال عام مضغوط من أجل تحديد ما ينتج عن النظام، أي البنى النحوية (في شكل مثال مُعدّل) ابتداءً من

1 - Ibid, p122, 123.

الجملة المدرجة على شكل سمات نحوية. إذ أننا سنقوم بوصف المكونات المختلفة لبنية الشبكة العصبية الارتباطية الخيلية Neurokhal في ما يلي: طبقة المدخل حتى نتمكن من إيصال المعلومات إلى الشبكة وتفسير الاستجابات، كما يجب وضع نظام الترميز. والذي يجب أن يتم اختياره بعناية كبيرة لتجنب الإفراط. فإما أن يتم توصيل الكثير من المعلومات إلى الشبكة، مما يولد الكثير من التشويش، أو أن يتم توصيل القليل من المعلومات، حينها لن تكون الشبكة قادرة على تنفيذ المهمة المسندة إليها.

لا يبدو التمثيل الداخلي مناسباً للغاية كطريقة لتمثيل البنى اللغوية نظراً لمختلف العيوب التي تمثلها. ولهذا تم الاعتماد على نظام عصب الخليل Neurokhal وذلك لتمثيل نصف موزع، إذ إنه يتم تمثيل كل كلمة بمجموعة من السمات وكل من هاته السمات تساهم في تمثيل عدة كلمات¹.

3.3.2. البنية الأساسية للشبكة:

يتم تقديم الجملة المراد تحليلها إلى الشبكة كلمة بكلمة كإدراج، إذ يتلقى النظام الوصف المعجمي للكلمة الحالية إذ تربط بقيم تنشيط وحدات الطبقة العليا في الخطوة السابقة. في البداية تتم تهيئة وحدات طبقة السياق بقيمة "خالية" (مثال 0.5). عند تقديم الكلمة الأخيرة من الجملة، وبعد التدريب أمام الشبكة، تكون وحدات الطبقة المخفية قد طورت التمثيل الداخلي للجملة بأكملها.

يمكن إظهار بنية الجملة بشكل صريح باستخدام الطبقة السفلى من الشبكة، أي الطبقة المخفية، وحدة فك التشفير وطبقة الإخراج. تمثل هذه العناصر الثلاثة المركب الثاني من الـ RAAM الكلاسيكي (جزء وحدة فك الترميز). هذه الأخيرة قادرة على تمثيل جميع الجمل ابتداء من الجملة البسيطة إلى الجمل الأكثر تعقيداً.

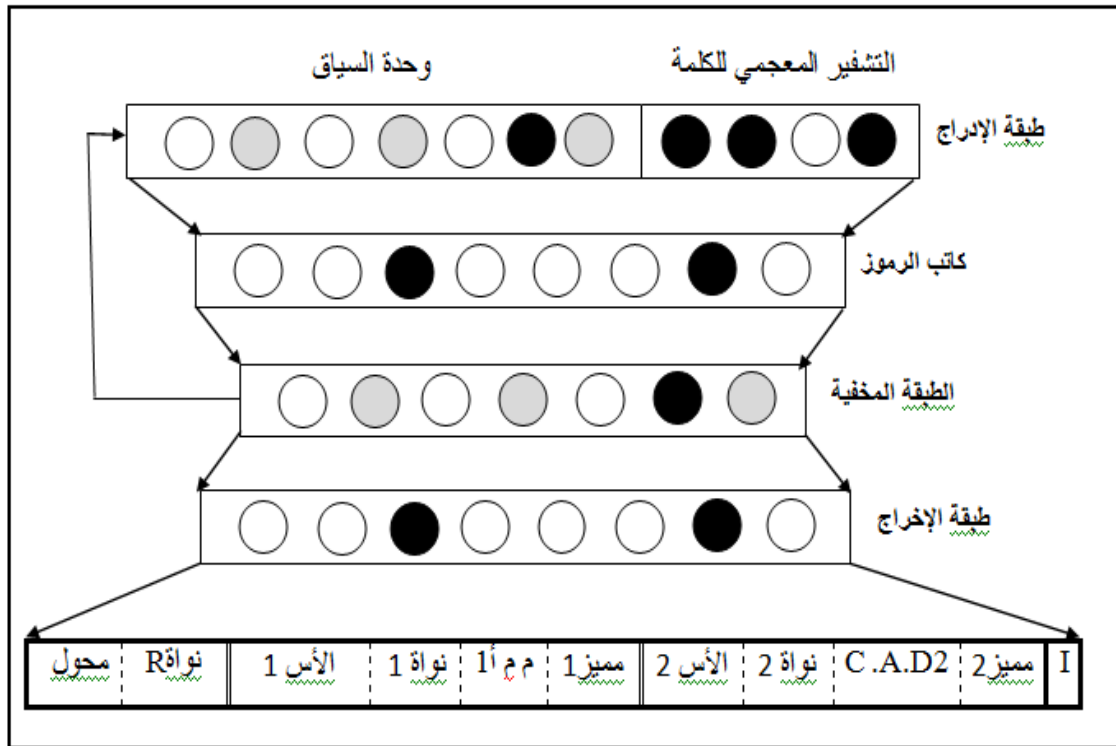
إن فك تشفير جملة بسيطة باستخدام القالب النحوي المعدل يجعل من الممكن تحديد الموجه (المتصرف) (أول موضعين) بشكل واضح، الحد الأول يحكم (المواضع الأربعة التالية) والبند الثاني يحكم (المواضع الأربعة الأخيرة).

1- -Hadja Faiza Khellaf-Haned : Une approche connexionniste pour le traitement automatique des structures syntaxiques de la langue arabe basees sur le formalisme Neo-Khalilien, mémoire de magister, Référence précédent, p 126,127

بالنسبة للجمل المعقدة، كل مكون أساسي، أي النواة R والنواة 1 والنواة 2 يمكن أن يكون بدوره مركب.

تكمن قوة هذا النموذج في شدة العلاقات الموجودة بين القالب المعدّل النحوي والإدراجات المعجمية للكلمات. هناك نقطة مهمة يجب التأكيد عليها، وهي أن حجم الشبكة ثابت. كل طبقة معرفة بعدد ثابت من الوحدات وكل كلمة في المعجم معرفة بواسطة ناقل ذا طول ثابت. يتم ضمان حيوية النظام من خلال الإمكانيات التي يوفرها تشغيل الـ RAAM.¹

يمكن تمثيل البنية الأساسية لنظام عصب الخليل Neurokhalل بواسطة المخطط التالي:²

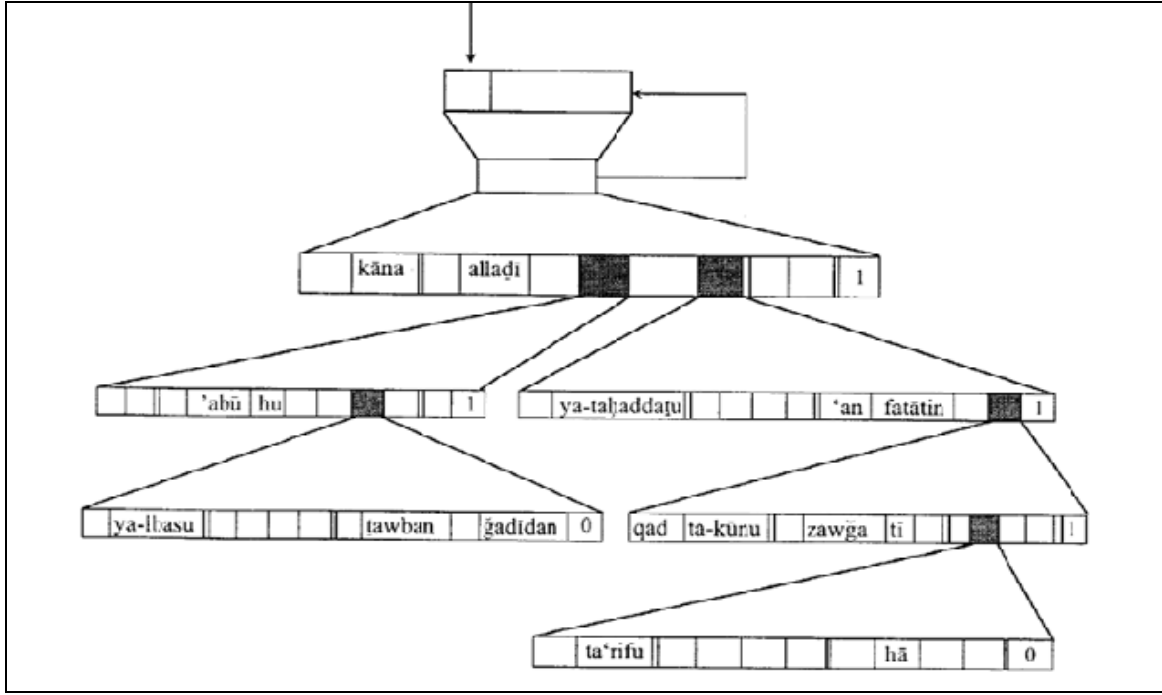


الشكل 1: البنية الهندسية لعصب الخليل Neurokhal.

4.3.3. تطبيق الشبكة على تركيب باللغة العربية:¹

1 - Hadja Faiza Khellaf-Haned : Une approche connexionniste pour le traitement automatique des structures syntaxiques de la langue arabe basees sur le formalisme Neo-Khalilien, mémoire de magister, Référence précédent, p129

2 -Hadja Faiza Khellaf-Haned : Une approche connexionniste pour le traitement automatique des structures syntaxiques de la langue arabe basees sur le formalisme Neo-Khalilien, mémoire de magister, Référence précédent, p130



الشكل 2: امتداد الشبكة للجملة "كان الذي ابوه يلبس ثوبا جديدا يتحدث عن فتاة قد تكون زوجتي تعرفها" وقد حددت الباحثة أن من بين الأهداف الأساسية لعملها هو أن يكون قادراً على معالجة كل مقاطع الجمل الممكنة، دون تحديد لمستوى الإدراج. لا يُعرف مسبقاً عمق الجملة التي يتعين معالجتها. وللتغلب على هذه المشكلة، فإن الشبكة، وخلال مرحلة التدريب، تستخدم نسخاً افتراضياً لجزء من فك التشفير في البنية الأساسية. حيث أن استخدام نسخ متعددة لمحاكاة الشبكة يجعل من الممكن الحصول في طبقة الإخراج، على: إما تشفير الكلمة أو القيمة "خالية". والمواضع الغير مسماة في طبقة الإخراج تتطابق مع المواضع الفارغة².

والخلاصة أن هناك مشكلات تواجه التحليل التركيبي النحوي للغة العربية؛ منها: مرونة اللغة العربية كما في الذّكر والحذف والتقديم والتأخير، مثل التناوب بين التركيب المبدوء بالفعل (فعل +فاعل+مفعول به) والتركيب المبدوء باسم (اسم+فعل+فاعل مستتر وقد يكون متصلاً يعود على المبتدأ+مفعول به).

1 -Hadja Faiza Khellaf-Haned et MohamedTayeb Laskri : Une approche connexionniste pour le traitement automatique des structures syntaxiques de la langue arabe basees sur le formalisme Neo-Khalilien, mémoire de magister, Référence précédent, p131

2 -Hadja Faiza Khellaf-Haned : Une approche connexionniste pour le traitement automatique des structures syntaxiques de la langue arabe basees sur le formalisme Neo-Khalilien, mémoire de magister, Référence précédent, p130

وفي هذه الدراسة أيضا نلاحظ أن الباحثة تسعى إلى تطبيق مبادئ النظرية الخليلية الحديثة، إلا أنها اعتمدت في الحقيقة على الشبكة البسيطة التكرار (SRN) لإلمان Elman. وهي دراسة غربية، فلا يمكن اعتبار عذا العمل دليلا على نجاعة النظرية الخليلية الحديثة في مجال المعالجة الآلية للغة.

ومنه نخلص إلى أن تطبيق النظرية الخليلية الحديثة في ميدان المعالجة الآلية للغة العربية قد استعصى إلى حد كبير على الباحثين. كما أن صاحبها الأستاذ عبد الرحمن الحاج صالح وجماعة الباحثين الذين عمل على تكوينهم من خلال الماجستير البيني الذي أنشأه لم يُفلح في تحويل مبادئ نظريته إلى علاقات منطقية وخوارمات رياضية تُمكن الحاسوبيين من إدراج المعطيات اللغوية إلى جهاز الحاسوب لمعالجتها. ما يعني أنه رغم إيمانه بأن صوغ المعطيات اللغوية في نظرية تقبل الحوسبة من الأهمية بمكان في مجال اللسانيات الحاسوبية، وإيمانه بأن الصياغة النظرية تكون مُشكلا مهولا، وتحتاج بتحقيقها إلى نظرية لغوية متطورة وأنماط رياضية ناجعة وأدوات حاسوبية مناسبة. إلا أننا لم نضع أيدينا في البحث عن تلك الصياغة العلمية الناجعة والأنماط التي توفّر على المهندس واللغوي المتعاطين للسانيات الحاسوبية جهودا في البحث عن هذه الأدوات الحاسوبية، وتمكنهم من المعالجة الآلية للغة العربية. مما يُبقي جهود الحاج صالح في مجال المعالجة الآلية للغة، وجهود الباحثين الذين عملوا على تطبيقها في درجة الجهود البسيطة والمتواضعة. وهذا نقوله بالاعتماد على قراءتنا للنماذج التي تناولناها.

3. تطبيق النظرية الخليلية الحديثة في ميدان علاج أمراض الكلام:

تمهيد: اللغة هي أصوات يُعبّر بها كل قوم عن أغراضهم، فهي الوسيلة التي يدرك بها الفرد حاجاته ومُتطلّباته، ويُعبّر من خلالها عن رغباته وعواطفه وأفكاره، ويتواصل بها مع غيره. ولكي يُحقق المتكلم هذه الغايات يتعيّن عليه أن يُتقن مهارة من مهارات الاتصال اللغوي وهي الكلام و"الكلام هو الحديث، والحديث مهارة من مهارات

الاتصال اللغوي التي تنمو بالاستعمال وتتطور بالممارسة والدربة.¹ ولكي يحقق المتكلم هذه المهارة يتوجب أن يتوفر خطابه على جملة من الشروط لضمان نجاح عملية التخاطب، وذلك لأن عمليات الكلام والتواصل والتخاطب هي عمليات بالغة التعقيد تستدعي جملة من القدرات عند المتكلم والمتلقي كالقدرة العضلية لنطق الملفوظات، والقدرة السمعية لاستقبالها، والقدرة العصبية التي يصدر من خلالها الجهاز العصبي وأمره بنطق الملفوظات، والقدرة العقلية حيث يقوم الدماغ باستدعاء الصور الصوتية للملفوظات بالنسبة للمتكلم وتحليل الملفوظات وتفسيرها بالنسبة للمتلقي. وقصور هذه القدرات يؤدي إلى وجود خلل واضطراب في عملية التخاطب. وينم عن وجود أمراض عند المتكلم والمتلقي وهي ما يصطلح عليها باسم عيوب النطق أو أمراض الكلام التي أصبحت علما قائما بذاته يسمى علم أمراض الكلام. ويقصد بأمراض الكلام: "اضطراب طويل المدى في إنتاج الكلام أو في إدراكه."² فهي بشكل مُبسّط كل المشاكل والصعوبات التي تعترض المتكلم والمتلقي أثناء عملية التكلم وتحول دون تقديم الأول رسالة صحيحة وواضحة، ودون فهم الثاني مضمون رسالة المتكلم.

ومن أشهر أنواع أمراض الكلام وفقدان القدرة اللغوية أو الكلامية: الحُبسة aphasia (الأفازيا) وهي: "اصطلاح يوناني الأصل يتضمن مجموعة العيوب التي تتصل بفقد القدرة على التعبير بالكلام أو الكتابة، أو عدم القدرة على فهم معنى الكلمات المنطوق بها، أو إيجاد الأسماء لبعض الأشياء والمرئيات، أو مراعاة القواعد النحوية التي تستعمل في الحديث أو الكتابة."³ أي إنها جملة حالات الاضطراب اللغوي التي تمس اضطراب الفهم والعجز عن التعبير واستعمال اللغة، وتفكك التراكيب والعجز عن ضبط وتنسيق الكلمات المستعملة لبناء خطاب سليم. وسبب هذه الاضطرابات هو: "إصابة المراكز المسؤولة عن إنتاج اللغة في النصف الأيسر من الدماغ نتيجة الجلطات أو

1- محسن علي عطية: مهارات الاتصال اللغوي وتعليمها، دار المناهج للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، 2008، ط1، ص114.

2 - سيد يوسف جمعة: سيكولوجية اللغة والمرض العقلي، عالم المعرفة، دط، 1990، ص 117.

3- مصطفى فهمي: أمراض الكلام، دار مصر للطباعة، القاهرة، مصر، ط 5، دت، ص 63.

الضربات المباشرة على الرأس تؤدي إلى فقدان جزئي أو كلي في إنتاج الكلام.¹ ولا تقتصر الحبسة على فقدان القدرة على إنتاج الكلام فحسب بل تشمل أيضا فقدان القدرة على الفهم وذلك لأن الحبسة "عبارة عن اضطرابات حركية وأخرى حسية، ففي الحركية يفقد الفرد القدرة على التعبير بالكلام إلى الحد الذي يقتصر فيه محصوله اللغوي على كلمة واحدة يعبر بها عن أشياء كثيرة، وفي الحسية يفقد القدرة على فهم الكلمات المنطوقة على الرغم من أن الفرد يتمتع بقدرة سمعية عادية إلا أنه يتعذر عليه في الغالب تمييز الأصوات."²

معنى ذلك أن المصاب بالحبسة يتميز بوجود اضطراب في قدرته على إنتاج أو فهم الكلام، ومن نماذج هذه الاضطرابات والتشوهات صعوبة تحديد معنى الأسماء، وصعوبة استحضار الكلمات، وصعوبة التصرف في البنى بإدخال الزوائد الخاصة بالتركيب وبالتالي فقدان القدرة على تكوين جمل كاملة. دون أن يفقد بالضرورة القدرة على تسمية الأشياء بمسمياتها أو القدرة على النطق بكل كلمة بصفة معزولة.

ويعتبرها حنفي بن عيسى -وهو من أوائل الذين تحدّثوا عنها بالجزائر أوائل السبعينات من خلال أطروحته المقدمة لنيل شهادة الدكتوراه- نوعا من أنواع فقدان الذاكرة amnésie إذ إنها تكون ناتجة عن النسيان عندما يتخذ شكلا مرضيا. وقد عدّ لها من حيث الوظيفة اللغوية أربعة أصناف:

- أ- حبسة اسمية: تتميز بصعوبة في فهم الأسماء أو تحديد معناها، وبعدم القدرة على ذكر أسماء الأشياء فإذا طُلب من المصاب مثال تسمية شيء ما فهو إما أنه يبقى صامتا أو أنه يلجأ إلى ذكر الغرض من استعماله بدل ذكر اسمه.
- ب- حبسة لفظية: تتميز بصعوبة استحضار الكلمات نطقا أو كتابة.

1- صهيب سليم محمد محاسيس: عيوب الكلام في التراث اللغوي العربي، دار الحامد للنشر والتوزيع، الأردن، 2012، ط1، ص58.

2 - منى توكل السيد: التهتهة لدى الأطفال؛ مفهومها، أسبابها، أعراضها، تشخيصها، علاجها، دار الجامعة الجديدة، الإسكندرية، مصر، 2008، ص 15

ج- حبسة قواعدية (نحوية وصرفية): تتميز بصعوبة في تكوين جمل سليمة التركيب وفقا للقواعد النحوية للغة.

د- حبسة دلالية: تتميز بعدم القدرة على إدراك معاني الكلمات داخل الجمل المركبة، في حين يكون المصاب قادرا على فهمها منفصلة عن بعضها البعض.¹ ولقد ظهرت عدة بحوث عملت على تتبع مظاهر أمراض الكلام والاضطرابات اللغوية، حيث اتجه عمل الباحثين إلى تحديد الجهة المسؤولة في الدماغ والتي ينشأ عن إصابتها اضطراب لغوي عند المتكلم. ومن أهم الأبحاث التي برزت في هذا المجال هي أبحاث M Paul Broca، لأنها شكلت منعرجا هاما في بحث أمراض الكلام، حيث توصل سنة 1861 من خلال فحص أحد المرضى عنده إلى أن الموضع المسؤول عن اللغة في الدماغ هو: التلافيف الجبهية Les circonvolutions Frontal، وتحديدًا التلافيف الخلفي للتلافيف الجبهي الثالث الأيسر، وهو يتواجد في نصف الكرة المخية الأيسر أي في الفص الداخلي الأيسر للمخ. وتتمثل علة المصاب بهذا الموضع في فقدان التعبير الحركي الكلامي، ولذلك يطلق على هذا النوع من العيوب الكلامية اصطلاح أفازيا حركية أو لفظية. وفي الحالات الشديدة من هذه الحبسة الكلامية يفقد المصاب القدرة على التعبير، لدرجة لا يتعدى فيها محصوله اللغوي كلمة "نعم" أو "لا" وقد يكون حديثه كله مقصورا على لفظ واحد لا يُغيّرهما تنوعت الأسئلة أو الأحاديث الموجهة إليه، كأن يقول مثلا (محمد) أو (ولد) كلما حدثه أحد. إلا أن هذا النوع من الإصابة الذي يُفقد المتكلم القدرة على التعبير لا يُفقد القدرة على الفهم. حيث يبقى قادرا على فهم مدلول الكلمات المنطوقة والمكتوبة، فيفهم ما يقرأ في الكتب والصحف مثلا، ويفهم ما يسمع من كلام في التلفاز أو في خطاب مباشر.²

ثم ظهرت أبحاث أخرى كان لها أيضا منعرج هام في مجال أمراض الكلام وهي أبحاث كارل فرنيك Carl Wernicke سنة 1874 الذي قام بتعريف نوع آخر من الحبسات تنتج عن إصابة موضع آخر من الدماغ وهو الفص الصدغي Le lobe temporal وليس الجبهي، وقد توصلت أبحاث هذا الأخير إلى أن حدوث أي خلل في

1- حنفي بن عيسى: محاضرات في علم النفس اللغوي، المرجع السابق، ص 274.

2 - مصطفى فهمي: المرجع السابق، ص 64

الجزء المذكور يسبب إتلاف الخلايا التي تساعد على تكوين الصور السمعية للكلمات مما يجعل مشكلة المصاب بهذا النوع من الحبسة لا تتصل بالنطق وتقويم الحروف، بل تنحصر المشكلة في فهم مدلول الكلمات وما تتضمنه من معنى، حيث إن المصاب حينئذ يكون قادرا على التلفظ بكلمات صحيحة، ولكن لا تكون له القدرة على الربط السليم بينها، حيث يكون اقتران الكلمات ببعضها عنده دون معنى.¹

وإذا كان فرديناند دي سوسير يؤيد ما توصل إليه بروكا حيث يطالعنا قوله: "اكتشف بروكا أن قدرة الكلام تتموضع في الفص الجبهي الثالث الأيسر... ونحن نعلم أن تموضع الإصابة هذا قد لوحظ لكل ما يرتبط بالكلام، وحتى الكتابة."² فإن الأبحاث قد تطورت في هذا الميدان في العصر الحالي أكثر وتبين معها عدم دقة تلك التحديدات السابقة للمراكز التي تؤدي إصابتها إلى اضطراب الكلام، حيث لم يثبت "اختصاص منطقة بعينها بوظيفة لغوية بعينها."³ لأن إنتاج اللغة في حد ذاته وليد "العديد من التفاعلات المعقدة بين مناطق عديدة في المخ."⁴ ولقد تمت مناقشة وظيفة المنطقة اليسرى من المخ والوظيفة النحوية، حيث تبين من خلال الدراسات الحديثة في ميدان علم النفس العصبي أن معظم القدرات اللغوية لدى البشر، لا تتموضع في منطقة القشرة الأمامية اليسرى من المخ كما كان يعتقد بروكا.⁵ فهذه الأبحاث الجديدة أبطلت ما كان مسلما به بأن منطقة بروكا ممثلة في القشرة الأمامية اليسرى هي المسؤولة عن الحبسة، وأثبتت "أن العمليات التركيبية تتموضع في النصف الأيسر من المخ، أما العمليات التحويلية فإنها تتموضع في منطقة بروكا ومحيطها."⁶

وعلى العموم فإن الباحثين يصنفون الحبسة إلى نوعين:

1 - نفسه، ص 67، 68، 69

2 - Ferdinand De Saussure : Cours de linguistique générale, ENAG / Edition , 1990, p 25 , 26

3 - حمدي علي الفرماوي: نيوروسيكولوجيا معالجة اللغة واضطرابات التخاطب، المكتبة الأنجلومصرية، القاهرة، مصر، 2006، ص 139

4 - حمدي علي الفرماوي: المرجع السابق، ص 139

5 - نفسه، ص 249

6 - نفسه، ص 250

أ- حبسة بروكا: "تتميز حبسة بروكا غالبا بشلل نصفي وصعوبة في إخراج الكلمات. ويكون المريض، في بعض الأحيان قادرا على الكلام ولكنه غير قادر على احترام قواعد اللغة. يشبه كلام المصابين بحبسة بروكا الكلام المكتوب في البرقيات نظرا لغياب الكلمات النحوية منه وقصر جملة".¹

ب- حبسة فرنريك:

"تتميز حبسة فرنريك مقارنة بحبسة بروكا بالخصائص الآتية:

- وجود إصابة في التأليف الأول من الفص الصدغي الأيسر.
 - لا تتبع بشلل نصفي.
 - يتميز الكلام بالطلاقة مع الإبقاء على القدرة على التلفظ وعدم القدرة على الفهم، الاحتفاظ بالقواعد النحوية مع غياب المعنى.²
- وقد حاولت العديد من الدراسات³ تطبيق المفاهيم الإجرائية للنظرية الخيلية الحديثة للكشف عن طبيعة الاختلالات التي تحدث في كلام المصاب بالحبسة وتحليلها وعلاجها وإعادة تأهيل المصابين بها. وقد اخترنا بعض النماذج لنقف من خلالها على تطبيق النظرية الخيلية الحديثة في ميدان علاج أمراض الكلام، والأدوات العملية المقترحة من قبل أصحاب تلك النماذج للتعامل بها مع المصابين في العيادات. وقد استندنا في اختيارنا للرسائل التي نجعلها محورا لدراستنا على عدة نقاط؛ منها:

1 - فوزية بداوي: دراسة تحليلية لطريقة توظيف العامل في كلام المصابين بالحبسة عند عينة من الراشدين الناطقين بالعربية - التركيب الاسمي نموذجاً - أطروحة مقمنة لنيل شهادة دكتوراه العلوم في الأطفونيا، إشراف: أ.د رايح قدوري،

2014 - 2015 ، ص 48

2 - نفسه، ص 49

3- ومن بينها:

-البحث الذي قدمته (نسيمة أزرو) بعنوان: (مشاكل استحضار الكلمة عند المصابين بالحبسة) ماجستير في علوم اللسان والتبليغ اللغوي سنة 2009، وقد تمثلت إشكالية البحث في: هل يؤدي وجود تفكك في الكلمة عند المصاب بحبسة بروكا إلى إعاقة المصاب بحبسة فرنريك عن توظيف متاسق للكلمة؟

- البحث الذي قدمته (وهيبة حموش) بعنوان:

Essai d'élaboration d'une grille d'analyse pour l'étude du corpus aphasique basée sur le modèle néokhalilien et l'interactionnisme bronckartien, 2009

- البحث الذي قدمته (المالي فضيلة) بعنوان:

Étude sémiologico-grammaticale du comportement langagier du sujet aphasique , 2011

- مراعاة التنوع في المستويات اللغوية المختلفة للوقوف على مدى نجاعة النظرية الخيلية الحديثة في علاج أمراض الكلام في كل المستويات، وقد كانت النماذج شاملة لمستوى اللفظة، مستوى التركيب، مستوى الخطاب.

- لم يكن بإمكاننا الاستغناء عن دراسة وهيبه بودالي وفوزية بداوي نظرا لأهميتهما في حقل الدراسات من بين الذين طبقوا النظرية الخيلية في هذا الميدان، حيث يشير إلى أهميتهما معظم الدارسين؛ وقد توصلنا إلى ذلك من خلال تنقلنا إلى مركز البحث العلمي والتقني لتطوير اللغة العربية الكائن مقره بجامعة الجزائر 2 (بوزريعة).

- اعتمدنا رسالة فوزية بداوي للماجستير والدكتوراه للوقوف على مدى تطور الدراسات حول النظرية الخيلية الحديثة بعد مرور حوالي 15 سنة. ولأنها في رسالة الماجستير اهتمت بمستوى الخطاب إلى جانب التركيب وفي أطروحة الدكتوراه اهتمت بمستوى التركيب، وتحديد العامل وهو من أهم مبادئ النظرية الخيلية ومع ذلك لم نقف من خلالنا بحثنا على الدراسات التي طبقت النظرية الخيلية الحديثة في ميدان علاج أمراض الكلام على دراسة تناولت تحليل العامل عند المصابين بالحبسة من الناطقين بالعربية انطلاقا من مبادئ النظرية الخيلية الحديثة. مما يجعلنا نستنتج أن المصابين الناطقين بالعربية غالبا ما تطبق عليهم نماذج لسانية أجنبية.

3.1. L'étude de la variation incrémentielle chez l'aphasique de broca et de wernicke, application des principes de la théorie néokhalilienne:¹

بمعنى: دراسة التحويل التفريعي عند المصابين بحبسة بروكا وحبسة فرنيك بتطبيق مبادئ النظرية الخيلية الحديثة. للباحثة وهيبه بودالي: حيث تناولت الحبسة انطلاقا من النموذج الخيلي وبالارتكاز على مفاهيم ومبادئ النظرية الخيلية الحديثة، وقد استندت الباحثة في دراستها اللسانية التطبيقية على مفهوم اللفظة Lexie الاسمية والفعلية وانحصرت دراستها في هذا المستوى (اللفظة).

واتبعت مسارين هامين في عمليات التحليل التي قامت بها وهما:

- التحليل النحوي المعنوي: Semiologico-gramatical في الإطار اللساني

1 - wahiba Boudali :L'étude de la variation incrémentielle chez l'aphasique de broca et de wernicke, application des principes de la théorie néokhalilienne, magistr en sciences du langage et de communication linguistique, Alger 2000.

- التحليل المنطقي المعنوي: Logico Sémantique على المستوى التبليغي.

حيث يكشف المسار الأول عن طبيعة الاتساق النحوي La cohésion

، ويكشف المسار الثاني عن طبيعة الانسجام اللغوي Lacohérence عند

المصابين بالحبسة. بهدف الوقوف على نمط التحليل التزايدى La variation

incrémentielle عند المصابين بحبسة فرنريك وبروكا من خلال المنهج العيادي المقارن

القائم على دراسة الحالة وشبكة التحليل وأدوات الاستقصاء التي اتبعتها. حيث عمدت

إلى تطبيق اختبارات نحوية Testes grammaticaux باستعمال بعض الاختبارات اللسانية

العيادية التي انتقتها من رائز بلونش دوكارن Blanche ducarne (اختبار وصف الصور)

ورائز (م ت 86) Test du MT86، مقياس التسمية ومقياس السرد مع تسجيل الخطاب

وتجزئة المدونة. وبالاعتماد على بعض مفاهيم النظرية الخيلية الحديثة ومنها: (حدّ

اللفظة) (الأصل والفرع) (التفريع). وقد طبقت اختبارات على ثلاث عينات من مصلحة

أمراض الأعصاب الكائنة على مستوى المركز الاستشفائي الجامعي مصطفى باشا

بالجزائر العاصمة. وقد اشتملت العينات على حالتين لحبسة بروكا وحالة لحبسة فرنريك

وقد تم اختيارها بعد تشخيص نهائي من قبل طبيب الأعصاب والمختص الأرففوني.

وقد انطلقت من عدد من الإشكاليات أهمها:

- هل يفقد المصاب بحبسة بروكا القدرة على استعمال قواعد اللغة وبالخصوص

التحويل التزايدى وهل يفقد معها السياق الخطابي؟

وانطلاقا من كون الحبسة في مفهومها هي إصابة في الوظيفة اللغوية تمس

الاستعمال النحوي والتبليغي فقد افترضت للإجابة عن هذه الإشكالية أن المصاب

بحبسة بروكا يفقد القدرة على استعمال قواعد اللغة وبالخصوص التحويل التزايدى

ولكنه يحافظ ولو نسبيا على التحليل الرمزي باللجوء للوظيفية الخطابية، أي إنه يحتفظ

بالسياق الخطابي مما يجعله قادرا على استعمال الاتساق اللغوي دون الانسجام

النحوي.

- هل يستعمل المصاب بحبسة فرنريك القواعد اللغوية وخاصة القواعد الراجعة إلى

التحليل التزايدى؟ وهل يحتفظ بالقدرة على التسمية؟

وكانت فرضيتها أن المصاب بحبسة فرنريك يستعمل نسبيا القواعد اللغوية وخاصة القواعد الراجعة إلى التحليل التزايدى، لكنه يفقد القدرة على التسمية المعنوية dénotation sémantique مما يجعل الاتساق مصابا أي إن المصاب بحبسة فرنريك مصاب في وظيفة الاتساق لا الانسجام.

وقد توصلت إلى نتائج قيمة منها:

- يركز شرح الحبسة وتفسيرها كمرض من أمراض الكلام على أساس المفاهيم اللسانية للنظرية الخليلية الحديثة، مثل (حدّ اللفظة) (الأصل والفرع) (التفريع) على أنها خلل يحدث على مستوى الاتساق النحوي عند المصابين.

- الحبسة يمكن أن تكون خلافا في الاتساق النحوي خاصة ما يتعلق بعملية التحويل التزايدى من الأصل إلى الفروع بالنسبة لحبسة بروكا بحيث يفقد المصاب بها القدرة على التحكم في مبدأ التفريع، ومن الفروع إلى الأصل بالنسبة لحبسة فرنريك بسبب فقد المصاب بها السيطرة على مبدأ الأصل.

- تحليل اللفظتين الاسمية والفعلية في كلام المصابين بحبسة بروكا، يبين وجود خلل عند المصاب في التحويل التزايدى من الأصول إلى الفروع الذي يتحكم في إنشاء الحدود التوليدية؛ مما يعرقل عملية الانسجام النحوي. كما يمس هذا العجز أيضا قواعد البنية على مستوى اللفظة الفعلية والدمج البنوي للوحدة الدالة، مما يؤثر بشكل سلبي على إنتاج أدوات الربط النحوية، وهو ما يجعل كلام المصاب متقطعا وغير متسق من الناحية النحوية، إلا أن هذا المصاب رغم عجزه عن تحقيق الاتساق النحوي تبقى له رغم ذلك القدرة على التحليل الرمزي اللفظي. وهذه القدرة على التحليل التي يبقى المصاب محافظا عليها مع الرجوع إلى السياق المعنوي المنطقي تساعده على تعويض النقص وبالتالي الحفاظ على اتساق الكلام إلى حد يجعل الخطاب فعالا نسبيا.

- تحليل اللفظتين الاسمية والفعلية في كلام المصابين بحبسة فرنريك يبين أن مصدر هذا النوع من أمراض الكلام هو خلل في الحفاظ على وحدة العناصر المكوّنة لأصل اللفظة. مما يؤدي إلى خلل في الشبكة الدلالية والفهم، وهو الخلل الذي يؤثر سلبا على عملية الاتساق اللغوي في المستوى الخطابى التبليغي. ويظهر ذلك من خلال عدم

القدرة على إنشاء محتوى متسق ونقص في التسلسل المعنوي للنص. وذلك لأن المصاب بهذا النوع من الحبسة يكون عنده خلل في التحليل الرمزي، وعجز عن إعطاء محتوى للحد الإجرائي، وقصور في الربط داخل النص معنويا، كأن لا يوفق في إحداث التناسب بين الشخص والنوع والزمن. والمريض المصاب بهذه الحالة يلجأ إلى الوظيفة النحوية وتحديد التحليل التزايدى لتغطية الخلل، فتكون له القدرة على القيام بعملية الانسجام ولكن يبقى تحليله النحوي غير متحكم به.¹

نلاحظ على دراسة الباحثة أنها نجحت في استثمار مبادئ النظرية الخليلية الحديثة في تحليل الإنتاجات اللغوية للمصابين بحبسة بروكا وفرنيك، وأثبتت قيمة هذه النظرية كنموذج عربي يتوافق وطبيعة لغة المصابين. إلا أننا نُبدي تحفظا على الأدوات العملية المقترحة للعلاج، حيث لاحظنا أنها تعتمد أساسا على رائز بلونش دوكارن ducarne (اختبار وصف الصور) ورائز (م ت 86) Test du MT86، لا على مبادئ النظرية الخليلية الحديثة.

3.2. Analyse linguistique des troubles syntaxiques chez les aphasiques, application de la théorie neo-khalilien :²

للباحثة (بداوي فوزية) وفيها عملت على استغلال النموذج التركيبي الخليلي القائم على مفهوم الحدّ أو المثال على مستوى البنية التركيبية والقياس والتحويل والبناء لتحليل بناء الجمل عند المصابين بالحبسة، وتحديد الاختلالات والاضطرابات التركيبية والميكانيزمات اللسانية المرضية المتسببة في ظهور الخلل في وظيفة البنى التركيبية على مستوى العلاقات البنوية؛ التي تربط بين أجزاء التركيب بالنسبة لحبسة بروكا وفرنيك بحيث لا يستطيع المصاب بهذه الحبسة إقامة العلاقات البنوية بين أجزاء التركيب، والترتيب العشوائي للوحدات اللغوية في البنية التركيبية بالنسبة لحبسة فرنيكي.³

1 -wahiba Boudali :L'étude de la variation incrémentielle chez l'aphasique de broca et de wernicke , application des principes de la théorie néokhalilienne , magistère en sciences, Référence précédent, Et: wahiba Boudali : La variation incrémentielle : critères d'analyse de la cohésion chez l'aphasique de broca. Analyse sémiologique-grammaticale , Revue « Al-Lisaniyyat » , Centre de Recherche scientifique et Technique pour le Développement de la Langue Arabe, 2005, N° 10, p 25 - 42

2 - Fouzia Badaoui : Analyse linguistique des troubles syntaxiques chez les aphasiques, application de la théorie neo-khalilien, thèse de magistère en sciences du langage, école supérieure des lettres et sciences humaines, Alger, 2003-2004

3 - fouzia Badaoui : Analyse de la syntaxe chez les aphasiques de broca et de wernicke, Revue « Al-Lisaniyyat » , Centre de Recherche scientifique et Technique pour le Développement de la Langue Arabe, 2005, N° 10.p 43 - 60

وقد أجريت الدراسة التي تعتمد على النموذج اللساني للنظرية الخيلية الحديثة باعتبارها نموذجا عربيا أكثر تناسبا مع طبيعة اللغة الأم للمصابين بالحبسة، انطلاقا من منهج دراسة الحالة على أربعة أشخاص مصابين بالحبسة، بهدف ملاحظة المظاهر المرضية المتعلقة بالاضطرابات النحوية على مستوى التركيب في كلام المصابين بحبسة بروكا وفرنيك، واستخراج المميزات النحوية التركيبية الخاصة بكلامهم، والكشف عن أسبابها بغية تحليل هذه الاضطرابات الكلامية وتفسيرها وبيان أثرها على خطاباتهم.

وقد حددت الباحثة في بحثها البنى التركيبية وطرق استعمالها لدى المصابين بالحبسة بالاعتماد على:

- الملاحظة العيادية: حيث كانت مراقبة العينات المختارة للبحث المتكونة من أربعة أشخاص؛ اثنين مصابين بحبسة بروكا واثنين مصابين بحبسة فرنيك هي أساس الاختبارات والتحليلات التي أقامتها الباحثة وفق منهج دراسة الحالة؛ الذي اعتمدت فيه على تناول ما قبل التجريبي Approche pré-expérimentale (دراسة ملفات المصابين وتطبيق مجموع الفحوصات وتحليل النتائج المحصلة) ثم تناول التجريبي Approche expérimentale الذي ارتكز على مستويين هما: المستوى اللفظي الدلالي والمستوى التبليغي.

- رائز بلونش دوكارن Blanche ducarne في وصف الصور، ونموذج وليام لابوف W.Labov في تحليل القصة.

- شبكة التحليل النحوي للحبسة التي تم إعدادها بالاستناد إلى مبادئ النظرية الخيلية الحديثة، وخاصة مبدأ تركيب الجمل في مستوى البنى الأصلية والبنية التركيبية وتوظيف المثل التركيبية، والتي تمكنت الباحثة من خلالها من إعداد سلسلة من التمارين والاختبارات اللسانية الخاصة بتركيب الجمل، والموجهة لدراسة الظواهر المرضية التي رصدتها من خلال الملاحظة.

وقد ارتكزت شبكة التحليل النحوي التي اقترحتها على مستويين هما:

- المستوى النحوي الدلالي: حددت الآليات المتحكمة في توظيف النحو باللجوء إلى البنية الأصلية والمخصصات، لتحديد أسباب ظهور الاضطراب وطرق التعويض في توظيف الوحدات المنتجة. التحليل كان منظما وينتهي بتحديد أثر الاضطراب على نظام الخطاب

من خلال تحليل المخطط القصصي ثم القيام بالمقارنة بين صنفَي الحبسة المدروسين، بهدف استنتاج الوظيفة النحوية والتركيبية لديهم.

- المستوى التبليغي (الخطاب): قامت بتحليل الاتساق لمعرفة طريقة إدخال الزوائد في مختلف الاختبارات ولمعرفة أثرها في الحفاظ على سلامة كلام المصاب من خلال تحليل الاستمرارية في مستوى الجملة، وإبراز المسند والمسند إليه ودورهما في الحفاظ على الانسجام، ثم تحليل الاتساق لدراسة محتوى القصة، ثم دراسة الانسجام الكلي للقصة واستنتاج المخطط القصصي للمصاب بالحبسة.

وقد كانت الباحثة تسعى من خلال البحث إلى الإجابة عن الإشكالية

الآتية:

- هل يُؤثر الاضطراب التركيبي عند المصاب بالحبسة على قدرة إنتاج كلام مفيد في مختلف أحوال الخطاب (Situation de communication)؟ وهل يؤثر تنوع مواضع الإصابة بوحدة من الحبستين على قدرة المصاب على تنظيم خطابه وفقا للأهداف التبليغية المراد إيصالها؟

وبنيت الدراسة على افتراض مفاده أن الأعراض الخاصة بالحبسة كثيرة ومتعددة إلا أن أصل الاضطراب واحد؛ وهو إصابة الميكانيزمات التركيبية، حيث إن المصاب بالحبسة لا يفقد القدرة على الترميز اللفظي ولا المعنوي لعناصر الربط وإنما يفقد القدرة على تركيب الوحدات، وهو ما أظهرته وأثبتته نتائج التحليل الذي تضمنته الدراسة.

وقد توصلت من خلال الدراسة إلى عدد من النتائج، أهمها:

- بالنسبة للمصاب بحبسة بروكا: يؤدي وجود تفكك في البنية التركيبية الأصل عنده إلى اضطراب في تركيب الوحدات اللغوية، فينتج وحدات منفردة معزولة لا ترتبط بما قبلها وما بعدها، وصعوبات في الانتقال من الأصول إلى الفروع، أي إنه يؤدي إلى وجود خلل في قدرة المتكلم المصاب على إجراء التحويلات اللازمة بإدخال الزوائد داخل البنية التركيبية في مختلف مواضعها في المثال. وخلل في قدرته على مراعاة علاقات الربط النحوي التي ينبغي أن تكون موجودة بين العناصر اللغوية لضمان سلامة التركيب وانسجامه. فيعجز عن إنتاج جمل حسب المثال (ع+م₁+م₂)، علاوة

على محور تراكيب المصاب حول البنى الاسمية الأصلية واضطراب في تركيب البنية الفعلية التي تكاد تنعدم عنده. وعلى مستوى الدلالة يحافظ المصاب على الفعالية اللغوية بالحفاظ على الانسجام اللغوي والوظيفة الإنتاجية للكلام وفق مقامات الخطاب رغم فقدته القدرة على تركيب الوحدات اللغوية.

- بالنسبة لحبسة فرنيك: تؤدي هذه الحبسة إلى وجود اضطراب في استعمال الألفاظ في مختلف مواضعها في المثال التركيبي مما يجعل المصاب قادرا على توليد عدد لا متناه من الجمل، إلا أن البنية التركيبية لها تكون غير منسجمة وبنائها الداخلي مضطرب مما يخل بسلامة الخطاب. بمعنى أن المصاب يكون عنده اضطراب في البنى التركيبية يتمثل في انعدام القدرة على اختيار الوحدات اللغوية الملائمة وانعدام القدرة على ترتيبها في المواضع التي تقتضيها قواعد ومثل اللغة العربية، مما يؤدي إلى وجود خلل في الدلالة والفعالية اللغوية بسبب دمج الزوائد دون مراعاة ترتيب الوحدات اللغوية، أي بسبب الاستبدال اللغوي غير المناسب. ولا يعني ذلك أن المصاب يفتقر إلى وسائل الاتساق، وإنما تتنوع عنده تلك الوسائل كحروف الجر والربط إلا أنه يعجز عن الحفاظ على انسجام الخطاب الذي يؤلفه لوصف القصة.¹

إلا أننا نطرح نفس السؤال حول الأدوات العملية المقترحة للعلاج، فنقول هل توصلت الباحثة إلى تلك النتائج من خلال اعتمادها على مفاهيم النظرية الخليلية الحديثة أم من خلال اعتمادها على رائز بلونش دوكارن Blanche ducarne في وصف الصور، ونموذج وليام لابوف W.Labov في تحليل القصة. والذي لاحظناه هو أن الأساس الذي اعتمده لتحليل الاضطرابات الكلامية وتفسيرها لم يكن مبادئ النظرية الخليلية الحديثة، وإنما الرائز والنموذج اللذين ذكرناهما.

3.3. دراسة تحليلية لطريقة توظيف العامل في كلام المصابين بالحبسة عند عينة من الراشدين الناطقين بالعربية -التركيب الاسمي نموذجا-: للباحثة فوزية بداوي وهي رسالة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه للموسم الجامعي 2014/2015، إشراف الأستاذ الدكتور: رابح قدوري. حيث عملت الباحثة على استثمار اثنين من أهم مبادئ النظرية الخليلية

1- Fouzia Badaoui: Analyse linguistique des troubles syntaxiques chez les aphasiques, application de la théorie neo-khalilien, Référence précédent.

الحديثة وهما العامل والأصل والفرع. بهدف الكشف عن دورهما وطريقة توظيفهما في بناء التراكيب الاسمية عند المصابين بالحبسة من الراشدين الناطقين بالعربية. وذلك لأنه يفترض أن:

- يظهر الخلل في توظيف الكلام عند حبسة بروكا في صورة تفكك في البنية التركيبية، ويتجلى هذا التفكك في صورة حذف العامل أو عدم احترام موضعه في التركيب.¹

وعليه فإنه يمكننا القول أن هذه الدراسة تبرز دور العامل في الحفاظ على البنية التركيبية وتناسق الكلام. وبالتالي فهي دراسة تثبت قيمة وأهمية النظرية الخيلية الحديثة كنموذج نظري عربي في وصف الاضطرابات الخاصة بالعامل بدلا من الاعتماد على نماذج أجنبية غير مكيفة مع طبيعة اللغة العربية. وقد أشارت الباحثة إلى هذا المعنى حين حددت أهمية بحثها في أنها تكمن في التوصل إلى تحديد المشاكل والصعوبات التي يلاقيها المصابون بالحبسة في إنتاج الكلام. من خلال اعتماد مبادئ النظرية الخيلية الحديثة كأساس لتزويد ميدان الحبسة بالأسس التحليلية التفسيرية التي تمكن الباحث من تحديد الاضطرابات التي يعانيها المصابون، والتفكير في إيجاد الطرق الملائمة لتجاوزها.²

وقد أكدت الباحثة من خلال رسالتها على قيمة النظرية الخيلية الحديثة في ميدان علاج أمراض الكلام ليس لأنها نظرية عربية تتلاءم مع المصابين الناطقين بالعربية فحسب، بل هي أكثر من ذلك نظرية كفيلة بتغطية النقص الحاصل عند المعالجين في الوسط العيادي الجزائري، وقد أثبتت ذلك من خلال بحوثها ومن خلال تجاربها الميدانية، حيث توصلت من خلال اطلاعها على مختلف الاختبارات المستعملة في فحص الحبسة في الوسط العيادي الجزائري إلى أن أغلب تلك الاختبارات "يسمح بالحصول على تشخيص أولي للاضطرابات عند المصابين بعد التحاقهم بالمستشفى أو المراكز الصحية؛ بحيث تسمح هذه الاختبارات من إجراء

1 - فوزية بداوي: المرجع السابق، ص 10

2 - فوزية بداوي: المرجع السابق، ص 11

فحص عام لمختلف المستويات اللغوية المصابة مثل المستوى الفونولوجي والصرفي والتركيبى ومستوى الخطاب أيضا. كما أنها تساعدنا على التعرف على الطرق التي تتبعها الباحثون في إعداد الأدوات الموجهة لفحص المصابين بالحبسة، ونوعية النماذج المستعملة في تحليل إنتاجاتهم اللغوية في حين لا تُمكننا من الحصول على إجابات محدّدة حول طبيعة وعمق الاضطرابات التي يعاني منها المصابون بالحبسة.¹ مما يدل على أن النظرية الخيلية ليست مجرد نظرية بديلة وإنما نظرية متفوقة، توفر للمعالج العيادي آليات ومعايير دقيقة لتشخيص الحالات المرضية.

وقد تجلّى تطبيق الباحثة مبادئ النظرية الخيلية الحديثة في مجال علاج أمراض الكلام من خلال الخطوات العملية التي اتبعتها (اختبارات وما تشتمله من مهمّات)؛ في التعامل مع الحالات المرضية المصابة بالحبسة التي عملت عليها؛ بناء على مبادئ هذه النظرية، ونخص بالذكر في ذلك مبدأ العامل الذي يمثل عصب النحو العربي الأصيل؛ وما يرتبط به من مبادئ أخرى كالأصل والفرع... ومنها:

1 - "تكوين سلسلة من الاختبارات اعتمادا على الاختبارات المقنّنة، وتدعيمها بإعداد سلسلة من المهمات تتضمن التكرار، ملء الفراغات وتكوين الجمل انطلاقا من المنهجية الخيلية الحديثة؛ المرتكزة في تراكيبها على مبدأ الأصل والفرع، أي الانطلاق من أصغر وحدة لغوية دالة والمتكوّنة من مبتدأ وخبر، ووصولاً إلى الزوائد التي يتم إدخالها على التراكيب الاسمية النواة المكوّنة للابتداء."² أي إنها قامت بإعداد سلسلة من الاختبارات تشتمل على عدد من المهمات لفحص طريقة توظيف العامل عند المصابين بالحبسة، وقد استندت في إعداد سلسلة المهمات تلك إلى أدوات مستتبطة من اختبارات مقنّنة، انطلاقا من الملاحظة المباشرة للمصابين في الوسط العيادي الجزائري بهدف التعرف على الصعوبات التي يلاقونها في تكوين تراكيبهم. والمشاكل التي تعترضهم في الحفاظ على انسجام التراكيب وبنائها على النحو الذي تقتضيه قواعد اللغة العربية.³ بمعنى: هل يستطيع المصاب بحبسة بروكا بناء تراكيب اسمية

1 - نفسه، ص 85

2 - فوزية بداوي، المرجع السابق، ص 32

3 - نفسه، ص 86

في صورتها البسيطة (مبتدأ+ خبر) أم يعجز عن ذلك؟ وإذا تمكن من تكوين تلك الصورة البسيطة التي تعتبر أصلاً؛ هل يستطيع الانتقال عن ذلك المستوى (الأصل) إلى مستوى آخر (الفرع) بإضافة بعض الزوائد على يمين التركيب ويساره أم لا؟ وهل يستطيع التحكم في بناء التركيب على نحو منسجم كأن يحذف العوامل أو يتصرف في مواضع الوحدات اللغوية (عناصر التركيب)؟.

2- إعداد شبكة لتحليل التراكيب الاسمية عند المصابين بالحبسة في جانبيه العفوي والموجّه.

3- اقتراح جدول عيادي يتضمن الاضطرابات التركيبية التي تميّز المصابين بالحبسة الراشدين الناطقين بالعربية انطلاقاً من مبادئ النظرية الخيلية الحديثة.¹

وبما أن الباحثة اعتمدت على منهج دراسة الحالة، وهذا الأخير يقوم على ملاحظة السلوك اللغوي للعينات المصابة. ولأن العينات المصابة من الوسط الجزائري فهي ولا شك تستعمل العامية في تبادلها اللغوي، وبما أن النموذج الخيلي الحديث يعتمد بالدرجة الأولى على العربية الفصحى فقد قامت الباحثة بإدخال تعديلات على النموذج الخيلي كلما اقتضت الحاجة إلى ذلك حتى يتماشى وكلام المصابين. وقد خصّت التعديلات الحركة الإعرابية التي يسقطها المتكلم بالعامية لذلك لم تعتبر ذلك خطأ أو عجزاً عند المصاب بالحبسة، بل اعتبرته ظاهرة عامة في الكلام المنطوق للجزائريين لأنّ أغلب المتكلمين بالعامية يستعملون اللغة دون إعراب.² وهذا يدل على أن النظرية الخيلية الحديثة هي نظرية طيّعة يمكن تطبيقها على اللغة الفصيحة كما يمكن تطبيقها على العامية؛ لأنها نظرية مستتبطة من اللغة العربية؛ فهي أولى من محاولة إخضاع المصابين المتكلمين بالعربية للنماذج الغربية وبالتالي محاولة تطويع تلك النماذج للغة العربية الفصيحة ثم تطويعها للغة العامية أيضاً.

وصف الاختبارات التي أعدتها الباحثة:

1 - فوزية بداوي، المرجع السابق، ص 82

2 - نفسه، ص 88

يتضمن كل اختبار وضعته سبع مهمّات، تمسّ الكلام بجانبه (العفوي والمؤجّه). وقد استندت في تلك الاختبارات على بعض البنود المأخوذة عن الاختبارات المقنّنة الخاصة بالحبسة مثل اختبار دوكارن (Ducarne) الذي أخذت منه صور وصف الحريق. إلا أن الأساس الأهم الذي اعتمدت عليه في بناء الاختبار هو مبدأ الأصل والفرع باعتباره من أهم المبادئ التي يقوم عليها النحو العربي في كل مستويات اللغة بما فيها مستوى التراكيب. ففي مثال التركيب الاسمي (الجملة الاسمية) مثلاً؛ -وهو المستوى الذي اعتنت الباحثة بدراسته- ينتقل المتكلم المثالي من الأصل وهو أقل ما يتكلم به (المبتدأ والخبر (من عامل ومعمولاته) إلى الفروع وهي التراكيب الأكثر تعقيداً من خلال زيادة وحدات لغوية في موضع العامل وفي موضع المعمول الأوّل (م1) والمعمول الثاني (م2)، ويقوم عمل الباحثة على متابعة كلام المتكلم المصاب بالحبسة وملاحظة كيفية تعامله مع هذا النوع من البنى.¹

ويكمن الهدف من هذه الاختبارات والمهمات التي اتبعتها الباحثة بالاستناد على فكريتي العامل والأصل والفرع الخلييتين في: "التعرف على مدى قدرة المفحوصين على توليد بنى أصلية بسيطة (نواة) متكوّنة من عوامل غير ملفوظة (ابتداء) مصحوبة بأسماء في صيغة مبتدأ وخبر. إضافة إلى تكوين تراكيب اسمية نواة تحمل معمولات أكثر تعقيداً، تتكون من أفعال (لفظات فعلية) أو تراكيب في صيغة (عامل ومعمول أوّل ومعمول ثاني) مثل: جملة (الطفل يبكي من شدة المرض) الطفل هنا مبتدأ والجملة الفعلية (يبكي من شدة المرض) هي في محل رفع خبر، إضافة إلى تطبيق التحويلات بإدخال العوامل الملفوظة المتمثلة في كان وأخواتها على الجمل الاسمية النواة."²

وسنقتصر في دراستنا هذه على عرض بعض المهمات فقط؛ لاتخاذها كنماذج لبيان كيف سعت الباحثة إلى تطبيق مبادئ النظرية الخيلية الحديثة في مجال معالجة أمراض الكلام، لأنه لا يمكننا بحال من الأحوال عرض كل المهمّات.

1 - فوزية بداوي : المرجع السابق، ص 88

2 - نفسه، ص 91

1 - مهمة وصف صورة حريق:

وهي من المهمات المعروفة في اختبار تقييم الحبسة لبلاش دوكارن، وفيها تقوم الباحثة بعرض سلسلة من الصور تمثل مشهدا على المصاب، وتطلب منه ترتيبها وقصّ ما يراه عليها في شكل عبارات، لتقوم الباحثة بتحليل تلك العبارات التي ينتجها المصاب بناء على مبادئ النظرية الخيلية الحديثة، بتحديد الجمل الاسمية البسيطة المتكونة من اسمين في صورة مبتدأ وخبر في مرحلة أولى، لتنتقل في مرحلة تالية إلى تحليل الجمل المعقدة في تركيبها، التي تقوم على إدخال التحويلات (الزوائد) على الجملة النواة، كإضافة الأفعال الناسخة (كان وأخواتها) وغيرها.¹ ومن أمثلة اضطرابات المصابين في هذه المهمة: استعمال المصاب كلمات في غير موضعها، كأن يقول المصاب (y-hafun-nar) بدل قوله (y-tafun-nar).²

ونلاحظ أن هذه المهمة التي اعتمدها الباحثة كفيّلة بأن تكشف مدى قابلية استغلال مبدأ العامل الذي تقوم عليه النظرية الخيلية الحديثة وتطبيقه في ميدان علاج أمراض الكلام، حيث يمكن لها أن تنظر من خلال العبارات التي يستعملها المصاب لوصف المشاهد إلى مدى قدرته على إنشاء بنى تركيبية سليمة نحويا تحترم قواعد اللغة العربية، وبالتحديد مبادئ تحليل العامل في الصورتين البسيطة والمركبة. توصلت الباحثة إلى أن المصابين تمكنوا من أداء المهمة بنجاح، حيث لم تمنعهم الحبسة من بناء التراكيب السليمة الموافقة للصور المقترحة. والموافقة للحد الإجمالي (ع + م₁ + م₂).³

2 - مهمة التكرار:

يُعتبر التكرار من المهمات الضرورية في تحليل كلام المُصاب بالحبسة. وذلك لأنّ طلب تكرار التراكيب ليس من السّهولة بمكان بالنسبة للمصاب، لأنّ التكرار بالنسبة له ليس نقلا آليا للعناصر المسموعة؛ بل عبارة عن إعادة بناء العناصر المسموعة أو المنطوقة. وتتطلب عملية إعادة البناء تلك مهارات لغوية متعددة حيث

1 - فوزية بداوي : المرجع السابق، ص 93

2- نفسه، ص 181

3 - نفسه، ص 154

يتعين على المصاب حتى يتمكن من إعادة الكلام المسموع أن يكون قادراً على تفكيكه وتحليله. ومعنى ذلك أن تكون قدرة على إدراك بنية التراكيب الاسمية البسيطة الأصلية (مبتدأ+ خبر) أولاً، ثم القدرة على إدراك بنية التراكيب الاسمية الفرعية وهي البنى الأكثر تعقيداً التي تقوم على إدخال الزوائد على البنى الأصلية، حيث تعول الباحثة في اكتشاف قدرة المصاب من خلال هذه المهمة على تحليل تكراراته، فتأخذ بعين الاعتبار مدى قدرة المصاب على تكرار الجملة كاملة؛ أو أنه يقوم بحذف بعض أجزائها، ثم تُحدد المواضع التي يجد فيها صعوبة: هل هو موضع العامل، أم المعمول الأول أم المعمول الثاني.¹ ومثال اضطرابات المصابين في هذه المهمة: تقديم الخبر على المبتدأ كقوله (لونها جميل السّما) بدل قوله (السّما لونها جميل)، وحذف عنصر في موضع الخبر بقوله (النخيل... في الصّحرا) بدل قوله (النّخيل يكثر في الصّحرا)، أو عدم القدرة على تكرار الجملة مثل (ظل حارس المحطة يراقب المسافرين).²

وهذه المهمة أيضاً كشفت من خلالها الباحثة مدى قابلية مبدأ العامل من بين مبادئ النظرية الخليلية للاستثمار في مجال علاج أمراض الكلام، بل وأثبتت مدى فاعليته في هذا المجال، حيث تنظر من خلال هذه المهمة في مدى قدرة المصاب على تكرار الجملة كاملة كما يسمعها أم لا، أو تكرار جزء منها من عدمه أو تكرارها كما هي أو تعويضها بغيرها غير المطابق لها. ومدى حفاظه على ترتيب الكلمات في مواضعها (ع، م1، م2)...

وقد توصلت الباحثة إلى أن المصابين يعانون بعض الصعوبات في هذا الاختبار، وهي تظهر أكثر في التكرار الذي يخص التراكيب التي تتسم بالتعقيد، وهي تلك التراكيب التي تتضمن تراكيب في مواضع المعمولات.³

3 - مهمة ملء الفراغات:

تعتبر هذه المهمة أكثر تعقيداً بالنسبة للمصاب مقارنة مع المهمات السابقة، لأنها تتطلب قدرات أكبر من المصاب حيث يتعين عليه إيجاد اللفظ المناسب

1 - فوزية بداوي : المرجع السابق، ص 94

2 - نفسه، ص 182

3 - نفسه، ص 155

للتركيب المُقترح؛ دون أي مرجع من المراجع السابقة التي كانت تساعد على أداء مهمته على النحو السليم. وقد انطلقت الباحثة في هذه المهمة من تقديم مثال عبارة عن نموذج للتركيب السليم حتى يتمكن المصّاب من استيعاب المطلوب منه وصياغة نماذج لتراكيب سليمة على منوال ما أُدم له. وبناء على ما يقدم المصّاب من تراكيب تقوم الباحثة بتحليل كلامه من خلال ملاحظة مدى قدرة المصّاب بالاضطراب على إكمال بناء التراكيب ومدى قدرته على إنتاج بنى وتراكيب صحيحة قياساً على النموذج المقدم، وذلك من خلال ملاحظة مدى قدرته على احترام المواضع الخاصة بالعوامل والمعمولات، وتحديد الصُّعوبات التي يجدها المصّابون بالحبسة في ملء الفراغات انطلاقاً من الأصول إلى الفروع وقد عمدت الباحثة إلى تقسيم هذا الاختبار إلى مراحل حتى تتمكن من تحديد نوعية الصعوبات التي يلاقيها المصّابون انطلاقاً من التراكيب البسيطة ووصولاً إلى التراكيب الأكثر تعقيداً. وقد كانت تمارين هذه المهمة على مراحل تراعي أهداف الفحص وتدرّجه المنهجي على الشكل الآتي:

- 1 - يطلب من المصّاب إيجاد اللفظ المناسب للفراغ في موضع المعمول الأول.
- 2 - يطلب من المصّاب إيجاد اللفظ المناسب للفراغ في موضع المعمول الثاني.
- 3 - يطلب من المصّاب إيجاد اللفظ المناسب للفراغ في موضع اسم كان أو أخواتها.
- 4 - يطلب من المصّاب إيجاد اللفظ المناسب للفراغ في موضع خبر كان أو أخواتها.
- 5 - يطلب من المصّاب اختيار اللفظ المناسب في موضع العامل من بين ثلاثة ألفاظ مقترحة عليه.¹

ومثال اضطرابات المصّابين في هذه المهمة: سوء اختيار الكلمات في موضع المبتدأ، خلل في التصريف بين التذكير والتأنيث بقوله (حياة جميل) بدل (حياة جميلة)، استعمال كلمة غير ملائمة في موضع المعمول الثاني (الخبر) بقوله (الحوت يم في لبحر) بدل قوله (الحوت يمشي في لبحر).²

1- فوزية بداوي : المرجع السابق، ص 95 ، 96

2- نفسه، ص 184

وهذه المهمة هي الأخرى مكنت الباحثة من اختبار مدى فاعلية النظرية الخيلية في هذا المجال، حيث اعتمدت على مبدأ العامل كأساس لتشخيص الاضطراب الحاصل عند المصابين من خلال نظرها في مدى قدرة المصابين على اختيار الكلمات الملائمة للفراغات في التركيب ووضعها في الموضع المناسب لها من مواضع الحد الإجرائي للتركيب الذي وضعه الحاج صالح.

توصلت الباحثة إلى أن المصابين يعانون من صعوبات في ملء الفراغات بالمعمول المرضي مما يدل على أن الثاني وخصوصا إذا كان الموضع يتطلب إنتاج تراكيب، بالإضافة إلى عدم القدرة على اختيار العامل من بين سلسلة من الألفاظ.¹

4- مهمة تركيب الجمل:

يقوم هذا الاختبار على أن تسند للمصاب مهمة إنتاج عدد من الجمل الاسمية وفق الحد الإجرائي للتركيب الاسمي؛ على اختلاف درجات بساطته وتعقيده، حيث انطلقت الباحثة من الجمل البسيطة المتكوّنة من اسمين (مبتدأ وخبر) وانتقلت إلى الجمل الأكثر تعقيدا على النحو الآتي:

- 1- ينشئ المصاب جملتين اسميتين؛ يكون موضع المعمول الأول فيهما عبارة عن جار ومجرور، يكون متبوعا باسم في موضع المعمول الثاني.
- 2- ينتج المصاب جملتين اسميتين؛ يكون موضع المعمول الأول فيهما عبارة عن فعل متبوع باسم في موضع المعمول الثاني.
- 3- يُكوّن المصاب جملتين اسميتين؛ يكون موضع المعمول الثاني فيهما عبارة عن فعل.

- 4- يُركب المصاب جملتين اسميتين؛ يكون موضع المعمول الأول والمعمول الثاني فيهما عبارة عن تركيب.²

وقد عللت الباحثة اعتمادها على ترتيب المهمات على هذا النحو بأنه يمكنها "من فحص كيفية تعامل المصابين بالحبسة مع التحويلات والصعوبات الناجمة

1 - فوزية بداوي : المرجع السابق ، ص 155

2 - نفسه ، ص 96 ، 97

عن الانتقال من البنى البسيطة إلى البنى الأكثر تعقيدا والتي تجرى في مختلف مواضع البنية التركيبية الاسمية.¹

وبهذا الاختبار والمهمات المتعلقة به، وبغيره من الاختبارات والمهمات التي سبق وأشرنا إليها في بحثنا هذا، أو غيرها من الاختبارات الفعالة التي قدمتها الباحثة والتي لم يتسع بحثنا لذكرها كلها، وقفنا على بيان الباحثة مدى فاعلية مبادئ النظرية الخيلية وفاعلية تطبيقاتها لعلاج الحبسة لدى المصابين بأمراض الكلام من الناطقين باللغة العربية. إذ ثبت أنه يمكن الانطلاق من النموذج الخيلي الحديث لعبد الرحمن الحاج صالح لتشخيص الصعوبات التي يواجهها المصابون فيما يتعلق بتوظيف العامل لبناء تراكيب سليمة نحويا. إذ ثبت من خلال البحث الذي أجرته (فوزية بدوي) أنه يمكن اعتماد مبدأ العامل الخيلي لتحديد مدى صحة التراكيب من خطئها عند الناطقين بالعربية. وذلك لأنها توصلت من خلال بحثها إلى أنّ: "المصاب بحبسة بروكا يستطيع تكوين جمل اسمية في صورتها البسيطة (مبتدأ+ خبر)، لكنه يعجز عن الانتقال عن هذا الأصل إلى فروع أخرى بإضافة بعض الزوائد. كما يعجز عن التحكم في بناء التركيب على نحو منسجم كأن يحذف العوامل أو يتصرف في مواضع الوحدات اللغوية (عناصر التركيب)."² مثال اضطرابات المصابين في هذه المهمة: الترتيب العشوائي للكلمات كقوله (أستاذ هذا الرجل بالجامعة) بدل قوله (هذا الرجل أستاذ بالجامعة)، أو خلل في موضع م كقوله: (أصبح الرجل) بدل (هذا الرجل)...³

توصلت الباحثة إلى أن التراكيب الاسمية أكثر بساطة من الناحية التركيبية من التراكيب التي تجرى عليها التحويلات في المهمة الثانية. فكلما كانت المهمات معقدة كلما كانت الصعوبة في أدائها أكبر لأن الزيادة في طول البنية وتعقيدها يؤثر في القدرة على إنتاج جمل اسمية كاملة وصحيحة.⁴

1 - نفسه، ص 97

2 - فوزية بدوي : المرجع السابق ، ص 90

3- نفسه، ص 185

4 - نفسه، ص 179

وقد لاحظنا على عمل الباحثة أنه استند على مفاهيم على النظرية الخليلية الحديثة، وتحديدًا مبدأ العامل، ونجحت من خلاله الباحثة في استثمار هذه النظرية ذات الأصول العربية لصياغة نموذج فعال يمكن المعالج من تحليل إنتاجات المصاب وتحديد مدى صحة التراكيب التي يستعملها من خطئها، والاختلالات التي تعترى توظيف العامل عند المصابين بالحبسة الراشدين الناطقين بالعربية. ونستدل على ذلك بـ:

أ - الاختبارات والمهمات التي اعتمدها في متابعة العينات التي أجرت عليها البحث، وهو ما سبق ذكره.

ب - الخطوات العملية التي اتبعتها والتي تمثلت في:¹

- استخراج كل التراكيب التي تحتوي على عوامل سواء أكانت صحيحة أم خاطئة.
 - استخراج النسب المئوية لكل نوع منها (التراكيب الصحيحة والتراكيب الخاطئة).
 - تحديد نوع الاضطرابات التي تميز البنى التركيبية عند المصابين بالحبسة.
 - تحديد السيرورات المصابة والمتسببة في ظهور تلك الاضطرابات.
- حيث مكنتها هذه الخطوات من طرح جملة من الأسئلة مرتبطة بنظرية

العامل التي تسعى إلى تطبيقها في ميدان علاج أمراض الكلام، ومن هذه الأسئلة:²

- 1 - هل العامل مستعمل من طرف المصاب؟
- 2- إذا كان الأمر كذلك، هل يشغل موضعه؟
- 3- هل المعمول الأول مستعمل من طرف المصاب؟
- 4- إذا كان الأمر كذلك، هل يشغل موضعه؟
- 5- هل المعمول الثاني مستعمل من طرف المصاب؟
- 6- إذا كان الأمر كذلك، هل يشغل موضعه؟
- 7- هل يستخدم عددا كبيرا من الكلمات للتعبير عن فكرة واحدة؟
- 8- هل يستخدم الكلمات في موضعها الخاص؟

1 - فوزية بداوي: المرجع السابق، ص 108 ، 109

2 - نفسه، ص 109

9- هل يجد صعوبة في استخدام الاسم المناسب في تسمية الصور ؟

10- هل هو قادر على تطبيق التحويلات بالانتقال من التراكيب التي تحتوي على اسم واحد، إلى التراكيب التي تحتوي على اسمين : ع + Ø م 1 (اسم +) Ø م 2 (اسم)؛ أو اسم وفعل : ع + Ø م 1 (اسم) + م 2 (فعل)، حيث يشغل الفعل هنا موضع المعمول الثاني في التركيب الاسمي البسيط، ويمكن أن تحتوي على اسم وتركيب : ع + Ø م 1 (اسم) + م 2 (تركيب).

ج - النتائج القيمة التي توصلت إليها: ومن أهمها توصلها إلى تصنيف عام للاضطرابات التركيبية الخاصة بتوظيف العامل في الجملة الاسمية في حبة بروكا حسب النموذج الخليبي الحديث، والذي صاغته على النحو الآتي:

- عدم القدرة على تكرار الجمل ذات المواضع المركبة في م 1 وم 2
- اختيار غير ملائم للألفاظ من حيث المحتوى في موضع المبتدأ (م 1).
- ترتيب الألفاظ بطريقة غير منتظمة دون الاعتماد على مثال سابق.
- عدم وجود بناء بين الألفاظ المكونة للجملة: إنتاج جمل في شكل لفظات معزولة الواحدة عن الأخرى.
- تأخير العامل عن المعمول الأول .
- استعمال الحذف في بعض المواضع في التركيب.
- عدم القدرة على الانتقال من الأصل إلى الفروع بتطبيق التحويلات. اختيار غير ملائم للزوائد (مثل العوامل) في الجملة.¹

ومعنى ذلك أن المصاب بالحبة يعاني صعوبات جمة في إنتاج الكلام، ويتمثل ذلك وفقاً للنظرية الخليبية الحديثة في صعوبات في احترام العلاقات بين عناصر التركيب (أسماء، أفعال، روابط) وصعوبات في احترام مواضع هذه الوحدات اللغوية حسب ما يقتضيه نظام اللغة العربية (ع، م 1، م 2)، أي عجز المصاب عن إنتاج البنى وتوظيف المثل والحدود الإجرائية من الكلمات المعزولة التي لا يجد

صعوبة في إيجادها. كما يجد صعوبات في تطبيق التحويلات الملائمة بالانتقال من الأصول إلى الفروع بتطبيق التحويلات باستعمال الزوائد التركيبية (مثل إن وأخواتها).
فهذه النتائج أثبتت من خلالها الباحثة أنه من غير الممكن دراسة ظواهر الحذف والاستبدال والتحويل عند المصابين بالحبسة، دون الأخذ بعين الاعتبار طبيعة النظام اللغوي عندهم وهو النظام الخاص باللغة العربية الفصيحة والعامية. ومنه خلصت إلى ضرورة الاعتماد على نموذج لساني ملائم للغة التي يتكلمها المصاب ونابع منها، حتى يتمكن المعالج من الإحاطة بمختلف الاضطرابات اللغوية التي يعانها المريض، ويتمكن من وصفها الوصف العلمي الدقيق ومن ثم يتوصل إلى إيجاد الأدوات والآليات العلاجية المناسبة للتكفل بالاضطرابات الملاحظة عند تحليل كلام المصابين بالحبسة الناطقين بالعربية، وفي هذا دليل على قيمة النموذج اللساني الخليلي في الوسط العيادي.¹

وعليه فقد تمكنت الباحثة من إعمال مبادئ النموذج الخليلي الحديث لتحليل الإنتاجات اللغوية عند المصابين بالحبسة، فاستندت على مبدأ العامل وأهميته الكبرى المعروفة في مستوى التراكيب عند النحاة العرب، ونظرت من خلال مُثله التي صاغها صاحب النظرية الخليلية الحديثة في مدى سلامة أو تفكك البنى التي ينتجها المصابون بالحبسة، من خلال ملاحظة إنتاجاتهم ومدى محافظتهم فيها على مواضع العوامل والمعمولات وملاءمة الألفاظ التي يستخدمونها في كل موضع من المواضع. فالرجوع إلى هذا النموذج الخليلي مكنها من التعرف على الاضطرابات وأسبابها والتي ترجع بالدرجة الأولى إلى عدم القدرة على التحكم في العوامل والمعمولات. ففقدان هذه القدرة جعل المصاب ينتج تراكيب مفككة غير منواملة لأن العامل هو بالدرجة الأولى علاقات وجوبية بين الكلمات في التركيب، وألفاظ ضرورية الاستعمال في الجمل وهو ما لم يتمكن المصاب بالحبسة من القيام به. وقد بينت من خلال ذلك أهمية استغلال نموذج عربي في تحليل الاضطرابات اللغوية بدلا من النماذج الأجنبية غير المكيفة مع طبيعة اللغة العربية.

1 - فوزية بداوي: المرجع السابق، ص 265

ولكننا لاحظنا أنها كغيرها من الباحثين الذين اطلعنا على أعمالهم وأبحاثهم في حدود دراستنا اكتفت باستغلال النظرية الخليلية الحديثة وآلياتها لتحليل الإنتاج اللغوية عند المصابين بالحبسة، ولم تقم بإعداد برنامج علاجي للتكفل بالاضطرابات اللغوية عند المصابين بالحبسة الناطقين بالعربية. كما أن اعتمادها على مبادئ النظرية الخليلية الحديثة لم يغنها عن الاعتماد على بعض البنود المأخوذة عن الاختبارات المقتنة الخاصة بالحبسة مثل اختبار دوكارن (Ducarne) الذي أخذت منه صور وصف الحريق. مما يدل على أن الأدوات العملية والإجرائية التي اعتمدها لم تكن خليلية. ومعلوم أنّ الأساس الذي جعلنا من خلاله نعتبرها طبقت مبادئ النظرية الخليلية الحديثة إنما هو الأدوات العملية والإجرائية. إذ يتعين على الدارسين الذين يسعون إلى تطبيق النظرية الخليلية الحديثة في ميدان علاج أمراض الكلام من وجهة نظرنا وضع أدوات إجرائية بالاعتماد على مبادئ هذه النظرية فقط. كما يتعين عليهم التوجه إلى إعداد برامج علاجية مناسبة لعلاج الاضطرابات اللغوية عند المصابين وعدم الاكتفاء بتحليلها. كأن يصوغ الباحث عند تطبيقه مبدأ العامل مثلا نموذجا يوضح الخطوات التي يجب على المعالج اتباعها لجعل المصاب ينتج تراكيب سليمة نحويا ودلاليا، وذلك بجعله يتحكم في المثل والحدود الإجرائية التي تتشكل منها الجمل، ويتحكم في الانتقال من الأصول إلى الفروع والعكس، وزيادة قدرته على إجراء التحويلات المناسبة على البنى الأصلية بإدخال عناصر وزوائد في التركيب، وكذا التحويلات على البنى الفرعية بحذف عناصر لغوية منها.

والخلاصة من خلال اطلاعنا على النماذج المحدودة من الدراسات التي استندت إلى مفاهيم النظرية الخليلية في علاج أمراض الكلام تبين لنا أن:

1 - النظرية الخليلية الحديثة ذات الأصول العربية التراثية أنموذج لساني قادر على تحليل الإنتاج اللغوية للمصابين الناطقين بالعربية وتحديد الاضطرابات اللغوية عندهم وأسبابها. ويمكن تفسير هذه الأمراض الكلامية على أنها اضطراب قدرة المتكلم المصاب على مراعاة البنى والمثل في مختلف مستويات الكلام ومنها الكلمة واللفظة والتركيب.

2 - النظرية الخليلية الحديثة لها من المفاهيم والأسس العلمية الدقيقة والعملية ما يجعلها قادرة على فهم الظواهر المرضية المتعلقة بالمتكلمين المصابين وتفسيرها وعلاجها بآليات لسانية .

3- النظرية الخليلية الحديثة أنموذج لساني عربي أصيل يراعي خصوصية اللغة العربية، لذلك فهو الأنموذج العملي الأنسب لاعتماد آلياته لوصف وتحليل الحبسة لمصابين يتكلمون اللغة العربية وعلاجها. إذ ينبغي أن يتلاءم الأنموذج اللساني مع النظام اللغوي للفئة التي يستهدف علاجها. كما ينبغي أن يلم الأنموذج اللساني بالعمليات اللغوية التي يجريها متكلمو لغة معينة داخل نظامهم اللغوي كالتحويل والتفريع مثلا. إذ من الخطأ الاستناد إلى نظريات غربية واعتماد تحليلاتها وتطبيقها كما هي على مصابين يتكلمون العربية. أي إنه يتوجب على المعالج أن يستند إلى أنموذج ينتمي إلى اللغة التي يتكلمها المصاب.

4 - تُعدّ النظرية الخليلية الحديثة هي النظرية الوحيدة التي استندت في أسسها ومفاهيمها إلى أصول عربية تراثية في ميدان علاج أمراض الكلام، والجدير بالذكر أن تطبيقها حاصل بالفعل في هذا الوسط بالجزائر -على الأقل- من طرف باحثين أكاديميين متخصصين، والنماذج التي قامت بتطبيقها أثبتت كفايتها العلمية.

5 - النظرية الخليلية الحديثة هي نظرية طيّعة يمكن تطبيقها على اللغة الفصيحة كما يمكن تطبيقها على اللغة العامية لأنها نظرية مستنبطة من اللغة العربية فهي أولى من محاولة إخضاع المصابين المتكلمين بالعربية للنماذج الغربية وبالتالي محاولة تطويع تلك النماذج للغة العربية الفصيحة ثم تطويعها للغة العامية أيضا.

6 - علاج أمراض الكلام يرتبط بعلم النفس اللغوي وعلم النفس العيادي وعلم النفس المعرفي إلا أن الأنموذج اللساني يكتسي أهمية كبرى في هذه الأمراض وتفسيرها وعلاجها.

7 - مع أن النظرية الخليلية الحديثة هي نظرية مكيفة مع طبيعة اللغة العربية وتراعي خصوصية المصابين بالحسبة المتكلمين بهذه اللغة، ومع أهميتها كنموذج عربي

يحسن استغلاله لتحليل أمراض الكلام وبيان أسبابها. إلا أننا لم نعثر في حدود بحثنا على دراسة طبقت النظرية الخيلية الحديثة في علاج أمراض الكلام، إذ إن مختلف الدراسات لم تزد على بيان كيفية استغلالها واستغلال مبادئها في تحليل الإنتاجات اللغوية للمصابين. دون أن تتمكن تلك الدراسات من تحديد آليات تأهيل المصاب بالحبسة بناء على النموذج الخيلي.

8- لم تتمكن أي دراسة سعت إلى تطبيق النظرية الخيلية الحديثة من صياغة أدوات عملية إجرائية بالاعتماد الخالص على مبادئ هذه النظرية، بل كلها استندت إلى أدوات واختبارات وروايات قائمة من قبل، وبعيدة كل البعد عن النظرية الخيلية الحديثة ومنها رانز بلونش دوكارن و MT86 ، ونموذج وليام لابوف...

9 - رغم قيمة الدراسات التي اطلعنا عليها إلا أن تطبيق النظرية الخيلية الحديثة كنظرية لسانية في هذا الميدان العيادي مازال يحتاج إلى جهود جمة كي يثمر. ومن الجهود التي نقترحها:

- مواصلة الدراسات والأبحاث عن مدى نجاعة النظرية الخيلية في ميدان معالجة أمراض الكلام.
- العمل الجماعي والمؤسسي وعدم الاكتفاء بالعمل الفردي، حتى تكون النتائج أكثر دقة.
- الجمع بين المتخصصين لا سيما إشراك اللغويين واللسانيين.

خلاصة:

لقد كان الأستاذ عبد الرحمن الحاج صالح -رحمه الله- يؤمن بالعلم ويتطوره الدائم، ويرفض التسليم الجازم والمطلق بأي بحث وأي نظرية ويرفض قبول أي آراء على أنها حقائق لا تقبل النقاش، كما كان يشجع على إعمال آلة النقد والتمحيص؛ من منطلق قناعته التامة بأن كل النظريات اللسانية هي نظريات قاصرة مهما أوتيت من رصانة وإحكام. وأنّ "الحقائق هي نتيجة بناء مستمر، ولإعادة نظر متواصل لا يقف، فلا يجوز أن يتمسك بنظرية واحدة لعشرات السنين وترفض الأشياء الجديدة. ثم على العكس من ذلك لا ينبغي أن يُفَرَط في جميع ما أتت به نظرية بسبب ما طرأ من جديد، فإن الكثير مما فكر فيه حتى القدامى من علمائنا يحتاج أن يلتفت إليه ولا يترك إلا إذا أتى الدليل على بطلانه."¹

وانطلاقاً من هذا المبدأ الذي كان يُعمله الحاج صالح ويحتكم إليه في مسيرته العلمية، وانطلاقاً من المبدأ الذي لا ينكره أي باحث أنّ كلام البشر مهما بلغ العلمية إلا أن فيه دائماً ما يُقبل وما يُردّ، ويبقى قابلاً دائماً للنقد والتدقيق والتمحيص، فإننا نخلص من خلال تحليلنا للنماذج التي طبقت النظرية الخيلية الحديثة في الميادين الثلاثة التي أشار إليها الحاج صالح (تعليمات اللغة العربية، المعالجة الآلية للغة، علاج أمراض الكلام) إلى أن تلك النماذج على الرغم من أنها كانت محاولات جادة، ولم تكن بمنأى عن نظر وإشراف الحاج صالح نفسه، إلا أنّها لم تستطع أن تتبنى مبادئ النظرية الخيلية الحديثة وحدها، وإنما كان اعتماد أصحابها في كل الحالات على الدراسات اللسانية الغربية الحديثة. وقد رأينا ذلك في اعتماد باحثي تعليمات اللغة على المقاييس والتوجهات اللسانية الغربية الحديثة لاسيما البنوية، ومن ذلك الاقتصار على صعوبة واحدة في التمرين والتدرج بهم من الأسهل إلى الأصعب، والاعتماد على المقاربة النصية...، كما رأينا اعتماد الحاسوبيين في تطبيقاتهم على نظام **GPSG** (القواعد البنوية المعممة) وتقنية (Pollock 84) (Pollock 87)، وعلى نفس

1 - عبد الرحمن الحاج صالح: بحوث ودراسات في اللسانيات العربية، المرجع السابق، ج 1، ص 202

النحو كان عمل المشتغلين في حقل معالجة أمراض الكلام؛ حيث استندوا إلى أدوات واختبارات وروايات قائمة من قبل، وبعيدة كل البعد عن النظرية الخليلية الحديثة ومنها رايتر بلونش دوكارن و MT86 ، ونموذج وليام لابوف....

وعليه لم تتمكن أي دراسة سعت إلى تطبيق النظرية الخليلية الحديثة في ميدان من الميادين المذكورة من صياغة أدوات عملية إجرائية بالاعتماد الخالص على مبادئ هذه النظرية، مما يدفعنا إلى القول بعدم نجاح استثمار مبادئ النظرية الخليلية الحديثة في هذه الحقول المعرفية الهامة، خاصة ميدان المعالجة الآلية للغة، يليه ميدان معالجة أمراض الكلام، وبصفة أقل ميدان تعليمات اللغة العربية. وهذه الخلاصة تقودنا إلى طرح التساؤل عن موضع الخلل؛ هل هو في النظرية في ذاتها؟ أم في النماذج التي تبنت مبادئ النظرية وعملت على تطبيقها؟ وجوابنا هو أن الخلل كامن في النظرية وفي النماذج التي رأيناها معاً، إلا أن هذا الجواب لا ينقص من قيمة النظرية الخليلية الحديثة، لأنها تبقى محاولة جادة ورائدة وسابقة في البلاد العربية، بل هي جهد كبير يجب أن يُثمن ويُطور لأنه لا شك أن مهمة البحث والتنظير لهذه المجالات الدقيقة ليست سهلة، ولا يمكن أن يضطلع بها رجل واحد مهما أوتي من العلم والنبوغ.

الخاتمة:

تُعدّ مَهْمَة البحث في مضامين الدّرس اللساني الجزائري صعبة جدا، وذلك لتشعب الموضوع واتساعه، ولكننا قدّمنا محاولة للمّ أطرافه المتباعدة، ولم نأل في ذلك جهدا. يحدونا أمل أن نتشرّف بتقديم لبنة في خدمة اللغة العربية الشريفة والدّرس اللساني الجزائري الثّري. وإن كانت رحلة البحث شاقّة ومضنية؛ إلا أنّنا قد توصلنا من خلال وصفنا وتحليلنا لبعض النّماذج اللسانية، والدّراسات اللغوية لباحثين جزائريين إلى استجلاء بعض ملامح الدرس اللساني الجزائري، حيث ارتسمت لنا صورة جلية عن المضامين والتوجهات اللسانية والأسئلة والقضايا المطروحة في هذه البيئة. وقد كانت هذه النماذج تتبئ عن جوانب إيجابية يتعين إثراؤها وإغناؤها، كما كانت تشي بنوع من النقص الذي يستوجب النّقد والتّقويم لتلافي الركود.

- لمسنا زهدا في العناية بالدرس اللساني الجزائري، حيث لم نقف إلا على عدد محدود من الدراسات التي اهتمت بالملامح الموضوعية والمنهجية وجملة الأهداف والمضامين والاتجاهات للدرس اللساني الجزائري، إذا استثنينا في ذلك تجربة عبد الرحمن الحاج صالح التي حظيت بقدر معتبر من الدراسات، وتجاوزت حتى حدود الجزائر؛ إلا أن كثيرا منها انساق إلى التمجيد والتكرار الذي لا طائل منه. ونحن نعزو تلك النّدرّة بشكل من الأشكال إلى ندرة المتخصّصين، إذ لو خصصت مشاريع ماجستير أو دكتوراه في هذا المجال لكانت المكتبة الجزائرية أثريت بلفيف من الدراسات التي تفيد في تطوير هذا الحقل المعرفي. كما أن السّبب في ذلك يكمن في زهد الباحثين أنفسهم وركونهم إلى القناعة بضعف التجارب اللسانية الموجودة، واقتناعهم بعدم جدواها قياسا بما أنجزه العرب في تاريخهم الطويل، وقياسا بما أنجزه وينجزه الغرب في عصرهم الحديث.

- تحتل الدراسات اللسانية مكانة متميزة ومرموقة في الجامعة والأوساط العلمية الجزائرية، ويعترف بقيمتها المهتمون بحقل العلوم الإنسانية عموما، بل باتت منافسا حتى في ميدان العلوم الدقيقة، وذلك لمساهمتها في مختلف مجالات الحياة العلمية، وانفتاحها على مختلف أنساق المعرفة مما جعل الحاجة إليها ملحة كوسيط مهم في

حقول معرفية متعددة منها علم النفس وعلم الاجتماع وميدان التعليمات والحاسوبيات وعلاج أمراض الكلام والترجمة...

-الدراسات اللسانية الجزائرية يغلب عليها الطابع التعليمي والتمهيدي إذ مازالت الكثير من التجارب تزرع في مرحلة التعريف الأولي وتوطين الدرس اللساني الغربي الحديث؛ إذا استثنينا تجربة عبد الرحمن الحاج صالح. كما أنها دراسات تكاد تنحصر في البحوث الأكاديمية والرسائل والأطاريح الجامعية. وإن كانت هذه السمة ترجع إلى ظروف تاريخية وسياسية ساهمت في تراجع المستوى العلمي والثقافي وهزال الإنتاج الفكري في البلاد العربية عامة والجزائر خاصة؛ في مختلف مجالات المعرفة ومنها اللسانيات. إلا أن الواقع يشي أيضا بسمة بارزة لدى الباحثين الجزائريين وهي الميل إلى التدريس الجامعي وإغفال البحث والتأليف ونشر الكتب.

-إن جهود اللسانيين الجزائريين اللغوية ثرة وثرية ومتنوعة وتغطي مختلف مجالات اللسانيات، والتعليميات، والحاسوبيات، والصوتيات، وعلم المصطلح، والمعاجم، وغيرها، وفيها ما يُعبّر عن قيم الحداثة والتجديد الفكري والإقبال على المناهج الغربية الحديثة كتجربة خولة طالب الإبراهيمي وزويير سعدي... كما فيها ما يُعبّر عن طابع الأصالة والتمسك بالتراث كتجربة محمد الحباس، ومحمد العيد رتيمة ومخلوف بلعالم... كما فيها ما يُعبّر عن اتجاه التوفيق بين التراث والحداثة؛ كتجربة مسعود صحراوي ومصطفى حركات... وفي كلّها الكثير من ملامح الجدة والعمق التي لا ينكرها أي حصيف، وهي جديرة بأن تحظى بالعناية، وتُخصّص لكل منها دراسات أكاديمية مستقلة. كما أن منها تجارب رائدة كفيلة بأن يُستضاء بها في إدراك وتوطين النظريات اللسانية الغربية الحديثة في البلاد العربية والتعريف بها من جهة، وتقويم الدرس اللساني العربي الحديث من جهة أخرى، على نحو تتصهر فيه المعطيات التراثية العربية والتيارات الحداثية الغربية.

-توجّه بعض الباحثين وجهة تراثية، فعمدوا إلى قراءة التراث اللغوي العربي في إطاره النظري، وتتبعوا منهجه وأأسسه ومسالكه وأصوله بعيدا عن المنطلقات والمفاهيم والنّصّورات اللسانية الغربية الحديثة، وتوجّه البعض الآخر وجهة حداثة مفتحا على مفرزات الدرس اللساني الغربي الحديث، ومحاولا التأسيس والتوطين لتلك التيارات الغربية كالبنوية الوصفية والوظيفية والتداولية... في البيئة العربية، في حين توجهت الفئة الثالثة إلى محاولة التوفيق والتقريب ولم الشمل بين الاتجاهين السابقين. وقد لاحظنا على التوجهات الثلاث الانحسار في الإطار الوصفي والتحليلي أو المقارن لما أنتجه السلف أو الغرب.

- الدرس الجزائري لا يختلف في كثير من ملامحه عن الدرس اللساني العربي، الذي لا يزال حبيس الضّعف مقارنة بما يحصل في الغرب من تطور مُستمر، حيث يبقى الدرس اللساني العربي بعيدا كل البعد عن الإبداع والابتكار. ممّا جعله يبقى مُجرد تكرار لما خلفه الأولون قديما، بسبب الركون التام إلى التراث والاعتقاد الراسخ بكماله، أو استهلاك لما ينتجه الغربيون حديثا. إلا أننا نسجّل بعض سمات الاختلاف والخصوصية للتجارب اللسانية الجزائرية، وذلك أنها تتسم بالندرة في الإنتاج؛ إلا أنها غالبا ذات حُمولة معرفية ثرية، عكس ما نلاحظه على الكتابة اللسانية المشرقية؛ التي قد تتفوق على الإنتاج الجزائري من حيث الكمّ، إلا أنها لا تتفوق عليها أبدا من حيث الكيف، خاصة فيما يتعلّق بالاتجاه الحدائي؛ ويرجع ذلك غالبا إلى فهم الباحثين الجزائريين ووعيهم بالتيارات اللسانية الغربية الحديثة.

- الكثير من الدّراسات الجزائرية رغم حملتها المعرفية المميزة مازالت في صيغة رسائل وأطروحات؛ لم يعمد أصحابها إلى نشرها في شكل كتب، مما يبقيها حبيسة رفوف المكتبات الجامعية أو مكتباتهم الخاصة. ويبقى النّتاج المعرفي لهم في طيّ النسيان، لأن أكثرهم محدود النشر إذا استثنينا بعض المقالات -في أحسن الحالات-

وهي مقالات تحمل مادة علمية معتبرة، ولكنها تبقى مشتتة ومتناثرة، يصعب الوصول إليها، خاصة في ظل العزوف عن القراءة عموماً؛ والعزوف عما هو جزائري خاصة، والجهل بقيمته، وسيطرة صورة سلبية عن كل ما هو جزائري في أذهان الكثير من الجزائريين أنفسهم، ومن غيرهم من العرب أيضاً. ونمثّل لذلك بأطروحة زوبير سعدي التي طبّق فيها المنهج الوظيفي على القرآن الكريم؛ وهي عمل في غاية العمق والجدة والدقة؛ ما أوجنا إلى مثله في رفوف مكتباتنا. فمثل هذه التجارب اللسانية الجزائرية؛ وغيرها كثير تبعث على الفخر والاعتزاز، وتُحتمّ علينا ضرورة الاستمرار والابتكار ومواصلة البحث والتعريف بهذه الجهود.

- التجربة اللسانية الجزائرية تتميز بالانفتاح وعدم الانغلاق، وهذا ما يجعلها تجربة فريدة، وتحوز سمة من سمات العلمية. وتتبيّن عن ميلاد درس لساني وقاد، ولكن إذا استمر البحث واستثمرت التجارب الحالية على نحو موضوعي بعيداً عن التمجيد غير الموضوعي الذي لا يفيد في البحث العلمي، ونخص بالذكر تجربة عبد الرحمن الحاج صالح التي يتعين على الباحثين استثمارها وتطويرها وإنقاذها من الاضمحلال والزوال.

- أثر عبد الرحمن الحاج صالح واضح في مختلف التجارب اللسانية الجزائرية، وهذا مؤشر إيجابي يدلّ على نجاحه في بلورة درس لساني جزائري له سماته؛ وهو ما كان يسعى إليه طيلة حياته، واجتهد أيما اجتهاد بغية تحقيقه. كما يدل على التجاوب الإيجابي للجزائريين مع هذه التجربة إذ إنّ الحاج صالح لاقى دعماً ولم يُخذل من طرف تلامذته وأبناء وطنه لترويج التجربة اللسانية الجزائرية، ولكنه غير كاف إذ مازالت آثاره وآراؤه بحاجة إلى مزيد من الاهتمام والتعريف بها لدى العرب. إلا أن هذا الالتفاف وإن كان محموداً نثمنه وننوّه به؛ فإننا ننّبّه إلى ضرر الانغلاق على هذه التجربة والاتجاه نحو تمجيدها مما يؤدي بها إلى الجمود وعدم النّماء.

- كان للحاج صالح موقف حصيف من الدراسات اللسانية العربية الحديثة، وكان له اتجاه توفيقى بين المعطيات العربية التراثية والتيارات اللسانية الغربية الحديثة. وكان لظهور النظرية الخليلية الحديثة إسهاماً حقيقياً في مجال إحياء الدرس اللغوي العربي خاصة وإعادة صياغته بلغة علمية حديثة. كما ساهم في نقل أبرز ما توصلت إليه

الدراسات اللسانية الغربية الحديثة للقارئ العربي. ولم تقف إسهاماته عند حد الجوانب النظرية؛ بل امتدت إلى الجانب التطبيقي حيث يمكن استغلال مبادئ النظرية الخليلية الحديثة في ثلاثة مجالات هامة هي: تعليمات اللغة العربية، المعالجة الآلية للغة ومعالجة أمراض الكلام.

- تقوم النظرية الخليلية على عدد من المفاهيم ومنها: الاستقامة، والموضع، والعلامة العدمية، والأصل والفرع، والباب، والمثال، والقياس والانفراد وحد اللفظة، والعامل... وهذه المفاهيم تعدّ امتداداً للفكر الخليلي القديم، ومن خلالها أعاد الحاج صالح البريق للتراث العربي وأعاد الاعتبار لأعلامه الأجلاء كالخليل وسيبويه ومن تابعهما. وقد أثبت من خلال توجهه هذا كما أثبت غيره من الدارسين الجزائريين ك(محمد الحباس) أن تصورات العلماء العرب القدامى للظاهرة اللغوية تصورات علمية دقيقة وأن التراث الذي خلفه تراث قيّم، ولا يمكن أن يوصف بأنه لاجدوى منه، ولا يمكن أن تغني عنه الدراسات اللسانية الغربية الحديثة، وأن البحث فيه والتعمق في نفائسه مطلوب مهما طالّت الأزمان.

- تجربة الحاج صالح وحدها تطرح العديد من الإشكالات وتحتاج إلى بحث معمق ونقاش ثري، وهذا يدل على القيمة التي تتأسس عليها النظرية الخليلية الحديثة، والبعد العلمي للسانيات التي أسس لها طيلة حياته. حيث تعتبر نظريته الخليلية الحديثة نظرية جزائرية رائدة في حقل الدراسات اللغوية، تفرّد بها صاحبها نظرياً، وسعى إلى إثبات تفرّدها من خلال تطبيقها في ميادين مختلفة:

+ فعلى الصّعيد النظري انفردت النظرية من خلال تطويرها وإضافتها لمبادئ علمية أو منهجية للنظرية الخليلية الأصل، وتُمثّل لذلك بنظرية العامل العربية التي حاول الحاج صالح أن يصوغها في قالب رياضي (ع، م1، م2)، حتى تكون على شكل نماذج وقوالب خوارزمية قابلة لإدراجها وبرمجتها بشكل مباشر داخل الحواسيب لاستغلالها في المعالجة الآلية للغة العربية على شاكلة الجهود والأبحاث التي طورها تشومسكي في ميدان اللسانيات الحاسوبية.

+ أما على الصعيد التطبيقي فإنّه وإن كان الحاج صالح يرى أنّ نظريته تتأسّس على معطيات لسانية خليلية في الوصف والتحليل والبحث؛ من مثل الأصل والفرع والباب والمثال والوضع والاستعمال والقياس واللفظة والعلامة العدمية... إلا أننا لم نلمس أنه تمكّن من تحويل تلك الأسس والمعطيات إلى علاقات منطقية قابلة للتطبيق الميداني.

- هناك تصاقب وتقارب بين أفكار الحاج صالح وأفكار بعض المستشرقين مما يجعل التجربة اللسانية عند الحاج صالح ذات أسس ابستمولوجية أجنبية وإطار مرجعي غربي، فقد كانت دراسات المستشرقين أمثال (كارتر، جيوم، كانتو، بوتيه، تروبو، لوسيان تيزنير...) من أهمّ الروافد والعوامل التي ساهمت في مدّ أسباب النشأة للنظرية الخليلية الحديثة واتجاهها الفريد في فهم التراث العربي. ولا تزال آثار المستشرقين خاصة المنصفين منهم تمدّ الدرس العربي بزاد ثمين في مختلف المجالات.

- النظرية الخليلية الحديثة قابلة للتطبيق في عدة ميادين، ولكن التجارب التي اطلعنا عليها من بين لفيف الدراسات التي عملت على استثمار مبادئ هذه النظرية، رأينا أنه كان يعترها الكثير من النقص، ولم تكن كافية لتجعلنا نطمئن إلى الجزم بأن تطبيق النظرية الخليلية الحديثة في هذه المجالات ممكن. فالذي نراه أن نجاح استثمار النظرية التي صاغها الحاج صالح كان متفاوتا بين الميادين الثلاثة، والميدان الذي كان أقدر على استثمار مبادئها هو ميدان تعليمات اللغة العربية إلى حد ما. وبصفة أقل ميدان معالجة أمراض الكلام، وقد كان ميدان المعالجة الآلية للغة بعيدا كثيرا عن الاستثمار الفعلي لهذه النظرية. ونرى أن ذلك يرجع إلى سببين رئيسيين: الأول هو عدم كفاية الأنموذج اللساني الخليلي الحديث الذي صاغه الحاج صالح، إذ يحتاج إلى مزيد من التّحديث اللساني، والثاني هو عوز وفقر النماذج التي رأيناها، فهي وإن كانت دراسات قيّمة إلا أنها لا ترقى إلى المستوى الذي نقول معه أننا طبّقنا النظرية الخليلية الحديثة وجنينا ثمارها في مجال من المجالات المذكورة. وإذا كنا نروم تحقيق هذا الهدف فلا بد من الاستمرار في اختبار النظرية الخليلية الحديثة ونقدها وتطويرها، والاستمرار في المحاولات الجادة لاستثمارها. لأن العلوم تتأسس وتتطور بطريقة تراكمية، يكون اللاحق فيها تمحيصا وتصحيحا وتطويرا وإضافة للسابق، أو تثبيتا له.

- نقترح ضرورة وضع استراتيجية فعالة قائمة على التخطيط الدقيق والسعي لأهداف إجرائية محددة على رأسها النهوض بالدرس اللساني الجزائري، ونقترح لأجل ذلك ضرورة الالتفاف حول التجارب اللسانية القيمة ومنها تجربة الحاج صالح بغية إثرائها وتفعيلها، وضرورة التحول من الجهد الفردي إلى الجهد الجماعي، ولا شك أن الفرص متاحة للباحثين من خلال مخابر وفرق البحث التي تتوزع على جامعات ومعاهد الوطن. ولا يغني ذلك عن ضرورة تفعيل دور معهد علوم اللسان في تخريج النخب التي تحوز الأدوات المعرفية في حقل اللسانيات، وفتح غيره من المعاهد لذات الغرض. كما نقترح ضرورة تيسير سبل الانفتاح على الدرس اللساني الغربي الحديث ومفتاح ذلك اللغة؛ إذ لا بد من تعلم اللغات الأجنبية ولا بد من إشراك الجهات المتخصصة في الترجمة للنهوض بالدرس اللساني الجزائري. كما إنه يعتبر من نافلة القول أن نقترح ضرورة إشراك الوسائط الالكترونية والوسائل الحديثة في عملية التأسيس الحقة للدرس اللساني الجزائري، وإحداث نقلة نوعية في مجالاته المتعددة، وخلق حركية ودينامية فيها تضاهي وتواكب التطور الحاصل في بيئته الغربية.

- وختاماً فإنني أحمد الله لأنني اطلعت على فكر عبد الرحمن الحاج صالح في هذا الوقت من مشواري الدراسي، ورحمه الله بما خلف من علم؛ ولا يموت من يخدم العلم ويورث العلم؛ وقد ترك أساتذة وطلبةً ودارسين صالحين، ينهلون من نبع علمه ويدعون له في كل حين، ويهدونه الترحمات في كل المناسبات والمحافل، عرفاناً بما قدّمه في دنا العلم والمعرفة. وليس ذلك من باب المجاملة أو المحاباة أو التمجيد الذي يبتغى وأخلاق البحث العلمي؛ وطالما كان يأباه الدكتور رحمه الله بل من باب الإنصاف للراحل الذي أفنى عمره في خدمة العلم وبذل جهده في تطوير اللغة الشريفة وإنصاف أهلها من علماء اللغة الأوائل، فعلمه هو الذي رفعه به الله سبحانه، وعلمه هو الذي يرفعه في كل مقام، وعلمه أيضاً هو الذي يبقيه حياً حتى بعد مماته.

والحمد لله على الانتماء لهذا البلد الطيب. ونأمل أن يكون عملنا المتواضع إضافة إلى المكتبة الجزائرية ولبنة في تاريخ الفكر الجزائري.

قائمة المصادر والمراجع:

1. مراجع عبد الرحمن الحاج صالح:

1. عبد الرحمن الحاج صالح ، النظرية الخليلية الحديثة - مفاهيمها الأساسية-، كراسات المركز، مركز البحث العلمي والتقني لتطوير اللغة العربية، الجزائر، ع 4، 2007.
2. عبد الرحمن الحاج صالح: (أقائم أخواك) وطريقة تفسيره عند سيبيويه والرضي بالاعتماد على مفهومي الوضع والمثال، (أعظم فارق يفترق فيه النحو العربي الأصيل عن اللسانيات الغربية الحديثة)، مجلة مجمع اللغة العربية المصري، القاهرة، مصر، ماي 1998، ج82.
3. عبد الرحمن الحاج صالح: أصول البحث في التراث اللغوي العلمي العربي، مجلة الممارسات اللغوية، جامعة مولود معمري، تيزي وزو، الجزائر، العدد 2، 2011.
4. عبد الرحمن الحاج صالح: الأسس العلمية واللغوية لبناء مناهج اللغة العربية في التعليم ما قبل الجامعي، مجلة،
5. عبد الرحمن الحاج صالح: البنى النحوية العربية، موفم للنشر، الرغاية، الجزائر، 2016. / وإبرير بشير أصالة الخطاب في اللسانيات الخليلية الحديثة.
6. عبد الرحمن الحاج صالح: التعريف العلمي وماهيته عند سيبيويه وأتباعه، مجلة المجمع الجزائري للغة العربية، العدد 14، 2011.
7. عبد الرحمن الحاج صالح: الجملة في كتاب سيبيويه، مجلة المبرز، المدرسة العليا للآداب والعلوم الإنسانية، الجزائر، العدد 2، جويلية - ديسمبر، 1993.
8. عبد الرحمن الحاج صالح: الجملة في كتاب سيبيويه، مجلة مجمع اللغة العربية، القاهرة، مصر، ماي 1996، الجزء 78، القسم الأول.
9. عبد الرحمن الحاج صالح: الحركة والسكون عند الصوتيين العرب وتكنولوجيا اللغة الحديثة، مجلة مجمع اللغة العربية بالقاهرة، العدد 88، 2000.
10. عبد الرحمن الحاج صالح: الخطاب والتخاطب في نظرية الوضع والاستعمال العربية، موفم للنشر، 2012.

11. عبد الرحمن الحاج صالح: الخليل وسيبويه سبقا عصرنا في دراسة الصوتيات، حوار أجراه معه: بشير إبرير، مجلة الفيصل، الرياض، المملكة العربية السعودية، العدد 245.
12. عبد الرحمن الحاج صالح: الرصيد اللغوي للطفل العربي وأهمية الاهتمام بمدى استجابته لحاجاته في العصر الحاضر، مجلة الممارسات اللغوية، تيزي وزو، المجلد 1، العدد 1.
13. عبد الرحمن الحاج صالح: السماع اللغوي العلمي عند العرب ومفهوم الفصاحة، وحدة الرغبة للفنون المطبعية، الجزائر، د.ط، 2008.
14. عبد الرحمن الحاج صالح: النحو العلمي والنحو التعليمي وضرورة التمييز بينهما، مجلة المجمع الجزائري للغة العربية، العدد 17، 2013.
15. عبد الرحمن الحاج صالح: أنماط الصياغة اللغوية الحاسوبية والنظرية الخليلية الحديثة، مجلة المجمع الجزائري للغة العربية، العدد 6، 2007.
16. عبد الرحمن الحاج صالح: أنماط الصياغة اللغوية الحاسوبية والنظرية الخليلية الحديثة، مجلة مجمع اللغة العربية، العدد 06، 1 ديسمبر 2007.
17. عبد الرحمن الحاج صالح: أنماط الصياغة اللغوية الحاسوبية والنظرية الخليلية الحديثة، مجلة المجمع الجزائري للغة العربية، العدد 6، 1 ديسمبر، 2007، الجزائر.
18. عبد الرحمن الحاج صالح: بحوث ودراسات في اللسانيات العربية، دار موفم للنشر، الجزائر، ط2012، ج1.
19. عبد الرحمن الحاج صالح: بحوث ودراسات في اللسانيات العربية، دار موفم للنشر، الجزائر، ط، 2007، ج1.
20. عبد الرحمن الحاج صالح: تحديث أصول البحث في التراث اللغوي العلمي العربي، المجمع اللغوي للغة العربية، الجزائر، العدد: 4، ديسمبر 2006.

21. عبد الرحمن الحاج صالح: مدخل إلى علم اللسان الحديث؛ أثر اللسانيات في النهوض بمستوى مدرسي اللغة العربية، مجلة اللسانيات، العدد 04، الجزائر، 1973.
22. عبد الرحمن الحاج صالح: مدخل إلى علم اللسان الحديث؛ تحليل ونقد لأهم مفاهيمه ومناهجه، مجلة اللسانيات، المجلد الأول، الجزء الأول، العدد الأول، الجزائر، 1971.
23. عبد الرحمن الحاج صالح: مستقبل البحوث العلمية في اللغة العربية وضرورة استثمار التراث الخليبي، مجلة الحضارة الإسلامية، جامعة أحمد بن بلة، وهران، الجزائر، العدد 6، ج5.
24. عبد الرحمن الحاج صالح: مشروع الذخيرة العربية، مجلة المجمع الجزائري للغة العربية، العدد الثاني، ديسمبر 2005م.
25. عبد الرحمن الحاج صالح: منطق أرسطو والنحو العربي، مجلة كلية الآداب، 1964، جامعة الجزائر، المجلد الأول.
26. عبد الرحمن الحاج صالح: منطق العرب في علوم اللسان، دار موفم للنشر، الجزائر، 2012، ط1.
27. عبد الرحمن الحاج صالح: منطق النحو العربي والعلاج الحاسوبي للغات، مجلة التواصل اللساني، (عدد خاص بندوة استخدام اللغة العربية في تقنية المعلومات)، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، المغرب، ط1، 1993 المجلد الأول.
28. عبد الرحمن الحاج صالح: النظرية الخليلية الحديثة، مجلة اللغة والأدب، معهد اللغة العربية وآدابها، جامعة الجزائر، العدد 10، ديسمبر 1996.

1. Abderrahmane Hadj Salah , linguistique arabe et linguistique générale: essai de méthodologie et d'épistémologie du à l'Ilm al-àArabiyya, thèse de doctorat, université Paris 4, 1979.
2. Abderrahmane Hadj- Salah: La linguistique néokhalilienne et les études linguistiques actuelles dans le monde arabe, Maroc 1987.
3. Abdrrahmane Haj-Salah : Linguistique et phonétique Arabes, Revue Al-isanyyat, , centre de recherche scientifique et technique pour le Développement de la Langue Arabe, Alger, n8, 2003

4. Abdrrahmane Haj-Salah: Linguistique et phonétique Arabes , Revue Al-isanyyat , Centre de Recherche Scientifique et Technique sur le Développement de la Langue Arabe , Alger, n 8 , 2003

2. المصادر والمراجع باللغة العربية:

1. إبراهيم عبد العليم: الموجّه الفني لمدّرسي اللغة العربيّة، دار المعارف، القاهرة، مصر، 1968.
2. إبراهيم مصطفى: إحياء النحو، القاهرة، ط 2، 1992.
3. ابن عقيل: شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك، تح: حلاوي محمود مصطفى، دار إحياء التراث العربي، مؤسسة التاريخ العربي، بيروت، لبنان، دط، دت،
4. ابن مضاء القرطبي: الرد على النحاة، تح : ضيف شوقي، دار المعارف ، القاهرة ، مصر .
5. ابن هشام الأنصاري: مغني اللبيب عن كتب الأعراب، تح: محمد محي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية، صيدا، لبنان، 1991.
6. أبو البركات الأنباري: الإغراب في جدل الإعراب ولمع الأدلة في علم أصول النحو، تح: سعيد الأفغاني، دار الفكر، بيروت، ط2، 1971.
7. أبو البقاء علي ابن يعيش الموصلي: شرح المفصل للزمخشري، تقديم إميل بديع يعقوب، دار الكتب العلمية بيروت لبنان، ط1، 2001.
8. أبو العباس المبرد: المقتضب، تح: محمد عبد الخالق عظيمة، عالم الكتب بيروت، د ت.
9. أبو الفتح عثمان ابن جني: الخصائص، تح: محمد علي النجار، دار الهدى للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، ط 2، د. ت.
10. أبو القاسم محمود بن عمر الزمخشري: المفصل في علم العربية دار الجيل بيروت، د ت.
11. أبو بشر عمرو بن قنبر سيبويه: الكتاب، تح: هارون عبد السلام، مكتبة الخانجي، القاهرة، مصر، ط3، 1988.

12. أبو عبد الله محمد بن عذارى المراكشي: البيان المغرب في أخبار المغرب، تح ومراجعة: ج س كولان ، ليفي بروفنسال، دار الثقافة، بيروت، لبنان، 1983 ، ط3.
13. أبو عمرو عثمان ابن الحاجب: الكافية في النحو، ضمن كتاب: المجموع الكامل للمتون، جمعه وصححه: العطار محمد، دار الفكر، بيروت، لبنان، ط 1، 2005.
14. أبو يعقوب السكاكي: مفتاح العلوم، ضبط: نعيم زرزور، دار الكتاب العلمية، بيروت، لبنان، 1987.
15. أحمد المتوكل: اللسانيات الوظيفية، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت، لبنان، ط2، 2010.
16. أحمد المتوكل: نحو قراءة جديدة لنظرية النظم عند الجرجاني، مجلة كلية الآداب، الرباط، ع1، 1977.
17. أحمد أمين: ضحى الإسلام، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، ط10، د. ت.
18. أحمد بن زياب: صحائف من التراث، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، ط1، 1990.
19. أحمد حساني: العلامة في التراث اللساني العربي؛ قراءة لسانية وسيميائية، دار وجوه للنشر والتوزيع، الرياض، المملكة العربية السعودية، ط1، 2015.
20. أحمد عفيفي: نحو النص اتجاه جديد في الدرس النحوي، مكتبة زهراء الشرق، القاهرة، 2001.
21. أحمد عمر مختار: دراسة الصوت اللغوي، عالم الكتب، القاهرة، ط 4، 2006.
22. أحمد عمر مختار: صناعة المعجم الحديث، ط 1 عالم الكتب، القاهرة، 1998.
23. أحمد محمود نحلة: الاسم والصفة في النحو العربي والدراسات الأوروبية، دار المعرفة الجامعية، الاسكندرية، مصر، د ط، د ت.

24. إدريس مقبول: البعد التداولي عند سيوييه، مجلة عالم الفكر، العدد 1، مج 33، يوليو، سبتمبر، 2004.
25. اسماعيل أحمد عمايرة: المستشرقون ونظرياتهم في نشأة الدراسات العربية، دار حنين للنشر والتوزيع، الأردن، ط 2، 1992
26. آسيا قرين: "حد اللفظة وخصائصها؛ دراسة في كتاب السنة الأولى متوسط - على ضوء النظرية الخليلية الحديثة-" تقدمت به الباحثة () لنيل درجة الماجستير سنة 2017، تخصص: لسانيات النص وتحليل الخطاب، بالمدرسة العليا للأساتذة ببوزريعة.
27. أفنان نظير دروزه: النظرية في التدريس وترجمتها عمليا، دار الشروق، عمان، الأردن، ط 2، 2000.
28. آلان روبرو وجاك موشلار: التداولية اليوم علم جديد في التواصل، تر: دغموش سيف الدين، الشيباني محمد، مراجعة: زيتوني لطيف، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، ط 1، 2003.
29. أنيس فريحة: في اللغة العربية وبعض مشكلاتها، دار الثقافة، بيروت، لبنان، د.ت.
30. بشير إبرير: أصالة الخطاب في اللسانيات الخليلية الحديثة، مجلة العلوم الإنسانية، جامعة محمد خيضر، بسكرة، ع 7، فيفري 2005.
31. بشير إبرير: الذخيرة العربية مشروع علمي حضاري، مجلة المجمع الجزائري للغة العربية، العدد الرابع، ديسمبر، 2006م،
32. بشير إبرير: آليات تحليل الخطاب في كتاب سيوييه، مجلة كلية الآداب واللغات، جامعة محمد خيضر، بسكرة، جانفي وجوان 2012، العددان 10، 11.
33. تمام حسان: الفكر اللغوي الجديد، عالم الكتب، ط 1، 2011.
34. تمام حسان: اللغة العربية معناها ومبناها، عالم الكتب، القاهرة، مصر، ط 3، 1998.
35. تمام حسان: اللغة بين الوصفية والمعيارية، عالم الكتب، القاهرة، ط 2000.

36. جان كانتينو: دروس في علم أصوات العربية، ترجمة: لقرمادي صالح، مركز الدراسات والبحوث الاقتصادية والاجتماعية، تونس، د.ط، 1966.
37. جعفر دك الباب: نحو نظرية جديدة إلى فقه اللغة، دار الأهالي، دمشق، سوريا، ط1، 1989.
38. جلال الدين السيوطي: الأشباه والنظائر في النحو، تح: عبد العال سالم مكرم، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، ط 1، 1985.
39. جلال الدين السيوطي: الاقتراح في علم أصول النحو، تح: محمود سليمان ياقوت، دار المعرفة الجامعية، القاهرة، مصر، 2006.
40. جلال الدين السيوطي: المزهري في علوم اللغة وأنواعها، تح: محمد أحمد جاد المولى بك وآخرون، مكتبة دار التراث، القاهرة، ط 3، 2008.
41. جليبر غرانيوم: اللغة والسلطة والمجتمع في المغرب العربي، تر: محمد أسليم، أفريقيا الشرق، الدار البيضاء، المغرب 2011.
42. جميلة عاشور: الأخطاء الشائعة في النحو لدى تلاميذ السنة الثالثة ثانوي: دراسة وصفية تحليلية في ظل مبادئ النظرية الخليلية الحديثة، بحث مقدم لنيل درجة الماجستير في علوم اللسان والتبليغ اللغوي، تخصص اللسانيات التعليمية، إشراف: صالح بلعيد، المدرسة العليا للأساتذة في الآداب والعلوم الإنسانية، سنة 2007.
43. جورج كانتور: نقلا عن: هيئة الموسوعة العربية: الموسوعة العربية، دار الفكر، دمشق، ط1، 1998، مجلد 17.
44. جيرار تروبو: نشأة النحو العربي في ضوء كتاب سيبويه، مجلة مجمع اللغة العربية الأردني، المجلد 1، العدد1، كانون الثاني 1978، ط 2، 1982، الأردن.
45. حافظ إسماعيلي عليوي، وليد أحمد العناتي: أسئلة اللغة أسئلة اللسانيات، مطابع الدار العربية للعلوم، بيروت، لبنان، ط1، 2009.
46. حبيبة بولدعة: النظرية الخليلية الحديثة وكيفية توظيفها في تعليم اللغة العربية- التركيب الإسمي نموذجاً-رسالة مقدّمة لنيل شهادة الماجستير، إشراف: عبد الرحمان

- الحاج صالح، بمساعدة: صالح بلعيد، المدرسة العليا للأساتذة بوزريعة، ديسمبر 2002.
47. حسام أحمد قاسم الشريف: اتجاهات التجديد في تفسير القرآن بمصر، دار التراث، القاهرة، مصر، ط1، 1420.
48. حسام البهنساوي: أهمية الربط بين التفكير اللغوي عند العرب ونظريات البحث اللغوي الحديث، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، مصر، 1994.
49. حسن حنفي: التراث والتجديد موقفنا من التراث القديم، المؤسسة الجامعية للنشر، ط1، 1991، ط4.
50. حسن خميس الملح: نظرية التعليل في النحو العربي بين القدماء والمحدثين، دار الشروق للنشر والتوزيع، الأردن، ط1، 2000.
51. حسن خميس الملح: نظرية التعليل في النحو العربي بين القدماء والمحدثين، دار الشروق، عمان، الأردن، ط1، 2000.
52. حسن عبد الباري عصر: الاتجاهات الحديثة لتدريس اللغة العربية، المكتب العربي الحديث، الاسكندرية، مصر، 1992.
53. حسن عبد الغني جواد الأسدي: مفهوم الجملة عند سيبويه، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 2007.
54. حسن كريم خالدي: نظرية المعنى في الدراسات النحوية، دار صفاء، عمان، الأردن، ط1، 2006.
55. حسين رفعت حسين: الموقعية في النحو العربي؛ دراسة سياقية، عالم الكتب، الرياض، المملكة العربية السعودية، ط1، 2005.
56. حسين نواني: الأرتفونيا واللغة العربية؛ مدخل إلى علم أمراض الكلام، دار الخلدونية، الجزائر، ط1، 2018.
57. حماسة عبد اللطيف محمد: النحو والدلالة مدخل لدراسة المعنى النحوي الدلالي، ط1، دار الشروق، مصر، 1983.

58. حنفي بن عيسى: محاضرات في علم النفس اللغوي، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، ط6، 2011.
59. حنفي بن عيسى: مساهمة في دراسة في دراسة قضايا اللغة والتواصل؛ دراسة وصفية سلوكية، بحث مقدم لنيل شهادة دكتوراه، 1970.
60. خولة طالب الإبراهيمي: الجزائريون والمسألة اللغوية - عناصر من أجل مقارنة اجتماعية لغوية للمجتمع الجزائري، تر: يحياتن محمد، دار الحكمة، الجزائر، ط2، 2013.
61. خولة طالب الإبراهيمي: مبادئ في اللسانيات، دار القصبية للنشر، الجزائر، ط2، 2006.
62. دبيريك جيرارتس: نظريات علم الدلالة المعجمي، تر: الشهري فاطمة وآخرون من فريق الترجمة بجامعة الأميرة نورة بنت عبد الرحمن، الأكاديمية الحديثة للكتاب الجامعي، القاهرة، مصر، ط1.
63. رضي الدين الأسترياذي: شرح كافية ابن الحاجب، تقديم وشرح إميل يعقوب، دار الكتب العلمية، ط2، 2007.
64. رضي الدين الأسترياذي: شرح شافية ابن الحاجب، تح: محمد نور الحسن، محمد زفزاف، محمد محي الدين عبد الحميد، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 1982.
65. ريم فرحان المعايطه: برامجتية اللغة ودورها في تشكيل بنية الكلمة، دراسة لغوية في كتب لحن العامة، جامعة مؤتة، الأردن، ط1، 1999.
66. الزبير سعدي: العلاقات التركيبية في القرآن الكريم، إشراف محمد بلقايد، بحث مقدم لنيل دكتوراه دولة، جامعة الجزائر، 1989.
67. زهران البدرابي: مقدمة في علوم اللغة، دار المعارف، مصر، ط2، 1986.
68. زهرة شيباني: العامل النحوي في الدرس اللساني المعاصر؛ أعمال الدكتور عبد الرحمن الحاج أنموذجا، رسالة مقدّمة لنيل شهادة ماجستير، تخصص اللسانيات العامة، إشراف: ملياني محمد، جامعة وهران، 2011/2012.

69. سعاد شرفاوي: الجهود اللسانية عند عبد الرحمن الحاج صالح؛ قراءة في الآثار والمنهج ومواطن الاجتهاد، أطروحة مقدّمة لنيل شهادة دكتوراه علوم في اللغة والأدب العربي، تخصص النحو العربي ومدارسه ونظرياته، إشراف: بوبكر حسيني، جامعة ورقلة، 2016/2017.
70. سمير شريف استيتية: اللسانيات المجال والوظيفة والمنهج، عالم الكتب الحديث، ط1، 2005.
71. سميرة مهلول: الصعوبات النحوية التي تواجه تلاميذ الطور الثاني من التعليم الأساسي في اكتساب الجملة الفعلية -السنة الخامسة نموذجاً- دراسة تحليلية تقويمية على ضوء مبادئ النظرية الخيلية الحديثة: بحث مقدم لنيل شهادة الماجستير في علوم اللسان والتبليغ اللغوي، بالمدرسة العليا للأساتذة (بوزريعة)، إشراف: محمد يحياتن، 2003.
72. سيد يوسف جمعة: سيكولوجية اللغة والمرض العقلي، عالم المعرفة، دط، 1990.
73. شريف بوشحذان: الأستاذ عبد الرحمن حاج صالح وجهوده العلمية في ترقية استعمال اللغة العربية، مجلة كلية الآداب والعلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة محمد خيضر، بسكرة، العدد7، جوان 2010.
74. شريف بوشحذان: النظرية الخيلية الحديثة وسبل ترقية تعليم اللغة العربية فيما قبل الجامعة، مجلة التواصل في اللغات والثقافة والآداب، عدد 31، سبتمبر، 2012.
75. شفيقة العلوي: العامل بين النظرية الخيلية الحديثة والربط العاملي لنوع تشومسكي، حوليات التراث، جامعة مستغانم، العدد السابع، 2007.
76. شفيقة العلوي: محاضرات في المدارس اللسانية المعاصرة، أبحاث للترجمة والنشر، بيروت، لبنان، ط1، 2004.
77. صاحب أبو جناح: دراسات في نظرية النحو العربي وتطبيقاتها، دار الفكر، عمان، ط 1، 1998.
78. صالح بلعيد: في الهوية الوطنية، دار الأمل للطباعة والنشر، الجزائر.

79. صالح بلعيد: مقاربات منهجية، مطبعة دار هومة، الجزائر، 2004 م.
80. صبحي الصالح: دراسات في فقه اللغة، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، ط 14، 2000.
81. صلاح الدين حسنين: الفعل العربي وطرق معالجته بالحاسوب (الأسس اللغوية)، مجلة التواصل اللساني، المجلد الأول. (عدد خاص بندوة استخدم اللغة العربية في تقنية المعلومات)
82. صلاح فضل: بلاغة الخطاب، وعلم النص، المجلس الوطني للثقافة والفنون، الكويت، د. ت، د. ط.
83. صليحة مكي: دراسة تحليلية تقويمية لطريقة تعليم الفعلية في السنة السابعة من التعليم الأساسي واقتراح البديل بالاعتماد على مبادئ المدرسة الخليلية الحديثة، بحث قدم لنيل درجة الماجستير في علوم اللسان والتبليغ اللغوي، فرع اللسانيات التعليمية، إشراف الأستاذ عبد الرحمان الحاج صالح بمساعدة الأستاذ صالح بلعيد، المدرسة العليا للأساتذة في الآداب والعلوم الإنسانية، الجزائر، 2002.
84. صهيب سليم محمد محاسيس: عيوب الكلام في التراث اللغوي العربي، دار الحامد للنشر والتوزيع، الأردن، ط1، 2012.
85. طارق المالكي: أنطولوجيا حاسوبية للنحو العربي، نحو توصيف منطقي ولساني حديث للغة العربية، دار النابعة للنشر والتوزيع، طنطا، مصر، ط1، 2015.
86. طه حسين الدليمي ، كامل محمود نجم الدليمي: أساليب حديثة في تدريس قواعد اللغة العربية، دار الشروق للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، 2004.
87. عبد الحميد السيد: نظرية العامل في النحو العربي ودراسة التركيب، مجلة جامعة دمشق، مج، 18، ع 3-4 ، 2002.
88. عبد الرحمن ابن خلدون: المقدمة، دار الفكر للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، ط1، 2004.
89. عبد الرزاق محمود اسماعيل: الخوارج في بلاد المغرب حتى منتصف القرن الرابع الهجري، دار الثقافة، الدار البيضاء، المغرب، ط 2 ، 1985.

90. عبد السلام المسدي: التفكير اللساني في الحضارة العربية، الدار العربية للكتاب، ليبيا وتونس، ط1، 1981.
91. عبد السلام المسدي: اللسانيات وأسسها المعرفية، الدار التونسية للنشر، تونس، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1986.
92. عبد السلام المسدي: مباحث تأسيسية في اللسانيات، دار الكتاب المتحدة، ط1، بيروت، 2010.
93. عبد العلي الودغيري: اللغة والهوية والدين، مطبعة النجاح، الدار البيضاء، المغرب، 2000.
94. عبد الفتاح أحمد يوسف: لسانيات الخطاب وأنساق الثقافة، منشورات الاختلاف، الجزائر، ط1، 2010.
95. عبد القادر عبد الجليل: علم اللسانيات الحديثة، ط1، دار الصفاء، الأردن، 2002.
96. عبد القاهر الجرجاني: دلائل الإعجاز، تح: محمود محمد شاكر، مطبعة المدني، القاهرة، مصر، دط، دت.
97. عبد الكريم بوفرة: علم اللغة الاجتماعي، مقدمة نظرية، مطبوع جامعي، جامعة محمد الأول، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، وجدة، المغرب، الموسم الجامعي 2011-2012.
98. عبد الكريم جمعان: التطور الاستمولوجي للخطاب؛ غموض الأوليات، دار الفارابي، بيروت، لبنان، ط1، 2010.
99. عبد الله كنون الحسني: النبوغ المغربي في الأدب العربي، دار الكتاب اللبناني، بيروت، لبنان، ط2، 1960، ج1.
100. عبده الراجحي: النحو العربي والدرس الحديث؛ بحث في المنهج، دار النهضة العربية، بيروت، لبنان، 1979.
101. علي حمدي الفرماوي: نيوروسيكولوجيا معالجة اللغة واضطرابات التخاطب، المكتبة الأنجلومصرية، القاهرة، مصر، 2006.

102. علي زوين: منهج البحث اللغوي بين التراث وعلم اللغة الحديث، دار الشؤون الثقافية، بغداد، العراق، د.ط، 1986.
103. علي محمود حجي الصراف: في البراجماتية؛ الأفعال الإنجازية في العربية المعاصرة -دراسة دلالية ومعجم سياقي- مكتبة الآداب، القاهرة، مصر، ط 1، 2010.
104. عمر بلخير: تحليل الخطاب المسرحي في ضوء النظرية التداولية، منشورات الاختلاف، الجزائر، ط 1، 2003.
105. عمر فروخ: القومية والفصحى، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، ط2، 1961.
106. عواطف قاسمي الحسني: التفكير الرياضي في علوم العربية، أطروحة مقدمة لنيل درجة الدكتوراه، إشراف: بن لعلم مخلوف، جامعة البليدة 2، الجزائر 2016 - 2017.
107. فاطمة الهاشمي بكوش: نشأة الدرس اللساني العربي الحديث، دراسة في النشاط اللساني العربي، إيتراك للنشر، القاهرة، مصر، ط1، 2004، العربي.
108. فتيحة بن عمار: دراسة تحليلية تقويمية لأنواع التمارين النحوية للسنة السادسة من التعليم الأساسي واقتراح البديل بناء على مفاهيم النظرية الخليلية الحديثة، رسالة لنيل شهادة الماجستير في علوم اللسان والتبليغ اللغوي، فرع اللسانيات التعليمية، إشراف الأستاذ عبد الرحمان الحاج صالح بمساعدة الأستاذ صالح بلعيد، المدرسة العليا للأساتذة في الآداب والعلوم الإنسانية، 2003.
109. فرانسواز أرمينكو: المقاربة التداولية، تر: علوش سعيد، مركز الإنماء القومي، الرباط، المغرب، دت، دط.
110. فوزية بداوي: دراسة تحليلية لطريقة توظيف العامل في كلام المصابين بالحبسة عند عينة من الراشدين الناطقين بالعربية -التركيب الاسمي نموذجاً- أطروحة مقدمة لنيل شهادة دكتوراه العلوم في الأروطونيا، إشراف: أ.د رابح قدوري، 2014-2015.
111. كريمة أوشيش: التداخل اللغوي بين العامية والفصحى لدى تلاميذ الطور الثالث من التعليم الأساسي، بحث قدم لنيل درجة الماجستير في علوم اللسان والتبليغ

- اللغوي، فرع اللسانيات التعليمية، المدرسة العليا للأساتذة في الآداب والعلوم الإنسانية، بوزريعة، الجزائر، إشراف: عبد الرحمان الحاج صالح بمساعدة الأستاذ صالح بلعيد، 2002.
112. مازن المبارك: النحو العربي؛ العلة النحوية، نشأتها وتطورها، دارالفكر، دمشق، ط1، 1965.
113. مازن الوعر: جملة الشرط عند النحاة والأصوليين العرب في ضوء نظرية النحو العاملي لتشومسكي، الشركة المصرية العالمية للنشر، القاهرة، مصر، ط1، 1999.
114. مازن الوعر: نحو نظرية لسانية عربية حديثة لتحليل التراكيب الأساسية في اللغة العربية، دار طلاس، دمشق، ط1، 1987.
115. مبارك بن محمد الميلي: تاريخ الجزائر في القديم والحديث، تقديم وتصحيح: محمد الميلي، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر.
116. مجمع اللغة العربية: المعجم الوسيط، إخراج: إبراهيم مصطفى وآخرون، المكتبة الإسلامية للطباعة والنشر، اسطنبول، تركيا، ط2، 1972.
117. محسن علي عطية: مهارات الاتصال اللغوي وتعليمها، دار المناهج للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ط1، 2008.
118. محمد الحباس: النحو العربي والعلوم الإسلامية -دراسة في المنهج-، عالم الكتب الحديث، إربد، الأردن، ط1، 2009.
119. محمد الحناش: مقدمة العدد الخاص بندوة استخدام اللغة العربية في تقنية المعلومات، مجلة التواصل اللساني، المجلد الأول، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، المغرب، ط1، 1993.
120. محمد الدريج: تحليل العملية التعليمية، مطبعة دار النجاح الجديدة، الدار البيضاء، المغرب، ط2، 1990.
121. محمد العيد رتيمة: الأنماط النحوية للجملة الاسمية في العربية من خلال كتابي الفخري في الآداب السلطانية، وقيام الدولة العربية الإسلامية، بحث مقدم لنيل

- شهادة الدكتوراه من الدور الثالث، إشراف: جعفر دك الباب، جامعة الجزائر، 1984/1985.
122. محمد المنجي الصيادي: التعريب وتنسيقه في الوطن العربي، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، لبنان، ط1، 1980.
123. محمد بن الجزري أبو الخير الحافظ: النشر في القراءات العشر، إشراف: علي محمد الضياع، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، د ط، د ت.
124. محمد بن حجر: الاستدلال في كتاب سيبويه طبيعته وأنماطه، بحث مقدم لنيل شهادة دكتوراه علوم، إشراف: مخلوف بن لعلام، جامعة سعد دحلب، البليدة، 2013.
125. محمد بن علي الجرجاني: التعريفات، تحقيق: إبراهيم الأبياري، ط 1، 1405 هـ^١ الزجاجي: الإيضاح في علل النحو، تح: المبارك مازن، دار النفائس، بيروت، ط 3، 1979.
126. محمد خان: الأستاذ الدكتور عبد الرحمن الحاج صالح وجهوده في بعث التراث اللغوي العربي، مجلة كلية الآداب والعلوم الإنسانية والاجتماعية، الجزائر، جامعة محمد خيضر بسكرة، العدد 7، جانفي 2005.
127. محمد خطابي: لسانيات النص -مدخل إلى انسجام الخطاب-، المركز الثقافي العربي، بيروت، لبنان، 1991.
128. محمد خير الحلواني: أصول النحو العربي، مطبعة الشرق، لينوتيب، حلب، سوريا، 1979.
129. محمد صاري: المفاهيم الأساسية للنظرية الخليلية، مجلة اللسانيات، مركز البحوث العلمية والتقنية لترقية اللغة العربية، بوزريعة، الجزائر، العدد 10، 2005.
130. محمد صاري: قراءة في الكتابة اللسانية العربية الحديثة، المجلة الأردنية في اللغة العربية وآدابها، المجلد 4، العدد 4، جامعة مؤتة، وزارة التعليم العالي، الأردن، 2008.

131. محمد صاري: من أزمة فهم اللسانيات إلى أزمة فهم التراث، مجلة اللسانيات العربية، المملكة العربية السعودية، العدد 7، جويلية 2018.
132. محمد علي الخولي: معجم علم اللغة التطبيقي، (إنكليزي . عربي)، مكتبة لبنان، ط1، 1986.
133. محمد علي يونس: مدخل إلى اللسانيات، دار الكتاب الجديد، بيروت، لبنان، 2004.
134. محمد عماري: مبادئ الدرس التداولي في التراث العربي؛ نظرية الخبر والإنشاء أنموذجا، رسالة دكتوراه، إشراف: فورار محمد، جامعة باتنة 1، 2016 / 2017، المقدمة.
135. محمد محمد داود: العربية وعلم اللغة الحديث، دار غريب، القاهرة، مصر، 2001.
136. محمد يحياتن: التعددية اللسانية من خلال الأبحاث اللسانية الاجتماعية الحديثة، مجلة اللسانيات، مجلة اللسانيات، مركز البحوث العلمية والتقنية لتطوير اللغة العربية، الجزائر، العدد 10، 2005.
137. محمود عكاشة: التحليل اللغوي في ضوء علم الدلالة؛ دراسة في الدلالة الصوتية والصرفية والنحوية والمعجمية، دار النشر للجامعات، القاهرة، مصر، ط 2، 2011.
138. مخلوف بن لعلام: التقدير في كتاب سيبويه، بحث مقدم لنيل شهادة الدكتوراه، إشراف: سعدي الزويير، جامعة الجزائر، 2002/2003.
139. مخلوف بن لعلام: مبادئ في أصول النحو، دار الأمل للطباعة، تيزي وزو، ط1، 2012.
140. مسعود صحراوي: التداولية عند العلماء العرب؛ دراسة تداولية لظاهرة "الأفعال الكلامية" في التراث اللساني العربي، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، ط1، 2005.
141. مصطفى حركات: اللسانيات الرياضية والعروض، دار الحدائث، ط 1، 1988.

142. مصطفى حركات: اللسانيات العامة وقضايا العربية، الدار الثقافية للنشر، القاهرة، مصر، ط1، 1998.
143. مصطفى غلفان: اللسانيات العربية الحديثة دراسة نقدية في الأسس النظرية والمنهجية، سلسلة رسائل وأطروحات رقم 4، جامعة الحسن الثاني، عين الشق، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، مطبعة فضالة المحمدية، المغرب، د.ط، 1998.
144. مصطفى فهمي: أمراض الكلام، دار مصر للطباعة، القاهرة، مصر، ط 5، د ت.
145. مصطفى معرف: النص ودلالة الغياب في تفكيكية جاك دريدا: مجلة نزوى، مؤسسة عمان للصحافة والنشر والإعلان، العدد 68، أكتوبر 2011.
146. معالي هاشم علي أبو المعالي: الاتجاه التوافقي بين لسانيات التراث واللسانيات المعاصرة -الدكتور عبد الرحمن الحاج صالح أنموذجاً- أطروحة مقدّمة لنيل شهادة الدكتوراه فلسفة في اللغة العربية وآدابها، جامعة بغداد، إشراف: بان صالح مهدي الخفاجي، 2014.
147. منى إلياس: القياس في النحو، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، ط1، 1983.
148. منى توكل السيد: التهتهة لدى الأطفال؛ مفهومها، أسبابها، أعراضها، تشخيصها، علاجها، دار الجامعة الجديدة، الإسكندرية، مصر، 2008.
149. مهدي المخزومي: في النحو العربي نقد وتوجيه، دار الرائد المغربي، بيروت، لبنان، ط2، 1986.
150. موريس أنجرس: منهجية البحث العلمي في العلوم الإنسانية، تر: بوزيد صحراوي وآخرين، دار القصبية، الجزائر 20
151. ميشال جورج كارتر: التداولية واللغة التعاقدية في البدايات الأولى للنحو العربي والنظرية الفقهية، تر: الحريص ناصر فرحان، مجلة جامعة أم القرى لعلوم اللغات وآدابها، العدد 19، ماي 2017.

152. ميشال جورج كارتر: عشرون درهما في كتاب سيويوه، تر: عبد اللطيف الجميلي، حاتم الضامن، مجلة المورد، المجلد 16، 1987، العدد 1، بغداد، - مقدمة المترجمين-.
153. ميشال جورج كارتر: نحوي عربي من القرن الثامن للميلاد؛ دراسة عن منهج سيويوه في النحو، تر: عبد المنعم آل ناصر، مجلة المورد، المجلد 20، ج 1، 1992، بغداد.
154. ميشال زكريا: بحوث ألسنية عربية، المؤسسة الجامعية للنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، 1992، ط 1.
155. ميلكا إفيتش: اتجاهات البحث اللساني، تر: سعيد عبد العزيز مصلوح ووفاء كامل فايد، المجلس الأعلى للثقافة، ط 2، 2000.
156. ناصر فرحان الحريص: مايكل كارتر وجهوده في درس النظرية النحوية التراثية مع ترجمة بحثه: التداولية واللغة التعاقدية في البدايات الأولى للنحو العربي والنظرية الفقهية، مجلة جامعة أم القرى، لعلوم اللغات وآدابها، العدد 19، ماي 2017،
157. نبيل علي: اللغة العربية والحاسوب، تقديم: الخولي أسامة، دار تعريب، شركة العربية، 1988، د ط.
158. نسيمة أزرو: مشاكل استحضار الكلمة عند المصابين بالحبسة ماجيستير في علوم اللسان والتبليغ اللغوي سنة 2009.
159. نصر الدين بوحساين، مدخل إلى اللسانيات التطبيقية؛ تعليمات اللغات، دار الأمل للطباعة والنشر، تيزي وزو، الجزائر، 2012.
160. نصر الدين بوحساين: تعليم اللغة العربية واقع وآفاق، مجلة العربية، المدرسة العليا للأساتذة، بوزريعة، العدد 3، 2011.
161. نصر الدين بوحساين: ملخص مداخلة بعنوان (أعمال الأستاذ عبد الرحمن الحاج صالح في مجال تعليمية اللغات)، ملخصات مداخلات الملتقى الدولي حول الأعمال العلمية للأستاذ عبد الرحمن الحاج صالح والعلوم اللسانية الحديثة، 3-4 جوان 2008، الجزائر.

162. نعمان بوقرة: المدارس اللسانية المعاصرة، مكتبة القاهرة، مصر، 2000.
163. نعمان بوقرة: محاضرات في المدارس اللسانية المعاصرة، منشورات جامعة باجي مختا، عنابة، 2006.
164. نهاد الموسى: العربية - نحو توصيف جديد في ضوء اللسانيات الحاسوبية - المؤسسة العربية للنشر، بيروت، ط 1، 2000.
165. نهاد الموسى: نظرية النحو العربي في ضوء مناهج النظر اللغوي الحديث، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، لبنان، ط1، 1980.
166. نوال ماريبريور غاري: المصطلحات المباحث في اللسانيات، تر: عبدالقادر فهيم الشباني، سيدي بلعباس، الجزائر، ط1، 2007.
167. وجيه بن قاسم القاسم، محمد بن مفرح عسيري: المناهج الدراسية في ضوء المناخات العالمية المعاصرة، دار روابط للنشر، 2016، القاهرة، مصر.
168. وليد أحمد العناتي: اللسانيات الحاسوبية العربية؛ المفهوم، التطبيقات، الجدوى، مجلة الزرقاء للبحوث والدراسات، عمان، الأردن، المجلد السابع، العدد 02، 2005.
169. يحيى بعيطيش: الكفاية العلمية والتعليمية للنظرية الخليلية الحديثة، مجلة التواصل، قسنطينة، عدد 25، مارس 2010.

1 المراجع باللغة الأجنبية:

5. Bernard Potier : Sibawayhi et L'actualite Linguistique , Revue Al- Lisanyyat , centre de recherche scientifique et technique pour le Développement de la Langue Arabe, Alger , n 14 – 15 , 2008 – 2009
6. claudé germain et leblanc (remond): introduction à la linguistique générale (la phonétique), les presses de luniversité de montréal p.u.m, québec, canada, 1981, T 2 .
7. David Crystal :The Cambridge Encyclopedia of Language, Cambridge university Press, 2nd edition, 1997, (sixth printing 2005).
8. E . levi provençal- : Extrats des historiens Arabbes du maroc , Editions Larose , Rue Victor – cousin ,Paris , 1948
9. Fadhila Lamali: Étude sémiologico-grammaticale du comportement langagier du sujet aphasique , 2011
10. Ferdinand De Saussure : Cours de linguistique général, ENAG / Edition , 1990.

11. fouzia Badaoui : Analyse de la syntaxe chez les aphasiques de broca et de wernicke, Revue « Al-Lisaniyyat », Centre de Recherche scientifique et Technique pour le Développement de la Langue Arabe, 2005, N° 10.
12. Fouzia Badaoui : Analyse linguistique des troubles syntaxiques chez les aphasiques, application de la théorie neo-khalilien, thèse de magistère en sciences du langage, école supérieure des lettres et sciences humaines, Alger, 2003-2004
13. Gérard Troupeau : La logique d'Ibn al – moqaffa' et les origines de la grammaire arabe, Revue: arabika, T. 28, Fasc. 2/3, Numéro Spécial Double: Études de Linguistique Arabe, 1981 .
14. Hadja Faiza Khellaf-Haned et Mohamed Tayeb Laskri : Une approche connexionniste pour le traitement automatique des structures syntaxiques de la langue arabe basees sur le formalisme Neo-Khalilien , Revue « Al-Lisaniyyat » , Centre de Recherche scientifique et Technique pour le Développement de la Langue Arabe , N 09 ,2004.
15. Hadja Faiza Khellaf-Haned: Une approche connexionniste pour le traitement automatique des structures syntaxiques de la langue arabe basees sur le formalisme Neo-Khalilien, mémoire de magister en sciences du langage et de la communication linguistique, Ecole Normale upérieure des Lettres et Sciences Humaines, Alger, Juin 2000.
16. Haféda Tandjaoui : Vers Une Comprehension Automatique De L'Arabe Basee Sur GPSG Et Modele Linguistique Neo-Khalilien, mémoire de magister en sciences du langage et de la communication linguistique, Ecole Normale upérieure des Sciences Humaines, Alger, Juin 1999.
17. Haféda Tandjaoui : Une grammaire de l'arabe dans le formalisme GPSG , Revue « Al-Lisaniyyat » , Centre de Recherche scientifique et Technique pour le Développement de la Langue Arabe, 2003, N° 8 .
18. Jane. J .Robinson : Dependency structures and transformation rules , Language ,Jun 1970 ,vol 46,N 02 ,part 01.
19. Jean Cantineau : Cours de phonétique arabe , édition originale réimprimée, Librairie C. Klincksieck, Paris, 1960 .
20. Jean-Patrick Guillaume: Le discours tout entier est nom, verbe et particule , Elaboration et constitution de la théorie des parties du discours dans la tradition grammaticale arabe. In: Langages, 23e année, n°92, 1988. Les parties du discours.
21. Jeans Dubois et autres: dictionnaire de l'inguistique, paris, larousse, 1973
22. John Lyons: Language and linguistics: An Introduction, Cambridge: Cambridge University Press, 1981.
23. John Searle : Les actes de langage; essai de philosophie du langage , Paris , hermann, 1972 .
24. K. Taleb Ibrahim.- : Les Algeriens et leur (s) Langue (s) , Dar El – Hikma, Alger, 1997 , Alger
25. Louis-Jean Calvet: Linguistique et colonialisme , petit traité de glottophagie , Payot ,1974.
26. Lucien Tesnière , Éléments de syntaxe structurale, Éditions Klincksieck, PARIS ,1959,
27. M . G . Carter: A Study of Sībawaihi's Principles of Grammatical Analysis . D. Phil . Dissertation , University of Oxford. 1968

28. M . G .Carter : Sibawayhi , Oxford Center for Islamic Studies , London , 2004
29. Michael .G .Carter: An Arab Grammarian of the Eighth Century AD . A Contribution to the History of Linguistics, Référence précédent, vol 93, n2.
30. Michael .G. Carter: An Arab Grammarian of the Eighth Century AD, A Contribution to the History of Linguistics , Journal of the American Oriental Society , vol 93 , n 2 1973,
31. Michael. G .Carter : Twenty Dirhams' in the Kitāb of Sībawayhi', Bulletin of the School of Oriental and African Languages 35, 1972,
32. Michael. G .Carter: Les origines de la grammaire arabe', Revue des études islamiques 40 .
33. Michael. G. carter: Arabic l'inguistics, (Amesterdam), philadelphia, john benjamins, publishing, co, 1981.
34. Michel Dessaint : Biographie de Bernard Pottier , Annexes des Cahiers de linguistique hispanique médiévale , volume 7 , 1988 .
35. mohammed yahiaten: Etude de l'usage de l'arabe standard en milieux pri-scolaires et extra-scolaires l'implication didactiques, 1985
36. Nacéra Taibi : Contribution A L'étude du Traitement Automatique Des Erreurs Dans Un Texte Ecrit En Arabe – Detection et correction des Erreurs aux niveau lexical et intralexical-) , mémoire de magister en sciences du langage et de la communication linguistique,Ecole Normale upérieure des Sciences Humaines, Alger, Decembre1997.
37. Nacéra Taibi : Vers un système d'analyse morpho-syntaxique de la langue arabe tolérant des fautes , Revue « Al-Lisaniyyat» , Centre de Recherche scientifique et Technique pour le Développement de la Langue arabe, Alger , n 08 , 2004 .
38. Owens Jonathan: The Foundations of Grammar : An Introduction to Medieval Arabic.(Grammatical Theory). Amsterdam/Philadelphia: John Benjamins Publishing Co. 1988
39. wahiba Boudali : La variation incrémentielle : critères d'analyse de la cohésion chez l'aphasique de broca. Analyse sémiologico-grammaticale , Revue « Al-Lisaniyyat » , Centre de Recherche scientifique et Technique pour le Développement de la Langue Arabe, 2005, N° 10.
40. wahiba Boudali :L'étude de la variation incrémentielle chez l'aphasique de broca et de wernicke, application des principes de la théorie néokhalilienne, magistr en sciences du langage et de communication linguistique, Alger 2000.
41. Wahiba Hammouche: Essai d'élaboration d'une grille d'analyse pour l'étude du corpus aphasique basée sur le modèle néokhalilien et l'interactionnisme bronckartien, 2009
42. William Labov: The Social Stratification of English in New York City Department Stores, Washington, D.C., Center for Applied Linguistics, 1966, p 485 .